الجلد الخامسة من الكتاب المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم
بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رحمه الله تصنيف الشيخ
الفقيه الامام الحافظ العلامه المتقن المتفنن ناصر السنن
ابي العباس احمد بن عمر بن ابراهيم الانصاري القرطبي غفر الله له ولوالديه

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه عز وجل قال ان الله كتب الحسنات والسيئات
ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة
فان هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبع
مائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها
الله له عنده حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله له سيئة
واحدة

٧٥٧

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : V. Carullah
ESKİ KAYIT No. 353
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على احسانه وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى الرسل

ومن باب فضائل ام انس رضي الله عنها واسمها

برکه بنت ثعلبة بن عمرو بن حضر بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان بن بيت
يقال انها ابنة عبيد الحبشي تزوجت بعد عبيد زيد بن حارثة فولدت له اسامة بن زيد كانت لام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم صارت له بالميراث وكان صلى الله عليه وسلم يقول ام ايمن امي
بعد امي وكان صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها بقية الام
ويكتب زيارتها وكان صلى الله عليه وسلم يعدها كالوالدة ولذلك
كانت تحب عليه اي ترفع صوتها عليه وتذمر اي تغضب وتجبر
تفعل الوالدة بولدها وقال الاصمعي تذمر الرجل اذا تغضب وتكلم
اثنا ذلك وقال غيره تذمر الرجل اذا لام نفسه وزيارة النبي
صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما لها دليل على فضلها
ومعرفتهم بحقها وفيه دليل على زيارة النساء في جماعة وقول ام ايمن
ابكي ان الوحي قد انقطع من السماء ان مفتوحة لانها مفعوله لابكي
باسقاط حرف الجر بقديره ابكي لان او بين اجل ان يعني ان الوحي
لما انقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الناس بارائهم فاختلفت
مذاهبهم فوقع التنازع والفتن وعظمت المصائب والمحن وكذلك
يجم بعده صلى الله عليه وسلم النفاق وفشا الارتداد والشقاق وقوله
ان الله تعالى يدارك الدين بتابعي اتباعي لما بقي منه اثر ولا عين
وقول انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
على النساء الا على ازواجه الا ام سليم فانما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل على النساء عملا بما شرع من المنع من الخلوة بهن

وليتقذى به وذلك ومخافة ان تقذف الشيطان في قلب احد
من المسلمين شرا فيهلك كما قال في حديث صفية المتقدم وليلا يجد المنافقون
واهل الزيغ مقالا وانما خص ام سليم بالدخول عندها لانها كانت
منه ذات محرم بالرضاع كما تقدم ويجبر قلبها من تحقير ما
باخيها اذ كان قد قتل معه في بعض غزواته واخذه يوم احد
وللمعلم النبي صلى الله عليه وسلم من فضلها كما دل عليه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم
اياها في الجنة وام سليم هذه هي ابنة ملحان من زيد بن حرام
من بني النجار وهي ام انس بن مالك بن النضر كانت اسلمت مع قومها
فغضب مالك لذلك فخرج الى الشام فهلك هنالك كافرا وقتل قتل
ثم خطبها بعده ابو طلحة وهو على شركه فابت حتى يسلم وقالت
لا اريد منه صداقا الا الاسلام فاسلم وتزوجها وحسن اسلامه
فولدت له غلاما فكان قد اعجب به فمات صغيرا وقيل انه
ابو عمير صاحب النغير وكان ابو طلحة غائبا حين مات فغسلته
ام سليم فجاء ابو طلحة فسأل عنه فكتمته موته ثم انها تصنعت
له فاصاب منها ثم اعلمته بموته فشق ذلك عليه ثم انه اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا لهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال
بارك الله لكما وغابر ليلتكما كما ذكر في الاصل فبورك لهما
بسبب تلك الدعوة وولدت له عبد الله بن ابي طلحة وهو والد
اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة الفقيه واخوته كانوا عشرة كلهم
حمل عنه العلم واسحق هو شيخ مالك رحمهما الله واختلف في اسم
ام سليم فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل مليكة وهو المتمط المذكور
في الحديث ويقال الرميصاء وقيل ان الرميصاء غيرها قالوا وهي ام حرام

أختها وخالة أنس والغميصاء واسمها رميثة من الخمص وهو ما سال من
قرى القيء عند البكاء والمرض يقال بالصاد والسين والرمص بالراء
ما يجمد منه قاله يعقوب وغيره وكانت أم سليم من فضلاء النساء
وفضلائهن شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وحنينا
روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحادي عشر حديثا خرج لها في الصحيحين
أربعة أحاديث وقوله دخلت الجنة فسمعت خشفة هي بفتح الخاء
وسكون الشين المعجمتين وهي صوت المشي ويقال خشخشة كما جاء في الرواية
الأخرى وأصل الخشخشة صوت الشيء اليابس يحرك بعضه بعضا وسيأتي
وكان هذا الدخول في الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم في النوم كما
قاله في حديث بلال المتقدم ورؤياه حق فهي رضي الله عنها من أهل الجنة

ومن باب فضائل طلحة

رضي الله عنه واسمه زيد
بن سهل من بني النجار شهد المشاهد كلها وكان أحد الرماة المذكورين
من الصحابة رضي الله عنهم وكان من الأبطال قتل يوم حنين عشرين
وأخذ أسلابهم وكان أبو طلحة يتترس بصدره يوم أحد بين يدي رسول الله
من النبل ويقول صدري دون صدرك ونفسي لنفسك الفداء ووجهي
لوجهك الوقاء وكان صلى الله عليه وسلم يقول لصوت أبي طلحة في الجيش
خير من مائة رجل واختلف في وقت وفاته فقيل سنة احدى وثلاثين
وقيل سنة أربع وثلاثين وصلى عليه عثمان بن عفان ورثى سلمه عن
ثابت البناني وعلي بن زيد عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة صام الدهر
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وأنه رئي في المنام فقيل
فيم بخ بخ قال بصيام رمضان وقال الحربي مات أبو طلحة سنة احدى وخمسين والله أعلم
بحقيقة ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وثلاثين حديثا

حماد بن

أخرج له منها في الصحيحين أربعة أحاديث وقوله بأبي الله لكما وغابر
ليلتكما أي في ماضيها وقد تقدم أن الغابر من الأضداد يقال لغابر الشيء إذا ذهب
وغبر إذا بقي وصنع أم سليم وعظمها له يدل على كمال عقلها وفضلها
وعلمها وملازمة أبي طلحة ليكون مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفره
وحضره ومدخله ومخرجه دليل على كمال محبته للنبي صلى الله عليه وسلم
وصدق رغبته في الجهاد والخير وتحصيل العلم وترفع وجع المخاض
وهو الولادة عن أم سليم عند دعاء أبي طلحة دليل على كرامات الأولياء
وإجابة دعواتهم وأن أبا طلحة وأم سليم منهم والطروق هي المجيء بالليل
والميسم الكوي الذي يوسم به الإبل أي يعلم وفي هذا الحديث أحكام
وأرجح قد تقدم التنبيه على أكثرها

ومن باب فضائل بلال رضي الله عنه

وتسمى أمه
حمامة واختلف في كنيته فقيل أبو عمرو الله وقيل أبو عبد الكريم وقيل
أبو عبد الرحمن وقيل أبو عمرو وكان حبشيا قال ابن إسحق كان بلال
لبعض بني جمح مولدا من مولدي سراة قيل من مولدي مكة وقيل من مولدي
السراة وقال ابن مسعود أول من أظهر الإسلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما
فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه وأما أبو بكر فمنعه الله
بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم
في الشمس فما منهم إنسان إلا وأتاهم على ما أرادوه منه إلا بلالا فإنه
هانت عليه نفسه في الله تعالى وهان على قومه فأعطوه الولدان
فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد وفي رواية
وجعلوا الحبل في عنقه وقال سعيد بن المسيب فاز بلال بسبعين عبدا على دينه

وكان يعذب على دينه فاذا اراد المشركون ان يذلوه يقول الله الله
فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه بخمس اواق وقيل بسبع وقيل بتسع
فاعتقه وكان يؤذن لرسول الله فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم
اراد ان يروح الى الشام فقال له ابو بكر بل تكون عندي فقال ان كنت
اعتقتني لنفسك فامسكني وان كنت اعتقتني لله فدعني اذهب الى من
فقال اذهب فذهب الى الشام فكان بها حتى مات رضي الله عنه قال
الشيخ رحمه الله وظاهر هذا انه لم يؤذن لابي بكر وقد ذكر ابن ابي شيبة
عن حسين بن علي عن شيخ يقال له الحصين عن ابيه عن جده قال اذن بلال
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذن لابي بكر حياته ولم يؤذن لي
زمان عمر فقال له عمر ما منعك ان تؤذن قال اني اذنت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى قبض واذنت لابي بكر رضي الله عنه حتى قبض لانه كان
ولي نعمتي وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا بلال ليس
عمل افضل من الجهاد في سبيل الله فخرج فجاهد ويقال انه اذن لعمر
رضي الله عنه اذ دخل الشام فبكا عمر وبكا المسلمون وكان بلال
خازنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر ابو بكر سيدنا واعتق
بلالا سيدنا وتوفي بلال بدمشق ودفن عند الباب الصغير بمقبرتها
سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة وقيل سنة احدى وعشرين
وهو ابن ستين وقول النبي صلى الله عليه وسلم لبلال حدثني بارجا
عمل عملته في الاسلام منفعة هذا السؤال انما احرجه من النبي
صلى الله عليه وسلم ما اطلع عليه من كرامة بلال بكونه امامه في الجنة
فساله عن العمل الذي لازمه حتى اوصله الى ذلك وفرحا هذا الحديث
في الباب الترمذي بنوع من هذا من حديث بريدة بن الخصيب قال اصبح

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت
الجنة قط الا سمعت خشخشتك امامي دخلت البارحة الجنة فسمعت
خشخشتك امامي وذكر الحديث فقال بلال يا رسول الله ما اذنت قط
الا صليت ركعتين ولا اصابني حدث قط الا توضأت عنده ورايت
ان لله تعالى علي ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما
بهما قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح فلبحث زهرا الحديث
وقوله بم سبقتني الى الجنة لا تنهم من هذا ان بلالا لم يدخل الجنة قبل
النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك ممنوع مما تقدم علم من ان النبي صلى الله عليه وسلم
هو السابق للجنة وبما تقدم انه اول من يستفتح باب الجنة فيقول
الخازن بك امرت لا افتح لاحد قبلك وانما هذه رؤيا منام افادت ان بلالا
من اهل الجنة وانه يكون فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي ملازمته
وهذا كما قال في الغيصا سمعت خشخشتك امامي وقد لا يبعد
ان يقال في سبقية بلال انها سبقية الخادم بين يدي مخدومه والله اعلم
وفيه ما يدل على ان استدامة بعض النوافل وملازمتها في اوقات او احوال
فيه فضل عظيم واجر كثير وان كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها
ولا لازمها ولا اشتهر العمل بها عند احد من اصحابه وان ذلك لا يقدح على من
كان منه كما لم يعتقد ان ذلك سنة راتبة له ولغيره وهذا هو الذي منعه
مالك حتى كره اختصاص شيء من الايام او الاوقات بشيء من العبادات
من الصوم والصلاة والاذكار والدعوات الا ان يعينه الشارع
ويداوم عليه فاما لو قام الانسان على شيء من ذلك في خاصة نفسه ولم يعتقد
شيئا من ذلك كما فعله بلال في ملازمته الركعتين عند كل اذان وفي ملازمة
الطهارة دائما لكان ذلك يفضي بفاعله الى نعيم مقيم وثواب عظيم وقوله

صلى الله عليه وسلم بها اى لسبب ثواب فعل ذينك الامرين وصلت
الى ما رأيت من كونك في الجنة معي وقوله صلى الله عليه وسلم حدثني
بارجى عمل عملته اى عمل يكون رجاؤك لثوابه اكثر ونفسك به
اوثق وفيه تنبيه على ان العامل بشئ من الخير ينبغي له ان يأتي
منها على اكمل وجوهها ليعظم رجاؤه في قبولها وفي فضل الله تعالى
عليها فيحسن ظنه بالله تعالى فان الله عند ظن عبده به ويتضح لك
بهذا تمثيل ولله المثل الاعلى ان الانسان اذا اراد ان يتقرب لبعض ملوك
الدنيا بهدية او تحفة فان اتى بها على اكمل وجوهها واحسن حالاتها
قوي رجاؤه في قبولها وحسن ظنه في ايصاله الى ثوابها لا سيما اذا
كان المتقرب له موصوفا بالفضل والكرم وان انتقص شيأ من ثوابها
ضعف رجاؤه للثواب وقد يتوقع الرد لا سيما اذا علم ان المتقرب له
غني عنها فاما لو اتى بها وتحفة النقصان لكان ذلك من اوضح
الخسران اذ قد صار المتقرب له كالمستقر المهان ٠ د

ومن باب فضائل عبد الله بن مسعود بن غافل

ابن حبيب بن شمخ بن مارن بن مخزوم الهذلي يكنى ابا عبد الرحمن وامه
ام عبد بنت عبد ود الهذلية ايضا اسلم قديما وكان سبب اسلامه
انه كان يرعى غنما لعقبة بن ابي معيط فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا غلام هل من لبن فقال نعم ولكني مؤتمن قال فهل من شاة حائل لم ينز
عليها الفحل فاتيته بشاة شطوص لم ينز عليها فنزل النبي فحلبها
في اناء وشرب وسقى ابا بكر ثم قال للضرع اقلص فقلص فقلت يا رسول الله
علمني من هذا القول فقال رحمك الله انك غليم معلم فاسلم وضمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليه فكان يلج عليه ويلبسه فعله ويمشي امامه وسعه

ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام وقال له اذنك على ان يرفع الحجاب
وان تسمع سوادي حتى انهاك وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد
والسواد هاجر هجرتين الى ارض الحبشة ثم من مكة
الى المدينة اله الحوفي وصلى القبلتين وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم
مشاهده كلها وكان يشبه في هديه وسمته لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وشهد له كبراء الصحابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه من اعلمهم بكتاب الله قراءة وعلما
وفضائله كثيرة توفي بالمدينة سنة ستين وثلاثين ودفن بالبقيع
وصلى عليه عثمان وقيل بل صلى عليه عمار وقيل بل صلى عليه الزبير لبلاء
بوصيته ولم يعلم عثمان بذلك فعاتب عثمان الزبير على ذلك والله اعلم
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمان مايه حديث وثمانية واربعين
حديثا اتفق له منها في الصحيحين مائة وخمسون وقوله لما نزلت
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح الاية قد ذكرنا سبب نزول
الاية ونكلمنا على معناها في الاشربة وقوله صلى الله عليه وسلم
قيل لي انت منهم لخطاب لابن مسعود اي اوحي الي انك يا ابن مسعود
من الذين امنوا وعملوا الصالحات وهذه تزكية عظيمة ودرجة رفيعة
قل من ظفر بمثلها وقول ابي موسى كنا احيانا وما نرى ابن مسعود وامه
الا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يدل على صحة ما ذكرنا من
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه اليه واختصه بخدمته وملازمته
وذلك لما رأى من صلاحيته للقبول العلم وتحصيله له ولذلك قال له
اول ما لقيه انك غليم معلم وفي رواية اخرى لقن مفهم اي انت صالح لان تعلم
فتعلم وتلقن فتفهم ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ضمه لنفسه وجعله

تعلم لغتيه

وقرأ المسلمون عليها وترك مصحف عبد الله وخفي الى ان وجد في قبر ابن بني
خبيب بمصر عند انتراض دولتهم وابتداء دولة المعز فامر بإحراقه
فاحرق وفي القضاة بها صدر الدين عما سمعناه من بعض مشايخنا
وقوله على قراءة من امرني ان اقرأ انكاره على من يامره
بترك قراءته ورجوعه الى قراءة زيد مع انه سابق له الى حفظ القرآن
والى اخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعب عليه ان يترك قراءة
قرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بما قرأه زيد وعبر به
فتمسك بصحفه وقراءته وخفي عليه الوجه الذي ظهر لجميع الصحابة
رضي الله عنهم من المصلحة التي هي من اعظم ما حفظ الله بها القرآن عن الاختلاف
المخل به والتغير بالزيادة والنقصان وقد تقدم القول في الاحرف
السبعة وفي كيفية الامر بذلك وكان من اعظم الامور على عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه ان الصحابة رضي الله عنهم لما عزموا على كتب
المصحف بلغة قريش عينوا لذلك اربعة لم يكن فيهم ابن مسعود وكتبوه
على لغة قريش ولم يرجعوا على ابن مسعود مع انه السبق لحفظ القرآن
ومن اعلمهم به كما شهد والله بذلك غير انه رضي الله عنه كان هذليا
وكانت قراءته على لغتهم وبينها وبين لغة قريش تباين يعلمكم فلذلك
لم يدخلوه معهم والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه وقد تقدم ان اصل
البضع ما بين الثلاثة الى التسعة وذكر اشتقاقه والخلاف فيه والحلق
بضم الحاء واللام جمع حلقة بفتح الحاء واللام على ما حكاه يونس عن ابي عمرو بن العلا
وقال ابو بحر والشيباني ليس في الكلام حلقة بالتحريك الا في قولهم
هاؤلاء قوم حلقة للذين يحلقون الشعر جمع حالق وقال الجوهري الحلقة
للدروع بالسكون وكذلك حلقة الباب وحلقة القوم والجمع الحلق وعن ابن عباس

بطلب الشرع البضع والحلقة

في عداد اهل بيته فلازمه حضرا وسفرا وليلا ونهارا ليتعلم منه وينقل
عنه وقوله ابي موسى كان يتفقدنا اذا غبنا اي يحضر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غاب الناس عنه وقوله ويوذن له اذا حجبنا
يعني انه كان النبي صلى الله عليه وسلم يأذن له في الوقت الذي يحجب عنه الناس
وذلك في الوقت الذي كان فيه مستغلا بخاصته وقول عبد الله ومن يغلل
يات بما غل يوم القيامة الحديث الى آخره قال القاضي ابو الفضل هذا الحديث
في الام مختصر مبتور انما ذكر منه اطرافا لا تشرح مقصد الحديث
وبيانه في سياق آخر ذكره ابن ابي خيثمة بسنده الى ابي وائل وهو شقيق
راوي الحديث في الام قال لما اسري في المصاحف بما اسري يعني امر عثمان
بتخريقها ما عدا المصحف المجتمع عليه الذي وجه منه النسخ الى الآفاق
ورأى هو والصحابة رضي الله عنه وعنهم ان بقاء تلك المصاحف يدخل اللبس
والاختلاف فذكر ابن مسعود الغلول وتلا الآية ثم قال غلوا مصاحفكم
اي غال مصحفي في استطاعكم ان يغل مصحفه فليفعل فان الله تعالى يقول ومن
يغلل يات بما غل يوم القيامة ثم قال على قراءة من امرني ان اقرأ على قراءة
زيد بن ثابت لقد اخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين
سورة وزيد بن ثابت له ذؤابتان يلعب مع الغلمان ذني اخرى صبي من
الصبيان فبتمام الحديث يظهر كلام عبد الله قال الشيخ رحمه الله
وقوله غلوا مصاحفكم الى آخره اي اكتموها ولا تسلموها والتيموها
الى ان تلقوا الله تعالى بها كما يفعل من غل شيئا فانه يأتي به يوم القيامة يحمله
وكان هذا منه رأيا رآه انفرد به عن الصحابة ولم يوافقه احد منهم
عليه فانه كتم مصحفه ولم يظهره ولم يقره عثمان ولا غيره عليه ان يظهره
وانتشرت المصاحف التي كتبها عثمان واجتمع عليها الصحابة في الآفاق

هذا ؟

وقوله لقد علم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعلمهم بكتاب الله
يعني انه اعلمهم باسباب نزوله ومواقع احكامه بدليل قوله في الرواية
الاخرى ما من كتاب الله سورة الا وانا اعلم حيث نزلت وما من اية الا اعلم
فيما انزلت وسببه ذلك لملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم ومخاطبته اياه
سفرا وحضرا كما قدمناه واما في القراءة فأبي اقرؤه منه بدليل قول
النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤهم ابي والخطاب للصحابة كلهم وقوله
صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة من ابن ام عبد فبدأ به ليس فيه
دليل انه اقرأ من ابي فانه قد بين صلى الله عليه وسلم بالنص الجلي ان ابيا اقرأ
منه ومن غيره يحتمل ان يقال ان الموجب لابتدايه به اختصاصه به وملازمته
اياه وحضوره في ذهنه لانه اقرأ الاربعة والله اعلم وهذا كله بناء
على ان المفهوم من المعطوف اتى له بمزية على المتأخر ونبه نظر فقد تتقدم
في الطهارة وفي الحج وتخصيصها ولا الاربعة بالذكر دون غيرهم ممن حفظ
القرآن من الصحابة وهم عدد كثير كما ياتي لان هذا ولا الاربعة هم الذين
تفرغوا لاقراء القرآن وتعليمه دون غيرهم ممن اشتغل بغير ذلك من العلوم
او العبادات او الجهاد وغير ذلك ويحتمل ان يكون ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم
لانه علم انهم هم الذين ينتصبون لتعليم الناس القرآن بعده وليوخر عنهم
فلما حل لهم ما علم من مآل امرهم لما قد اظهر الوجود من حالهم اذ هم ائمة
القراء اليهم تنتهي في العالم اسانيد الفضلاء والله اعلم ومعاذ المذكور
في الحديث هو معاذ بن جبل بن اوس الانصاري الخزرجي يكنى ابا عبد الرحمن
قيل يولد كان له كبر الى ان قاتل مع ابيه والبر موت ومات بالطاعون
قبل ابيه بايام على ما ذكره محمد بن عمر الله الازدي البصري في فتوح الشام
وغيره وقال الواقدي انه لم يولد لمعاذ قط وقاله المرزباني اسلم معاذ رضي الله

عنه وهو ابن ثمان عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين وشهد بدرا
وجميع المشاهد وآخاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمل من اعمال اليمن
وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم مودعا ماشيا ومعاذ راكب تحته
حتى اذا نزل وقال نبيه صلى الله عليه وسلم اعلمهم بالحلال والحرام معاذ
وقال انه سبق العلماء يوم القيامة برتوة بحر وقال نبيه ابن مسعود
انه كان امة قانتا لله وقال الامة هو الذي يعلم الناس الخير والقانت
هو المطيع لله عز وجل وكان عابدا مجتهدا ورعا محققا كان له امرأتان
فاذا كان يوم احداهما لم يشرب من بيت الاخرى وماتتا بالطاعون في وقت
واحد فحفر لهما حفرة فاسهم بينهما ايتهما تقدم في القبر وكان مجاب
الدعوة لما كان طاعون بعمواس وبحواس قرية من قرى الشام وكانها
انما نسب الطاعون اليها لانه اول ما ظهر فيها فقال بعض الناس لهذا
عذاب فبلغ ذلك معاذا فانكر ذلك وخطب فقال ايها الناس ان هذا
الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين فبلغ اللهم آت آل معاذ
من هذه الرحمة النصيب الاوفى فاصيب حتى طعن ابنه عبد الرحمن ومات
زوجتاه ثم طعن من الغد من دفن ولده فاشتد وجعه فمات منه وذلك
سنة سبع عشرة وقيل سنة ثمان عشرة وسنه يومئذ ثمان وثلاثون سنة
وقيل ثلاث وثلاثون سنة روى عنه من الحديث مائة حديث وسبعة
وخمسون حديثا اخرج له منها في الصحيحين ستة احاديث وسالم المذكور
في الحديث هو سالم بن معقل مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة يكنى سالم
ابا عبد الله كان من اهل فارس من اصطخر وكان من فضلاء الموالي ومن خيار
التابعين وكبرائهم وهو معدود في المهاجرين لانه لما اعتقته مولاته
زوج ابي حذيفة وهي ثبيتة بنت يعار وقيل سلمى وقيل غير ذلك تبناه ابو حذيفة

قتبناه ابو حذيفة وهو ايضا معدود في الانصار لعتق مولاته المذكورة
له فهي انصارية وهو معدود في القراء قيل انه هاجر مع عمر بن الخطاب
ونفر من الصحابة رضي الله عنهم من مكة فكان يؤمهم لانه كان اكثرهم
قرانا وكان يؤم المهاجرين بقباء فيهم عمر رضي الله عنه وفيهم شهد
سالم بدرا وقتل يوم اليمامة ومولاه ابو حذيفة توجدوا راس احدهما
عند رجل الاخر وذلك سنة اثنى عشرة ومن صحابي أبي بن كعب
ابن قيس بن عبيد بن زيد بن الخزرج رضي الله عنه اسلم قديما
شهد العقبة الثانية وبايع النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثم شهد بدرا
وجميع المشاهد وهو اول من كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان من فقهاء الصحابة وقراءهم وكفى بذلك ان الله تعالى امر نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يقرأ عليه القرآن وتنزيلنا وجه ذلك فيما تقدم
وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم اقرؤكم ابي وقال فيه عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه سيد المسلمين وتوفي في خلافة عمر على الاصح قيل
سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وقيل سنة اثنين وعشرين وقد
قيل انه مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما سنة اثنين وثلاثين وجملة
ما روي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واربعة
وستون حديثا اخرج له منها في الصحيحين ثلاثة عشر وقول انس
رضي الله عنه جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة
من الانصار معاذ بن جبل وابي بن كعب وزيد بن ثابت وابو زيد وقد
استشكل ظاهر هذا الحديث كثير من الناس حتى ظنوا انه مما يطرق
الطعن والقدح في تواتر القرآن وهذا انما نشأ ممن ظن ان لهذا الحديث
دليل خطاب فانه لا يتم له ذلك حتى يقول تخصيص هاؤلاء الاربعة بالذكر

يدل على انه لم يجمعه احد غيرهم فمن ينفي القول بدليل الخطاب قد سلم
من ذلك والذي يقول به فاكثرهم يقول ان اسما الاعداد لا دليل خطاب
لها فانها تجري مجرى الالقاب والالقاب لا دليل خطاب لها باتفاق
ائمة اهل الاصول ولا يلتفت لقول الزنادقة في ذلك فانه واضح الفساد
كما بيناه في الاصول ولين سلمنا ان لاسما الاعداد دليل خطاب فدليل
الخطاب انما يصار اليه اذا لم يعارضه منطوق به فانه اضعف
وجوه الادلة عند القائلين بها وهنا امران هما اولى منه بالاتفاق
احدهما النقل الصحيح والثاني ما يعلم من ضرورة العادة فاما النقل
فقد ذكر القاضي ابو بكر وغيره جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم
الخلفاء الاربعة وابن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة وقد سماهم ابو عبد الله
البخاري منهم خمسة عشر وقد تواترت الاخبار بانه قتل يوم
اليمامة سبعون ممن جمع القرآن وكان ذلك في سنة وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم واول سنتي خلافة ابي بكر واذا قتل من جيش واحد سبعون
ممن جمع القرآن فالذي بقي في ذلك الجيش منهم لم يقتلوا اكثر من اولئك
اضعافا واذا كان ذلك في جيش واحد فانظركم بقي في زمن الاسلام
اذ ذاك وفي عساكر اخر من الصحابة ممن جمع القرآن فيظهر من هذا ان
الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحصيهم
احد ولا يضبطهم عدد واما الثاني وهو العادة وذلك انها
تقتضي ان يجتمع الكثير والجم الغفير على حفظه ونقله وذلك ان القرآن
على نظم عجيب واسلوب غريب مخالف لاساليب كلامهم في نثرهم
ونظامهم مع ما تضمنه من العلوم والاحكام ومعرفة الحلال والحرام

والتقصير والاخبار والتشهير والانذار والنبي صلى الله عليه وسلم
مع ذلك يتبعه في الناس ويشافهه به البلغاء الاكياس وما كان
هذا سبيله فالعادة تقتضي ان تتوفر الدواعي على حفظ جميعه
والوقوف على ما تضمنه من انواع حكمه وبدايعه وبجانب ذلك
وشرايعه ويحيل انفراد الاحاد بحفظه كما يحيل انفرادهم بنقله
فقد ظهر بهذه المباحث العجاب ان ذلك الحديث ليس له دليل خطاب
فان قيل فاذا لم يكن له دليل خطاب فلاي شيء خصها والاربعة
بالذكر دون غيرهم فالجواب من وجوه احدها انه يحتمل ان يكون
ذلك غرض المتكلم بهم دون غيرهم كالحال في ذكر الالقاب
وثانيها لحصورها والاربعة في ذهنه دون غيرهم وثالثها لان
هاروا الاربعة قد اشتهروا بذلك في ذلك الوقت دون غيرهم ممن
يحفظ جميعه ورابعها لان انسا سمع من هاروا الاربعة اخبارهم
عن انفسهم انهم جمعوا القرآن ولم يسمع مثل ذلك من غيرهم وكل
ذلك محتمل والله اعلم وقوله قتادة قلت لانس من ابو زيد قال احد
عمومتي ابو زيد هذا هو سعد بن عبيد بن النعمان الاوسي مر بني عمرو
بن عوف يعرف بسعد الفاضل توفي شهيدا رضي الله عنه بالقادسية
سنة خمس عشرة قال ابو عمر هذا قول اكثر اهل الكوفة وخالفهم
غيرهم فقال ابو زيد هذا هو قيس بن السكن الخزرجي من بني عدي
من النجار وللدي قال ابن شهاب قتل ابو زيد قيس بن السكن يوم جسر
ابي عبيد على رأس خمس عشرة سنة وقد تقدم القول على حديث
تراه النبي صلى الله عليه وسلم على اتى في كتاب الصلاة في باب ترتيل القراءة
وكيفية الاداء ٥ من باب فضائل سعد بن معاذ رضي النعمان

رضي الله عنه قتادة انس بن مالك بن عمرو الاشهلي الخزرجي الانصاري رضي الله
عنه اسلم بالمدينة بين العقبة الاولى والثانية على يدي مصعب
ابن عمير وشهد بدرا واحدا ورمي يوم الخندق بسهم فعاش شهرا
ثم انتقض جرحه فمات منه توفي سنة خمس من الهجرة وقد تقدم
خبره وحكمه في بني قريظة وقوله صلى الله عليه وسلم للحاضرين
من اصحابه قوموا الى سيدكم وقالت عائشة رضي الله عنها كان
سعد بني عبد الاشهل ثلاثة لم يكن بعد النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
اكرم افضل منهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر تعني
من الانصار والله اعلم وقال ابن عباس قال سعد بن معاذ ثلاثة
انا فيهن رجل كما ينبغي وما سوى ذلك فانا رجل من المسلمين ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا الا علمت انه حق من الله
ولا دخلت في صلاة قط فشغلت نفسي بغيرها حتى قضيتها ولا
كنت في جنازة قط فحدثت نفسي بغير ما تقول وما يقال لها حتى
انصرف عنها وقوله اهتز عرش الرحمن لحنازة سعد بن معاذ
حمل بعض اهل العلم هذا الحديث على ظاهره من الاهتزاز والحركة
وقال هذا ممكن لان العرش جسم وهو قابل للحركة والسكون والقدرة
صالحة واذا تحركت حركته على تفضيله وحمله اخرون على حملة العرش
وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون الاهتزاز
منهم استبشارا بقدوم روحه الطيبة وفرحا به وحمله اخرون
على تعظيم شأنه وفاته وتفخيمه على عادة العرب في تعظيمها الاشياء
والاعتناء في ذلك فيقولون قامت القيامة لموت فلان واهل الارض
وما شاكل ذلك مما المقصود به التعظيم والتفخيم لا التحقيق والله

صار الحربي وقيل هذا مثل على ان العرش هو المسوت لله تعالى في قوله
الرحمن على العرش استوى وهو ظاهر قوله اهتز عرش الرحمن لموت
سعد وقد روي عن ابن عمر ان العرش ههنا سرير الموت قال القاضي
وكذلك جاء في حديث البراء في الصحيح اهتز السرير وتأوله الهروي فرح
بحمله عليه وقوله اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير
فجاء في حديث البراء حلة بالحاء واللام وفي حديث انس ان اكيدر
دومة الجندل اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من سندس
وهذه اوجه واصوب لان الحلة لا تكون عند العرب ثوبا واحدا انما
هي لباس ثوبين كل واحد منهما على الاخر وان الثوب المفرد لا يسمى حلة
وقد جاء في السير انها قباء من ديباج مخوص بالذهب وقد تقدم الدلاء
على لبس الحرير في اللباس واكيدر بضم الهمزة وفتح الكاف وبا
التصغير بعدها تصغير اكدر والكدرة لون من السواد والبياض
وهو الاغبر وهو اكيدر بن عبد الملك الكندي ودومة بضم الدال
وضمها وانكر ابن دريد الضم وقال اهل اللغة يقولونه بالضم والمحدثون
بالفتح وهو خطأ وقال ودومة الجندل محتمعه ومستراده وهو من بلاد
الشام قرب تبوك كان اكيدر ملكها وكان ذا من الوليد قد
اسره في غزوة تبوك وعليه قباء من ديباج مخوصا بالذهب فامنه
النبي صلى الله عليه وسلم ورده الى موضعه وضرب عليه الجزية وقوله
لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والبن هذه اشارة الى
ادنى لباس يعد في الجنة لان المناديل انما هي ممتهنة مخرقة لمسح الايدي
بها من الدنس والوسخ واذا كان هذا حال المنديل فما ظنك بالجنة
والحلة ولا يظن ان طعام الجنة وشرابها فيها ما يدنس يدا لمتناول حتى

المهملة

يحتاج الى منديل قال هذا لمن لا يعرف الجنة ولا طعامها اذ قد نزه الله
الجنة عن ذلك كله وانما ذلك اخبار بان الله تعالى اعد في الجنة كل
ما كان يحتاج اليه في الدنيا ليدل به على حاليه هي اعلى واشرف فاعد
فيها اشباه ما رأوه في الدنيا من المروة ومناديل واسواقا ويخبر ذلك
بما تعارفناه في الدنيا وان لم يحتج في الجنة انما هو للنعمة واكمالا
للمنة ومن باب فضائل ابي دجانة سماك بن خرشة بن لوذان
الخزرجي الانصاري رضي الله عنه وهو مشهور بكنيته شهد بدرا واحدا
وداقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ هو ومصعب بن عمير
وكثرت فيه الجراحة وقتل مصعب رضي الله عنهما وكان ابو دجانة
آخر المحتفين له المقاتلين المجهودة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مغازيه استشهد يوم اليمامة وقال اشهد رمى ابو دجانة
بنفسه من الحديقة فانكسرت رجله فقاتل حتى قتل وقيل انه شارك
وحشيا في قتل مسيلمة وقد قيل انه عاش حتى شهد مع علي رضي الله
عنهما صفين والله اعلم قال ابو عمر واسناد حديثه في الكبر المنسوب
اليه فيه ضعف وقوله صلى الله عليه وسلم من ياخذ هذا السيف بحقه
يعني بالحق ههنا انه يقاتل بذلك السيف الى ان يفتح الله على المسلمين
او يموت فلما سمعوا هذا الجمهوا اي تاخروا وابقال احجم واحجم بتقديم الحا
وتاخيرها فاخذه ابو دجانة بتبرهيه وفي بحقه وقام المشركين
مخفقا تعني رؤسهم قال نضرب بالسيوف رؤس قوم ازلقا معترض الطويل
المقتل اصول الاعناق واما ابو جابر فهو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة
ابن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الانصاري السلمي صاحب النبا
شهد العقبة وبدرا وقتل يوم احد وفيه قيل رؤي بن بكير

عقبي ا

مقام

عن جابر رضي الله عنه قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا جابر مالي أراك منكسرا مهتما قلت يا رسول الله استشهد
أبي وترك عيالا وعليه دين قال أفلا أبشرك بما لقي الله عز وجل
به أباك قلت بلى يا رسول الله قال إن الله أحيا أباك وكلمه
كفاحا وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب فقال له يا عبدي تمن
أعطك قال يا رب تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فأبلغ من وراي
فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية قال
الشيخ وقد تضمن هذا الحديث فضيلة عظيمة لغير الله لم يسمع بمثلها
لغيره وهي أن الله تعالى كلمه مشافهة بغير حجاب بحجبه ولا واسطة
قبل يوم القيامة ولم يفعل الله تعالى ذلك لغيره في هذه الدار كما
قال تعالى ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا فيوحي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
وما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب فظاهر هذه الآية وهذا
الحديث أن الله تعالى لم يفعل هذا في هذه الدار لنبي ولا ميت إلا لغير الله
هذا خاتمة ويلزم على هذا العموم أنه قد خص من ذلك عالم لم يخص به
أحد من الأنبياء وهذا مشكل بالمعلوم من ضرورة الشرع ومن إجماع
المسلمين على أن درجة الأنبياء وفضيلتهم أعظم من درجة الشهداء
وإلا ولبا كما تقدم فوجه التلقيق أن قوله صلى الله عليه وسلم وما كلم
أحدا إلا من وراء حجاب إنما يعني به والله أعلم أنه ما كلم أحدا من الشهداء
وممن ليس بنبي بعد موته وقبل يوم القيامة إلا عبد الله ولم يرد به
الأنبياء وإذا دخل يوم القيامة لما قد علم أيضا من الكتاب والسنة
وإجماع أهل السنة من أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة ويكلمهم

بغير حجاب ولا واسطة وأما الآية فإنها مفصودها حصر أنواع
الوحي الواصل إلى الأنبياء من الله تعالى فمنه ما يقذفه الله في قلب
النبي ورؤيه ومنه ما يسمعه الله تعالى الشيء مع كون ذلك الشيء
محجوبا عن رؤية الله تعالى ومنه ما يبلغه له الملك وحاصلها الإعلام
بأن الله تعالى لم يره أحد من البشر في هذه الدار نبيا كان أو غير نبي
ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح اعلموا أنه لا يرى أحد
ربه حتى يموت وقد تقدم الخلاف في رؤية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لربه والصحيح أنه لم يثبت قاطع بذلك والأصل بقاء ما ذكرناه على ما أصلناه
والله أعلم وقوله وحي بابي ميت قد مثل به أي معطى بثوب
ومثل به أي جدع أنفه وأذناه فعل ذلك المشركون به وقوله ولم يبك
كذا في نسخ الرواية بلم النفي للاستفهام تبكي بغير نون لأنه استفهام
للخاطب عن فعل غائبة ولو خاطبها بالاستفهام فكان الخاصرة لقال
ولم تبكين باثبات النون وكذلك جاء في رواية أخرى تبكيه أو لا تبكيه
ما زالت الملائكة تظله باجنحتها هو إخبار عن غائبة ولو كان خطاب
الحاضرة تبكيه أو لا تبكينه بنون فعل الواحدة الحاضرة ويعني بهذا
الكلام أن عبد الله مكرم محترم عند الملائكة سوائي على أو لم يبك
وكون الملائكة تظله باجنحتها إنما ذلك لاجتماعهم عليه وتزاحمهم على
مبادرة لقائه والصعود بروحه الكريمة الطيبة ولتبشره بما له عند الله
تعالى من الكرامة والرتبة الرفيعة والله أعلم

ومن باب

فضائل حنظلة رضي الله عنه

وكان رجلا من ثعلبة وكان جليسا
في الأنصار قال ابن سعد سمعت من يذكر ذلك روى أنس بن مالك قال كان رجل
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له حنظلة وكان في رجله دمامة

فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه التزوج فقال إذا تجزني كاسدا
يا رسول فقال انك عند الله لست بكاسد وفي غير كتاب مسلم من حديث
ابن بريدة في تزويج جليبيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يا فلان
من الانصار زوجني ابنتك قال نعم ونعمة عين قال اني لست لنفسي اريدها
قال فلمن قال لجليبيب قال حتى استامر امها فاتاها فاخبرها بذلك
فقالت حلفي الجليبيب لا لعمر الله لا اروج جليبيبا فلما قام ابوها
ليأتي رسول الله قالت الفتاة من وراء الباب من خطبني اليكما فاتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه ان على رسول الله صلى الله عليه وسلم
امره اذ فعاني الى رسول الله فانه لن يضيعني فذهب ابوها للنبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره بذلك وقال شانك بها فزوجها جليبيبا ودعا لهما
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم صب عليها الرزق صبا ولا تجعل
عيشهما كدا كدا ثم ذكر باقي الحديث على ما في كتاب مسلم ومولده كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغزى له اي في غزوة ونوله بفعل
تفقدون احدا هذا الاستفهام ليس مقصوده استعلام كونهم فقدوا
احدا ممن يعرف عليهم تفقده اذ ذاك كان معلوما له بالمشاهدة وانما
مقصوده التنويه والتفخيم بمن لم يخلوا به ولا التفتوا اليه
لكونه كان عاصيا والناس ويكون كل واحد منهم اصيب بقريبه
او حبيبه فكان مشغولا بمصابه لم يتفرغ منه الى غيره ولما اطلع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كان من جليبيب من قتله لسبعة الذين وجدوا
الى جنبه هو وه باسمه وعرفه بنسبه فقال لكني افقد جليبيبا اي فقده
اعظم من فقد كل من فقد والمصاب به اشد ثم انه اقبل باكرامه عليه وتيرة
ساعد به مما لقيه في كرامته والتسالة برؤية ملامسته وجليبيب تصغير جلباب
سمي به الرجل

يا فلان ٤

ومن باب فضائل ابي ذر الغفاري رضي الله عنه

واسمه جندب على الاصح والاكثر ابن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل
بن حرام بن غفار وغفار هو ابن كنانة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار
هو من كبار الصحابة قديم الاسلام يقال اسلم بعد اربعة فكان خامسا
ثم انصرف الى بلاد قومه فاقام بها حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
عام الخندق بعد ان مضت بدر واحد والخندق ويدل على كبيرة
اسلامه وتفصيل جوابه حربيته المذكورة في الاصل وكان قد غلب
عليه التعبد والزهد وكان يعتقد ان جميع ما فضل عن الحاجة كنز
واسائه حرام ودخل الشام بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فوقع
بينه وبين معوية نزاع في قوله تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة
الاية فشكاه معوية الى عثمان فاقدمه عثمان المدينة فقدمها
فرهبا ابو ذر في كل ما بايديهم واستاذن عثمان في سكنى الربذة فاذن
له وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن له في البرو فاقام بالربذة
في موضع منقطع الى ان مات بها سنة اثنتين وثلاثين على ما قاله ابن اسحق
وصلى عليه عبد الله بن مسعود منصرفه من الكوفة في ركب وما وجد له
شيء يكفن فيه فكفنه رجل من اهل الركب في ثوب من غزل امه وكان قد
وصى ان يكفنه احد فعل شيئا من الاعمال السلطانية وخبره بذلك معروف
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي حديث واحد واثنا عشر حديثا
اخرج له منها في الصحيحين ثلاثة وثلاثون حديثا غريب حديث ابي ذر
رضي الله عنه الشنة السقا البالي والشنان الاسقية واحدها شن
وكل جلد بال فهو شن ويقال للقربة البالية شنة وهي اشد تبريدا للماء
من الجرد وقوله ما اتى للرجل يقال اتى يأتي اتيا بمعنى واحد ويقولون

يتبعه وقوله لا ضرخن بها اى بكلمة التوحيد بين كمرانبهم يعنى المشركين
بعده وقوله فتنشا عليها خالتنا الذى قيل له فاهمر لنا بالقول وانما
يقال التنا بتقديم النون والقصر فى الشعر والكلام القبيح واذا قدمت
الثاء ومددت فهو الكلام الحسن الجميل وقوله لا جامع لك اى لا اجتماع
يبقى بيننا والصرمة القطعة من الابل نحو الثلاثين وقد يكون الصرمة
فى غير هذا القطعة من النخل والصرم القطع وقوله فما قرأبس
عن صرمتنا وعن مثلها اى الشر ان تمض له ما لطلبه احد ذلك
قال ابو عبيد المناقرة ان يفخر الرجلان فيقول احدهما على صاحبه
ثم يحكمان رجلا بينهما والناقر الغالب والمنقور المغلوب يقال نقره
ينقره من منقره نقرا اذا غلب عليه وقوله فاتيا الكاهن فخبرا النسا
اى غلبته وقضى له وكانت منافرته فى الشعر ايهما اشعر وقوله
وقد صليت قبل ان التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكلام المقلوب
الظاهرة ومقتضى العقول السليمة فانها توفق للصواب وتلهم للرشد
وقوله اللبث كانى خفا الروايه فى اللبث بضم الهمزة وكسر القاف
مبنيا لما لم يسم فاعله والخفا بكسر الخاء والمد هو الغطاء وكل شئ غطيته
بكساء او ثوب فذلك الغطاء خفا وجمع اخفية قاله ابو عبيد وقال
ابن دريد الخفا كساء يطرح على السقا وقوله فراث على اى ابطاء
وقوله وصفت قوله على اقراء الشعر قال ابن قتيبه يريد انواعه
وطرقه واحدها قرء يقال هذا الشعر على قرء هذا وقوله فتضعفت
رجلا اى رايته ضعيفا فعلمت انه لا يبالى بمكروه ولا يبرنا فى تقصرى
وقوله كانى نصب احمر اى قمت كانى لحجر بان وهى من الحراجة الى اصيبت بها
احجار الانصاب وهى الحجارة التى كانوا يذبحون عليها فتحمر بالدما فاما

زمزم فقال ابن فارس هو من قولهم زمت الناقة اذا جعلت لها زماما
تحبسها به وذلك ان جبريل صلى الله عليه وسلم لما همز الارض بقادم
جناحه فغاص الماء تمتها هاجر فسميت زمزم وقوله ولقد
وضعت قوله على اقرا الشعر هذا الروايه الصحيحه اقرا بالراجع قرء
على ما تقدم وقيده العذرى اقوا بالواو ورواه بعضهم بالواو
وكسر الهمزة قال القاضى لا وجه له وقوله فما التام على لسان احد
يعنى به انه شعر هذا الروانة عند جميع الشيوخ يعنى بالباء واخره
والعين المهملة بمعنى عجبنى يقال ما فعل هذا احد بعدك اى غيرك
كما يقال لك فى دون وهو كثير فيها ومعنى الكلام انه لما اعتبر القران
باصناف الشعر تبين له انه ليس من اصنافه ثم قطع بانه لا يحل لاحد
ان يقول انه شعر وقد وقع فى بعض النسخ يقترى بمعنى ابيا قال القاضى
وهو جيد واحسن منه يقترى بضمها وهو ما تقدم فقال اتراث فى الشعر
وهذا الشعر على قرء هذا وقريء اى قافيته وجمعها اقرا وفى بعض
النسخ ايضا على لسان احد يقترى الى شعر اى ينسب اليه ويوصف به
والروايات كلها وجه وقوله فما وجدت على كبدى بخفة خرج
قال الاصمعى الخفة الخفة والاحسن قولهم سخيف الامر هذا
وقوله فى ليلة قمراء اضحيان القمرا المقمرة وهى التى يكون فيها
قمر ويسمى الهلال قمرا من اول الليلة الثالثة الى ان يصير بدرا ثم اذا
اذا اخذ فى النقص كما ذكرنا وعليه اسم القمر واضحيان بكسر الهمزة والضاد
المعجمة معناه كثيرة ضوء قمرها قال ابن قتيبه ويقال ليلة اضحيان
واضحيانة واضحيانه اذا كانت مصيبة وقوله ضربت على اضحيهم
اى ناموا ومنه قوله تعالى وضربنا على اذانهم فى الكهف سنين عددا

اى انمنامهم الاصحة جمع صماخ وهو خرق الاذن وهو بالصاد وقد اخطا
من قاله بالسين واساف ونائلة صنمان وقد تقدم ذكرهما فى كتاب
الحج وقد روى ابن اسحق ان اسافا ونائلة كانا رجلا وامراة حجا
من الشام فتمكنا فيهما بطرفان فمسخا حجرين فلم يزالا فى المسجد حتى
جاء الاسلام فاخرجا منه وقوله فما تناهيا عن قولهما اى ما رجعا
عنه وقوله من مثل الخشبة يعنى به الذكر وقد تقدم ان نقشا
كنابة عن الذكران واراد بذكره هنا سب اساف ونائلة وهو
تقبيح كقوله اوعلا انحا احدهما الاخر وقوله مولولين اى يدعوان
بالويل ويرتجزان بذلك اصواتهما وقولها لو كان احد من انفارنا اى
من قومنا وهو جمع نفر والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة وجوابه
لو محذوف اى لنصرنا على ذلك ونحوه وقولها الصابى اى الخارج عن دين
قومه ويقال لا يقمر ولا يقمر وقد قرئ بهما وقولها قال كلمة ملأ الفم
اى عظيمة حتى كان الفم يضيق عنها وقوله فكنت اول من حياها
بتحية الاسلام يعنى به السلام عليك يا رسول الله وظاهره انه ابهم
النطق بتلك التحية اذ لم يسمعها قبل ذلك وعلمه بنوبها ان من حياه
يحتمل ان يكون الهاما ويحتمل ان يكون علمه بعد ذلك بالاستقراء اجتزء
علمه والله اعلم وقوله تقرعنى صاحبه اى كفتنى ومنعنى يقال قرعت
الرجل واقرعته اذا كففته ومنه قول الحسن اقرعوا هذه الانفس
فانها طلعة وهو بالراء المهملة وقوله انه لطعام طعم اى يشبع
منه ويرد الجوع الرواية فيه لطعام طعم بالاضافة والطعام اسم
لما يتطعم فناله قال لطعام اشباع او طعام نشبع فاضافه الى صفته
هذا اصل معنى ما قاله ان شمل فانه قال يقال ان هذا لطعام طعم اى يطعم

من اكله اى يشبع منه الانسان وما يطعم اكل هذا الطعام اى ما
يشبع منه غير انه قد قال الجوهرى الطعم بالضم الطعام وبالفتح
ما يشتهى منه قال ابو خراش او شجاع البطن لو تعلمينه
وبوتر غيرى من عيالك بالطعم وكنيتها ام الغراح فانتهى اذا الزاد
المسى للمرء طاعم قال فاراد بالاول الطعام وبالثانى
ما يشتهى قال النحاس وعلى هذا فلا نقض الاضافة من جهة
المعنى فانه يكون كقولك طعام طعام وربما لا اضافة الشئ
الى نفسه وانما استقام معنى الحديث على ما حكاه ابن شميل ويحصل من
قولهما ان طعما يستعمل بمعنى الاسم كما قال الجوهرى وبمعنى الصفة كما
قاله ابن شميل والله اعلم وقد روى ابو داود الطيالسى من حديث
ابى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم زمزم انها مباركة
وهى طعام طعم وشفاء سقم اى طعام من جوع وشفاء من سقم وقوله
فى هذا الحديث انها مباركة اى انها تظهر بركتها على من صح قصده
وحسنت فيها نيته ثم قد روى الفقيه ابو جعفر من حديث ابى الزبير
عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له
فينبغى ان يتبرد بها وتحسن النية فى شربها ويحتمل من مائها فقد روى
الترمذى عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمله قال حديث حسن غريب وقوله
ثم عبرت ملء عبر اى بقيته ما يقيت وقد تقدم ان عبر من الاضداد
وقوله وقد وجهت الى ارض ذات نخل اى ذهب بى الى تلك الجهة وارتيتها
وقوله لا ارانى الا يثرب هذا كان اسم المدينة قديما حتى قدمها
النبى صلى الله عليه وسلم فكره ان يسمى يثرب لما فيه من التثريب

وهو اللوم والتقبيح وسماها كاتبة وقد تقدم هذا في الحج وأما
من رخصة يروى بفتح الهمزة وكسرها ورخصه بفتح الكاف والمهملة
والصاد المعجمة وقوله فخار غفر الله لها وأسلم سالمها الله ، انما
دعا النبي صلى الله عليه وسلم لقبائل القبيلتين لانهما اسلمتا طوعا
من غير قتال ولا اكراه ويحتمل ان يكون ذلك خبرا عما فعل الله بقبائل
القبيلتين من المغفرة والمسالمة لهما وكيف ما كان فقد حصل لهم
فخر السابق واجر اللاحق وفيه مراعاة التجنيس في الالفاظ
وقوله انهم قد تسفهوا له وجهموا اي ابغضوه وعبسوا في وجهه
والشئ البغض ويقال رجل جهم الوجه اذا كان يكلحه منقعره
كانه يدس وجمه لكل احد وقوله فلم ير اخي انيس بمدحه حتى
عملت كذا في رواية الحجري وغيره وهي واضحة اي لم ير انيس
شعرا بيتغي المدح حتى حكم له الخاطر بالغلبة على الاخر وانه
اشعر منه وكان هذا الخاطر كان شاعرا فقضى بينهم لذلك
وفي رواية العذري فلم ير اخي انيس يمدحه ويثني عليه مكانه حتى
علبه قال فاخذنا صرمته وضممناها الى صرمتنا والرواية الاولى
اولى لانها افادت معنى مناسبا به التام الكلام بما بعده وهو
انه انما اخذ صرمته لان الكاهن قضى له بالغلبة ولان قوله
وثنى عليه مكررا لانه تفرفهم ذلك من قوله يمدحه فحمل الكلام على
فائدة جديدة اولى وانما ذكر هذا المعنى ليبين ان اخاه انيسا
كان شاعرا مفلقا مجيدا تحيث يحكم له بغلبة الشعراء ومن كان هكذا
علم انه عالم بالشعر وانواعه ولما كان ذلك وسمع القرآن علم
قطعا انه ليس بشعر ولذلك قال لقد وضعته على انواع الشعر

فلم تلتئم فكانت هذه شهادة بانه ليس بشعر ولا انه صلى الله عليه وسلم
شاعر فكان ذلك تكذيبا لمن زعمه من جهال الكفار ومن المعاندين
اللجاج قال السهيلي رحمه الله وقد ظهر بين حديث عبيد الله بن الصامت
وبين حديث عبد الله بن عباس تباعد واختلاف في موضع من
حديث ابي ذر هذا الحديث يبعد الجمع بينهما فيه وذلك ان في حديث
ابن الصامت ان ابا ذر لقي النبي صلى الله عليه وسلم اول ما لقيه ليلا
وهو يطوف بالكعبة فاسلم اذ ذاك بعد ان اقام ثلاثين سنة يوم
وليلة ولا زاد له وانما اغتذى بماء زمزم وفي حديث ابن عباس انه
كان له غنيمة وزاد وان عليا رضي الله عنه ضافه ثلاثة ليال اخرها
على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته فاسلم ثم خرج فصرح بكلمتي الاسلام
وكل واحد من السندين صحيح فالله اعلم الى المنسن الواقع ويحتمل ان
يقال ان ابا ذر لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم حول الكعبة واسلم اعلمه
اذ ذاك علي اذ لم يكن معهم ثم ان ابا ذر بقي مستترا بحاله الى ان استتبعه
علي رضي الله عنهما فادخله على النبي صلى الله عليه وسلم فجدد اسلامه
فظن الراوي ان ذلك اول اسلامه وفي هذا الاحتمال بعد والله اعلم
بحقيقة ذلك ولم ار من الشارحين لهذا الحديث من تنبه لهذا التعارض
ولا لهذا التاويل

ومن باب فضائل جرير بن عبد الله البجلي

رضي الله عنه وبجيلة من ولد انمار بن نزار بن معد بن عدنان واختلف
في بجيلة هل هو اسم او اب نسبت القبيلة اليها وجرير هذا هو سيد
بجيلة ويكنى ابا عمرو وقال له عمر رضي الله عنهما ما زلت سيدا في الجاهلية
والاسلام وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبل وافدا يطلع عليكم
خير ذي يمن كان على وجهه مسحة ملك فطلع جرير وكان عمر بن الخطاب يقول انه

(بلغ)

جبير بن عبد الله بوسف هذه الأمة وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه اسلم قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بار بعين
يوما تراجع بر الكوفة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانخرب بها
دارا ثم تحول الى قرقيسيا ومات بها سنة اربع وخمسين وقيل سنة
احدى وخمسين وقيل مات بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة
لمعوية روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث اخرج له منها
في الصحيحين خمسة عشر حديثا **وقوله** ما حجبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ اسلمت يعني انه صلى الله عليه وسلم ما كان يحتجب منه بل يتفقد
ما يعلم النبي صلى الله عليه وسلم باستيذانه ترك كل ما يكون فيه واذن
له مبادرا لذلك مبالغة في اكرامه ولا يفهم من هذا ان جريرا كان
يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن فان ذلك لا يبيح لحرمة
بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولما يقتضي ذلك اليه من الاطلاع على ما لا يجوز
من عورات البيوت **وقوله** ولا رآني الا ضحك في وجهي هذا من الله
صلى الله عليه وسلم تحرم به وبشاشة للقائه واعجاب برؤيته فانه
كان من جملة الرجال خلقا وخلقا **وقوله** وشكوت لا اثبت على الخيل
يعني انه كان يسقط او يخاف السقوط من على ظهورها حالة اجرابها
فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم باكثر ما طلب بالثبوت مطلقا وبان
جعله هاديا لغيره مهديا في نفسه فكان كل ذلك وظهر عليه جميع
ما دعا له به واول ذلك انه تقرى خمسين مرباة فارس لذي الخلصة
فحرقها وعمل فيها عملا لا يعمله خمسة الاف وبعثه رسول الله صلى الله عليه
الى ذي الكلاع وذي رعين وله المقامات المشهورة وذو الخلصة بضم اللام
بيت بنته خثعم تعظمه وتطوف به وتنحر عنده تشبهه ببيت مكة

وتسميه الكعبة اليمانية والشامية وقد كانت العرب فعلت مثل هذا
بيوتا كثيرة قد تقدم ذكرها فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها كلها
وتخريقها فكان ذلك ومحى الله الباطل واحق الحق بكلماته

ومن باب فضائل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

ابن هاشم رضي الله عنهما يكنى ابا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون
فيه قبل خروجهم منه بسير وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين واختلف
في سنه وقت موت النبي صلى الله عليه وسلم فقيل عشر سنين وقيل خمس عشرة
رواه سعيد بن جبير عنه وقيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقال ابن عباس
انه كان في حجة الوداع قد ناهز الاحتلام ومات عبد الله بالطائف
سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير لانه اخرجه من مكة وتوفي ابن عباس
وهو ابن سبعين سنة وقيل ابن احدى وسبعين وقيل ابن اربع وسبعين
وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانيي هذه الامة وضربت
على قبره فسطاطا ويروى عن مجاهد عنه انه قال رايت جبريل عند النبي
صلى الله عليه وسلم مرتين ودعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة
مرتين وقال ابن مسعود فيه نعم ترجمان القرآن ابن عباس وكان عمر
رضي الله عنه يقول فتى الكهول لسان سؤول وقلب عقول وقال
مسروق كنت اذا رايت ابن عباس قلت اجمل الناس واذا تكلم قلت
افصح الناس واذا اخر شغلت اعلم الناس وكان يسمى البحر لغزارة
علمه والحبر لاتساع حفظه ونفوذ فهمه وكان عمر رضي الله عنه يقربه
ويدنيه لجودة فهمه وحسن تاتيه وجملة ما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الف حديث وستمائة حديث وستون اخرج له في الصحيحين مائتان
واربعة وثلاثون حديثا **وقوله** صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه هذا انتهى

حديث مسلم وقال البخاري اللهم فقهه في الدين وفي رواية قال دعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اللهم علمه الكتاب قال ابو عمر رحمه الله وفي بعض الروايات
اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل قال وفي حديث آخر اللهم بارك فيه
وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وفي حديث آخر اللهم زده علما وفقها
قال وكلها احاديث صحاح قال الشيخ رحمه الله وقد ظهرت عليه بركات
هذه الدعوات فاشتهرت علومه وفضائله وعمت خيراته وفواضله
فارتحل طلاب العلم اليه وازدحموا عليه ورجعوا عند اختلافهم لقوله
وعولوا على تحريره ورأيه قال يزيد بن الاصم خرج معاوية حاجا
معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم
وقال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا اجمع لكل خير من مجلس ابن عباس الحلال
والحرام والعربية والانساب والشعر وقال عبد الله بن عمر ما رأيت
احدا اعلم بالسنة ولا اجل رأيا ولا اتقب نظرا من ابن عباس ولقد
كان عمر رضي الله يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين وقد
كان يعمى في آخر عمره فانشرح ذلك ان يا خذ الله من عينيه نوريهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير دخل وفهمي صارم كالسيف ماثور
وروي ان كعبا رأى ابيض خرج من قبره فتاه ولوه علمه خرج الى الناس ويقال
بل دخل قبره كعبا رأى ابيض فقيل انه بصره في التاويل وقال ابو الزبير
مات ابن عباس يا لطايف نجا طاير ابيض فدخل في تعشيه حين حمل فما رئي
خارجا منه وفضايله اكثر من ان تحصى ٭ واما عبد الله بن عمر
بن الخطاب رضي الله عنهما ويكنى ابا عبد الرحمن فانه اسلم صغيرا ولم يبلغ
الحلم مع ابيه وهاجر الى المدينة قبل ابيه واول مشاهده الخندق ولم
يشهد بدرا ولا احدا لصغره فانه عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد

وهو ابن اربع عشرة سنة فلم يجزه واجازه يوم الخندق وهذا هو
الصحيح ان شاء الله وشهد الحديبية وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل انه اول من بايعه وكان من اهل العلم والورع كان كثير الاتباع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم شديد التحري والاحتياط والتوقي
في فتواه وكان لا تخلف عن السرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم كان بعد موته مولعا بالحج وكان من اعلم الناس بمناسكه
وكان ربما اشكلت عليه حروب على الورعة فقعد عنه وندم على ذلك
حين حضرته الوفاة روي عنه من اوجه انه قال ما آسى على شيء فاتني
الا ترك قتال الفئة الباغية مع علي بن ابي طالب وصحبه وقال
جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ما منا احد الا مالت به الدنيا ومال اليها
ما خلا عمر وابنه عبد الله وقال ميمون بن مهران ما رأيت ورع من
ابن عمر ولا اعلم من ابن عباس وروى ابن وهب عن مالك قال بلغ عبد الله
بن عمر ستا وثمانين سنة ونافع في الاسلام ستين سنة ونشر نافع عنه
علما جما وروى ابن ابي حازم ان مروان بن الحكم دخل فقبر على عبد الله
بن عمر بعد ما قتل عثمان فعزموا عليه ان يبايعوه قال كيف لي بالناس
قال نقاتلهم فقال والله لو اجتمع علي اهل الارض الا اهل فدك ما قاتلتهم
قال فخرجوا من عنده ومروان يقول ٭ اني لارى فتيه تغلي مراجلها ويلي عليها
مات ابن عمر عنه سنة ثلاث وسبعين وذلك بعد قتل ابن الزبير بثلاثة
اشهر او نحوها وقبل سنة اشهر ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين
وكان سبب موته ان الحجاج امر رجلا فسم زج رمحه فرجمه فوضع الزج في ظهر
قدمه فمرض منها فمات رضي الله عنه كذا ابو عمر وجملة ما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الف حديث وستمائة وثلاثون حديثا اخرج له منها

ـه المحسن ما به حرشة وثمانون **وقوله** رأيت في المنام كأن في يدي
قطعة استبرق ه قد تقدم الكلام ان الاستبرق ما غلظ من الديباج
وكان هذه القطعة مثال لعمل صالح يعمله يتقرب به الى الله تعالى
وتقدمه بين يديه يرشده ثوابه الى اي موضع شاء من الجنة ولذلك
قال له النبي صلى الله عليه وسلم اراك يعبر الله رجلا صالحا وهذه شهادة
من النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بالصلاح ووجرت بخط شيخنا ابي الصبر
ايوب مقيدا اري بفتح الراء والهمزة فيكون مبنيا للفاعل ويكون
من رويته القلب فيكون كعلما ويجوز ان يكون همزته مضمومة فتكون
كناصادفا فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في يقظته كما هو في علمه
وقوله وكنت شابا عزبا انام في المسجد دليل على جواز النوم
في المسجد لمن احتاج الى ذلك والقرنان منارتان تبنيان على حائطي البير
تجعل عليها الخشبة التي تعلق منها البكرة والبير المطوية بالحجارة
وهي الرس ايضا فان لم تطو فهي القليب والركي ولم ترمح اي لم
تفزع والروع الفزع وانما فهم النبي صلى الله عليه وسلم من رؤيته عبد الله
للنار انه ممدوح لانه عرض على النار ثم عوفي منها وقيل له لا روع
عليك وهذا انما هو لصلاحه وما هو عليه من الخير غير انه لم يكن يقوم
من الليل اذ لو كان ذلك لما عرض على النار ولا راها ثم انه حصل لعبد الله
رضي الله عنه من تلك الرؤيا يقين مشاهدة النار والاحتراز منها با
على ان قيام الليل مما يتقى به النار ولذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك

ومن باب فضائل انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد

النجاري رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى ابا حمزة
روي عنه انه قال كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة كنت احتفيها

وامه ام سليم بنت ملحان كان انس قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
عشر سنين وقبل ثمان سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانس
ابن عشرين سنة وشهد بدرا وتوفي في قصره بالطف على فرسخين من البصرة
سنة احدى وتسعين قال ابو عمر وهو آخر من مات بالبصرة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اعلم احدا ممن مات بعده ممن رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ابا الطفيل واختلف في سن انس يوم
توفي فقيل مائة سنة الا سنة واحدة وقيل انه ولد له ثمانون ولدا
منهم ثمانية وسبعون ذكرا وابنتان وتوفي قبله من ولده لصلبه
وولد ولده نحو المائة وكل ذلك من تعميره وتكثير نسله بركة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كما بين في الام وجملة ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفا حديث ومائتا حديث وستة وثمانون حديثا
اخرج له في الصحيحين ثلاثمائة حديث وثمانية عشر حديثا وفي الصحابة
رجل آخر اسمه انس بن مالك ويكنى ابا امية القشيري وقيل الكعبي
وكعب آخر قشير لم يسند عن النبي صلى الله عليه وسلم سوى قوله
ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وقيل روى ثلاثة احاديث
لم يقع له في الصحيحين شيء **وقوله** صلى الله عليه وسلم اللهم اكثر ماله
وولده يدل على اباحة الاستكثار من المال والاولاد والعيال لكن اذا
لم يشغل ذلك عن الله تعالى ولم عن القيام بحقوقه لكن لما كانت سلامة الدين
في ذلك نادرة والفتن والآفات غالبة تعين التقلل من ذلك والفرار
مما هنالك ولهذه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لانس بالبركة فجبت
عليه من الاكثار الهلكة الا ترى ان الله تعالى قد حذر ناس من آفات الاموال
والاولاد ونبه على المفاسد الناشئة من ذلك فقال انما اموالكم واولادكم فتنة

وصدر الكلام بانما الحاصرة المحققة فكانه قال لا يكون الاموال والاولاد
الا فتنة يعني في الغالب ثم قال بعد ذلك يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وجه عداوتهما ان محبتهما موجبة
لانصراف القلوب اليهما والسعي في تحصيل اغراضهما واشتغالها بما يغلب
على الظن انه من ذلك مما يجب عليها من حقوق الله تعالى ومع غفلة ذلك تذهب
الاديان ويعم الخسران فاي عداوة اعظم من عداوة من يريد بك
هذا الدمار ويورثك عقوبة النار ولذلك قال تعالى وهو اصدق القائلين
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل
ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال ارباب القلوب والفهوم ما شغلك
عن الله فهو عليك مشؤم وعن انس رضي الله عنه انا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا العب مع الغلمان دليل على تخلية الصغار
ودواعيهم من اللعب والانبساط ولا يضيق عليهم بالمنع مما لا مفسدة
فيه وقوله فسلم علينا فيه دليل على ستر وحينية السلام على الصبيان
وفايدته تعليمهم السلام وتمرينهم على فعله وافشاؤه في الصغار كما
يفشى في الكبار وكتمان انس رضي الله عنه سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن امه دليل على كمال عقله وفضله وعلمه مع صغر سنه وذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ومن باب فضائل عبد الله بن سلام من الترمذي
الاسرائيلي ثم الانصاري رضي الله عنه وهو من ذرية يوسف بن يعقوب
وكان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله وتوفي بالمدينة في خلافة معوية سنة ثلاث واربعين اسلم
اذ قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجملة ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون حديثا اخرج له منها في الصحيحين حديثان

وقد تقدم اختلاف اللغويين في خلقه هل يقال بسكون اللام او بفتحها
وقوله فاذا جواد منهج الجواد جمع جادة مسترد الزال
وهي الطريق ومنهج مرفوع على الصفة اي جواد ذوات منهج اي
استقامة ووضوح والمنهج الطريق الواضح وكذلك المنهاج والنهج
وانهج الطريق اي استبان ووضح وتنهجه انا اوضحته ويقال ايضا
تهجت الطريق اذا سلكته وقوله فترجل بي يروى بالجيم وبالحا
المهملة فبالجيم معناه رمى يقال لعن الله امة ترجل به والرجل ارتحال
الحمام والبعير جل المزراق لانه يرمى به فاما رجل فمعناه
وتباعد يقال رحل عن مكانه رحولا وترحل تنحى وتباعد فهو
رجل ورحيل ورواية الجيم اولى واوضح والعروة الشيء المتعلق
به جبلا كان او غيره ومنه عروة القميص والدلو قال بعضهم اصله
من عروته اذا المت به متعلقا واعتراه الهم تعلق به وقيل
من العروة وهي شجرة تبقى على الجدب سميت بذلك لان الابل تتعلق بها
الى زمان الخصب وجمع العروة عرى والوثقى الوثيقة اي القوية
التي لا انفصام فيها ولا ضعف وقد اضاف العروة هنا الى صفتها
فقال بعروة الوثقى كما قالوا مسجد الجامع وصلاة الاولى واحبار
صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بالبال الشهادة وانه لا يزال على الاسلام
حتى يموت خبر ان عن غيب وقعا على نحو ما اخبرا فان عبد الله رضي الله عنه
مات بالمدينة ملازما للاحوال المستقيمة فكان ذلك من دلايل صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم والنضرة بالعاد المجمة النعمة وقد تقدم ووسط
رويناه بفتح السين وسكونها وقد تقدم ان الفتح للاسم والسكون للظرف
وكل موضع صلح فيه بين فهو وسط بالسكون وان لم يصلح منه فهو

ربالتحريك قال الجوهري وهما ساكن وليس بالوجه ورقيبة بغير
القاف في الماضي وفيحماني للضارع بمعنى صعوت وارتفعت فاما
رقيب بفتح القاف فهو من الرقبة والمنصف بكسر الميم الخادم قاله
ابن عون وقال الاصمعي والجمع مناصف

ومن باب فضائل حسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو

رضي الله عنه بن النجار الانصاري يكنى ابا الوليد وقيل ابا عبد الرحمن وقيل ابا الحسام
ويقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن عائشة رضي الله
عنها انها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان رسول الله كما قال
شاعره حسان بن ثابت حيث يبدو في الراعي البهيم كمبيته يلمع مثل مصباح الدجى المتوقد
ممن كان او من يزيد كون كاحمد فقام فحق او قال للمجد د
قال ابو عبيدة فضل حسان الشعر اثلاث كان شاعر الانصار
في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في العصبية وشاعر
اليمن فلهاني الاسلام وقال ايضا اجمعوا العرب على ان اشعر اهل
المدر حسان بن ثابت وقال ابو عبيدة وابو عمرو بن العلا حسان
اشعر اهل الحضر وقال الاصمعي حسان الحد فحول الشعراء فقال
له ابو حاتم يا تي له اشعار ليست له فقال الاصمعي نسيت له وليست له
ولا تصح عنه وروي عنه انه قال الشعر بحر يقوى في الشر ويسهل
فاذا دخل في الخير ضعف هذا حسان فحل من فحول الجاهلية
فلما جاء الاسلام سقط وقيل لحسان ان شعرك او مزمار شعرك
في الاسلام يا ابا الحسام فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله الكذب
يعني ان الشعر لا يجوده الا الافراط والتورط بالكذب والاسلام
يمنع من كل ما يجود الشعر من يبقي الكذب وتوفي حسان قبل

الاربعين في خلافة علي رضي الله عنه وقيل سنة خمس وقيل سنة اربع
وخمسين ولم يختلفوا انه عاش مائة وعشرين سنة منها ستون
في الجاهلية ومنها ستون في الاسلام وكذلك عاش ابوه وجده
وادرك النابغة الذبياني والاعشى وانشدهما من شعره فكلاهما
استجاد شعره وقال انك شاعر وقوله ان عمر رضي الله عنه مر
بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ اليه اي اومأ اليه بعينه
ان اسكت وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه كان يكره انشاد الشعر
في المسجد وكان قد نبا رحبه خارج المسجد وقال من اراد ان يلغط
او ينشد شعرا فليخرج الى هذه الرحبة وقد اختلف في ذلك فمن مانع
مطلقا ومن مجيز مطلقا والاولى التفصيل وهو ان ينظر الى الشعر
فان كان مما يقتضي الثناء على الله تعالى او على رسوله او الذب
عنهما كما كان شعر حسان او يتضمن الحض على الخير فهو حسن
في المساجد وغيرها وما لم يكن كذلك يجوز ان الشعر في الغالب
لا يخلو عن الفواحش والكذب والتورين بالباطل ولو سلم من ذلك
فاقل ما فيه اللغو والهذر والمساجد منزهة عن ذلك لقوله
تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ولقوله صلى الله
عليه وسلم ان هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من كلام الناس انما
هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن ترفق هذا المعنى
وقوله صلى الله عليه وسلم اجب عني اللهم ايده بروح القدس
انما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان نفرا من قريش كانوا
يجون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم عبد الله بن الزبعرى
وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب

فقيل يعلي امي عنا القوم الذين يجوزنا فقال انا ادلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعلمه فاعلم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليا ليس عنده ما يبرا د
من دلك ثم قال ما يمنع القوم الذين يضربوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسلاحهم ان ينصروه بالستنهم فقال حسان انا لها
واخرج لسانه وقال والله ما يسرني به مقول ما بين بصرى
وصنعا وكان طويل اللسان يضرب بلسانه انبة انفه من طوله
وكان له ناصيه سدلها بين عينيه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف تهجوهم وانا منهم وكيف تهجوا ابا سفيان وهو ابن عمي
فقال والله لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال ابو بكر
فانه اعلم بانساب القوم منك فكان مضى لابي بكر رضي الله عنه ليقفه
على انسابهم وكان يقول كف عن فلان وفلانة واذكر فلانا وفلانة
فجعل حسان يهجوهم فلما سمعت قريش بشعر حسان قالوا ان هذا الشعر
ما غاب عنه ابن ابي قحافة فقال حسان

ابلغ ابا سفيان ان محمدا اهر الغضى والاقحوان الاواخر السوهد
وماكل قومه محتد فاذوده فالحق مثل ما الحق الفرد
وابن سنام المجد في آل هاشم بنو ابنة مخزوم وفي الرد القدر
ومن ولدت ابنا زهرة منهم كرام ولم تقرب كجابر المجد
وليست كعباس ولا كابن امه ولكن كليث لا يقوم له ظفر
وان امرأ كانت سمية امه وسهم اتمهور اذا بلغ الجهد
وانت لهجين نبتك في آل هاشم كما نبط في الراد القدح الفرد
الاقحوان الاعضان واحدها قضب والوعر العربي من الرجال

والمجد الاهل ودونك فاذكر وصرمه الاخر والمغرز محذوف
تقدير فدونك فاذكره فالحق به والفرد يعني بعلي والبك
ودونك وسنام المجد ارفعه والمجد الشرف قال ابو عمر بنت مخزوم
هي فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم وهي ام ابي طالب وعبد الله
والزبير بني عبد المطلب وقوله ومن ولدت زهرة منهم يعني حمزة
وصفية امها هالة ابنة اهيب بن عبد مناف بن زهرة والعباس
وابو لهب عبد المطلب وابن امه شقيقة ضرار بن عبد المطلب امهما
نتيلة امراة من المعزر واسط وسميت ام ابي سفيان وسمراء ابنه
والنوم اسم للنخل ودناة الا فعال والابا والمهموز العيب
المطعون فيه والهجين من كانت امه دنية والمقرف من كان
ابوه دنيا ومنه الصق وعلق والقدح فدح الراكب الذي
يكون تخليفه بعد اكمال وقر البعير لانه لا يحمل به ومنه
الحديث لا تحملوني كفدح الراكب وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
ايده بروح القدس ايده قواه والايد القوة ومنه قوله
تعالى والسماء بنيناها بايد اي بقوة وروح القدس هو جبريل
صلى الله عليه وسلم كما قال في الرواية الاخرى اجبهم وهاجهم
وجبريل معك اي بالالهام والتذكير والمعونة وقول حسان
حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حصان عفيفة وقد تقدم القول في وجوه الاحصان ورزان كاملة
الوقار والعقل يقال رزن الرجل رزانة فهو رزين اذا كان وقورا
وامراة رزان وغرثى من الغرث وهو الجوع يقال رجل غرثان
وامراة غرثى وعطشان وعطشى والغوافل جمع غافلة

يعني انهن عافلات عما رميت به من الفاحشة كما قال تعالى والذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ويعني حسان هذا البيت
ان عائشة رضي الله عنها في غاية العفة والنزاهة عن ان يرث
بها اي يتهم بها ثم وصفها بكمال العقل والوقار والورع
المانع لها من ان تتكلم بعرض غافلة وشبهها بالعرزى لان
بعض العوافل تزكاه هو اداها فيما تكلمت فيها وهي حمنة بنت
جحش فكانها كانت تخبر تنتصر ممن اذاها بان تقابلها بما يؤديها
لكن يحجزها عن ذلك عقلها ودينها وورعها وقول عائشة لحسان
لكنك لست كذلك تعني انه لم يصح هو عندها من لحوم الغوافل
وظاهر هذا الخبر ان حسان كان ممن تكلم بالافك وقد جاء ذلك
نصا في حديث الافك الطويل الذي يأتي فيه ان الذين تكلموا بالافك
منهم حسان وحمنة وعبد الله بن ابي ابن سلول غير انه قد حكى
ابو عمر ان عائشة رضي الله عنها قد برات حسان من الفرية
وقالت انه لم يقل شيئا وقد انكر حسان ان يكون قال من ذلك شيئا
في البيت الثاني الذي ذكره متصلا بالبيت المذكور انفا فقال
فان كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي الي انامل
يحتمل ان يقال ان حسان يعني ان يكون قال ذلك مصورا مصرحا ويكون
قد عرض بذلك واوما اليه فليتنبه اليه والله اعلم وقد اختلف الناس
فيه هل حاص في الافك ام لا وهل جلد الحد ام لا والله اعلم اي ذلك
كان وقول عائشة واي عذاب اشد من العمى ظاهره يدل على ان حسان
كان ممن تولى كبره وهذا خلاف ما حاله عروة عن عائشة ان الذي
تولى كبره هو عبد الله بن ابي وانه هو الذي كان لنسوة نصيبه

وجهه وقولك عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجو
قريشا فهجاها ونفع في بعض النسخ الهجو على انه امر للواحد ولم
يتقدم له ذكر فكانه امر لاحد الشعراء الحاضرين ووقع
في اصل شيخنا ابي الصبر ايوب الهجوا بضمير الجماعة فيكون
امر الجميع من حضر هناك من الشعراء وقوله فانه اشفى
عليها من رشق النبل الضمير في انه عائد على الهجو الذي يدل
عليه الهجو قريشا وفي عليها لقريش ورشق بفتح الراء وهو
الرمي فيه دليل على ان الكافر لا حرمة لعرضه كما انه لا حرمة
لماله ولا لدمه والله يتعرض لنكايتهم بكل ما يولمهم ويوديهم
من اقوال الفعل وقوله فران لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب
بذنبه هذا من حسان مزح لنفسه شبهه نفسه بالاسد اذا غضب
فحمي وذلك انه غضب لهجو قريش للنبي صلى الله عليه وسلم واختار
لذلك واستحضر في ذهنه هجو قريش فتصوره واحس انه قد
اجيب على ذلك ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك
الكلمات مظهرا لنعمة الله عليه وانه قد اجيب فيه دعاء النبي
صلى الله عليه وسلم ولينحر بمعونة الله تعالى له على ذلك وتنزل
هذا الافتخار في هذا الموطن منزله افتخار الابطال في حال القتال
فانهم يمدحون انفسهم ويذكرون مآثرهم ومناقبهم في تلك الحال
نظما ونثرا وذلك يدل على ثبوت الجاش وشجاعة النفس وقوة
العقل والصبر وانها رباط كل ذلك للعدو واغلاظ عليهم وارهاب
لهم وكل هذا الافتخار يوصل الى رضى الغفار ثلاثة وكلا انكار
وقوله ثم اذ لع لسانه اي اخرجه وجرده كانه كان لعد للانشاد

قوله والذى يعتدّ بالحق لا فريبهم بلسانى فرى الأديم اى الأمر قتهم
بالهجو كما يمزق الجلد بعد الرياغ فانه يقطع خفاقا وقعالا
وغير ذلك وتشبيهه حسان نفسه بالأسد الضارب بذنبه
لحضرة النبى صلى الله عليه واصحابه واقرار الكل عليه دليل
على بطلان قول من نسب حسانا الى الجبن ويبائد هذا بار حسان
لم يزل يهاجى قريشا وغيرهم من خيار العرب ويهاجونه فلم
يقهره احد منهم بالجبن ولا نسبه اليه والحكايات المشهورة
اليه فى ذلك اكثر من ان يحصرها كثير من اهل الاخبار وقيل ان حسانا اصابه الجبن
عند ما ضربه صفوان بن المعطل بالسيف فكانه اختل فى ادراكه
والله اعلم وقوله ان روح القدس لا يزال معك ما نافحت عن الله
ورسوله اى مدة مناضلتك والمناجحة المخاصمة والمجادلة
واصلها الدفع يقال نجح الرابئة الخالب برجلها اى دفعته ونجحه
بسبئته اى ضربه بها بعيد وقوله صل السعلة ويل هجاء حسان
فشفى واشتفى اى شفى الالم الذى اجرته بجوابهم واشتفى هو
فى نفسه اى اصاب منهم بثارة يشفى بها وانشد حسان
محوت محمدا واجبت عنه لم يرد مسلم اول هذه القصيدة وقد ذكرها
بكمالها ابن اسحق وذكر انها عفت ذات الاصابع والجواء الى عذراء منزلها
خلاء فلنذكرها على ما ذكرها ابن اسحق ونفسر غريبها وانها قصيدة
حسنة مشتملة على فوايد كثيرة وقوله عفت معناه درست وتغيرت
وذات الاصابع والجواء موضعان بالشام وعذراء قرية بغرب دمشق
وانما ذكر حسان هذه المواضع لانه كان يردها على ملوك غسان
بمدحهم وكان ذلك قبل الاسلام وخلا خال ليس به احد

ديار من بنى الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسمام
وقالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد
الديار المنازل وهو الحسحاس قبايل معروفون وتعفيها تغيرها
والروامس الرياح سميت بذلك لانها ترمس الاثار اى تغيرها
والرمس والوسم الاثر الخفى والسمام المطر والسمام كل ما علاك
فاظلك وخلا بمعنى بئس ومروح جمع مروحة وهو الموضع
المتنن للعشب المختلف الذى يختلط بعضه ببعض والنعم الابل
خاصة والانعام يتناول الابل والبقر والغنم والشاء الغنم
فرع هذا ولدن من لطيف بورقنى اذا ذهبت العشاء
الطيف ما يراه النايم فى منامه وهو فى الاصل مصدر طاف الخيال
يطوف طيفا ولم يقولوا فى هذا طايف فى اسم الفاعل قال السهيلى
لانه محتمل الحقيقة له فاما قوله فطاف عليها طايف من ربك
فلا يقال فيه طيف لانه اسم فاعل حقيقة ويقال انه جبريل فاما
قوله تعالى اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فمن قراه طايف
اسم فاعل فانه اراد به الشيطان نفسه ومن قراه طيف فانه
اراد به تخيله ووساوسه وهى لا حقيقة لها ويورختنى يشهرنى
اذا ذهب العشاء اى بعد العشاء والوقت الذى تنام فيه الناس
يعنى انه يسهر لفطرته فى الطيف او للوعكة به كلما نعس
لشقتا التى تر تمنعه فكيف لقلبه منها شفاء قيل ان شقتا
هذه هى اسم كاهن امراة حسان ولدت له ابنته ام فراس وتمته
ذلك كان سبيئة من نبت راس يكون مزاجها عسل وماء
السبيئة الخمر ونبت راس موضع فيه عالية وقيل راس رجل خمار

نُسِبَتْ إِلَيْهِ وَمِزَاجُهَا خَلِيطُهَا وَقَدْ جَعَلَ الْخَبَرَ مَعْرِفَةً وَالِاسْمَ نَكِرَةً وَهُوَ عَكْسُ الْأَصْلِ وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ لِأَنَّ عَسَلًا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ فَأَفَادَ نَكِرَةً مَا تُفِيدُهُ مَعْرِفَةً فَكَأَنَّهُمَا مَعْرِفَتَانِ وَخَبَرُ كَانَ يَحْتَمِلُ التَّقْدِيمَ كَانَ فِي فِيهَا سَيِّئَةٌ مُسْتَلْذَةٌ وَهَذَا إِنَّمَا اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ لِمَا لَمْ يَرَوْ فِي الْقَصِيدَةِ قَوْلَهُ عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنَ التُّفَّاحِ هَصَّرَهُ الْجَنَا وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَمْ يَقَعْ فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَقَ مِنْ حَيْثُ عِنْدَهُ هَذَا الْبَيْتُ جَعَلَ خَبَرَ كَانَ عَلَى أَنْيَابِهَا وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَقْدِيرِ ذَلِكَ الْمَحْذُوفِ وَالْأَنْيَابُ هِيَ الْأَسْنَانُ الَّتِي بَيْنَ الضَّوَاحِكِ وَالرَّبَاعِيَاتِ وَالْغَضُّ الطَّرِيُّ وَهَصَّرَهُ دَلَاهُ وَأَدْنَاهُ الْجَنَا أَيِ الِاجْتِنَاءَ وَهُوَ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالْجَنَى بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ مَا يُجْتَنَى مِنَ الشَّجَرَةِ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ هَذَا الْبَيْتُ مَوْضُوعٌ

وَأَمَّا الْأُشَرِيَّاتُ فَإِنَّهُنَّ يَوْمًا دَهَسْنَ بِطِيخَ الرَّاحِ الْغَدَارَ

الْأُشَرِيَّاتُ جَمْعُ أُشَرِيَّةٍ مِشْرَاةُ الرَّاحِ وَجَمْعُ قِلَّتِهِ الْأَكْثَرُ أَسْرِيَةٌ وَجَمْعُ سَلَامَتِهِ أُشْرِيَاتٌ وَالرَّاحُ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ وَاللَّامُ هُنَا لِلْعَهْدِ أَيِ الْخَمْرُ السَّيِّئَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ الذِّكْرِ

تُحَلِّيهَا الْمَلَامَةُ إِنْ أَتَتْهَا إِذَا مَا كَارِمٌ سُقِيَ الْحَيَاءُ

وَيَشْرَبُهَا فَتُتْرَكُنَا مُلُوكًا وَأُسْرَاةً مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ

أَتَتْ أَيْ أَتَيْنَا مَا تَلُومُ عَلَيْهِ وَالْمَقْتُ مَا مُقِتَ عَلَيْهِ أَيْ يُبْغَضُ كَالضَّرْبِ وَالْإِذَارَةُ اللَّحَاةُ بِاللِّسَانِ يُرِيدُ إِنْ تَعَلَّقَتْ شَمَائِلُ لَكَ لَمْ تَتْرُكْنَا بِالسُّكْرِ وَيَكُفُّهُنَا بُضْعُهَا وَيُقَصِّرُ عَنَّا

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُبَارِينَ الْأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِ الْأَسَلِ الظِّمَاءُ

الضَّمِيرُ فِي تَرَوْهَا عَائِدٌ عَلَى الْخَيْلِ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ لَكِنَّهَا لِلْفَرَسِ الْحَالُ

وَالْمُشَاهَدَةُ وَتُثِيرُ بِضَمِّ الثَّاءِ وَكَسْرِ الْيَاءِ وَالنَّقْعُ الْغُبَارُ وَكَدَاءُ الثَّنِيَّةُ الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ وَكُدَى بِضَمِّ الْكَافِ وَالْقَصْرِ ثَنِيَّةٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ وَتَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا وَيُبَارِينَ مِنَ الْجَاذِبِ وَالْأَسَلُ الرِّمَاحُ وَالظِّمَاءُ الْعِطَاشُ وَوَصْفُ الرِّمَاحِ بِذَلِكَ لِأَنَّ حَامِلِيهَا يُرِيدُونَ أَنْ يَطْعَنُوا الْعَدُوَّ بِهَا فَيَرْوَوْا مِنْ دَمِهِ

وَمَعْدَاءُ مُرْتَفِعَاتٌ وَمُعْقِبَاتٌ مَآبِلَاتٌ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

وَمُتَمَطِّرَاتٌ يَعْنِي بِالْعَرَقِ مِنَ الْجَرْيِ وَالرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ يُلَطِّمُ مِنَ اللَّطْمِ وَهُوَ الضَّرْبُ فِي الْخَدِّ وَيَعْنِي بِهِ هُنَا الْخَيْلَ لِكَرَمِهَا وَالْعِرْنِينُ طَرَفُ الْأَنْفِ يُرِيدُ أَنَّ نِسَاءَهُمْ يَمْسَحْنَ وُجُوهَ هَذِهِ الْخَيْلِ بِالْخُمُرِ

وَكَانَ الْخَلِيلُ يَرْوِي هَذَا اللَّفْظَ بِتَقْدِيمِ التَّاءِ عَلَى اللَّامِ وَيَجْعَلُهُ بِمَعْنَى تَشْفِضُ وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ الْكَلِمُ ضَرْبُكَ خَبَرَ الْمَلَّةِ بِتَرْكِ لِيَسْتَفِضَ مَا بِهِ مِنَ الرَّمَادِ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ تَكَلَّثَ بُنَيَّتِي بَدَلَ عَدِمْنَا خَيْلَنَا وَالثَّكَلُ فَقْدُ الْوَلَدِ وَتَبَتَّلَتْ تَفْعِيلٌ مِنَ الْبَتْلِ وَمَعْنَى صَدْرِ هَذَا الْبَيْتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَسْنُونِ الدُّعَاءُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَمْ تَعْرِفْ قُرَيْشًا وَقَعَ أَيْضًا لِبَعْضِ رُوَاةِ مُسْلِمٍ مَوْعِدُهَا كَذَا وَلِبَعْضِهِمْ غَايَتُهَا بَدَلَ مَوْعِدُهَا وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ وَرُفِعَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ مَكَانَ تَوْعِدُهَا كَتَوَعُّدِ الْحُمُرِ عَلَى الْأَتْوَانِ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ إِذِ الضَّرُورَةُ تَحُوجُ إِلَيْهِ مَعَ صِحَّةِ الرِّوَايَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَكُنَّا كَرَّرْنَا جَوَابَهَا مَا مَعْرُوضًا عَنَّا الْعَمَّ نَا وَكَانَ اللَّهُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَسَّانَ قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ قَبْلَ يَوْمِ الْفَتْحِ كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَظَاهِرُهُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي عُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَةِ حِينَ صَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبَيْتِ وَقَالَ ابْنُ إِسْحَقَ إِنَّ حَسَّانَ قَالَهَا فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَفِيهِ بُعْدٌ وَإِلَّا فَاصْبِرْ وَالْجِلَادُ مَوْعِدُ يَعْرِفُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ هَذَا مِنْ بَابِ

ابقاهم العالم الانسان قد علم ان الله قد اعز نبيه وقد قال تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقال وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية وقال ولينصرن الله
من ينصره ورسله الى غير ذلك وقد دل على هذا قوله بعد هذا
وجبريل رسول الله معنا وروح القدس ليس له كفاء
اى لا يقاومه احد ولا يماثله وروح القدس هو جبريل والقدس
الطهارة وهو معطوف على رسول الله والكفاء الكفو وهو المثل
وقال الله قد ارسلت عبدا لي فقول الحق ان نفع البلاء
اى الابتلاء وهو الاختبار وقد تضمن هذا البيت معنى الابتلاء
ولذلك شار قوله البلاء لان اللام منه للتعهد لا للجنس فتدبر
وروى انه مسلم في هذا البيت يقول الحق ليس به حفاء يعني حسان
يتصيد نقه فقال ستمدت به فقوموا صدقوه فقلنا لا نقوم ولا نشاء
اى لا نقوم ليصدقه ولا نريده فعاندوا ولما كان ذلك قال
وقال الله قد نصرت جندا هم الانصار عرضتها اللقاء
اى نصرها وهيأها لقاءكم وقتالكم يعني انهم لما ظهر عنادهم نصر الله
نبيه بجند الانصار ولم يذكر المهاجرين لانهم لم يظهر لهم اثر لاختيار
اجماعهم بالانصار والله اعلم لنا وكل يوم من معد سباء او قال اوجحا
هكذا رواية ابن اسحق وروى سبا من السبي ومعناه ونح بالهمزة
مكان سباء والرثي في كتاب مسلم تلاقي كل يوم من معد سباء ومعنى يتعذ
فر بشا نسبهم لمعد بن عدنان تراقي الشب للتشويه يعني بالسباب السب
شرا ويا لهجا السب نظما واهرا علم وقد دل على قوله
فحكم بالتواني من مجانا ونصر بيجس تحليط الرماء

فحكم تمنع يعني انه يجيب الهاجي بابلغ من مجابه واصعب عليه فيمتنع
من العقود ويعني باختلاط الدما التحام الحرب ومخالطة الدما عند الحرب
الا ابلغ ابا سفيان عني مغلغلة تقذيرح الخفاء
ابو سفيان هذا هو ابن الحرث وهو كان الهاجي اولا وقد تقدم انه
كان احد الشعراء والمغلغلة الرسالة تحمل من بلد الى بلد ويروح الخفاء
اى اذهب السير وهمر المضمر وهو مثل
يا منبعونا تزدتك عبدا وعبد الدار سادتها الاماء
عبدا يعني ذليلا ذل العبيد فجوت محمدا واجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
الخطاب لابي سفيان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انشده هذا
البيت قال له جزاك عنا الله الجنة فجوت محمدا برا حنيفا رسول الله
فيمنعه الوفاء البر التقي والحنيف المايل عن الاديان كلها الى دين ابرهيم
صلى الله عليه وسلم والشيمة والسجية والطبيعة والخليقة والجبلة
كلها الطبيعة وقوله اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء
هذا يتضمن الدعاء بانزال المكاره باشر الرجلين شرا وانزال الخير
باشرهما خيرا وعندي لك بتوجه عليه اشكال وهو ان شرا وخيرا
هنا للمفاضلة والمعقول من المفاضلة اشتراك المتفاضلين فيما
وقعت فيه واختصاص احدهما بزيادة فيه فيلزم عليه ان يكون
في النبي صلى الله عليه وسلم شر وهو باطل فيتعين تاويل ذلك فقال السهيلي
ان شرا هنا بمعنى انقص وحكى عن سيبويه انه قال يقول مررت برجل
شر منك اي انقص عن ان يكون مثله قال السهيلي ونحو منه قوله صلى الله
عليه وسلم شر صفوف الرجال اخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الصف الاول
ولا يجوز ان يريد به التفضيل في الشر قال الشيخ رحمه الله واوجه من هذا

وابعد من الاعتراض ان يقال ان الاصل في افعل ما ذكر غير ان المعنى
الذي تقتضي المفاضلة فيه قد يكون معنى وجوديا كما يقال بياض
الثلج اشد من بياض العاج وقد يكون المعنى توهميا بحسب زعم
المخاطب كما قال تعالى فسيعلمون من هو شر مكانا وذلك ان الكفار
زعموا ان المومنين شر منهم فاجيبوا بان قيل لهم ستعلمون يا اهل
زعمكم بان تشاهدوا عاقبة من هو الموصوف بالشر وعلى هذا
يخرج معنى البيت فانهم كانوا يعتقدون في النبي صلى الله عليه وسلم
شرا فخاطبهم بحسب زعمهم ودعا على الاشر من الفريقين منهما
له وهو تغليبهم قطعا فانهم هم اهل الشر لكنه اتاهم بدعاء يتصف
بسخطة الظالم ويرضي المظلوم وقوله

قال ابو الفرج وعرض لعمر بن محمد منهم وقال ابن قتيبة
يعني بالعرض ههنا النفس فكانه قال ابي وكبدي ونفسي وقايته للنفس
محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل العرض ههنا هو الحرمة التي
تنتهك بالسب والغيبة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم
ان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم
هذا في شهركم هذا وقوله لساني صارم لكنه فيه ويجري ايضا في الاول
الصارم السيف القاطع ولا مكثر له الا اي لا تقصر وهو مثل ضرب
للرجل العظيم الحلم الذي لا يبالي ما يرد عليه من الامور
وبهذا القيد هجي حسان ابا الحسام رضي الله عنه وجازاه خيرا

ومن باب فضائل ابي هريرة رضي الله عنه

اختلف في اسم ابي هريرة واسم ابيه اختلافا كثيرا انتهت اقوال
النسابة في ذلك الى ثمانية عشر قولا واشبه ما قيل فيها ان يقال انه كان

له في الجاهلية اسمان عبد شمس وعبد عمرو وفي الاسلام عبد الله
وعبد الرحمن وقد اشتهر بكنيته حتى كانه ماله اسم غيرها
فهي اولى به وكني بابي هريرة لانه وجد هرة صغيرة فحملها في كمه
فكني بها وغلبت ذلك عليه وقيل ان الرسول صلى الله عليه وسلم سماه
بذلك عندما راه يحملها اسلم ابو هريرة عام خيبر وشهدها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمه وواظب عليه رغبة في العلم
راضيا بشبع بطنه فكانت يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يدور معه حيث ما دار فكان يحضر ما لا يحضر غيره ثم اتفق
له ان حفظت له بركة النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه الذي ضمه الى صدره
فكان يحفظ ما سمعه ولا ينساه فلا حرم كفه له من الحوت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يحفظ لاحد من الصحابة وذلك ثلثمائة
الا في حديث وثلاثة وسبعون حديثا اخرج له منها
في الصحيحين ستة ومائة وتسعة احاديث قال البخاري روى عنه اكثر
من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابعي قال ابو عمر استعمله عمر
رضي الله عنه على البحرين ثم عزله ثم اراده على العمل فابى عليه
ولم تزل بيعته المدينة وبها كانت وفاته سنة سبع وخمسين وقيل
سنة ثمان وقيل سنة تسع وقيل نوفي بالعقيق وصلى عليه الوليد
بن عتبة بن ابي سفيان وكان اميرا ابو سعيد على المدينة ومروان
معزول وكان رضي الله عنه من علماء الصحابة وفضلائها ناشرا
للعلم شديد التواضع والعبادة عارفا بنعم الله شاكرا لها
مجتهدا في العبادة كان هو وامراته وخادمه يعتقبون الليل اثلاثا
يصلي هذا ثم يوقظ هذا ويصلي هذا ثم يوقظ هذا وكان يقول لشاب يتيما

فهاجرت مسكينا وكنت اجير البسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة
رجلي فكنت اخدم اذا نزلوا واخدو اذا ركبوا فزوجنيها الله
فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وجعل ابا هريرة اماما حدثت
اسلام امه ليس فيه شئ يستغل وقول عايشة رضي الله عنها الا تعجبك
هو بضم الياء وفتح العين وكسر الجيم مشددة ومعناه الا يحملك على
التعجب النظر في امره قالت هذا مشعرة عليه باكثاره من الاحاديث
في المجلس الواحد ولذلك قالت في بعض هذه الروايات انما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه يعني انه كان يحدث
حديثا قليلا ويحتمل ان تريد بذلك انه كان يحدث حديثا واحدا منها
بحيث لو عدت كلماته احصيت لقلتها وبانها ويدل على صحة هذا
التاويل قولها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث
سردكم هذا والصحيح الاسواق التجارة فيها وقد تقدم انهم
كانوا يتواجبون بالايدي فيصفق احدهما في كف الاخر فاذا انعقد
ذلك وجب البيع سمي البيع صفقا بذلك وقد تقدم هذا والسحمة
النكلة واسح اصل ماخوذ من التسبيح وقول ابي هريرة
مقولعن فيما اكثر ابو هريرة والله الموفق اي الرجوع الى الله بحسن
النوع الصادق فيجازي كلا على قوله وفعله وقوله مقولعن ما بال
المهاجرين والانصار لا يحدثون مثل احاديثه هذا الانكار
خلاف انكار عايشة فانها انما انكرت سرد الحديث وهما ولا
انكروا على ابي هريرة ان يكون اكثر الصحابة حديثا وهذا انكار
استبعاد وتعجب لا انكار تهمة وتكذيب لما يعلم من حفظه وعلمه
وفضله ولما يعلم ايضا من فضلهم ومعرفتهم بحاله ولذلك بين لهم الموجب

لكثرة حديثه وبين انه شيئان احدهما انه لازم النبي صلى الله عليه وسلم
مالم يلازموا فحضر مالم يحضروا والثاني بركة امتثال ما امر به
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من بسط ثوبه وضمه الى صدره
فكان ذلك سببا لحفظه وعدم نسيانه فدل حصول ابي هريرة
ولامه رضي الله عنهما من بركات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهابي
وعوانه ما لم يحصل لغيره ثم ان ابا هريرة رضي الله عنه لما لم يحفظ
علما خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقق انه وجب عليه
ان يبلغه خبره وزجر من يقبل عنه ومن له رغبة في ذلك تفريحا لذلك
مخافة الفوت ومعاجلة الفوائد او المنون ثم انه لما الم
الانكار هم بترك ذلك والفرار لانه خاف من عقوبة الكتمان
المنبه عليها في القرآن ولذلك قال لولا اياتان في كتاب الله ما حدثت
حديثا ثم تلا قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم
وفيها بحث وتفصيل يحتاج الى تحرير طويل ذكرنا في تفسير القرآن واحكامه

ومن باب قتال اهل بدر والحديبية وفضل

حاطب بن ابي بلتعة واسمه عمرو بن سلمة من ولد لخم من عدي يكنى
ابا عبد الله وقيل ابا محمد وهو حليف للزبير بن العوام وقيل بني
اسد وقيل كان عبد العبيد الله بن حميد كاتبه فادى كتابته
يوم الفتح شهد بدرا والحديبية مات سنة ثلاثين بالمدينة وهو
ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عثمان وقد شهد الله له بالايمان في قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقد شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايمان والصدق وبانه لا يدخل النار

على ما تضمنه الحديثان المذكوران في اللام ورَوضة خاخ موضع
معروف قريب من المدينة والظعينة الهودج كان فيه امراة
او لم يكن وتسمى المراة ظعينة اذا كانت في الهودج وجمع الظعينة
ظعن وظعُن وظعائن والحقائص الشعر المكفوف
الى المظفور والملصق في النوم هو الذي لا نسيب له نيلهم وصوب
الحليف والنزيل والدخيل وقوله وكان ممن معك كذا وقع
هذا اللفظ ممن بزيادة من وفي بعض النسخ من معك باسقاط
من وهو الصواب لان من لا ترادف في الواجب عند البصريين واكثر
اهل اللسان وقد اجاز ذلك بعض الكوفيين وقول عمر رضي الله عنه
دعني اضرب عنق هذا المنافق انما اطلق عليه اسم النفاق
لان ما صدر منه يشبه فعل المنافق لانه والى كفار قريش
وباطنهم وهم بان يطلعهم على ما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غزوهم مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان دعا
فقال اللهم اخف اخبارنا عن قريش لكن حاطبا لم ينافق بقلبه
ولا ارتد عن دينه وانما تاول فيما فعل من ذلك ان اطلاع قريش
على بعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويخوف قريشا ويحتمل انه كان في الكتاب تعميم امر
جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم لا طاقة لهم به فخوفهم
بذلك ليحجزوا عن مكة ويفروا منها ويحسن له هذا التاويل تعلق
خاطره باهله وولده اذ هم متمكنة من كيده ولقد ابلغ من قال
قل ما يقع من كان له عيال لكن لطف الله به فحماه بما علم من صحة
ايمانه وصدقه وغفر له بسابقة بدر وسبقه وقوله

صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم هو معنى يدريك يعلمك ولعل للترجي لكن
هذا الرجاء تحقق للنبي صلى الله عليه وسلم بدليل ما ذكره الله تعالى في قصة
اهل بدر في القرآن والانفال من ثنائه عليهم وعفوه عنهم ويدلل قوله
صلى الله عليه وسلم للذي قال في حاطب انه يدخل النار وانت عليه
كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا فهذا اخبار محقق لا احتمال فيه
ولا تخيير وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا ما شئتم اباحة
كل الاعمال والتخيير فيما شاؤا من الافعال وذلك في الشريعة
محال اذ المعلوم من قواعدها ان التكليف بالاوامر والنواهي
متوجه على كل من كان موصوفا بشرطها الى موته ولما لم يصح
ذلك الظاهر اضطر الى تاويله فقال ابو الفرج الجوزي ليس
قوله اعملوا ما شئتم للاستقبال وانما هو للماضي وتقديره
اي عمل كان لكم فقد غفرته قال ويدل على ذلك شيئان احدهما انه
لو كان للمستقبل كان جوابه ساغفر والثاني انه كان يكون
اخلاقا في الذنوب ولا وجه لذلك ويوضح هذا ان القوم خافوا
من العقوبة بما بعد فقال عمر يا خرقة هل انا منهم قال الشيخ
رحمه الله وهذا التاويل وان كان حسنا غير ان فيه بعدا بينه
ان اعملوا صيغة صيغة الامر وهي موضوعة للاستقبال
ولم تقع القرينة قط صيغة الامر موضع الماضي الا بقرينة ولا بغير
قرينة هكذا نص عليه النحويون وصيغة الامر اذا ورت بمعنى
الاباحة انما هي بمعنى الانشاء والامر الا بمعنى الماضي فتدبر هذا
فانه حسن وقد بينته في الاصول باشبع من هذا واستدلاله

على كل بقوله فقد غفرت لكم ليس بصحيح لان اعملوا ما شئتم بتسجيل
ان يحمل على طلب الفعل ولا يجوز ان يكون بمعنى الماضي لما ذكرناه فتعين
حمله على الاباحة والاطلاق وحينئذ يكون خطابا انشائيا فيكون
بمعنى التاييل انت وكيلي وقد جعلت لك التصرف فكيف يثبت اطلاق آخر
فان ذلك انما يقتضي التصرف من وقت التوكيل لا قبل ذلك وقد
تعمر لعرجة وانما استجيب الله منه وهو ان هذا الخطاب
اكرام وتشريف بضمن انهاء الاعلام حصلت لهم حالة غفرت
لهم بها ذنوبهم السابقة وتاهلوا بها لان يغفر لهم ذنوب
ستانتئه ان وقعت منهم لا انهم لحرت لهم في ذلك الوقت
مغفرة الذنوب اللاحقة بل لهم صلاحية ان يغفر ما عساه ان يقع
ولا يلزم من وجود الصلاحية لشئ ما وجود ذلك الشئ اذ لا يلزم
من وجود اهلية الخلافة وجودها لكل من وجدت له اهلية
وكذلك القضاء وغيره وعلى هذا فلا يامن من حصلت له اهلية
المغفرة من المواخذة على ما عساه ان يقع منه من الذنوب
وعلى سبيل الجزم حال كل من بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه
مغفور له وانه من اهل الجنة بضمن ذلك مغفرة ما مضى وثبوت
الصلاحية للمغفرة والجنة لما يستقبل ولذلك عن احد ممن بشر
بالمغفرة او بالجنة خوف التبديل والتغيير من المواخذة على
الذنوب ولا ملازمة التوبة منها والاستغفار دائما مع ان الله
اكرم صدق رسوله للقرآن في كل من اخبر عنه بشئ من ذلك فانهم
لم يزالوا على اعمال اهل الجنة من امور الدين ومراعاة احواله
والتمسك باعمال البر والخير الى ان توفوا على ذلك ومن وقع منهم في

معصية او مخالفة كجاء الى التوبة والاستغفار التي الله عليها يعلم
ذلك قطعا من احوالهم من طالع سيرهم واخبارهم وورد خاطب
هذا ابواب من الفقه ودلله على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى فضايل اهل بدر وحاطب بن ابي بلتعة فمن جملة ما
فيه من الفقه ان ارتكاب الكبيرة لا يكون كفرا وان المتاول اعذر
من العامد وقبول عذر الصادق وجواز الاطلاع من عورة المراة
على ما تدعو اليه الضرورة ففي بعض رواياته انهم فتشوا من المراة
كل شئ حتى قبلها وفيه ما يدل على ان الجاسوس حكمه بحسب ما
يحتهد فيه الامام على ما يقوله مالك وقال الاوزاعي يعاقبه
ويبقى الى غير ارهبه وقال اصحاب الراي يعاقب ويحبس وقال
الشافعي ان كان من ذوي الهيئات كحاطب عفي عنه والا عزر
وجمع اهل بدر ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا باتفاق ايمة
السير والتواريخ واختلف في طايفة نحو الخمسة هل شهدوها
امر لا وتفصيل ذلك في كتب السير وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحتها هذه
الشجرة هي شجرة بيعة الرضوان التي قال الله تعالى فيها لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وكانت بالحديبية التي
تقدم ذكرها والذين بايعوا تحتها كانوا الفا واربع مايه وقيل وخمس
مايه كانوا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت او على ان لا يفروا
على خلاف بين الرواة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح اهل
مكة وكفى الله المؤمنين القتال واجزل لهم الثواب واثابهم
فتحا قريبا ورضوانا عظيما واستشهد فيه صلى الله عليه وسلم

هنا بقوله إن شاء الله استثنا واجب فراعله الله بحصوله بقوله
لقد رضي الله عن المؤمنين وبغير ذلك وصار هذا الاستثنا كقوله
تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقول حفصة لكي
قول اخرجه منها التنبيه والقرينة العرفية فانها
كانت بنت ابيها وهذا من نحو قول عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه
وسلم في المنافقين ائذن لي عليهم واسكتها بعموم قوله تعالى وان منكم
الا واردها دليل على ان منكم للعموم عندهم وان كل معروف من
لغتهم واشتهار النبي صلى الله عليه وسلم لها بانها دية لها وزجر عن
بادرة المعارضة وترك الحرمة ولما حمل الانكار مرت بالاعتذار
فذكرت الاية وحاصل ما فهمت منها ان الورود فيها بمعنى الدخول
وانها قابلت عموم قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع
تحت الشجرة بعموم قوله تعالى وان منكم الا واردها وكانها رجحت
عموم القران فتمسكت به فاجابها النبي صلى الله عليه وسلم بان اخر
الاية يبين المقصود فتلا قوله ثم ننجي الذين اتقوا وتذر الظالمين
فيها جثيا وحاصل الجواب تسليم ان الورود دخول لكنه دخول
عبور فينجو من اتقى وتترك فيها من ظلم وبذلك ان جهنم اعاذنا الله
منها محيطة بارض المحشر وحائلة بين الناس وبين الجنة
ولا طريق للجنة الا الصراط الذي هو جسر ممدود على متن جهنم
فلا بد لكل من صبيحة المحشر من العبور عليه فناج مسلم ومخروش
ثم سلم ومتردى في نارجهنم كما تقدم وهذا قول الحسن وقتادة
وهو الذي تنصره الاخبار الصحيحة والنظر المستقيم والورود
في اصل اللغة الوصول الى الماء وانما عبر به عن العبور لان جهنم
تترائى للخلائق كانها سراب فيحسبونه ماء فيقال لهم الا ترون
كما صح في الاحاديث المتقدمة وفي هذه الحفصة من ابواب
من الفقه منها جواز مراجعة العالم على جهة المباحثة والتمسك
بالعمومات فيما ليس كريفة العمل بالاجتهاد ومقابله عموم بعموم
والجواب بذكر المخصص وتاديب الطالب عند جهالة وزة حسن
الادب في المباحثة والتي هو الحذر من المكروه الذي يتحذر منه
باعتبار ما يتعيبه به وتذكر تترك والقاف هنا هو الكافر
لانه وضع الالهية والعبادة في غير موضعها وجثيا جمع جاث
واصله الجالس على ركبتيه والمراد به هنا المكبوب على
وجهه وهو المذكور في الحديث والله اعلم

باب مقابلة ابي موسى الاشعري واسمه عبد الله بن قيس

بلغ المقابلة

بن سليم بن حضار بفتح الحا المهملة والضاد المعجمة المشددة
وقيل حضار بكسر الحا وتخفيف الضاد بن ولد الاشعر وهو بتشديد
بن ادد وقيل بن ولد الاشعر بن سبا اخي حمير قال ابو عمر
ذكرت طائفة ان ابا موسى قدم مكة فحالف سعيد بن العاصي
ثم اسلم بمكة ثم هاجر الى ارض الحبشة ثم قدم مع اهل السفينتين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بخيبر وقال ابو بشر بن عبد الله بن الحكم وكان
علامة نسابة ليس كذلك ولكنه اسلم قديما بمكة ثم رجع الى
بلاد قومه فلم يزل بها حتى قدم هو ونفر من الاشعريين على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافق قدومهم قدوم اهل
السفينتين جعفر واصحابه من ارض الحبشة ووافوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخيبر قال ابو عمر وانما ذكره ابن اسحق

فيمن هاجر الى ارض الحبشة لانه نزل ارضهم في حين اقباله مع
سائر قومه رمت الريح سفينتهم الى الحبشة فبشرا فيها
ثم خرجوا مع جعفر واصحابه بها ولاقى سفينة رهما ولاقى سفينة
فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فقيل انه
قسم لاهل السفينتين ولم يقسم لهم ثم ولى عمر بن الخطاب
ابا موسى البصرة اذ حسر عنها الغمرة في رقة السهادة
عليه وذلك سنة عشرين فافتتح ابو موسى الاهواز ولم يزل
على البصرة الى صدر من خلافة عثمان ثم عزله عنها ولاها عبد الله
بن عامر بن كريز فنزل ابو موسى حينئذ الكوفة وبسطها
ثم لما رفع اهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا ابا موسى وكتبوا
الى عثمان بسالونه ان يوليه فاقره فلم يزل على الكوفة حتى قتل
عثمان واستخلف على نعزله عنها قال ابو عمر فلم يزل واجدا
منها على علي ثم كان من ابي موسى بصفين وفي التحكيم ما كان وكان
منكرا عن علي لانه عزله ولم يستعمله وعليه اهل اليمن فارساله
الى التحكيم فلم يحزلهم ثم انقبض ابو موسى الى مكة ومات بها
وقيل مات بالكوفة في داره بحانب المسجد واختلف في وقت وفاته
فقيل سنة اثنين واربعين وقيل سنه اربع واربعين وقيل سنه خمس
وقيل سنه اثنين وخمسين وكان رضي الله عنه احسن الناس صوتا
بالقران ولذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت مزمارا
من مزامير ال داود وقيل علي رضي الله عنه عن موضع ابي موسى من العلم
فقال صبغ في العلم صبغة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من نهاية وستين حديثا اخرج له منها في الصحيحين ثمانية وستون حديثا

وقول الاعرابي اكثرت علينا من قولك البشر فقول حلب جامل
كما ان النبي صلى الله عليه وسلم وتغير البشرى التي بشر بها
النبي صلى الله عليه وسلم لو قبلها لظنها عرضت عليه فخيرها فاختارت
الخير فقبلها والبشرى كل ما يسر وتسمى بذلك لان بها
تظهر السرور في بشرة المبشر واصله في الخير وقد يقال في الشر
توسعا كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم وفيه ثلاث لغات
ابشر رباعيا مضعفا اشرته ابشره ابشارا ومنه ابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون وبشر مشددا يبشر تبشيرا ومنه قوله تعالى
فبشر عبادي الذين يستمعون القول والثالثة بشرت الرجل ثلاثيا
مفتوح العين ابشره بالضم بشرا بالسكون وبشورا والاسم البشارة
بكسر الباء وضمها والبشرى تقتضي مبشرا به فاذا ذكر تعين
واذا سكت عنه صلح ان يراد به الخير فقول النبي صلى الله عليه وسلم
للاعرابي ابشر ولم يذكر له غير ما بشره به لانه والله اعلم قصر
تبشيره بالخير على العموم الذي يطلق لخير الدنيا والاخرة ولما جمل ذلك
رده لحرمانه وشقوته ولما عرض ذلك على من عرف قدره بادر اليه
وقبله سال بن المتارة الخير الاكبر والحظ الاوفر وذلك فعل ابي
بوتيه من بسا وكوته صلى الله عليه وسلم غسل وجهه في الماء وبصق فيه
وامره بشرد ذلك والتمسح به مبالغة في انتقال البركة والخير لهما
اذ قد طهرت بركته صلى الله عليه وسلم فيما لمسه او باشره او اتصل
به منه شيء ولما تحققت ام سلمة ذلك سالتهما ان يتركا لها فضلة
من ذلك ليصيبها من تلك البشرى ومن تلك البركة خط وفيه ما يدل على
جواز الاستشفاء باثار النبي صلى الله عليه وسلم وبكلامه وذكواته

وعلى جواز النشرة بالدعا الذى ليس فيه باسم الله تعالى وبكلامه وكلام
رسوله وقد تقدم ذكر الخلاف فى النشرة فى كتاب الطب وآخرها
موضع قريب من خيبر وبعث ابى عامر انما كان لتتبع مشركى
هوازن بحنين وسمى قتله خيل الطفيل وابو عامر هذا اسمه
عبيد بن سليم بن حضار الاشعرى وكان ابو عامر هذا من كبار
الصحابة عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء يوم وداه
على هذا الجيش وختم الله له بالشهادة وبدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم له بالمغفرة وقوله ابى عامر ان لك قاتلى تراه ذاك الذى
رمانى كذا الرواية الصحيحة تراه بالتاء باثنتين من فوقها والضمير
فى له لابى عامر وكان الذى رمى ابا عامر كان قريبا منهما فاشار
اليه بذلك مرتين تقريبا له واكد ذلك بقوله تراه فكانه قال
الذى تراه ووقع فى بعض النسخ ذلك بلام البعد وفيه بعد وقراه
بالفاء فكانه من قول الراوى وخبر عن ابى موسى انه راى القاتل
والاول اصح وقوله فنزى منه الماء اى خرج لما بسرعة اثر خروج
السهم واصل النزو الارتفاع والوثب وقوله واستخلف ابو عامر
على الناس فيه ما يدل على ان الوالى اذا عرض له امر جاز ان يستنيب
غيره وقوله موجزته على حصير مرمل قد اثر رمال الحصير فى ظهره
هكذا الرواية فيه مرمل بضم الميم الاولى مسكن الراء مفتوح الميم الثانية
وهو من رملت الحصير اى سففته ونسجته بشرابا او غيره قال الشاعر
اذا سال على طرق لاحب وكان نجعته حصير مرمل وقال
رملت الحصير ابقا ملاسا ورمال الحصير هو ما يوثر منه فى جنب
المضطجع عليه وقوله وتحته فراش كذا لابن الرواية باثبات الفراش

وقال القابسى الذى اعرفه ما عليه فراش قال الشيخ واستبعد ان
يكون عليه فراش ويوثر فى ظهره وانما استبعد ذلك اذا كان
الفراش كثيفا وثيرا ولم يكن فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذلك فلا استبعاد وقوله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء
فتوضأ منه ثم رفع يديه فما اعلم هذا الوضوء انه كان للدعاء اذ لم يذكر
انه صلى فى ذلك الوقت بذلك الوضوء ففيه ما يدل على مشروعية
الوضوء للدعاء ولذكر الله كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم فرغت
ان اذكر الله على طهارة وقوله ثم رفع يديه حتى رئيت بياض ابطيه
دليل على استحباب الرفع عند الدعاء وقد فعل النبى صلى الله عليه وسلم
ذلك يوم بدر وفى الاستسقاء وقد روى كراهة ذلك عن مالك ويمكن
ان يقال انما كره ان يتخذ ذلك سنة راتبة على اصله فى هذا الباب او مخافة
ان يعتقد الجهال تمكنا لله تعالى والذى يزيل هذا الوهم ان يقال لا يلزم
من مد الايدى الى السماء ان يكون تمكنا لله تعالى ولا جهة له كما
لا يلزم من استقبال الكعبة ان يكون الله تعالى فيها بل السماء قبلة
الدعاء كما ان الكعبة قبلة الصلاة والبارى تعالى منزه عن الاختصاص
بالامكنة والجهات اذ ذلك من لوازم المحدثات ولقد احسن من
قال لو كان البارى تعالى فى شئ لكان محصورا ولو كان على شئ لكان
محمولا ولو كان من شئ لكان محدثا ومثل ابو موسى على مثل ما
فعل لعمه ابى عامر من استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزاده وادخله مدخلا ادخرها للحقه بمنزله ابى عامر فى الجنة
لانه قتل قاتله والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم انى اعرف
اصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل كذا لابن

ومن باب فضائل ابي سفيان بن حرب واسمه صخر بن حرب بن امية

بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي وكان من اشراف قريش وساداتها وذوي
آرائها في الجاهلية اسلم رضي الله عنه يوم فتح مكة وقد تقدم خبر اسلامه
وشهد حنينا والطائف واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائمها مائة بعير
واربعين اوقية وزنها له بلال قال ابو عمر واختلف في حسن اسلامه
فطائفة ترى انه لما حسن اسلامه ذكروا عن سعيد بن المسيب
عن ابيه قال رأيت ابا سفيان يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد يقاتل
يقول يا نصر الله اقترب ورووا عنه انه قال فقدت الاصوات يوم
اليرموك الا صوت رجل راكب يقول يا نصر الله اقترب قال المسيب
فذهبت انظر فاذا هو ابو سفيان بن حرب تحت راية ابنه ٥ وروي ان
ابا سفيان كان يوم اليرموك يقف على الكراديس فيقول للناس انتم ذادة العرب وانصار الاسلام وانتم ذادة الروم وانصارها
اللهم المشركين اللهم هزيمهم اليوم من اجلي انزل نصرك على عبادك وطائفة
تروى انه كان كهفا للمنافقين منذ اسلم وكان في الجاهلية ينسب الى الزندقة
وكان اسلامه يوم الفتح كرها كما تقدم من خبره ومن قوله في كلمتي
الشهادة حين عرضت عليه اما هذه ففي النفس منها شيء وفي خبر ابن
الزبير انه راه يوم اليرموك قال فكانت الروم اذا ظهرت قال ابو سفيان
لابنه بني الاصفر وقول ابن عباس كان المسلمون لا ينكرون ان ابا سفيان من خير
ولا فاضليهم انما كان ذلك لما كان من ابي سفيان من ممانعة النبي
صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين في شركه اذ لم يصنع احدهم مثل صنيعه
ثم انه اسلم يوم الفتح مكرها وكان من المؤلفة قلوبهم وقد علم انهم كانوا
يثقون باسلامه وقد ذكرنا اختلاف العلماء في نفاقه وقوله

الرواية فيه بالدال المهملة والخاء المعجمة من الرذول وقد روى بعضهم
برحلون بالراء والحاء المهملة من الرحيل قال بعض علمائنا وهو الصواب
يشير الى انهم كانوا بلادا مرت براءة القرآن في حالة رحيلهم وفي حالة
نزولهم وكان الاشعريين كثير فيهم تراة القرآن بسبب ابي موسى
الاشعري فانه كان من احسن الناس صوتا بالقرآن وكان
يقرأهم فتطيب لهم قراءته فتعلموا منه القرآن واحبوه
فلا ازموه والله اعلم وقوله ومنهم حكيم اذا التقى الخيل او العدو
قال لهم ان اصحابي يأمروني ان انتظرهم وحكيم يعني نفسه
به هنا انه محكم لامور الحرب وسيبه والشجاعة ولذلك سبق قومه
الى العدو كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب فرسه الى طلحة
واستبرأ خبر العدو ثم رجع فلقي اصحابه خارجين فاخبرهم بانهم
لا روع عليهم وقد يجوز ان يكون ذلك الحكيم هو ابو موسى او ابو عامر
ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل قتله والله اعلم
وقوله صلى الله عليه وسلم ان الاشعريين اذا ارملوا في الغزو
او قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فاقتسموه هذا الحديث
يدل على ان الغالب عليهم القراءة والعبادة وقد ثبت بسنا ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم انهم علما عاملون كرما موثرون ثم انه صلى الله
عليه وسلم شرفهم باضافتهم اليه ثم زاد في التشريف بان اضاف نفسه
اليهم ويمكن ان يكون معنى منهم مني تعلموا فعلي من القراءة والعبادة
والكرم وانا منهم اي افعل من ذلك مثل ما يفعلون كما قال بعض الشعراء
وقلت اخي فالوالد الخ وخرامة فقلت لهم ان الشكول اقاربي
تسيبي رأي وتحزمي وتحزمي ان فاهمتا في الامور الثاقبه

عنوي احسن العرب واجملهم ام حبيبة بنت ابي سفيان أزوجكها قال
نعم الختن في اجله محامد على الحسن الذي عرف له العرب وام حبيبة
هذه اسمها رملة وقيل هند والاول هو المعروف والصحيح وانما هند
ابنة عتبة زوجة ابي سفيان وام معاوية وظاهر هذا الحديث ان
ابا سفيان الذي ابنته النبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه وهو مخالف
للمعلوم عند اهل التواريخ والاخبار فانهم متفقون على ان النبي صلى الله
عليه وسلم تزوج بام حبيبة بنت ابي سفيان قبل الفتح وقبل اسلام
ابيها وان ابا سفيان قدم قبل الفتح المدينة طالبا تجديد العقد بينه
وبين رسول الله وانه دخل بيت ام حبيبة ابنته فاراد ان يجلس
على بساط رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزعته من تحته فقال لها في ذلك
فقالت له انه بساط رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت مشرك فقال لها
يا بنية لقد اصابك بعدي شر ثم طلب من علي ومن فاطمة ومن غيرهما
ان يكلموا النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح فابوا عليه فرجع الى مكة من غير
مقصود حاصل وكل ذلك معلوم لا شك فيه ثم ان الاكثر من الروايات
والاصح منها ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة وهي بارض الحبشة
وذلك انها كانت تحت عبد الله بن جحش الاسدي اسر خزيمة فولدت
له حبيبة التي كنيت بها وانها اسلمت واسلم زوجها عبد الله بن جحش
وهاجر بها الى ارض الحبشة ثم ان زوجها تنصر هناك ومات نصرانيا
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها وهي بارض الحبشة فبعث شرحبيل
ابن حسنة الى النجاشي في ذلك ه روى الزبير بن بكار عن اسمعيل بن عمرو ان
ام حبيبة رضي الله عنها قالت ما شعرت وانا بارض الحبشة الا برسول النجاشي
جاريته يقال لها ابرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستاذنت علي

فاذنت لها فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب ان ازوجك فقلت بشرك الله بخير وقالت يقول لك الملك وكلي
من يزوجك فارسلت الى خالد بن سعيد فوكلته واعطيت ابرهة
سوارين من فضة كانا على وخواتم فضة كانت في اصابعي سرورا بما
بشرتني به فلما كان العشي امر النجاشي جعفر بن ابي طالب ومن هناك
من المسلمين بحضور وخطب النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس السلام
المؤمن المهيمن العزيز الجبار اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانه
الذي بشر به عيسى بن مريم اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب
كتب الي ان ازوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان فاجبت الى ما دعا اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقتها اربع مائة دينار ثم سكب
الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله احمده واستعينه
واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى ما دعا
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك الله
لرسوله ودفع النجاشي الدنانير الى خالد بن سعيد فقبضها ثم ارادوا ان يقوموا
فقال اجلسوا فان سنة الانبياء اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج
فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا قال الزبير فقدم خالد بن سعيد وعمرو
بن العاص بام حبيبة من ارض الحبشة عام الهدنة وقال بعض الرواة انما
اصدقها اربعة الاف درهم وان عثمان بن عفان هو الذي اولم عليها وان عليها انه هو
الذي زوجها اياه وقيل زوجها النجاشي قال الشيخ رحمه الله ويصح
الجمع بين هذه الروايات فتكون الاربع مائة دينار صرفت او قومت باربعة
الاف درهم وان النجاشي هو الخاطب وعثمان العاقد وسعيد الوكيل فتحت

بسنه التزويج لعلم هذا هو المعروف عند جمهور اهل التواريخ
والسير كابن شهاب وابن اسحق وقتادة ومصعب والزبير وغيرهم وقد
روى عن قتادة قول آخر ان عثمان بن عفان زوجها من النبي صلى الله عليه
وسلم بالمدينة بعد ما قدمت من ارض الحبشة قال ابو عمر والصحيح الاول
وروى ان ابا سفيان قيل له وهو يحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان محمدا قد تزوج ابنتك فقال ذلك الفحل الذي لا يقرع انفه وقال ابو عبيدة
معمر من المشيخة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة سنة ست
من الهجرة قال غيره سنة سبع قال ابو عمر وتوفيت ام حبيبة سنة
اربع واربعين **قال الشيخ** فقد تحصل انه لا خلاف بين اهل النقل
ان تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة متقدم على اسلام ابيها
ابي سفيان وعلى يوم الفتح ولما ثبت هذا تعين ان يكون كلب ابي سفيان
تزويج ام حبيبة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه خطأ وهما وقد
بحث النقاد ممن وقع منه ذلك الوهم فوجدوه من عكرمة بن عمار قال
ابو الفرج الجوزي انفرد به عكرمة بن عمار وقد ضعف اكابر ائمة الحديث
كيحيى بن سعيد واحمد بن حنبل ولذلك لم يخرج عنه البخاري وانما اخرج عنه مسلم
لانه قد قال فيه يحيى بن معين هو ثقة وقال ابو محمد علي بن احمد الحافظ
هذا حديث موضوع لا شك في وضعه والآفة فيه من عكرمة بن عمار قال
بعضهم ومما يحقق الوهم في هذا الحديث قول ابي سفيان للنبي صلى الله عليه وسلم
اريد ان تؤمرني فقال له نعم ولم يسمع قط ان النبي صلى الله عليه وسلم امر
ابا سفيان على احد الى ان توفي فكيف يخلف النبي صلى الله عليه وسلم الوحي ذكره
هذا ما لا يجوز عليه **قال الشيخ** رحمه الله قد تأول بعض من صحح هذه الحديث
بان قال ان ابا سفيان كلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يجدد معه عقدا

على ابنته المذكورة فثبتا منه ان ذلك يصح لقدوم معرفته بالاحكام الشرعية
لمجاورته عهده بالاسلام واعتذر عن عدم تأميره مع وجده له بذلك بان
الوعد لم يكن موقتا وكان يرتقب امكان ذلك فلم يتيسر له ذلك الى ان
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم او لعله ظهر له مانع شرعي منعه من تجديد
توليته الشرعية وانما وعده بامارة شرعية تخلفه لتخلف شرطها

ومن باب فضائل جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه نكتفي باعتبار الله

كان اكبر من علي اخيه رضي الله عنهما بعشر سنين وكان من المهاجرين الاولين
هاجر الى ارض الحبشة وقدم منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
فتح خيبر فتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم وعانقه وقال ما ادري بايهما
انا اسر فرحا بقدوم جعفر ام بفتح خيبر وكان قدومه من الحبشة في السنة
السابعة من الهجرة واهدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب النجاشي
وقال له النبي صلى الله عليه وسلم اشبهت خلقي وخلقي ثم غزا غزوة
مؤتة وذلك في سنة ثمان من الهجرة فقتل بها بعد ان قاتل فيها حتى قطعت
يداه جميعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدله بيديه جناحين
يطير بهما في الجنة حيث يشاء فبهما كان قيل له ذو الجناحين ولما اتى النبي
صلى الله عليه وسلم نعي جعفر اتى امرأته اسماء بنت عميس تعزاها في زوجها
جعفر فدخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم على مثل جعفر فلتبك البواكي واما اسماء فهي ابنة عميس بن معد
بن الحرث بن تيم بن كعب بن مالك الخثعمية من خثعم اخت ميمونة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم واخت لبابة ام الفضل زوجة العباس واخت
خولة وهن تسع وقيل عشر فهاجرت اسماء مع زوجها جعفر الى ارض
الحبشة فولدت له هناك محمدا وعبد الله وعونا ثم هاجرت الى المدينة

فلما قتل جعفر تزوجها ابو بكر الصديق رضي الله عنه وولدت له محمد بن ابي بكر
ثم مات عنها فتزوجها علي بن ابي طالب رضي الله عنه فولدت له يحيى بن علي
لا خلاف في ذلك ونقل كانت اسماء بنت عميس تحت حمزة بن عبد المطلب
فولدت له ابنة سمي امامة الله ونقل اماما مه ثم خلف عليها بعده شداد
بن الهادي الليثي فولدت له عبد الله وعبد الرحمن ثم خلف عليها بعده
جعفر ثم كان الامر كما ذكر وقول ابي موسى اما قال بضعة -
واما قال ثلاثة وخمسين او اثنين وخمسين رجلا كذا صواب الرواية
فيه باثبات الهاء التانيث في بضعة لان مميزه مذكر وبالنصب على الحال
من خبر ما واما موطئة للشرط وما بعدها معطوف عليها مشكول
فيه وتروى في بعض النسخ اما قال بضع باسقاط الهاء والرفع مع نصب
وخمسين وذلك لحن واضح والاولى الصواب وقول عمر الحبشية نسبة
للهجرة هذه نسبتها الى الحبشة لمقامها فيهم وللبحر لمجيئها فيه وهو استفهام
فصدر به المكابية والمناسطة فانه كان يعلم من هي جيئتها وقول
عمر سبقناكم بالهجرة فنحن احق برسول الله منكم صدر هذا القول من عمر
رضي الله عنه على جهة الفرح بنعمة الله تعالى والتحدث بها لما علم من عظيم
اجر السابق للهجرة ورفعة درجته على اللاحق لا على جهة الفخر
والترفع فان عمر مبرأ عن ذلك ولما سمعت اسماء ذلك غضبت غضب
منافسة في الاجر وغيرة على درجة السبق فقالت كذبت يا عمر اي
انكاري عليك لانها نسبته الى الكذب الذي يأثم قائله وكثيرا
ما يطلق الكذب بمعنى الخطأ كما قال عبادة بن الصامت كذب ابو محمد
لما زعم ان الوتر واجب وقولها كلا والله اي لا يكون ذلك وهي تنفي لما قال
وزجره عنه وهذا اصل كلا وقد تاتي للاستفتاح بمعنى الا والبعداء جمع بعيد

والبعضاء جمع بغيض كخطير وظرفاء وشريف وشرفاء وقوله صلى الله
عليه وسلم ليس احق بي منكم يعني في الهجرة لا مطلقا والا فمرتبة عمر وخصوصيته
محبته للنبي صلى الله عليه وسلم معروفة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم له
ولاصحابه هجرة واحدة ولكم اهل السفينة هجرتان وسبب ذلك ان عمر واصحابه
هاجروا من مكة الى المدينة هجرة واحدة في طريق واحد وهاجر جعفر
واصحابه الى ارض الحبشة وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
ثم انهم لما سمعوا بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة انبروا
هجرة اخرى اليه فذكر الامر بحسب تكرر العمل والمشقة في ذلك وقولها
يأتون ارسالا اي متتابعين جماعة بعد جماعة وواحد الارسال
رسل كاجمال جمع جمل يقال جاءت الخيل ارسالا اي قطعة قطعة
ففيه قبول اخبار الاحاد وان كان خبر امراة وفيما لم يطرق للعمل
والا فتقدا خبر الواحد المغير لغلبة الظن مع الممكن من الوصول الى اليقين
قال الصحابة رضي الله عنهم اكتفوا بخبرها ولم يراجعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شيء من ذلك وخبرها يفيد ظن صدقها لا العلم بصدقها فافهم هذا
وقولها ما من الدنيا شيء هم افرح به ولا اعظم في انفسهم مما قال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ما من الدنيا شيء يحصل به ثواب عند الله
تعالى هو في نفوسهم اعظم قدرا ولا اكثر اجرا مما تضمنه هذا القول لان اصل
العمل ان يضاف الى جنسها واعراض الدنيا بستر موجس ثواب الاخرة
تتعين ذلك التاويل والله اعلم وفي باب فضائل سلمان رضي
رضي الله عنهما اما سلمان فيكنى ابا عبد الله وكان ينتسب للاسلام فيقول
انا سلمان من الاسلام ويكثر من موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
اعانه لما خوطب عليه فكان سببا لعتقه وكان يعرف سلمان الخير وقد

تسبعه النبي صلى الله عليه وسلم الى بيته فقال سلمان منا اهل البيت واصله فارسي
من رام هرمز من قريه يقال لها جي وقيل بل من اصبهان وكان ابوه
مجوسيا من قوم مجوس فنبهه الله للحق ما كان عليه ابوه وقومه وجعل
في قلبه التشوق الى طلب الحق فهرب بنفسه وفر من ارضه الى ان وصل
الى الشام فلم يزل يجول في البلدان ويختبر الاديان ويستكشف الاخبار
والرهبان الى ان دل على راهب الموصل فوصل الى المقصود وذلك بعد
مكابدة عظيم المشقات والصبر على مكاره الحالات من الرق والاذلال
والاسر والاغلال كما هو مبسوط في اسلامه في كتاب السير وغيرها
وروى ابو عثمان النهدي عن سلمان انه قال تداولني في ذلك بضعة عشر ربا
من رب الى رب حتى افضى الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فاشتراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم للعتق من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما
وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك فغرس
رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كلها بيده فاطعمت النخل من عامها
واول مشاهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ولم يفته
بعد ذلك مشهد معه وقد قيل انه شهد بدرا واحدا والاول اعرف وكان
حبرا فاضلا حبرا عالما زاهدا متقشفا روى عن الحسن انه قال كان
عطاء سلمان خمسة الاف وكان اذا اخرج عطاءه تصدق به ويأكل من
عمل يده وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها وذكر ابن وهب
وابن نافع عن مالك قال كان سلمان يعمل الخوص بيده فيعيش منه ولا يقبل
من احد شيئا قال ولم يكن له بيت انما كان يستظل بالجدر والشجر وان رجلا
قال له الا ابني لك بيتا تسكن فيه فقال ما لي به حاجة فما زال به الرجل حتى قال
له اني اعرف البيت الذي يوافقك قال فصفه لي قال ابني لك بيتا اذا انت

ثم فيه اصاب راسك سقفه واذا انت مددت فيه رجلك اصابها
الجدار قال نعم تبتى له روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان الدين
عند الثريا لناله سلمان وفي رواية رجال من فارس وقالت عايشة رضي الله عنها
كان لسلمان مجلس بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفرد به بالليل حتى
كاد يقلبنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله امرني ان احب اربعة واخبرني انه يحبهم علي وابو ذر والمقداد
وسلمان وقال ابو هريرة سلمان صاحب الكتابين وقال علي رضي الله عنه
سلمان علم العلم الاول والاخر بحر لا ينزف وهو منا اهل البيت
وقال علي رضي الله عنه ايضا سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم وله اخبار
حسان وفضايل جمة توفي سلمان في اخر خلافة عثمان سنة خمس
وثلاثين وقيل مات سنة ست في اولها وقد قيل توفي في خلافة عمر
والاول اكثر قال الشعبي توفي بالمدائن وكان من المعمرين ادرك زمن
عيسى بن مريم وعاش مايتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمايتة وخمسين قال
ابو الفرج والاول اصح وجملة ما حفظ له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستون حديثا اخرج له منها في الصحيح سبعة واما صهيب فهو ابن
سنان بن مالك بن عبد عمرو من العرب من النمر بن قاسط كان ابوه عاملا
لكسرى على الابلة وكانت منازلهم بارض الموصل في قرية على شط
الفرات مما يلي الجزيرة والموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبت
صهيبا وهو غلام صغير فنشا صهيب بالروم فمهر الكن فباعته منهم
كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان واعتقه فاقام بمكة
حتى هلك ابن جدعان وبعث النبي صلى الله عليه وسلم واسلم هو وعمار بن ياسر
في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم

الى المدينة لحقه صهيب فقالت له قريش حين خرج من مكة اتيتنا
بنفسك وما لك فدركهم على ماله فنزكوه فلما راه النبي صلى الله عليه
وسلم قال له ربح البيع ابا يحيى فانزل الله عز وجل في امره ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية وروي عنه انه قال
صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحب صهيبا حب
الوالدة ولدها وقال صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم
وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبشة وانما شبه النبي صلى الله
عليه وسلم الروم لما ذكر انه تنتفي فيهم صفيرا وتلتف لسانهم وقد
تقدم ذكر نسبه وقال لعمر رضي الله عنه مالك يا هنف تكنى ابا يحيى
وليس لك ولد وتزعم انك من العرب وتطعم الطعام الكثير وذلك
سرف فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كناني بابي يحيى وابي
من المرء من فاسك من انفسهم وليكني بيت صغيرا اعقل اهلي وقومي
ولو اعلم شيئا ارثه لانتهبت اليها واما اطعام الطعام فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خياركم من اطعم الطعام ورد السلام
توفي صهيب بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين وقيل سنة تسع
وهو ابن ثلاث وستين سنة ودفن بالبقيع وقوله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر رضي الله عنه لئن كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك يدل على
رفعة منازلهما ولاء المرضيين عند الله تعالى ويستفاد منه اجتراح الصالحين
واتقاء ما يغضبهم او يؤذيهم ومن باب فضائل الانصار
قوله اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا يعني بذلك يوم احد وذلك انه
لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم للقاء المشركين رجع عنه عبد الله بن ابي

برجع كثير فسئلا عن الحرب ورجوعا واسلاما فالنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه للعدو وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالرجوع فحماهم الله
من ذلك بما بصرهم من فتح ذلك وعظيم اثمه فلحقوا بالنبي صلى الله عليه
وسلم وبالمسلمين الى ان شاهدوا الحرب وكان من امر الخندق ما قد
ذكر وقول جابر ما يحب الا نزل انما قال ذلك لما في احدهما
من تعرض الله تعالى لتبيين الطائفتين من لطفه بهما وعصمته اياهما
مما حمل عبد الله بن ابي من الاثم والعار والذم وذلك قوله تعالى والله
وليهما اي متولي حفظهما وناصرهما وقوله فقام ثم تمثلا يروى
بحذفها ويروى ايضا ممتلا وفيهما بعد لان مثل معناه صور مثاله
وتمثل هو في نفسه اي تصور وكلاما ليس له معنا ثم وانما الذي
يناسب هنا ان يكون ما تلا يقال مثل بين يديه قائما اي انتصب قائما
فيحتمل انه قام منتصب القامة معتدل المتبخترش عن لفظه وقد
رواه البخاري فقال مكان متمثلا ممتنا من الامتنان وهو وان كان
فيه بعد انسب مما رواه مسلم والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم
للانصار رضي الله عنكم وعن جميع امتي اي جماعتي التي انتم اليها وانا منتمي اليها
باسراري اليها والكرش لما يجتر كالمعدة للانسان والحوصلة للطير
والكرش مؤنثة وفيها لغتان كرش بفتح الكاف وكسر الراء وكرش
بكسر الكاف وسكون الراء مثل كبد وكبد وكرش الرجل عياله وصغار
ولده والكرش الجماعة وفي العينية بالجرثمة واصل العبية ما جعل فيه
الثياب كالرفيعة والجمع عبب كبدرة وبدر ورغفة ارغفة وعبيان
وقوله اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولابناء ابناء الانصار كذا في
الاتباع بالاستغفار الى البطن الثالثة يمكن ان يكون ذلك لانهم من القرون

التي قال لهما النبي صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم ويمكن ان يشمل هذا الاستغفار المؤمنين مرسل الانصار الى يوم
القيامة مبالغة في اكرام الانصار لاسيما اذا كانت نية الاولاد فعل
مثال ما سبق اليه الاجداد ويؤيد ذلك قوله في الرواية الاخرى للذراري
الانصار **ومن باب خير دور الانصار قوله**
صلى الله عليه وسلم خير دور الانصار دار بني النجار هو اصل الدار المنزل
الذي يقام فيه وجمع في القلة ادؤر بهمزة مضمومة وقد ابدلوا
من الضمة همزة استثقالا للضمة على الواو وجمع في الكثير على ديار
ودور والدار مؤنثة ثم قد يعبر بالدار عن ساكنيها كما جاء في هذا
الحديث فانه اراد بالديار القبائل وخير بمعنى اكثر اي اكثر خيرا او تفضيل
بعض هذه القبائل على بعض انما هو بحسب سبقتهم للاسلام وافاعيلهم
فيه وتفضيلهم خبر من الشارح عما لهم عند الله من المنازل والمراتب
فلا يتقدم من اخره ولا يؤخر من قدمه وقد اختلفت الروايات في بني النجار
وبني عبد الاشهل ففي رواية ابي اسيد تقديم بني النجار على بني عبد الاشهل
ومن بعدهم وفي رواية ابي هريرة تقديم بني عبد الاشهل على بني النجار ومن بعدهم
وهذا تعارض مستحيل غير ان الاولى رواية ابي اسيد لقرابة بني النجار
من رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم فانهم اخواله كما قررناه
ولاقتضاء نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وكونه عندهم
بعزه مربده لا يلجقهم اجر فيها وغضب سعد بن عبادة لما ذكرت
داره اخر الديار بادرة اصدرها عنه منافسته في الخير وحرصه على تحصيل
الثواب والاجر فلمائيته على ما ينبغي له سلم السبق لاهله وشكر الله
على ما اتاه من فضله وقد تقدم القول في اسلم ولحيان وذكوان

وعصيه فنازل بني رعل وهم الذين قتلوا اصحاب الرجيع عاصما واصحابه
وقد تقدم قريبهم **ومن باب قبائل مزينة وجهينة واشجع**
وبني عمر الله هاولا القبائل اسلم وغفار ومن كان نحوهم كانوا
في الجاهلية خاملين لم يكونوا من سادات العرب ولا من رؤسائها
كما كانت بنو تميم وبنو عامر وبنو اسد وغطفان الا ترى قول
الاقرع بن حابس للنبي صلى الله عليه وسلم انما يبايعك سراق الحجيج
من اسلم وغفار ومزينة وجهينة لكن هاولا القبائل سبقوا للاسلام
وحسن بلاؤهم فيه فشرفهم الله تعالى به وفضلهم على من ليس من
سادات العرب بالاسلام وعلى من تاخر اسلامه بالسبق كما شرف
بلالا وعمارا وصهيبا وسلمان على صناديد قريش وكل اي سنن
وصوبته وخيرهم من الموالفة قلوبهم كما نقدم فاعز الله بالاسلام
الاذلين واذل به الاعزين كحكمته الالهية وقسمته الازلية قل
اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير وعلى هذا فقوله
صلى الله عليه وسلم مزينة وجهينة وغفار واشجع ومن كان من بني عبد الله
سوالي دون الناس حبتر لهم من دسرهم وتسويه بهم من خولهم
وتعظيم لامر الاسلام واهله وتحقير لاهل الشرك ولمن دخل في الاسلام
ولم يخلص فيه كالاقرع بن حابس وغيره ممن كان على مثل حاله
وهذا التفضيل والتسويه انما ورد جوابا لمن احتقر هذه القبائل
بعد اسلامها وتمسك بقشر الجاهلية وطغيانها فجيء ورد
بتفضيل هذه القبائل مطلقا فانه محمول على انهم افضل من غيرهم
القبائل المذكورين في مجاورة الاقرع وهو اخر حرف

ذكرناه فانه ييسر لما تقدم ومقرر له وقوله مواليَ دون الناس
يعني انا الذي انصرهم واتولى امورهم فلذا فلا ينبغي لهم ان يلجوا
يفضي من امورهم الى احد غيري من الناس وهذا كما قال صلى الله عليه
وسلم في الحديث الآخر انا اولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا
فلورثته ومن ترك دينا او ضياعا فعليَّ وإليَّ وقوله والله ورسوله
مولاهم كذا الرواية بتوحيد مولاهم ولهذا نحو قوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه فوحد الضمير لانه عائد على الله ورفع
رسوله بالابتداء وخبره مضمر تقديره والله احق ان يرضوه ورسوله
كذلك وعلى هذا فتقدير الحديث والله مولاهم ورسوله كذلك
وقوله ارأيت ان كان اسلم ومن ذكر معها خيرا من بني تميم ومن ذكر معها
اخابوا وخسروا قال نعم هذا يدل على انه اراد كفار هذه القبائل
لا مسلميها لان الخيبة والخسران المطلق لا يكونان الا لاهل الكفر
ويدل عليه مدح المسلمين من بني تميم في الحديث الآتي بعدها والله اعلم
وقوله صلى الله عليه وسلم في بني تميم انهم اشدهم امتي على الدجال فصريح بان
بني تميم لا ينقطع نسلهم الى يوم القيامة وبانهم يتمسكون بذلك
الدين بالحق ويقاتلون عليه وفي الرواية الاخرى انهم اشد الناس
فتنا لا في الملاحم يعني الملاحم التي تكون بين يدي الدجال او مع الدجال والله اعلم

وص باب خيار الناس ه

قوله تجدون الناس معادن
اي كالمعادن وهو مثل وقع في مرثد آخر الناس معادن كمعادن
الذهب والفضة ووجه التمثيل ان المعادن مشتملة على جواهر
مختلفة فيها النفيس والخسيس وكل من المعادن تخرج ما في اصله
وكذلك الناس كل متقوم يظهر عليه ما في اصله فمن كان ذا شرف
وفضل

وفضل في الجاهلية فاسلم لم يرده الاسلام الا شرفا فان تفقه في
دين الله فقد وصل الى غاية الشرف اذ قد اجتمعت له اسباب
الشرف كلها فبصر وعليه قوله فخياركم في الجاهلية خياركم
في الاسلام اذا فقهوا والمعادن جمع معدن بكسر الدال
لانه موضع العدن اي الاقامة اللازمة ومنه جنات عدن
وسمي المعدن بذلك لان الناس يقيمون فيه صيفا وشتاء قاله
الجوهري وقوله وتجدون من خير الناس في هذا الامر اكرههم فيه
هكذا الرواية من خير الناس وهي لبيان جنس الخير به فانه
قال تجدون اكره الناس في هذا الامر من خيارهم ويصح ان يقال على
مذهب الكوفيين انها زايدة فانهم يجيزون زيادة من في
الموجب كما تقدم وتعني بالامر الولايات وانما يكون من يكرهها
من خير الناس اذا اشتد كراهته لها لعلمه بعظيم خطوبها
وصعوبة الامر فيها ولخوفه من مطالبة الله تعالى بالقيام بذلك
كله ولذلك قال فيها يتمت المرضعة وبئست الفاطمة وفي ذلك
ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم ما من امير عشرة الا يؤتى به
يوم القيامة مغلولا حتى يفكه العدل او يوبقه الجور وذكر
الوجهين ميسر في الحديث وانما كان ذو الوجهين شر الناس
لان حال المنافقين اذ هو متملق بالباطل وبالكذب متوصل
للفساد بين الناس والشرور والتقاطع والعداوة والبغضا
وقوله صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش
هذا تفضيل لنساء قريش على نساء العرب خاصة لانهم اصحاب الابل
غالبا وفي رواية اخرى خير نساء ركبن الابل نساء قريش

ولم يذكر صالحا وهو مراد حيث سكت عنه ويحمل مطلق احد الروايتين
على مقيد الاخرى وهو ما اتفق عليه من اقسام حمل المطلق على المقيد
كما حققناه في الاصول ويعني بالصلاح هنا صلاح الدين وصلاح الخالط
للروح وغيره كما دل عليه قوله اخناه على يتيم وولد وارعاه
على زوج والحنو الشفقة والرعي الحفظ والصيانة والله اعلم
اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ابي عبيدة بن الجراح وبين ابي طلحة
المواخاة مفاعلة من الاخوة ومعناها ان يتعاقد الرجلان على التناصر
والمواساة والتوارث حتى يصيرا كالاخوين نسبا وقد يسمى ذلك
حلفا كما قال انس حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش
والانصار في داره بالمدينة وكان ذلك امرا معروفا في الجاهلية
معمولا به عندهم ولم يكونوا يسمونه الا حلفا ولما جاء الاسلام عمل النبي
صلى الله عليه وسلم به وروث على ما جاءت اهل السير وذلك انهم
نالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا بين اصحابه مرتين بمكة
قبل الهجرة وبعد الهجرة قال ابو عمر والصحيح عند اهل السير
والعلم بالاثار والخبر في المواخاة التي عقدها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين المهاجرين والانصار حين قدموه الى المدينة بعد بنائه
المسجد على المواساة والحق فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات
حتى نزلت وازلوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فاخا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين علي بن ابي طالب ونفسه فقال له
انت اخي وصاحبي في دار الدنيا والاخرة وكان علي
رضي الله عنه يقول انا عبد الله واخو رسوله لم يقلها احد قبلي ولا يقولها
احد بعدي الا كذاب مفتر واخا بين ابي بكر الصديق وبين خارجة بن زيد

وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك وبين عثمان بن عفان واوس
بن ثابت اخي حسان بن ثابت وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع
وبين الزبير وسلامة بن اسلامة بن وقش وبين طلحة وكعب بن مالك
وبين ابي عبيدة وسعد بن معاذ وبين سعد ومحمد بن مسلمة وبين
سعيد بن زيد وابي بن كعب وبين مصعب بن عمير وابي ايوب وبين عمار
وحذيفة بن اليمان حليف بني عبد الاشهل وقيل بين عمار وثابت بن قيس
وبين ابي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر وبين ابي ذر والمنذر بن عمرو
وبين ابن مسعود وسهل بن حنيف وبين سلمان الفارسي وابي الدرداء
وبين بلال وابي رويحة الخثعمي وبين خالد بن ابي بكير وعويم بن ساعدة
وبين عبد الله بن جحش وعامر بن ربيعة وبين عبيدة بن الحارث
وعمير بن الحمام وبين الطفيل بن الحارث اخيه وسفيان بن بشر وبين
الحصين بن الحرث اخيهما وعبد الله بن جبير وبين عثمان بن مظعون والعباس
بن عبادة وبين عتبة بن غزوان ومعاذ بن ماعص وبين صفوان
بن بيضاء ورافع بن المعلى وبين المقداد بن عمرو وعبد الله بن رواحة
وبين ذي الشمالين وبين الحارث بن الصمة وحارثة وبين ابي سلمة
عبد الاسد وسعد بن خيثمة وبين عمير بن ابي وقاص وخبيب
ابن عدي وبين عبد الله بن مظعون وقطبة بن عامر وبين شماس بن عثمان
وحنظلة بن ابي عامر وبين الارقم بن ابي الارقم وطلحة بن زيد الانصاري
وبين زيد بن الخطاب ومعن بن عدي وبين عمرو بن سراقة وسعد بن زيد
من بني عبد الاشهل وبين خالد بن البكير ومبشر بن عبد المنذر وبين
عبد الله بن مخرمة وفروة بن عمرو البياضي وبين خنيس بن حذيفة
والمنذر بن محمد بن عقبة بن اخيحة بن الجلاح وبين ابي سبرة بن ابي رهم

وعبادة بن الصامت وبين مسطح بن اثاثة وزيد بن المزين وبين
ابي سريحة الغنوي وعبادة بن الصامت وبين عكاشة بن محصن
والمجذر بن ذياد حليف الانصار وبين عامر بن فهيرة والحارث
بن الصمة وبين مجمع مولى عمر وسراقة بن عمرو البخاري قال
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا بين المهاجرين قبل الهجرة
على الحق والمواساة فاخى بين ابي بكر وعمر وبين حمزة وزيد بن حارثة
وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عتبة
بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن ابي وقاص وبين ابي عبيدة
وسالم مولى ابي حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم
جميع المهاجرين والانصار **قال الشيخ** رحمه الله وقد جاء في كتاب مسلم
من حديث انس رضي الله عنه انه اخى بين ابي عبيدة بن الجراح وبين
ابي طلحة وقال ابو عمر اله اخى بين ابي عبيدة وبين سعد بن معاذ
والاول اثبت في كتاب مسلم **وقوله** لا حلف في الاسلام اي لا تحالف
اهل الاسلام كما كان اهل الجاهلية تحالفون وذلك ان المتحالفين
كانا يتناصران في كل شيء فيمنع الرجل حليفه وان كان ظالما ويقوم
دونه ويدفع عنه بكل ممكن فيمنع الحقوق ويتنصر به على الظلم
والبغي والفساد ولما جاء الشرع بالانتصاف من الظالم وانه يوخذ
منه ما عليه من الحق ولا يمنعه احد من ذلك وجد الحدود وبين
الاحكام ابطل ما كانت الجاهلية عليه من ذلك وبقي التعاقد
والتحالف على نصرة الحق والقيام به واوجب ذلك باصل الشريعة
ايجابا عاما على من تقرر عليه من المكلفين انه صلى الله عليه وسلم
خص الحبابة من ذلك بان عقد بينهم حلفا على ذلك مرتين كما تقدم

تاكيدا للقيام بالحق والمواساة وسمى ذلك اخوة مبالغة في التاكيد
والزام الحرمة ولذلك حكم فيه بالتوارث حتى نسخ الاسلام والهجرة
القلوب فنسخ الله ذلك بميراث ذوي الارحام **وقوله** وايما حلف
كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة يعني من نصرة الحق والقيام
به والمواساة وهذا نحو حلف الفضول الذي ذكره ابن اسحق
قال اجتمعت قبايل من قريش في دار عبد الله بن جدعان ليشرفوا
وتسببوا فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من
اهلها او غيرهم الا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته فسميت قريش ذلك
الحلف حلف الفضول اي حلف التفاضل والفضول هنا جمع فضل للكثرة
كفلس وفلوس وروى ابن اسحق عن ابن شهاب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب
ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت وقال ابن اسحق حامل
الوليد بن عتبة على حسين بن علي في مال له لسلطان الوليد وانه
كان امير المدينة فقال له حسين احلف بالله لتنصفني او لاخذن
سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون
بحلف الفضول قال عبد الله بن الزبير وانا احلف بالله لئن دعا بها
لاخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينتصف من حقه او نموت جميعا وبلغت
المسور بن مخرمة فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله
التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد انصفه

ومن باب قوله صلى الله عليه وسلم **انا امنة واصحابي امنة** وكر القرون
الامنة الامن ومنه قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس امنة منه
اي امنا ويعني بذلك ان الله رفع عن اصحابه الفتن والمحن والعذاب عامة

اشارة الى ذكر حلف الفضول

على

قوله فيهم كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فلما توفي النبي
صلى الله عليه وسلم جاءت الفتن وعظمت المحن وظهر الكفر والنفاق وفشا
الخلاف والشقاق فلو لا تدارك الله تعالى هذا الدين بثباتي شيخ
لصار اثرا بعد عين وهذا الذي وقع وابه قوله والنجوم امنة
للسما اي ما دامت النجوم فيها لم تغير بالانشقاق ولا بالانفطار
فاذا انتثرت نجومها وكورت شمسها جاء ذلك وهو الذي وعدت
به قوله واصحابي امنة لامتي يعني ان اصحابه ما داموا موجودين
كان الدين قائما والحق ظاهرا والنصر على الاعداء حاصلا ولما ذهب اصحابه
خلبت الاهواء واديلت الاعداء ولابرال امر الدين منتاقصا وحده
ناقصا الى ان لا يبقى على ظهر الارض احد يقول الله الله وهو الذي وعدت
به امته والله اعلم قوله خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم القرن بسكون الراء من الناس اهل زمان واحد قال الشاعر

اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب

وقيل مقداره ثمانون سنة وقيل مئة وبعني ان خير القرون الثلاثة
افضل مما بعدها الى يوم القيامة وهذه القرون في انفسها متفاضلة
فافضلها الاول ثم الذي بعده ثم الذي بعده وهذا ظاهر الحديث
واما افضلية الصحابة وهم القرن الاول على من بعدهم فلا خفاء وقد
بينا ابطال قول من زعم انه يكون فيمن بعدهم افضل منهم او مساو لهم
في كتاب الطهارة واما افضلية من بعدهم بعضهم على بعض فبحسب
قربهم من القرن الاول وبحسب ما ظهر على ايديهم من اعلاء كلمة الدين
ونشر العلم وفتح الامصار واخماد كلمة الكفر ولا خفاء ان الذي كان من ذلك
في قرن التابعين كان اكثر واغلب مما كان في اتباعهم وكذلك الامر

في الدين بعدهم ثم بعد هذا تخلفت الشرور وارتكبت الامور وتزلزل
على ذلك قوله في حديث ابي سعيد تغزو فئام من الناس فيقال لهل
فيكم من صحب رسول الله فيقال نعم فيفتح لهم الحديث ثم الغنام
يغزو الجماعة من الناس فيقال لهل فيكم من رأى من صحب رسول الله
تترك فمه وقول عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا
هذا الذي شك فيه عمران قد حققه عبد الله بن مسعود بعد قرنه
ثلاثا وكذلك في حديث ابي سعيد في البعوث فانه ذكر انهم اربعة
قوله ثم يشهد شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته يعني بذلك انه
قل ورع الناس بعد القرن الرابع فيقدمون على الايمان والشهادات
من غير توقف ولا تحقيق وقال في حديث عمران فيشهدون ولا يستشهدون
اي يسبقون بادآء الشهادة قبل ان يسألوها وذلك لتهمهم ومن كان
كذلك ردت شهادته وقد بينا فيما تقدم مواضع يتعين فيها على الشاهد
الاداء وان لم يسأل وذلك بحسب ما يدعو اليه الضرورة الشرعية
وعليه تحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء الذي يأتي بشهادته
قبل ان يسألها ويحتمل ان يراد بقوله ولا يستشهدون انهم يتهمون
بالزور فيحزن معناه يتهمون ان يشهدوا به ولا شاهدوه والاول
اولى لانه اصل الكلمة قوله ويظهر فيهم السمن اي يغلب عليهم التنعم
والشهوات ويكثرون الاكل فيظهر عليهم السمن وقريبا خلوف ليشهدوا
فانه محبوب لهم ومن كان هذا حاله خرج عن الاكل الشرعي ودخل
في الاكل الشيطاني الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي
وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه قول ابرهيم النخعي

(كان الى اكرام السمن وتقدم)

كانوا ينبهونا ونحن غلمان على العهد والشهادة يعني من ادرك وقد ادرك
التابعين فكانوا يخبرون الصبيان على اعتياد الزام الفسيح العهود
والمواثيق لما يلزم المتلزم من الوفاء بحرج او ياثم بالترك وحزلك
عن تحمل الشهادة لما يلزم عليه من مشقة الاداء وصعوبة التخلص
من افاقيها في الدنيا والاخرة وكل ذلك من السلف رضي الله عنهم تعليم
للصغار وتدريب لهم على ما يحتمل ونه رجال كبيرهم وقوله ويخونون
ولا يؤتمنون يعني انهم تشتهر خيانتهم فلا يأتمنهم احد وهذا
نحو مما تقدم في حديث حذيفة في الامانة وقوله تغرر قوام من الناس
الحديث الى اخره دليل واضح على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
اذ مضمونه خبر عن غيب وقع على نحو ما اخبر وقوله في حديث ابن عمر
رضي الله عنهما ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة منها لا يبقى
ممن هو على ظهر الارض احد هذا الحديث رواه مسلم من طريقين ذكر
الاول منهما متصلا ثم اردفه عليه سندا اخر فيه انقطاع ولا عقبه
عليه في ذلك اذ قد وفى بشرط كتابه في الطريق الاول ثم زاد
بعد ذلك السند المنقطع وقد استشكل بعض من لا يثبت عنده
حديث ابن عمر اذ لم يفهم معناه فرده بان قال حديثه منقطع وليس هذا
بصحيح على ما قررناه ثم لو سلم ان حديث ابن عمر ليس بصحيح فحديث جابر
وابي سعيد في الباب صحيحان فما قوله عليه وقد رمى الصحابي اعني ابن عمر
ذلك الاستحالة بقوله اراد ان يخرم ذلك القرن بل قد جاء من حديث
جابر بلفظ لا يشكل فيه فقال ما من نفس منفوسة اليوم ياتي
عليها مائة سنة وهي حية يومئذ وهذا صريح في كفيوم قاله
ابن عمر وكذلك قول ابو الرجل صاحب السفينة حيث تعمر بنقص العمر

وحاصل ما تضمنه هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم
اخبر قبل موته بشهر ان كل من كان من بني ادم موجودا في ذلك الوقت
لا يزيد عمره على مائة سنة وانما قلنا انه اراد بني ادم لانه قال من نفس
منفوسة ولا يتناول هذا الملائكة ولا الجن اذ لم يقع تعلق انهم
كذلك ولا الحيوان غير العاقل اذ قد قال فيه ممن هو على ظهر الارض
احد وهذا انما يقال باصل وضعه على من يعقل فتعين ان المراد بنو ادم
وقد استدل بعض الحفاظ المتاخرين على بطلان قول من يقول الخضر
حي بعموم ما من نفس منفوسة فانه من النص صيغ العموم على الاستغراق
وهذا الاحتجاج فيه بقي بيه لان العموم وان كان موكدا الاستغراق فليس
نصا فيه بل هو قابل للتخصيص لا سيما والخضر وان كان حيا كما يقال
فليس مشاهدا للناس ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة
بعضهم بعضا فمثل هذا العموم لا يتناوله كما لم يتناول عيسى صلى الله
عليه وسلم فلانه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن ومعناه وكما
لم يتناول الدجال مع انه حي برسل حديث الجساسة على ما بيانه فان
قيل انما لم يتناول هذا العموم عيسى لان الله رفعه اليه فليس هو على
ظهر الارض لان المراد بذلك العموم من كان من النفوس على ظهر الارض
كما نص عليه في حديث ابن عمر والجواب يمنع عموم الارض المذكورة فيه
لانه اسم مفرد دخل عليه الالف واللام وهي محتملة للعهد والجنس
وهي هنا للعهد لان الارض التي تحاطبون بها تخبرون عن الكون فيها
هي ارض العرب وما حرت عادتهم بالتصرف اليها وفيها غالبا دون
ارض ياجوج وماجوج واقاصي خراسان والهند والسند مما لا يفرح
السمع اسمه ولا يعلم بحاله ولا جواب عن حديث الدجال وعلى الجملة

فمن يستدل في المباحث التطبيقية بمثل هذا العموم فليس له إخلاله
حاصل لا منفهوم وسياتي القول على قوله صلى الله عليه وسلم إن عمر
هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة في آخر كتاب الفتن وقوله
ابن عمر رضي الله عنهما هو قول الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه
وسلم . الرواية الصحيحة وقل بضم الهاء قال ابن السيد يقال
وقل إلى الشيء يقل وقل وقلا وقلا وقلانا مال
أبو زيد وقل في الشيء وعن الشيء يقل وقلا إذا عدل عنه
وسما وتقلته إليه بالفتح وقلا إذا ذهب وذهبت به وأنت تريد
غيره قال الشيخ رحمه الله وعلى ما حكاه أبو زيد يجوز الصواب
في وقل الذي هو الحرب بكسر الهاء لأنه هو الذي يتعدى بإلى ويشهد
له المعنى وأما وقل بالفتح فيتعدى بإلى وبالمعنى يتقاربان ويمكن
أن يقال إن وقل في الشيء فيه لقارن الفتح والكسر والله أعلم

وفي باب وجوب احترام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

من المعلوم الذي لا يشك فيه أن الله تعالى اختار أصحاب نبيه لنبوته
صلى الله عليه وسلم ولإقامة دينه فجمع ما تحتاج فيه من العلوم والأعمال
والفضايل والأحوال والمملكات والأموال والعز والسلطان
والدين والإيمان وغير ذلك من النعم التي لا تحصيها لسان ولا يتسع لتعديدها
زمان إنما كان بسببهم ولما كان ذلك وجب علينا الاعتراف بحقوقهم
والشكر لهم على عظم أياديهم قيامًا بما أوجبه الله تعالى من شكر
النعم واجتنابًا لما حرمه من كفران حقه هذا مع ما تحققناه من ثناء الله
تعالى عليهم عمومًا وتشريفه لهم ورضاه عنهم كقوله لقد رضي الله عن المؤمنين
إذ يبايعونك تحت الشجرة إلى قوله محمد رسول الله والذين معه وقوله والسابقون

الأولون من المهاجرين والأنصار وقوله للفقراء المهاجرين الذين
وكقوله صلى الله عليه وسلم إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين
والمرسلين إلى غير ذلك من الأحاديث المتضمنة الثناء عليهم رضي الله عنهم
أجمعين وعلى هذا فمن تعرض لسبهم وتجريح عظيمهم فقد أسقط من الإيمان
وقابل النعمة بالكفران ويجيء في هذا الباب ما رواه الترمذي من حديث
عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك أن يأخذه قال هذا حديث غريب وهذا الحديث وإن كان غريب السند فهو
صحيح المتن لأنه معضود بما قدمناه من الكتاب وصحيح السنة وبالمعلوم
من دين الأمة إذ لا خلاف في وجوب احترامهم وتحريم سبهم ولا اختلف
في أن من قال إنهم كانوا على كفر وضلال كما مر يقتل لأنه أنكر معلومًا
ضروريًا من الشرع فقد كذب الله ورسوله فيما أخبرا به عنهم وكذلك
الحكم فيمن كفر أحدًا الخلفاء الأربعة أو ضللهم وهل حكمه حكم المرتد
فيستتاب أو حكم الزنديق فلا يستتاب ويقتل على كل حال هذا مما
يختلف فيه فأما من سبهم بغير ذلك فإن كان سبًا يوجب حدًا كالقذف
حد حده ثم يكمل التنكيل الشديد من الحبس والتخليد فيه والإهانة
ما خلا عائشة رضي الله عنها فإن قاذفها يقتل لأنه مكذب لما جاء في الكتاب
والسنة من براءتها قاله مالك وغيره واختلف في غيرها من أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم فقيل يقتل قاذفها لأن ذلك أذى للنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل يحد ويكمل التنكيل الشديد قال أبو حنيفة وتخلد سجنه إلى أن يموت
وقد روي عن مالك من سب عائشة قتل مطلقًا ويمكن حمله على السب بالقذف

هذا ذكر على قول من يقول إن الخلفاء الأربعة

والله اعلم **وقوله** صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي الى آخره رواه ابو هريرة مجردا عن سببه ورواه ابو سعيد الخدري وذكر ان سببه ذلك القول هو انه كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء اي منازعة فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك القول فاظهر ذلك السبب ان مقصود هذا الخبر زجر خالد ومن كان على مثل حاله ممن سبق بالاسلام وانظاره خصوصية السابق بالنبي صلى الله عليه وسلم وان السابق لا يلحقه احد وان درجتهم وان كان احدهم نفقة جبل منهم وهذا نحو قوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل وبذل على ما هو المقصود ان خالدا رضي الله عنه وان كان من الصحابة لكنه متاخر الاسلام قيل اسلم سنة خمس وقيل سنة ثمان لكنه صلى الله عليه وسلم لما عدل عن عين خالد وعبر الرحمن الى التعميم دل ذلك على انه فصد مع دلك تقعيد قاعدة تغليظ تحريم سب الصحابة مطلقا يحرم ذلك من صحابتي وغيره لانه اذا حرم على صحابي فحرمته على غيره اولى وايضا فان خطابه صلى الله عليه وسلم للواحد خطاب للجميع وخطابه للحاضرين خطاب للغائبين الى يوم القيامة والتصحيف لغة في النصف وذلك التمين لغة في الثمن وفي هذا الحديث دلالة واضحة على ان الصحابة رضي الله عنهم لا يلحقهم احد من بعدهم في فضلهم كما تقدم رضي الله عنهم وعن تابعيهم باحسان

وعن ثابت قال ذكر لي اويس القرني رضي الله عنه

صلى الله عليه وسلم خير التابعين اويس بن عامر او عمرو اويس القرني لانه ثبت فيه قول افضل التابعين حتى افضل التابعين ابن المسيب او غيره الذي هو منسوب الى قرن قبيلة معروفة كان رضي الله عنه من اولياء الله افضلهم على الاطلاق الا الانبياء والصديقين الذين لا يوازنهم لهم ولولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله افضلهم اويس كما قال في الهندي لانه راهم في التهذيب ظاهر الشرع فعلم النووي رحمه الله تعالى افضلهم في علوم الشرع فعلم اويس فاما اويس فقال اعلم عنه انك سبق عن مالك رضي الله عنه انه قال واحفظ في اويس قوله صلى الله عليه وسلم انه يشفع

اخبر عنه ووصفه بوصفه وتعينه وعلامته لما عرفه احد وكان موجودا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدقه ولم يلقه ولا كاتبه ولم يعد في الصحابة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه من التابعين حيث قال انه خير التابعين وقد اختلف في زمن موته فروى عن عبد الله بن مسلم قال غزونا اذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا اويس القرني فلما رجعنا مر على فجعلناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وثمة مسجور وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا وعلمنا قبره فاذا الا قبر ولا اثره وروى عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال نادى رجل من اهل الشام بمرج عذيب اويس القرني فقلنا نعم قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اويس القرني خير التابعين باحسان وعطف دابته فدخل مع اصحابه قال عبد الرحمن فوجدوني قتلى الصحابة على رضي الله عنهما وله اخبار كثيرة وكرامات ظاهرة ذكرها ابو نعيم وابو الفرج الجوزي في تنبيههما واويس تصغير اوس وهو الذيب وبه سمي الرجل وقيل انه سمي باويس الذي هو مصدر اسست الرجل اوسا اذا اعطيته قال الاوس العطية **وقوله** صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان يستغفر لك فافعل لا يفهم منه انه افضل من عمر ولا ان عمر غير مغفور له للاجماع على ان عمر افضل منه ولانه تابعي والصحابي افضل من التابعي على ما بيناه غير مرة وانما مضمون ذلك الاخبار بان اويسا ممن يستجاب دعاؤه وارشاد عمر الى الازدياد من الخير واغتنام دعوة من ترجى اجابته وهو نحو مما امرنا النبي صلى الله عليه وسلم به من الدعاء له والصلاة عليه وسؤال الوسيلة له وان كان النبي صلى الله عليه وسلم افضل ولا ادم

ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل خرج ليعتمر شرّ ما
دعا يا اخي وقوله في امداد اهل اليمن اي في حملاتهم جمع
مدد وذلك انهم يمدهم القوم الذين يقاتلون عليهم وقوله احوت
عهدا اي اقرب وعهدا منصوب على التمييز كقوله ثم احسن انانا
وريا وقوله اكون في غبر الناس الرواية الجيدة بفتح الغين
المعجمة وسكون الموحدة وبمرة ممدودة ويعني به فقراءهم الناس
وضعفاءهم والغبر الارض يقال للفقراء انهم غبر كان الفقر
والحاجة التصقهم بها كما قال تعالى او مسكينا ذا متربة اي ذا حاجة
الصقته بالتراب ومن هذا سموا الفقراء اغبر متربة وقد روي ذلك
اللفظ في غبر الناس بضم الغين وتشديد الباء جمع غابر نحو شاهد
وشهد ويعني به بقايا الناس ومتاخريهم وهم ضعفاء الناس لان
وجوه الناس ورؤساءهم يتقدمون للامور وينتهضون بها
ويتبقى وجوه فيها ويبقى الضعفاء لا يلتفت اليهم ولا يؤبه بهم
فمن اراد او نس رضي الله عنه ان يكون خاملا بحيث لا يلتفت اليه
طالبا السلامة وظافرا بالغنيمة وحدث اويس هذا دليل من ادلة
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عنه باسمه ونسبه وصفته
وعلامته وبانه يجتمع بعمر وذلك كله من باب الاخبار بالغيب الواقع
على نحو ما اخبر به من غير ريب ومن باب ما ذكر ومصر وما فيها
واهل عمان وقوله انكم ستفتحون مصر وهي ارض تسمى فيها القيراط
هذا اخبار بامر غيب وقع على نحو ما اخبر فكان دليلا من ادلة نبوته
صلى الله عليه وسلم ومعنى تسمى فيها القيراط يعني انه يدور على الستة
كثيرا وكذلك هو اذ لا يبقى منها ملا من اهل مصر عند كره

غالبا الا ان اجزاء الدينار الاربعة والعشرين يسمونها قراريط وفي
الدراهم يسمونها قراريط بخلاف غيرهم من اهل الاقاليم فانهم
يسمون ذلك باسماء اخر فاهل العراق يسمون ذلك طسوجا وجزءه
واهل الشام قرجيس ونحو ذلك وقوله فاذا فتحتموها فاحسنوا
الى اهلها فان لهم ذمة ورحما او قال صهرا الذمة الحرمة والزمام
الاحترام وقد يكون ذلك لصهر سابق كصهر الامة وقد يكون
ذلك ابتداء اكراما وهذا هو المراد بالذمة هنا والله اعلم اذ لم
يكن لاهل مصر بنو الى صلى الله عليه وسلم عهد سابق وانما اراد
ان لهم حقا لرحمهم او صهرهم ويحتمل ان يكون معناه انهم يكون لهم
عهد بما يعقد لهم من ذلك قبل الفتح وهذا التاويل على بعده يعضده
ما رواه ابن هشام من حديث عمر مولى غفرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الله الله في اهل المدرة السوداء اللحم الجعاد فان لهم نسبا
وصهرا قال عمر فنسبهم ان ام اسمعيل منهم وصهرهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسرى منهم قال ابن لهيعة ام اسمعيل هاجر
من ام العرب قرية كانت امام الفرما وام ابرهيم مارية سرية
النبي صلى الله عليه وسلم التي اهداها له المقوقس من حفن من كورة
انصنا والمدرة واحدة المدر والعرب تسمي القرية المدرة واهل
المدر اهل القرى واللحم السود جمع الحم وهو الشديد الادمة وموقه
الصحة بالصاد والجعاد المتكسر والشعور وهمزه اوصاف اهل
صعيد مصر غالبا وقد تقدم ذكرها جيزا والفرما قرية بين عمل
مصر سميت باسم بانيها وهو الفرما بن قيلقوس وقيل ابن قليس
ومعناه محب الفرس وهو اخو الاسكندر بن فليبس ابو ثمانية عشر

وذكر ان الاسكندر حين بنى الاسكندرية قال انى مدينة فقيرة
الى السعيدة عن الناس وقال الفرمى ابنى مدينة خبيثة عن الله
فقيرة الى الناس فسلط الله عليها الخراب سريعا فذهب رسمها
وسميت مصر بمصر بن النهيط ولد كوش بن كنعان وقال ابو العباس
استقاق مصر من المصر وهو القطع كانها قطعت من الخراب
حاشيه
وذكر في تاريخ حمد
حاه على الاول اسماعيل ومنه المصر الحاجز ومصور الدار حدودها وحفش قرية ماربية
ان اول من بنى مصر سرية التى على اسم مسلم بالصعيد معروفة وهى التى ملك الحسن
من الوناس بمصر بن على معاوية ان يضع الخراج عن اهلها لوصية رسول الله صلى الله
قوله وله سماه عليه وسلم بهم ففعل معروفة ذلك ذكره ابو عبيد فى الاموال وايضا
مصرا باسم المدينه مدينة الحجرة وحفش من عملها والمقوقس هو ملك مصر بعث له
وقال انا ملحها الفرما دار الملك رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابى بلتعة وخبرا مولى ابى رهم
باسدهم حتى يكونها بكتاب يدعوه الى الاسلام واهدا له جارية ويقال واختها سيرين
الحاله فراعنه وبغلة تسمى الدلدل والدلدل القنفر العظيم والمقوقس الطويل
من صعد موسى لبينا يقال فى المثل انا بالقوس وانت بالقوقس فى تجتمع وقوله
وفيه ان هامان وزير فرعون بنا فلو ان رجلين يختصمان فيها فى موضع لبنة فاخرج منها لعنى
الخليج وارسل الى كل بولك كثرة اهلها ومساحتهم فى ارضها واشتغالهم بالزراعة
قريه ماء واخذ منه والغرس عن الجهاد وانهار الزرع ولذلك امر بالخروج منها الى مواضع
جعل وجمع نحو مايه الجهاد ويحتمل ان يكون ذلك لان الناس اذا ازدحموا على الارض وثنا قصروا
القدنيا ولكل جاء فى ذلك كثرت خصومتهم وشرورهم وفشا فيهم الخل والشر
الذهب قال له زعيمه فيتعين الفرار من محل يكون كذلك الى غير محل آخر خاليا عن ذلك
اذا كان لك زعيمه فهيهات كان هذا فى الصدر الاول واما اليوم فوجود ذلك فى غاية
من علم ناهد منهم الفقد الى كل واد سوسعد والنسمة الطويلة ومجمع لبن وعمه
خولا قرد على كل قرية منا انفر

منهم

نفيس من الفقه الامر بالرفق باهل ارياف مصر وصعيدها والاحسان
اليهم وخصوصا اهل تينك الغريتين لما ذكر من تلك الخصوصيتين
وقوله صلى الله عليه وسلم لو اهل عمان اتيت ما سبوك ولا مربود يروى
عمان بضم العين وتخفيف الميم وهو موضع بالشام ويعنى ان اهل عمان
قوم فيهم حلم وعفاف وتثبت والاشبه انهم اهل عمان التى تلى اليمن
لانهم ابين قلوبا وارق افئدة واما اهل عمان الشام فسلامة كل منهم
وسلام واصل بدرس الاسمين من عمر بالمكان اقام به ويقال عمن
الرجل اذا صار الى عمان ومنها ـــــ ى تصغف محزاب وزبير
قول ابى مؤنل رايت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة يعنى انه
راه مصلوبا على خشبة على عقبة المدينة صلبه الحجاج بعد ان قتل
فى المعركة منكسا وكان من دينه ما قد تقدم بعضه وذكر انه
لما مات معوية بن يزيد بن معوية بن ابى سفيان ولم يقل اخرا بقى
الناس لا خليفة لهم ولا امام مرة قد تقدم ذكرها فعند ذلك
بايع الناس لعبد الله بن الزبير بمكة واجتمع على طاعته اهل الحجاز
واهل اليمن والعراق وخراسان وحج بالناس تلك السنة ثم بايع
اهل الشام لمروان بن الحكم واجتمع عليه اهل الشام ومصر والمغرب
وكان ابن الزبير اولى بالامر من مروان وابنه على ما قاله وهو
الحق لعلم ابن الزبير وفضله وبيته جرت بينهم حروب وخطوب
عظيمة الى ان توفى مروان وولى عبد الملك واستفحل امره بالحجاج
فوجه الحجاج الى مكة فى جيش عظيم فحاصر فيها عبد الله بن الزبير
مرة سنة اشهر وسبعة عشر يوما ثم دخل عليه فقتل يوم الثلاثا
لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاول وقيل جمادى الاخرة سنة

مالك

ثلاث وسبعين وهو ابن ثمان وسبعين سنة قال المرائي بويع له بالخلافة سنة خمس وستين وكان قبل ذلك لا يدعى بامير الخلافة وقال غيره بويع له بالخلافة سنة اربع وستين ثم بقي محلوبا على خشبة الى ان رجل عروة بن الزبير الى عبد الملك بن مروان فرغب اليه في ان ينزله من الخشبة فاشفعه فانزل قالت ابن له يقال له عبد الله من بنت اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وكنيته ابو بكر وقوله من الخشبة فرعته بمرض وشيب بمان وامرتني بغسله وكنا لا نتناول عضو الا اجتمعنا فكنا نغسل العضو ونضعه في اكفانه حتى فرغنا منه وكانت امه اسما تقول قبل ذلك اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته فما اتت عليها جمعة حتى ماتت ودفنه عليه مربه ابن عمر فقال السلام عليك ابا خبيب كناه بابن له يسمى خبيبا وكنيته الشهرة ابو بكر وقوله ابن عمر اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اي عن التعرض لهذا وكانه كان اشار عليه بالطلح ونهاه عن قتالهم لما راى من كثرة عددهم وشدة شوكتهم ثم انه شهد بما علم من حاله فقال اما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم كان يصوم الدهر ويواصل الايام ويحيي الليل وربما قرا القرآن كله في ركعة الوتر بان التي مع شفعة من التفعلة واسمها مجزوف تقديره انك كنت وما مع الفعل تاويل المصدر وقوله اما والله لامة انت شرها لامة خير يعني بذلك انهم انما قتلوه وصلبوه لانه شر الامة في زعمهم مع ما كان عليه من الفضل والدين والخير فاذا لم يكن في تلك الامة شر منه فالامة كلها

امة خبر وهذا الكلام يتضمن الانكار عليهم فيما فعلوه به وقوله فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله فارسل اليه فانزل من جذعه ظاهر هذا انه انما انزله عن الخشبة لقول عبد الله وموقفه وقد نقلنا ان انزاله كان من سؤال عروة لعبد الملك وذلك يجوز ان يكون اجتمع اذن عبد الملك وموقف عبد الله فكان انزاله عنهما وتجلد يجري وقوله ظفائر شعرها والسبتيتان نعلان مدبوغان بالسبت وهو قشر يدبغ به والبهاتان الثوب الذي تتسطق به المراة اي تتزر وتشد في وسطها مختمرا والمبير المهلل وكذلك كان الحجاج فانه روي انه احصى من قتله الحجاج صبرا فوجدوهم ستة وثلاثين الفا واما من قتل في الحروب فلم يحصوا واما الكذاب فهو المختار بن ابي عبيد الثقفي فانه ادعى النبوة واتبعه على ذلك خلق كثير حتى قتله الله كما تقدم وقوله فقام عنها فلم يراجعها تزحى انه قال اللهم سبسبا كزاب واراحك اثنك وكسر همزة اراحك لغة فصيحة وافصح الامل ومن باب ما ذكر في ثالث وقوله تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم هو مخفوض معطوف على الاميين ويجوز ان يكون منصوبا معطوفا على الضمير في يعلمهم ولما يلحقوا بهم اي لم يدخلوا في الاسلام ولم يوجدوا وسيوجدون واحسن ما قيل فيهم انهم ابناء فارس بدليل نصر هذا الحديث وقد ذكر اقوال المفسرين في ذلك وقد ظهر ذلك للعيان فانهم ظهر فيهم الدين وكثر فيهم العلماء فكان وجودهم كذلك دليلا من ادلة صدق النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تحرس الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة

قال الازهري الناقة النجيبة والجمل النجيب والهاء فيها للمبالغة
كرجل ذاعمه ونسابة وسميت بذلك لانها ترحل فهي فاعلة
بمعنى مفعولة كعيشة راضية اي مرضية قال ومعنى الحديث
عندي ان الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة قليل قال
الشيخ رحمه الله ويقع لي ان الذي يناسب التمثيل بالراحلة انما هو
الرجل الكريم الجوالة الذي يتحمل كل الناس واثقالهم بما يتكلفه
من القيام بحقوقهم والغرامات عنهم وكشف كربهم فهذا هو
القليل الوجود بل قد عزز عليه اسم المفقود وهذا اوسط القولين
والله اعلم تم كتاب المناقب والحمد لله على اكماله

كتاب البر والصلة ٥ ومن باب بر الوالدين

قوله من احق الناس بحسن صحابتي احق اولى واولد والصحابة الصحبة
يقال صحبه يصحبه صحبة وصحابة وقوله امك ثلاث مرات وفي الرابعة
ابوك يدل على صحة قول من قال للام ثلاثة ارباع البر وللاب
ربعه ومعنى ذلك ان حقها وان كان واجبا فانه لا يستحق الحظ الاوفر
من ذلك وفايدة ذلك المبالغة في القيام بحق الام وان حقها مقدم
على بر الاب ومن تعين عليك القيام بصله رحمه وتبدأ منهم
بالاقرب اليك نسبا فالاقرب وهذا كله عند تزاحم الحقوق واما
عند التمكن من القيام بحقوق الجميع فيتعين القيام بجميع ذلك وقوله
اما وابيك لتنبأنه قد تقدم الكلام في الايمان على القسم بالاب
وقوله افلح وابيه ان صدق ولتنبأن لتخبرن بذلك الهاء
للسكت ويحتمل ان يكون ضمير المصدر الذي دل عليه تنبأن وقوله

جاء

جاء رجل يستاذنه في الجهاد فقال اكل ابواك قال نعم فيه فابدل على الفرض
اذا خاف على السايل بالتعلل او كرم الغير تعين عليه الاشتغال
وعلل ان الفروض والمندوبات متى اجتمعت قدم الاهم منها وان
القايم على الابوين يحوز له اجر مجاهد وزيادة وقوله ففيهما
فجاهد اي جاهد نفسك وبرهما وطاعتهما فهو الاولى لان الجهاد
فرض كفاية وبر الوالدين فرض عين فلو تعين الجهاد وكان الوالدان
في كفاية ولم يمتنعا او احدهما من ذلك بدا بالجهاد فلو لم يكونا
في كفاية تعين عليه القيام بهما فتركه ابه فلو كانا في كفاية ومنعاه
لم يلتفت لمنعهما لانهما عاصيان بذلك المنع وانما الطاعة في المعروف
كما لو منعاه من صلاة الفرض فاما الحج فله ان يوخره السنة والسنتين
ابتغاء رضاهما قاله مالك هذا وان قلنا انه واجب على الفور
مراعاة لقول من يقول انه على التراخي وتقدم القول في ذلك
في الحج وقوله اعرابي اي بادي على الهجرة اي على ان الهجرة افضل
واهاجر البدو فاقيم معك في المدينة وهذا كان في زمن وجوب الهجرة
وقوله فارجع الى والديك فاحسن صحبتهما قد قدم مرارا في الخلاف
في وجوب الهجرة هل كان على اهل مكة خاصة او كان على كل من اسلم
وعلى القولين فقد اسقط عنه الهجرة لان حق الوالدين اولى لانه ان كانت
الهجرة عليه واجبة فقد عارضها ما هو اوجب منها وهو حق الوالدين
فقدم وان لم تكن واجبة عليه فالواجب اولى على كل حال لكنه هذا انما
يفتي من يسلم له في موضعه دينه فاما لو خاف الفتنة على دينه لوجب
عليه الفرار بدينه وترك ابويه واولاده كما فعل المهاجرون الذين هم
صفوة الله من عباده وبر الوالدين واجب على الجملة بالكتاب والسنة

واجماع الامة وكذلك صلة الارحام واما تفصيل ما يكون برا وصلة
وما لا يكون فذلك يستدعي تفصيلا وتطويلا ليس هذا موضعه ٥

ومن باب ما يتقى من عجمة الام ٥ قوله لم يتكلم
في المهد الا ثلاثة ٥ المهد اصله مصدر مهدت الشئ امهده اذا
سويته وخصلته تمهد الصبي كل محل يسوى له ويوطا وقد يكون
سريره وقد يكون حجر امه كما قال قتادة في قوله تعالى كيف نكلم
من كان في المهد صبيا قال اي في حجر امه وظاهر هذا الحصر يقتضي ان لا يوجد
صغير تكلم في المهد الا هاولا الثلاثة وهم عيسى وصبي جريج والصبي
المتعوذ من الجبار وقد جاء من حديث صهيب المذكور في تفسير سورة
البروج في قصة الاخدود ان امراة جيئ بها لتلقى في النار على انها نفسها
ومعها صبي لها في حجرها فتقاعست ان تقع فيها فقال
لها الغلام يا امه اصبري فانك على الحق قال ابن عباس رضي الله عنهما
ان شاهد يوسف كان صبيا في المهد وقال الضحاك تكلم في المهد ستة
شاهد يوسف وصبي ماشطة امراة فرعون وعيسى ويحيى وصاحب جريج
وصاحب الاخدود قال الشيخ فاسقط الضحاك صبي الجبار وذكر
مكانه يحيى وعلى هذا فيكون المتكلمون في المهد سبعة فبطل الحصر
بالثلاثة المذكورين في الحديث قال الشيخ رحمه الله وتجاب عن ذلك
بان الثلاثة المذكورين في الحديث هم الذين تحققوا انهم تكلموا في المهد ولم يختلف
فيهم فيما علمت واختلف فيمن عداهم فقيل انهم كانوا صغارا بحيث يتكلمون
ويعقلون وليس فيهم احد من حديث صاحب الاخدود ولم يسلم صحة الجميع
فيرتفع الاشكال بان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بما كان في علمه مما اوحي
اليه في تلك الحال ثم بعد هذا علمه الله تعالى بما شاء من ذلك فاخبرنا بذلك

اشاره الى ستة تكلموا في المهد

على ما في علمه وقوله يا رب امي وصلاتي تحتمل ان يدل على ان جريجا رضي الله عنه
كان عابدا ولم يكن عالما اذ انا دنى وجهه مرارا ان صلاته كانت ذكرا
واجابة امه كانت عليه واجبة فلا نافل يوجب اشكالا فكان
يجب عليه تخفيف صلاته او قطعها واجابة امه لا سيما وقد تكرر
مجيئها اليه ونشوفها واجتباجها لمكالمته وهذا كله يدل
على تعين اجابته اياها الا ترى انه اعضبها باعراضه
عنها واقباله على صلاته وبعد اختلاف الشرايع في وجوب
بر الوالدين وعزز ذلك دعت عليه فاجاب الله دعاها فانا دينا له
وانهار الكراستها والظاهر من هذا الدعا ان هذه المراة كانت
فاضلة عالمة الا ترى كيف تحرزت في دعايها فقالت اللهم لا تمته
حتى ينظر الى وجوه المومسات فقالت حتى ينظر ولم تقل غير ذلك
وفرجا في بعض طرق هذا الحديث ولو دعت عليه ان يفتن لفتن
وهي ايضا لو حظته غضبها وصبرت لكان ذلك الاولى بها لكن
لما علم الله صدق حالها لطف بها واظهر مكانتها عنده بما اظهر
من كرامتهما وفايدته تا خر سعي الولد في ارضا الام واجتناب
ما يغير قلبها واغتنام صالح دعوتها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
الجنة تحت اقدام الامهات اي من انتهاء من التواضع لامه بحيث
لا يشق عليه ان يضع قدمها على خده استوجب بذلك الجنة والاولى
في هذا الحديث ان يقال انه خرج مخرج المثل الذي يقصد به الاعتبار
في البر والاكرام وهو نحو من قوله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت
ظلال السيوف والمومسات جمع مومسة وهي الزانية وقوله
يا غلام من ابوك قال فلان قال فلان الراعي يتمسك به من قال ان الزنا لا يحرم

وقوله

وهو مذهب الكوفيين والشافعي وابي ثور وفي الحاوي وفي العتبية
عن مالك مثله ومذهب اهل الظاهر في كل متلف هذا ومشهور مذهب
مالك واصحابه وجماعة من العلماء ان فيه وفي سائر المتلفات
القيمة الا ما يرجع الى الكيل والوزن منها منهم على انه لا تحقق المماثلة
الا فيهما والرائحة الفاسدة الحسنة النجسة والشائبة الطيبة
المريبة التي يشار اليها من حسنها وخلقي غير مصروف لان الخلقة
للتانيث كسكرى وهي دلة جرت في كلامهم مجرى المثل واصلها
فيمن اصيب خلقها بوجع وقد تقدم ان عمرى وخلقي من الكلمات التي
جرت على الستتهم في معرض الدعاء غير المقصود وام هذا الصبي الرضيع
نظرت الى الصورة الظاهرة فاستحسنت صورة الرجل وهيئته
فدخلت لابنها بمثل ذلك واستقبحت صورة الامة وحالتها فرغبت
ان لا يجعل ابنها في مثل حالها فاراد الله تعالى بلطفه تنبيهها
بان انطق لها ابنها الرضيع ما يحث مراعاته من الاحوال الباطنة
والصفات القلبية وقد اكمل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر
الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وكما قال بعض حكماء
الشعراء لبس الجمال بمئزر فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن ومناقب اورثن تحدا
وهذا العبيني كان امره ان الله تعالى خلق فيه عقلا وادراكا كما يخلقه
في الكبار عادة فيفهم كما يفهمون ويميز خرق العادة في كونه خلق له
ذلك قبل اوانه ويحتمل ان يكون اجرى الله ذلك الكلام على لسانه وهو
لا يعتقده كما خلق في الاشجار والحصى القدرة صالحة والله اعلم بالواقع
منهما فاما عيسى صلى الله عليه وسلم تخلق الله له في مهده ما خلق للعقلاء

مما يحرم الوطي الحلال فلا تحل ام المزني بها ولا بنتها للزاني ولا تحل
المزني بها للزاني ولا لابيه وهي رواية ابن القاسم عن مالك في
المدونة وفي الموطا ان الزنا لا يحرم حلالا ويستدل به ايضا على ان المخلوقة
من ماء الزاني لا تحل للزاني بانها وهو المشهور وقد قال بعض الملك
من الماجشون انها تحل ووجه التمسك على تبعيد المسافتين ان النبي
صلى الله عليه وسلم قد حكي عن جريج انه نسب ابن الزنا للزاني وصدق الله
نسبته بما خرق له من العادة في نطق الصبي بالشهادة له بذلك فقد
صدق الله جريجا في تلك النسبة واخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم
عن جريج في معرض المدح لجريج واظهار كرامته فكانت تلك النسبة
صحيحة بتصديق الله وباخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فثبتت
البنوة واحكامها لا يقال فيلزم على هذا ان تجري بينهما احكام
البنوة والابوة من التوارث والولايات وغير ذلك وقد اتفق المسلمون
على انه لا توارث بينهما فلم تصح تلك النسبة لانا نجيب عن ذلك بان ذلك
موجب ما ذكرنا وقد تقدم ذلك في الام من الزنا فان احكام البنوة والامومة
جارية عليهما وما انعقد الاجماع عليه من الاحكام انه لا يجري بينهما
استثنيناه وبقي الباقي على اصل ذلك الدليل وفيها مباحث تستوفى
في غير هذا الموضع ان شاء الله وقولهم بنى صومعته من ذهب فالا
الامر بين كما كانت تدل على ان من تعدا على جدار او دار وجب عليه
ان يعيده على حالته اذا انضبطت صفته وتمكنت مماثلته ولا تلزم
قيمة ما تعدى عليه وقد بوب البخاري على حديث جريج هذا من هدم حائطا
بناء مثله وهو يخرج بما ذكرنا وهو مقتضى قوله تعالى فمن اعتدا عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فان تعذرت المماثلة فالمرجع الى القيمة

والانبيا في حال كمالهم من العقل الكامل والفهم الثاقب كما شهد له
بذلك القران وفي هذا الحديث مايدل على صحة وقوع كرامات
الاولياء وهذا قول جمهور اهل السنة والعلماء وقد تسبب لبعض
العلماء انكارها والخوض بهم انهم ما انكروا اصلها لتجويز العقل
لها ولما وقع في الكتاب والسنة واخبار صالحي هذه الامة
بل على وقوعها وانما محل الانكار ادعاء وقوعها من ليس موصوفا
بشروطها ولا هو اهل لها وادعاء كثرة وقوع ذلك دائما
مستمرا حتى يلزم عليه ان يرجع خرق العادة وذلك ابطال
لسنة الله وحسم السبيل الموصلة الى معرفة نبوة انبيا الله تعالى

وفي باب المبالغة في بر الوالدين قوله رغم انفه
ثم رغم انفه ثم رغم انفه يقال بكسر العين وفتحها لغتان رغما بفتح الرا
وكسرها وضمها ومعناه لصق بالرغام بفتح الرا وهو التراب
وارغم الله انفه اي الصقه به وهذا من النبي صلى الله عليه وسلم دعا
موكد على من قصر في بر ابويه ويحتمل وجهين احدهما ان يكون معناه
صرعه الله لانفه فاهلكه وهذا انما يكون لفاسق من لم يقم ما يجب
عليه من برهما وثانيهما ان يكون معناه اذله الله لان من الصق انفه
الذي هو اشرف اعضا الوجه بالتراب الذي هو من اهين الاقدام والانجس
او شبها فقد انتهى من الذل الى الغاية القصوى ولهذا قد يحمل ان
يدعا به على من فرط في مناكحات المندوبات ويحمل لمن قصر في الواجبات
فهو الظاهر وتخصيصه عند الكبر بالذكر وان كان برهما واجبا
على كل حال انما كان ذلك لشدة حاجتهما اليه ولضعفهما عن القيام
بكثير من مصالحهما ولبيادرة الولد اغتنام فرضه برهما ليلا يفوته

بموتهما فيندم على ذلك **وقوله** اخرهما او كليهما هذا الذي رايات الصحة
ينصب اخرهما وكليهما لانه بدل من الذي به المنصوب بادرك
وقد وقع في بعض النسخ اخرهما او كلاهما مرفوعين على الابتدا
وسكنت لهما اضمار الخبر والاول اولى **قوله** ثم لم يدخل الجنة معناه
دخل النار لمخصا ومتزكيا الناس في الاخرة من جنة ونار كما قال
في رسوخ الجنة وفي رسوخ السعير فمن قدر فيه لم يدخل النار زعم انه
لم يدخل الجنة وبالعكس والواو المذكورة هنا للتعقيب ومعناه ان المبالغة
في بر احد الابوين عند عدم الاخر يدخل الولد الجنة كالمبالغة
في برهما معا وعني بهذه المبرة التي تتعين لهما في حياتهما وقد يتعين
لهما انواع من البر بعد موتهما كما قد فعل عبد الله بن عمر مع الاعرابي
الذي رصله بالعمامة والحمار ثم ذكر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وكما روى ابو داود عن ابي اسيد قال بينا نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي
من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار
لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام
صديقهما والخلافة على ان عقوق الوالدين محرم وكبيرة من الكبائر
وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وصح في السنة كما روى
النسائي والبزار عن حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والديوث والمرأة
المترجلة تشبه بالرجال وثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه
والمنان عطاه ومدمن الخمر ومحقق الوالدين مخالفتهما في
اغراضهما الجائرة لهما كما ان برهما موافقتهما على اغراضهما الجائزة لهما

(اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق والديه وقوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه)

المبالغة؟

وعلى هذا اذا امرا أو احدهما بامر وجبت طاعتهما فيه اذا لم يدر
ذلك الا من معصية وان كان كل المامور به من قبيل المباحات في اصله
وكذلك اذا كان من قبيل المندوبات وقد ذهب بعض الناس الى ان
امرهما بالمباح يصير في حق الولد مندوبا اليه وامرهما بالمندوب
يزيده تاكيدا في تاديبه والصحيح الاول لان الله تعالى قد قرن
طاعتهما والاحسان اليهما بعبادته وتوحيده فقال وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال ووصينا الانسان
بوالديه حسنا في غير ما موضع وكذلك جاء في السنة احاديث كثيرة
تقتضي لزوم طاعتهما فيما امرا به فمنها ما رواه الترمذي عن ابن عمر
اشاره الى ان عبد الله بن عمر كانت له زوجة فابيت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله
بن عمر طلق امراتك فقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح فان قيل فكيف
يجب عليه طلاقها وابوه يكرهها ويامره بفراقها وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان ملعون من ضار والدا بل يجب عليه ان لا يطلقها لان الظاهر ان
النبي صلى الله عليه وسلم حكم بطلاقها بعد ان لم يرتفع حكم الله
بحكم غيره بل بحكمه وذلك انه لما اوجب علينا طاعتهما والاحسان
اليهما وكان من ذلك امتثال امرهما وجب ذلك الا ما استثنى لانه لا يحصل
ما امرنا الله به الا بذلك الا ما استثنى لانها انما خولفا في امرهما
حصل العقوق الذي حرمه الله تعالى فوجب امرهما على كل حال بايجاب الله تعالى

ومن باب البر والاثم

ذكر مسلم في هذا الباب
النواس بن سمعان ونسبه الى الانصار فقال الانصاري والمشهور في
نسبه انه كلابي الا ان يكون حليفا للانصار وهو النواس بن سمعان
بن خالد بن عمرو بن قريط بن عدي بن ابي بكر بن كلاب هكذا نسبه الكلابي
ويحيى بن معين قال الشيخ رحمه الله هذا جملة حكايته ابي عبد الله المازري

والذي ذكره ابو عمر في نسبه ان قال النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو الله
ابن كلاب بن ربيعة الكلابي وبين النسبين زيادة في الاجداد
وتغيير في الاسماء فتامله وقوله اقمت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة الا المسالة يعني انه اقام
بالمدينة في صورة العازم على الرجوع الى الوطن الذي جاء منه
لا انه التزم احكام الهجرة من الاستيطان بها والكون فيها ساكنا
بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان الهجرة
حيثما كانت واجبة على كل من اسلم وقد تقدم الخلاف في ذلك وتقرير
عذره في كونه لم يلتزم سكنى المدينة وهو قوله ما يمنعني من الهجرة
الا المسالة اي الا الاسولة التي كان يسال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنها وانما كان ذلك لان المهاجرين والقاطنين بالمدينة كانوا
يكفونه المسائل لانهم ما كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن شيء ولذلك قال كان احدنا اذا هاجر لم يسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن شيء وقد ذكر هذا المعنى انس بن مالك رضي الله
عنه حيث قال نهينا ان نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان
يعجبنا ان يجيء الرجل العاقل من اهل البادية فيساله ونحن نسمع
وقد تقدم القول في ذلك وقوله فسالته عن البر والاثم اي عما يبر فاعله
فيلحق بالابرار يوم المجموعون لله عز وجل وعما ياثم فاعله
فيلحق بالاثمين فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم بجواب جملي
اعماه به عن التفصيل فقال له البر حسن الخلق يعني ان حسن
الخلق اعظم خصال البر كما قال الحج عرفة ويعني بحسن الخلق
الاتصاف في المعاملة والرفق في المحاولة والعدل في الاحكام

والبذل والاحسان وقوله والاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس كالشئ الذي يوثر نقرة وخزازة في القلب يقال حاك الشئ في قلبي اذا رسخ فيه وثبت ولا يحنك هذا في قلبي اي لا يثبت فيه ولا يستقر قال شمر الكلام الحابك هو الراسخ في القلب وانما احاله النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الادراك القلبي لما علم من جودة فهمه وحسن فريحته وتنوير قلبه وانه يدرك ذلك من نفسه وهذا كما قال في الحديث الاخر الاثم حزاز القلوب يعني به القلوب المنشرحة للاسلام المنورة بالعلم الذي قال فيه مالك العلم نور يقذفه الله تعالى في القلب وهذا الجواب لا يصلح لتلقيح الطبع قليل الفهم فاذا سأل عن ذلك من قل فهمه فقلت له الاوامر والنواهي الشرعية وقد قالت عائشة امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم * وما

وجوب صلة الرحم قوله ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم خلق هنا بمعنى اشرع واصله التقدير كما تقدم والخلق هنا بمعنى المخلوق واصله مصدر يقال خلق يخلق خلقا اذا قدر واذا اشرع قال زهير ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري اي يقطع ما قدرته وقال الله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه ومعنى فرغ منهم اي كمل خلقهم لا انه اشتغل بهم ثم فرغ من شغله بهم اذ ليس فعله بما مشقة ولا بهما ولا تحتاج الى حيلة ولا محاولة تعالى عما يتوهمه المشبهون وسبحانه اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون قوله تامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة هذا الكلام من المجاز المستعمل والاتساع المشهور اذ الرحم

عبارة عن قرابات الرجل من جهة كرقبى آبائه وان علوا وأبنائه وان نزلوا وما يتصل بالطرفين من الاعمام والعمات والاخوال والخالات والاخوة والاخوات ومن يتصل بهم من أولادهم برحم جامعة والقرابة اذا انتسبه من النسب كالابوة والاخوة والعمومة وما كان كذلك استحال عليه حقيقة القيام والكلام فحمل هذا الكلام على التوسع ويمكن حمله على احد وجهين احدهما ان يكون الله تعالى اقام من يتكلم عن الرحم من الملائكة فيقول ذلك وكالته وكل بهذه العبادة من يناضل عنهما ويعتمد ثواب من وصلها وزر من قطعها فما قد وكل الله بسائر الاعمال كراما كاتبين وبشاهدة أوقات الصلوات ملائكة متعاقبين وثانيهما ان ذلك على وجه التقدير والتمثيل المفهم للافهام وشدة الاعتناء فكأنه يقول لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت هذا الكلام كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم قال وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وعلى التقديرين فمقصود هذا الكلام الاخبار بنا لحرمة الرحم وانه تعالى قد مكن لها بمنزلة من استجار به فاجاره وادخله في ذمته وفي خفارته واذا كان ذلك فجار الله غير مخذول وعهده غير منقوض ولذلك قال لمحاطبا للرحم أما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم من حج البيت فهو في ذمة الله فلا يطلبكم الله من ذمته بشئ فانه من يطلبه من ذمته بشئ يدركه ثم يكبه على وجهه في النار وقوله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم عسى من افعال

من افعال المقاربة ويكون رجاء وتحقيقا قال الجوهري عسى من الله واجبة في جميع القرآن الا قوله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن واذا اتصل بعسى ضمير فاعل كان فيها لغتان فتح السين وكسرها وقرئ بهما وظاهر الآية انها خطاب لجميع الكفار قال قتادة معنى الآية فلعلكم او توشك عليكم ان اعرضتم عن الايمان تعودوا الى الفساد في الارض بسفك الدماء قال السدي رضي الله عنه وعلى هذا فتكون الرحم المذكورة هنا رحم دين الاسلام والايمان التي قد سماها الله اخوة بقوله انما المؤمنون اخوة وقال القرظي نزلت هذه الآية في بني هاشم وبني امية وعلى هذا فتكون رحم القرابة وعلى هذا فالرحم المحرم قطعها المامور بصلتها على وجهين عامة وخاصة فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بلازمة الايمان والمحبة لاهله ونصرتهم والنصيحة لهم وترك مضارتهم والعدل بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة كتشييع المرضى وحقوق الميت من غسله والصلاة عليه ودفنه وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم واما الرحم الخاصة فيجب لهم الحقوق العامة وزيادة عليها كالنفقة على القرابة القريبة وتفقد احوالهم وترك التغافل عن معاودتهم عند اوقات ضروراتهم وتناصر عند حقهم حقوق الرحم العامة حتى اذا تزاحمت الحقوق بدئ بالاقرب فالاقرب كما تقدم وقوله لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعني قاطع رحم هذا التفسير محمل لكثرة يحمى لفظ قاطع في الشرع مضافا الى الرحم فاذا ورد مجردا عن الاضافة حمل على ذلك الغالب

والله

والكلام في كون القاطع لا يدخل الجنة قد تقدم في الايمان وانه يجب ان يحمل على المستحل لقطع الرحم فيكون القاطع كافرا او خاف ان يفسر قلبه بسبب ذلك المعصية فيختم عليه بالكفر فلا يدخل الجنة او لا يدخل الجنة في الوقت الذي يدخلها الواصل لرحمه لان القاطع يحبس في النار بمعصيته ثم يعفو ذلك يخلص منها بتوحيده كل ذلك بمشيئة الله ورسوله اعلم يتعين المقصود وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على وجوب صلة الرحم على الجملة وعلى تحريم قطعها وانه كبيرة ولا خلاف فيه لكن الصلة درجات بعضها ارفع من بعض فادناها ترك المهاجرة وادنى صلتها بالسلام كما قال صلى الله عليه وسلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام وهذا بحسب القدرة عليها والحاجة اليها فمنها ما يتعين ويلزم ومنها ما يستحب ويرغب فيه وليس من لم يبلغ اقصى الصلات يسمى قاطعا ولا من قصر عما ينبغي له ويقدر عليه يسمى واصلا قال القاضي وقد اختلف في حد الرحم التي تجب صلتها فقال بعض اهل العلم هي كل رحم محرم وعلى هذا فلا يجب في بني الاعمام وبني الاخوال ونحو ذلك وقيل بل هذا في كل رحم ممن يتطلق عليه ذلك من ذوي الارحام في المواريث محرما كان وغير محرم قال النسخ فخرج من هذا ان رحم الام التي لا يتوارث بها لا يجب صلتهم ولا يحرم قطعهم وهذا ليس بصحيح والصواب ما ذكرناه قبل هذا من التعميم وقوله من سره ان يبسط له في رزقه وينسأ في اثره فليصل رحمه نبسه ابن رزق سعته وتكثيره والبركة فيه والنسأ التاخير والاثر الاجل سمي بذلك لانه تابع الحياة ومعنى التاخير هنا في الاجل وان كانت الآجال مقدرة في علم الله لا يزاد فيها ولا ينقص انه يبقى بعده ثناء جميل وذكر جميل واجر منتظر

فكانه لم يتبين وقيل معناه يوخر اجله المكتوب في اللوح المحفوظ والذي علم الله
ثابت لا تبديل له كما قال تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
اي اصل المكتوب في اللوح المحفوظ وعلم الله تعالى الذي لا يقبل المحو ولا التغيير
وحكي معناه عن عمر رضي الله عنه في الامرين وقوله الى قرابته اصلكم
وتعطفوني واحسن اليهم ويسيئون الي واحلم عنهم ويجهلون علي
احلم بضم اللام افصح ويجهلون بفتح اول فعل الجهال من السب والتقبيح
وقوله لئن كنت كما قلت كانما تسفهم المل الرواية بضم تاء تسفهم وكسر
السين وضم الفاء اي تطعمهم بسفوفة من السف وهو شرب كل او ابو خير
غير ملتوت تقول سففت الدواء وغيره مما يوخذ غير محلول واسففته
غيري اي جعلته يسفه والمل الرماد الحار يقال لحمنا جزملة ومعنى ولا يزال
لك من الله اي معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الظهير
المعين ومعناه ان الله تعالى يوزرك بالصبر على جفايهم وحسن الخلق معهم
ويعينك عليهم في الدنيا والاخرة مدة دوامك على معاملتك لهم
بما ذكرت وقوله ان اعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فاخذ بخطام ناقته او بزمامها هذا يدل على تواضع النبي صلى الله عليه وسلم
وانه حال لا يصرف الناس بين يديه ولا يمنع احدا منه والخطام والزمام
والمقود كلها بمعنى واحد وان كانت في اصول اشتقاقها مختلفة
فسمي خطاما من حيث انه يجعل على الخطم وهو الانف ويسمى زماما لانه
يزم به ومقود لانه يقاد به وهذا مستمد من الراوي في اي اللفظين
قال وقوله فحفن تظرفي احاديثه ثم قال لغزوتق او لغزوهي يعني انه

كف الناقة عن سيرها ونظر الى اصحابه مستحسنا لهذا السوال ومستحضرا
لافهام اصحابه ومنوها بالسايل ثم شد له بالتوفيق والهداية
لما ينبغي ان يسال عنه لان مثل هذا السوال لا يصدر الا عن قلب منور
بالعلم بالله تعالى وبما تقرب اليه عازم على العمل بما يفتي به فاجابه النبي
صلى الله عليه وسلم بما تعين عليه في تلك الحال فقال تعبد الله لا تشرك
به شيئا اي توحده في الالهية وتخلص له في عباداته وتقم الصلاة اي
تفعلها على اوقاتها واحكامها وتوتي الزكاة اي تعطيها من اسخفها
على شروطها وتصل رحمك اي تفعل في حقهم ما يحسن صلة لهم وتجتنب
ما يكون قطعا لهم على ما بيناه ولم يذكر له النبي صلى الله عليه وسلم الصوم
والحج والجهاد لانه لم يكن تعين عليه في تلك الحال شيء سوى ما ذكر له
او لان بعض تلك العبادات لم تكن فرضت بعد والله اعلم وقوله ان
تمسك بما امرته دخل الجنة يدل على ان دخول الجنة لا بد فيه من الاعمال
خلافا لمن قال ان تلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ومع هذا فالمرجو
فضل الله بالهداية للطرق الموصلة البها والمعونة على الاخذ فيها
وبان يجعل اعمالنا التي لا قيمة لها ولا خطر لها ولا منفعة له فيها
سببا لنيل الجنة لما كنا نصل الى شيء من ذلك ولا نستحق ذرة مما هنالك

ومن باب النهي عن التحاسد والتدابر ٥ قوله لا تباغضوا
اي لا تتعاطوا اسباب البغض لان الحب والبغض معان قلبية لا قدرة
للانسان على احداثها ولا يملك التصرف فيها كما قال صلى الله عليه وسلم
اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني الحب والبغض
وقوله لا تدابروا اي لا تفعلوا افعل المتباغضين الذين يدبر كل واحد
منهما عن الاخر اي يوليه دبره فعل المعرض وقوله ولا تقاطعوا اي لا تهاجروه

فلا تكلمه ولا تعامله وهو معنى لا تهاجروا وهي رواية ابن ماهان وهي
من الهجران وهو الصدود ولا تحجروا وهو من حجر يحجر بكسر الجيم
وفتحها في الماضي معنى الكلمة لا تهجروا ونحو تفعلون
بمعنى تتهاجروا او من حجر الحرام وهو المحترم منه اى لا تتسابوا
ولا تتحاسدوا قال الشيخ رحمه الله والرواية الاولى اوضح واولى وقوله
ولا تحاسدوا اى لا يحسد بعضكم بعضا والحسد في اللغة ان تتمنى زوال نعمة
المحسود وعود هاليه يقال حسده يحسده حسودا قال الخفش
وبعضهم يقول يحسد بالكسر والمصدر حسدا بالتحريك وحساده
وحسدته على الشيء وحسدته الشيء بمعنى واحد فاما الغبطة فهي ان
تتمنى مثل حال المغبوط من غير ان تريد زوالها عنه تقول منه غبطته
بما نال غبطا وغبطة وقد يوضع الحسد موضع الغبطة لتقاربهما
كما قال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين اى لا غبطة اعظم ولا احق
من الغبطة بهاتين الخلتين وقوله وكونوا عباد الله اخوانا اى كونوا
كاخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة
وقوله كما امركم الله يحتمل ان يريد به هذا الامر الذي هو قوله كونوا
اخوانا لان امره صلى الله عليه وسلم هو امر الله وهو مبلغ له ويحتمل
ان يريد به قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فانه خبر في معنى الامر وعبه
التي ينبغي للمؤمنين ان يكونوا عليها ففيها معنى الامر وقوله ولا يحل
لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث دليل خطاب به ان الهجرة دون الثلاث
معفو عنها ان البشري لا بد له غالبا من سوء خلق وغضب فسامحه
الشرع فيه في هذه المدة لان الغضب فيها لا يكاد الانسان يتقدح منه
وله تملكه رد الغضب في تلك الحالة غالبا وبعد ذلك يضعف بمضي المدة

بل قد تحي اثره وظاهر هذا الحديث تحريم الهجرة فوق ثلاث وقد اكد
هذا المعنى في الهجرة بعد ثلاث وكون المتهاجرين لا يغفر لهما حتى يصطلحا
وقوله صلى الله عليه وسلم وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلام يدل على
ان مجرد السلام يخرج عن الهجرة وان لم يكلمه وهو قول مالك وغيره
وقال احمد وابن القاسم ان كان معه فلا يقطع السلام هجرته وعندنا
انه ان اعترل كلامه لم يقبل عذره عليه ومعناه ان الذي يبادر
بقطع الهجرة فيسبق صاحبه بالسلام احسن خلقا واعظم اجرا وما
ذكرناه من جواز الهجران في الثلاث هو مذهب الجمهور والمغتبر
ثلاث ليال فان بدا بالهجرة في بعض يوم فله ان يبقى ذلك البعض ويعتبر
ليلة ذلك اليوم فيكون اول الزمان الذي يحتسب منه الهجرة ثم ما تقابل
الليلة الثالثة يحرم على ما قدمناه وهذا الهجران الذي ذكرناه هو
الذي يكون عن غضب لامر جائز لا تعلق له بالدين فاما الهجران لاجل
المعاصي والبدعة فواجب استحبابه الى ان يتوب من ذلك
ولا اختلاف في هذا

وفي باب النهي عن التحسس وقوله

اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث الظن هنا هو التهمة وتحمل
التحذير والنهي انما هو تنفيه لاسباب لها بوجهها فمن يتهم بالفاحشة
او يشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك ودليل كون الظن هنا
بمعنى التهمة قوله بعد هذا ولا تجسسوا ولا تحسسوا وذلك انه
قد يقع له خاطر التهمة ابتداء فيريد ان يتحسس خبر ذلك ويبحث عنه
ويتبصر ويستمع ليتحقق ما وقع له من تلك التهمة فنهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وفرق في بعض الحديث اذا اظنك فلا تحقق وقال الله تعالى
وظننتم ظن السوء فكنتم قوما بورا وذلك ان المنافقين تخيروا

برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه حين انصرفوا الى الحديبية فقالوا
ان محمدا واصحابه اكلة رأس لن يرجعوا الخ اجمع فذلك كظنهم الذي
الذي ذمهم الله عليه وهو من نوع ما نهى الشرع عنه الا انه قبح
النوع فانما الظن الشرعي الذي هو تغليب احد المجوزين او بعي القبيح
فغير مراد من الحديث ولا من الاية يقينا فلا يلتفت اليه لمن استدل
بهما على اعتبار الظن الشرعي كما قررناه في الاصول وقد اختلف
في التجسس والتحسس هل هما بمعنى واحد او بمعنيين والثاني اشهر
قيل هو بالجيم البحث عن بواطن الامور واكثر ما يكون في الشر ومنه
الجاسوس وهو صاحب سر الشر وبالحاء البحث عما يدرك بالحس
بالعين او الاذن وقيل بالجيم طلب الشيء لغيرك وبالحاء لنفسك
قاله ثعلب والاول اكثر وقوله ولا تنافسوا اي لا تتبارزوا في الحرص
على الدنيا واسبابها واما التنافس في الخير فمأمور به كما قال تعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي في الجنة وثوابها وكان المنافسة
هي الغبطة وقد ابعد من فسرها بالحسد لا سيما في قرن الحوت فانه
قد قرن بينها وبين الحسد في سياق واحد مما يدل على انهما امران متغايران
وقوله ولا تناجشوا قيل هو من باب التجنيس البديع الذي تقدم
ذكره في البديع وقيل بل هو صيغة تفاعل اصلها ان لا تكون الا من
اثنين متناجش لا يكون من واحد والنجش يكون من واحد فافترقا
وان كان اصلهما واحدا والاظهر ان اصل النجش الاستخراج والاثارة تقول
نجشت الصيد نجشا اذا استثرته من مكامنه وقيل لا تناجشوا
لا تنافروا بعضكم بعضا اي لا تعاملوه من النفور لما ينفره كما ينفر الصيد
بل يسكنه ويؤنسه كما قال سيتنا ولا تنفروا فهذا احسن من الاول

واولى مساق الحديث والله اعلم وقوله المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله
ولا يحقره فيظلمه بنقصه حقه او يمنعه اياه ويخذله بتركه لمن
يظلمه ولا ينصره وقد قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما
فقال كيف انصره ظالما قال تكفه عن الظلم فذلك نصره وحقره تتكبر
عليه استصغارا والقلة وهذا انما يصدر في الغالب ممن غلب عليه
الكبر والجهل وذلك انه لا يرى له استصغار غيره حتى ينظر الى نفسه
بعين انه اكبر منه واعظم وذلك جهل بنفسه وكمال المحتقر فقد
يكون فيه ما يقتضي عكس ما وقع للمتكبر وقوله التقوى ها هنا
ويشير بيده الى صدره وقد تقدم ان التقوى مصدر اتقى تقاة وتقى
وان التاء فيه بدل من الواو لانه من الوقاية والمتقي هو الذي جعل بينه
وبين ما يخافه من المكروه وقاية تقيه منه ولذلك يقال اتقى الطعنة
بالدرقة ونحوها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق
تمرة ولو بكلمة طيبة اي اجعلوا هذه الاشياء وقاية بينكم وبين
النار وعلى هذا فالمتقي شرعا هو الذي خاف الله وجعل بينه وبين
عذابه وقاية من طاعته وحاجزا عن مخالفته فاذا اهل التقوى
الخوف والخوف انما ينشأ عن المعرفة بجلال الله وعظمته وعظيم سطوته
وعقابه والخوف والمعرفة محلهما القلب والقلب محله الصدر فلذلك
اشار صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال التقوى ها هنا والله اعلم والتقوى
خصلة عظيمة وخالة شريفة آخذة بمجامع علوم الشريعة واعمالها
موصلة الى خيري الدنيا والآخرة والكلام في التقوى وتفاصيلها واحكامها
وبيان ما يترتب عليها يستدعي تطويلا قد ذكره ارباب القلوب في كتبهم
المطولة كالرعاية والاحياء وسفينة النجاة وقوله بحسب امرئ

من الشر ان يحقر اخاه المسلم البائي بحسب زايدة وهو باسكان السين
لا بفتحها وهو خبر البئر المقدم والمبتدا ان يحقر تقديره حسب امرئ من الشر
احتقاره اخاه اى كافيه من الشر ذلك فانه التصغير الاكبر والحط
الاوفر ويفيد ان احتقار المسلم حرام وقوله ان الله لا ينظر الى صوركم
واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم نظر الله تعالى الذى ظهر وبينه
للموجودات واطلاعه عليها لا نخص موجودا دون موجود بل يعلم جميع
الاشيا اذ لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السما ثم قد جا فى الشرع نظر الله
بمعنى رحمته للمنظور اليه وبمعنى قبول اعماله ومجازاته عليها
وهذا هو النظر الذى يخص به بعض الاشيا وينفى عن بعضها كما قال
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وقد تقدم ذلك فى كتاب الايمان فقوله
هنا ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم اى لا يثيبكم عليها ولا يقربكم
منه ذلك كما قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا
زلفى ثم قال الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزا الضعف بما عملوا
وهم فى الغرفات امنون وتستفاد من هذا الحديث فوايد احداها
صرف الهمة الى الاعتنا باحوال القلب وصفاته لتحقق علومه وتصحيح
مقاصده وحسوسه وتطهيره عن مذموم الصفات واتصافه بمحمودها
فانه لما كان القلب هو محل نظر الله تعالى فحق العالم بقرب الملك المدبر تعالى
على قلبه ان يفتش عن صفات قلبه واحوالها لامكان ان يكون فى قلبه
وصف مذموم بمقته الله تعالى بسببه الثانية ان الاعتنا باصلاح القلب
وبصفاته مقدم على الاعمال بالجوارح لتخصص القلب بالذكر مقدما
على الاعمال وانما كان ذلك لان اعمال القلوب هى المصححة للاعمال اذ لا صحة
لعمل

عمل شرعى الا من عالم بمن دلعنه مخلص له فيما يعمله ثم لا يكمل
ذلك الا بمراقبة الحق فيه وهو الذى عبر عنه بالاحسان حيث قال
ان تعبد الله كانك تراه وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهى القلب الثالثة ان لما كانت القلوب هى المصححة للاعمال
الظاهرة واعمال القلب غيب عنا فلا يقطع بغيب اجر لمأمور
عليه من صور اعمال الطاعة او المخالفة فلعل من يخاف على الاعمال
الظاهرة بعلم الله من قلبه وصفا مذموما لا نطلع معه تلك الاعمال
ولعل من رايناه عليه تقريطا او معصية بعلم الله من قلبه وصفا
محمودا يغفر له بسببه فالاعمال امارات ظنية لا ادلة قطعية
ويترتب عليها عدم الوقوع فى تعظيم من رايناه عليه افعالا صالحة
وعدم الاحتقار لمسلم رايناه عليه افعالا سيئة بل يحتقر ولوم تلك
الحالة السيئة لا تلك الذات المسيئة فتدبر هذا فانه مزلة دقيق
ومن ثم لا يغفر للمتشاحنين حتى يصطلحا هو المشاحنان
المتباغضان من الشحنا وهى البغضا وقد خص الله هذين البعضين
بفتح ابواب الجنة فيهما وبمغفرة الله لعباده وبايهما يعرض فيهما الاعمال
على الله تعالى كما جا فى الحديث الاخر وهذه الذنوب التى يغفر فى هذين
اليومين هى الصغاير والله اعلم كما تقدم ذلك فى قوله صلى الله عليه
وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات
ما بينهن اذا اجتنبت الكباير ومع ذلك فرحمة الله وسعت كل شى
وفضله يعم كل مصيبة وحى ومقصود هذا الحديث التحذير من الاصرار
على بغض المسلم ومقاطعته وتحريم اسنر امد هجرته ومشاحنته والامر

بنع

...هواهلته ومكارمته وانظروا مضاه اجروا وكلكل ركبوا
قال ابن الاعرابي يقال ركاه يركوه اذا اكره وفتح ابواب الجنه
في هذين اليومين محمول على ظاهره ولا ضرورة تحوج الى تاويله
ويحتمل فتحها تاهلا وانتظارا من الخزنه لروح من يموت في ذلك
اليومين ممن غفرت ذنوبه او يكون فتحها علامة للملايكه
على ان الله غفر في ذينك اليومين للموحدين والله اعلم وهو موجه
لاهل السنه على قولهم ان الجنه والنار قد خلقتا وخلقنا خلافا
للمبتدعه الذين قالوا انهما لم تخلقا بعد ولا تخلقان ٥ وعرض الاعمال
المذكوره انما هو والله اعلم لتنقل من صحف الكرام الكاتبين الى كل امر
ولعله اللوح المحفوظ كما قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
قال الحسن ان الخزنه تستنسخ الحفظه من صحايف الاعمال وقد يكون
هذا العرض في هذين اليومين للاعمال الصالحه مباهاة بصالح اعمال
بني آدم على الملايكه كما يباهي الله الملايكه باهل عرفه وقد يكون
هذا العرض لتعلم الملايكه المقبول من الاعمال من المردود كما جاء في
الحديث الآخر ان الملايكه تصعد بصحايف الاعمال فتعرض فيقول الله
فيقول الله تعالى ضعوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملايكه وعزتك
يارينا ما رايينا الا خيرا فيقول الله تعالى ان هذا كان لغير وجهي ولا اقبل
من العمل الا ما ابتغي به وجهي والله اعلم بحقيقة ذلك ٥

لحقت العابقة

ومن باب ثواب التحابب والتزاور في الله تعالى

قوله ابن المتحابون لجلالي ٥ هذا يدل على شرفهما وكرامتهما ويجوز ان يخرج
هذا الكلام مخرج الامر لمن يحضرهم من ملايكته بتعريفهم وبجلالي روي
باللام وبالباء ومعناهما متقارب لان المقصود بهما هنا السببية اي لاجل

تقي وحرمة ظاهرة لا لغرض من اغراض الدنيا وقوله اليوم
اكملكم في كل يوم لا كل الا في اذا بطلا كلها ملكه وخلقه
قال الشيخ رحمه الله واولى من هذا التاويل انه يعني به اهل
العرش كما قد جاء في رواية اخرى فيعني والله اعلم ان في القيامة ظلالا
تكسب الاعمال الصالحة تقي صاحبها من وهج الشمس ولفح النار
وانفاس الخلق كما قال صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى
بين الناس ولكن ظل العرش اعظم الظلال واشرفها فيخص الله به
من يشاء من صالح عباده ومن جملتهم المتحابون لجلال الله فان قيل كيف
يقال في القيامة ظلال تكسب الاعمال وقد قال صلى الله عليه وسلم سبعة
يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وهو ظل العرش المذكور في الحديث
قلنا يمكن ان يقال ان كل ظل في القيامة انما هو له لانه يخلقه
واختراعه بحسب ما يريده تعالى من اكرام من يخصه به فعلى هذا يكون
كل واحد من هاؤلاء السبعه في ظل يخصه وكلها ظل الله لا ظل غيره
اذ ليس لغيره هناك ظل ولا يقدر على سبب ويحتمل ان يقال انه ليس
هناك الا ظل واحد وبه يستظل المومنون لكن لما كان الاستظلال
لا ينال الا بالاعمال الصالحات نسب لكل عمل ظل لانه به وصل اليه
والله اعلم وهذا كله بنا على ان الظلال حقيقة لا مجاز وهو قول جمهور
العلما وقال عيسى بن دينار ان معناه يظلهم من المكاره ويجعلهم
في كنفه وستره كما تقول انا في ظلك اي في ذراك وستر ك وقوله
ما رصد الله على مدرجته اي جعل الله ملكا على طريقه يرصده اي يرقبه
ويتتبع نظره ليستره والمرصد موضع الرصد والمدرجة بفتح الميم
موضع الدرج وهو المشي وقوله هل لك عليه من نعمة تربها اي تقوم

بهما وصلحها فشفاه ذره بسببها فقال لا غير انى احببته فى الله
اى لم ارده لغرض من اغراض الدنيا ثم اخبر بانه انما زاره من اجل
انه احبه فى الله فبشره الملك بان الله تعالى قد احبه بسبب ذلك
وقد تقدم القول فى محبة الله للعبد وان ذلك راجع الى اكرامه اياه
وبره به ومحبة الله للملائكة قبولها وثوابه عليها وفى هذه
الاحاديث ما يدل على ان الحب فى الله والتزاور فيه من افضل الاعمال
واعظم القرب اذ الجزاء ذلك عن اعراض الدنيا واهوائها النفوس وقد
قال صلى الله عليه وسلم من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد
استكمل الايمان

وفى باب ثواب المرض وذى الافات

اذا اصبروا ٥ الوعك تمريغ الحمى وهو ساعن العين يقال وعكته
الحمى تعكه وعكا فهو موعوك وارعكت الكلاب الصيد نهو
موعك اذا مرنته فى التراب والوعكة السقلة الشديدة فى الحرى
والوعكة ايضا معركة الابطال فى الحرب واجل يعنى نعم ومصاحفة
المرض على النبى صلى الله عليه وسلم ليضاعف له الاجر وهو كما قال
صلى الله عليه وسلم فى الحديث الاخر اشد الناس بلاء الانبياء الاولياء
ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه وفى الحديث الاخر
نحن معاشر الانبياء يشتد علينا البلاء ويعظم لنا الاجر والوصب
المرض يقال منه وصب الرجل يوصب فهو وصب واوصبه الله
فهو موصب وانصب التعب والمشقة يقال منه نصب الرجل
بالكسر ينصب بالفتح وانصبه غيره اذا اتعبه فهو منصب وتعم
ناصب اى ذو نصب والسقم المرض الشديد يقال سقم يسقم
فهو سقيم والهم الحزن والجمع الهموم واما معنى الاسراء اقلقنى

وحزننى والمهم الامر الشديد وهى المرض اذا بنى فاتى السحم
هذا نقل اهل اللغة وقد سووا فيه بين الحزن والهم وعلى هذا
فيكون الحزن والهم المذكوران فى الحديث مترادفين ومقصود
الحديث ليس ذلك بل مقصوده التسوية بين الحزن الشديد الذى
يشغل عن تفقد محبوب والهم الذى يقلق الانسان ويشغل به فكره
من شئ يخافه او يكرهه فى ان كل واحد منهما يكفر به عما قد
جمع وهذا الحديث نفسه بين الوصب وهو المرض وبين السقم
لكن اطلق الوصب على الخفيف منه والسقم على الشديد ويرتفع
الترادف بهذا القدر ومقصود هذه الاحاديث ان الامراض
والاحزان وان دقت والمصائب وان قلت اجر المؤمن على جميعها
وكفرت عنه بذلك خطاياه حتى يمشى على الارض وليست له خطيئة
كما جاء فى الحديث الاجر بقدر الكلفة اذا صبر المصاب واحتسب
وقال ما اشره اليه به فى قوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون فمن كان فزعه عند نزول ما وعده الله
ورسوله من ذلك وسوله لما نزلت من عمل سوءا يجز به بلغت
من المسلمين مبلغا شديدا ٥ هذا يدل على انهم كانوا يتمسكون بالعمومات
فى العلميات كما كانوا يتمسكون بها فى العمليات وفيه رد على من توقف
فى الفاظ العموم وان من من الفاظه وكذلك النكرة فى سياق الشرط
فانهم فهموا عموم الاشخاص من من وعموم الافعال الشديدين سوءا
المذكور فى سياق الشرط وقد اوضحنا ذلك فى الاصول وانما عظم
موقع هذه الاية عليهم لان ظاهرها ان ما من مكلف يصدر عنه شئ
كائنا ما كان الا وهو مجزى به عليه يوم الجزاء وان ذلك لا يغفر وهذا امر عظيم

فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم شدة ذلك عليهم سكنهم وأرشدهم
وبشرهم فقال قاربوا وسددوا أي قاربوا في أفعالكم وسددوا
اعمالكم ولا تغلوا ولا تشددوا على أنفسكم بل يسروا واستبشروا
بأن الله تعالى يلطف فترجعل المصائب التي لا ينفك عنها أحد
في هذه الدار سببا لتكفير الخطايا والاوزار حتى يرد عليه المؤمن
يوم القيامة وقد خلص من تلك الاكدار وطهر من أذى تلك الاقذار
فضلا من الله ونعمة ولطفا ورحمة وقوله حتى ألم يلمه بجزم
على العطف على لفظ ما قبله والرفع على موضعه
فان من لابدية ويجوز رفعه على الابتدا وما بعده خبره فاما قوله
حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها فيجوز فيه الوجهان
وكذلك فيما ذكرهما المحققون غير أن رفع الشوكة لا يجوز إلا على الابتدا
خاصة لان ما قبلها لا موضع رفع له فتأمله وقيده العامي
بضم الياء وفتح القاف على ما لم يسم فاعله وكذا وجدته مقيدا
بخط بعض أبي الصبر أيوب والذي ذكر أني قرأت به على من أثق به
بضم يصب الياء وضم القاف مبنيا للفاعل وجمله واضح إذ معناه
حتى الهم يصيبه ويكثر عليه والنكبة بالباء العثرة والسقطة
وينكبها بضم الباء وفتح الكاف مبنيا للمفعول وقوله مالك
بالام الساب تزفر بن جميع رواه مسلم روى هذه الكلمة بالزاي والفا
فيهما وقال بضم النون وفتحها من الزفرة وهي صوت خفيف الريح
يقال زفرة الريح الحشيش إذا حركته وزفزف النعام في طيرانه
حرك جناحيه وقد روي رواية بعض الرواة بالقاف والراقال أبو مروان
بن سراج يقال بالقاف وبالفا بمعنى واحد معناه تزحزح وزال السمح

رحمه الله وروايته الفا أعرف رواية وأصح معنى ودليل أن الحمى
يكون معها حركة ضعيفة وحس صوت يشبه الزفزفة
التي هي حركة الريح وصوتها في الشجر وقال الواربكي زفرا
وزفرف وأما الزقرقة بالراء والقاف فهي التلألؤ والدوران
ومنه وقراق الشراب وزقراق الماء ما طهر من لعابه يعبر أنه
لا يظهر لعابه إلا إذا حرك وجاز ذهب فلهذا حسن أن يقال
مكان الزفزفة لكن يفارق الزفزفة الزقرقة بأن الزفزفة
معها صوت وليس ذلك مع الزقرقة فانفصلا وقوله لا تسبي
الحمى مع أنها لم تصرح بسب الحمى وإنما دعت عليها أن الابيار
فيها خبر أن مثل هذا الدعا تضمن تنقيص المرء حلبه وذمه
فصار ذلك كالتصريح بالذم والسب ففيه ما يدل على أن التعريض
والتضمين كالتصريح في الدلالة فيجب على من فهم عنه التوقف
من لفظه وإن لم يصرح به وهو مذهب مالك رحمه الله تقدم وقوله
فإنها تذهب خطايا بني آدم هذا تعليل لمنع سب الحمى لما يكون
عنها من الثواب فيعرى ذلك لكل مشقة أو شدة يبتلى
عليها ثواب فلا ينبغي أن يذم شيء من ذلك ولا يسب وحكمة ذلك
أن سب ذلك إنما يصدر في الغالب عن الضجر وخفة الصبر أو عدمه
وربما يفضي بصاحبه إلى التسخط المحرم مع أنه لا يفيد ذلك فائدة
ولا يخفف الألم وقوله للمرأة التي كانت تصرع إن شئت صبرت
ولك الجنة يستمر لما قلناه من أن الاجور على الامراض والمصائب
لتحمل الألم لمن صبر واحتسب ومن باب الترهيب
في عيادة المريض قوله لم يزل في خرفة الجنة هو بضم الخاء المعجمة

وسكون الراء وقد فسرها الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو المعروف
في اللغة فقال هو جناها اي ما اجتنى منها في الصحاح الخرفة
بالضم ما اجتنى من الفواكه وقال ايضا الثمر خرفة الصرام وارمان
من رواها محرفة بفتح الميم وسكون الخا وفتح الراء فهو البستان
والمحرفة والمحترف الطريق ومنه قولهم رعى السعفة تركتهم
على محرفة النعم فاما المحرف والمحرفة بكسر الميم فهو الوعا
الذي يجتنى فيه الثمر ومعنى هذا الحديث ان عايد المريض بما ينالهم
من اجر العيادة وثوابها الموصل الى الجنة كانه يجتني ثمرات
الجنة او كانه في محرف الجنة اي في طريقها الموصل الى الاشراف
وسمى الخريف بذلك لانه فصل تخترف فيه الثمار وعيادة المريض
من اعمال الطاعات الكثيرة الثواب العظيمة الاجر كما دلت
عليه هذه الاحاديث وغيرها وهي من فروض الكفايات
اذا منع المرض من التصرف لان المريض لو لم يعد لجهله ضاع
وهلك لا سيما ان كان غريبا او ضعيفا واما من كان له اهل
يجيء تمريضه على من يجب عليه نفقته فاما من لا يجب ذلك عليه
فمن قام به منهم سقط عن الباقين والعيادة مصدر عاد
يعود عودة وعيادة وعيادا غير انه قد خصت العيادة
بالرجوع الى المرضى والتكرار اليهم وقوله تعالى يا ابن ادم مرضت
فلم تعدني واستطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني
تنزل في الخطاب والعتاب ومقتضاه التعريف بعظيم
فضل ذي الجلال وعظيم ثواب هذه الاعمال ويستفاد منه
ان الاحسان للعبيد احسان للسادة فينبغي لهم ان يعودوا لك

اشارة في معنى تسمية فصل المخرف

وان يقوموا بحقه ومن باب تحريم الظلم ه قوله
تعالى اني حرمت الظلم على نفسي اي لا ينبغي لي ولا يجوز على ما قال
سبحانه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وفد اتفق العقلا على ان الظلم
على الله تعالى محال وانما اختلفوا في الطريق الى القابلون بالتحسين
والتحسين عقلا يقولون يستحيل عليه لقبحه ومن لا يقول بذلك
يقولون يستحيل عليه لاستحالة شرطه في حقه تعالى ودلك
ان الظلم انما يتصور ممن حدت له حدود ورسمت له
مراسم فمن تعداها فانه ظالما والله تعالى هو الذي حد الحدود
ورسم الرسوم اذ لا حاكم فوقه ولا حاجر عليه فلا يجب عليه
حكم ولا يترتب عليه حتى فلا يتصور الظلم في حقه واستيفا
المباحث في علم الكلام وقوله وجعله بينكم محرما اي حكمت
بتحريمه عليكم والزمته اياكم وقوله فلا تظالموا اي لا يظلم
بعضكم بعضا واصله تتظالموا فحذفت احدى التائين تخفيفا وقوله
يا عبادي كلكم ضال الا من هديته قيل في معناه قولان احدهما
انهم لو تركوا مع العادات وما تقتضيه الطباع من الميل الى الراحات
والاهمال للتفكر المؤدي الى المعرفة لغلبت عليهم العادات والطباع
فضلوا عن الحق فهذا هو الضلال المعنى لكن من اراد الله توفيقه
الهمه الى اعمال الفكر المؤدي الى معرفة الله ومعرفة الرسول واعانه
على الوصول الى ذلك وعلى العمل بمقتضاه وهذا هو الهدى الذي امر الله
تعالى بسؤاله ونابهما ان الضلال ها هنا يعني به الحال التي كانوا عليها
قبل ارسال الرسل من الشرك والكفر والجهالات وغير ذلك كما قال
تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي على

حالة واحدة من الضلال والجهل فارسل الله الرسل ليبلغوا
عنهم ما كانوا عليه من الضلال ويبينوا لهم مراد الحق منهم
في حالهم وسأل امرهم فمن تبعه الحق سبحانه ونصره واعانه
فهو المهتدي ومن لم يفعل الله به ذلك بقي على ذلك الضلال وعلى
كل واحد من الناس بليس فلا معارضة بين قوله تعالى فلم ضال
الامر هدريته وبين قوله كل مولود يولد على الفطرة لان هذا
الضلال المقصود في هذا الحديث هو الطارئ على الفطرة الاولى
المغيرلها الذي بينته النبي صلى الله عليه وسلم بالتمثيل في بقيه الحديث
حيث قال كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء بقوله خلق الله الخلق
على معرفته فاجتالتهم الشياطين وهذا الحديث حجة لاهل الحق
على قولهم ان الهدى والضلال خلقه وفعله يخص بما شاء منهما
من يشاء من خلقه وان ذلك لا يقدر عليه الا هو كما قال ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ويهدي من يشاء وما لا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله وما تشاؤن الا ان يشاء الله ونرتقي الكتاب
بما لا يبقى معه ريب لذي فهم سليم بقوله والله يدعو الى دار
السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم نعم الرجوة ونخص
بالهداية من سبقت له العناية واسندنا الكلام في علم
الكلام وحاصل قوله فذلكم حال الامر هدريته وذلكم جانح
وكلهم عبارة التنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا
ودفع مضارنا بانفسنا الا ان يسر ذلك لنا بان يخلق ذلك لنا
ربنا عليه ويصرفنا عما يضرنا وهو تنبيه على معنى قوله
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومع ذلك فقال في آخر الحديث

يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه نبههما على ان عدم
الاستقلال بايجاد الاعمال لا ينافض خطاب التكليف
بها اقرارا عليها واجتنابا عنها فنحن وان كنا نعلم انا لا نستقل
بافعالنا نحس بوجدان الفرق بين الحركة الضرورية والاختيارية
وتلك التفرقة راجعة الى تغير محسوس وتأت معتاد موجود مع
الاختيارية ويفقد مع الضرورية وذلك هو المعبر عنه بالكسب
وهو مورد التكليف فلا تناقض ولا تعنيف وقوله ما ينقص
ما عدى الابرة ينقص المخيط اذا ادخل البحر المخيط الابرة
والخابية الخيط ومنه قوله ادوا الخابية والمخيط وهذا مثل
قصد به التقريب للافهام بما شاهده فان ما اخذ البحر من اعظم
المرئيات واكثرها وعين الابرة فيه لا يوثر فيه لا يوثر
ثم نضرب ذلك مثلا لخزائن رحمة الله تعالى وفضله فانها
لا تحصر ولا تتناهى وان ما اعطى منها من اول الخلق الى
ما يعطى منها الى يوم القيامة لا ينقص منها شيئا وهذا كقوله
صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث الآخر يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار
لا يغيضها شيء ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض لم يغض
ما في يمينه وسر ذلك ان قدرته صالحة للايجاد دائما لا يحول
عليها العجز ولا التصور والممكنات لا تحصر ولا تتناهى
فما يوخذ منها لا ينقص شيئا منها وسبق الكلام على هذه
الاصول في علم الكلام وقوله اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات
يوم القيامة ظاهره ان الظالم يعاقب يوم القيامة بان يحول

في ظلمات متواليةٍ يوم تشخص في نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم
حين يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا
نقتبس من نوركم فيقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا
وقيل ان معنى الكلمات هذا الشر ابدوا الاموال التي يعوقون بها
كما فسر بذلك قوله تعالى فلن نبخل من كلمات البر والبحر
اي من شر ايديهما واما نيتها والاول اظهر وقوله انفروا
الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم الشح الحرص على تحصيل ما
ليس عندك والبخل الامتناع من اخراج ما حصل عندك وقيل
ان الشح هو البخل مع حرص يقال منه شحت بالكسر تشح بالضم
ورجل شحيح وقوم شحاح واشحاء وقوله حملهم على ان سفكوا
دماءهم واستحلوا محارمهم هذا هو الهلاك الذي حمل عليه الشح
لانهم لما فعلوا ذلك استكثروا دنياهم واخرامهم وهذا كما قال
في الحديث الاخر ايا كم والشح فانه اهلك من كان قبلكم امرهم
بالبخل فبخلوا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وامرهم بالفجور
ففجروا اي حملهم على ذلك وقوله ان السعيد لمن جنب الفتن اذا الفتنة
لم تقلنه يعني يطيل في مدته ويحسن جسمه ويكثر ماله وولده
فيكثر كلمه كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهذا لما
نعى الله الظلمة من الامم السالفة والقرون الخالية حتى اذا اخذهم كلهم
وتكامل جرمهم اخذهم اخذة رابية فلا ترى لهم من باقية وذلك
سنة الله في كل جبار عنيد ولذلك قال وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله من ستر مسلما
ستره الله يوم القيامة هذا حض على ستر من ستر نفسه

اشارة الى الفرق بين الشح والبخل

ولم تدع الحاجة الدينية الى كشفه فاما من اشتهر بالمعاصي
ولم يبال بفعلها ولم يبته عما نهى عنه فواجب رفعه للامام
وتنكيله واشهاره للانام ليرتدع بذلك امثاله وكذلك
من ترتدع الحاجة الى كشف حاله من المشهود والمخبرين
فيجب ان يكشف منهم ما يقتضي تجريحهم وتحرم سترهم مخافة
تغيير الشرع وابطال الحقوق وفي باب الاخذ
على ذوي الظالم وتقرير المظلوم قوله تسع رجل من المهاجرين
رجلا بن الانصار في الصحاح التسع ان تضرب دبرا الانسان
بيدك او بضرر فتدعه يقال اتبع فلان ادبار ابل يتسعها بالسيف
مثل تكسوهم اي يطردهم ومنه قول الشاعر تسع الشتا بسبعة غبر د
وورد في الحبل تسع بعضها بعضا وقوله انصر اخاك ظالما
او مظلوما هذا من ابلغ الكلام البليغ الوجيز الذي قل من يتنبه
على سره اويأتي بتأليه واو فيه للتنويع والتقسيم وانما
سمي رد الظالم نصرا لان النصر هو العون ومنه قالوا ارض منصورة
اي معانة بالمطر ومنع الظالم من الظلم عون له على مصلحة نفسه
وعلى الرجوع الى الحق وحمل اولى بان يسمى نصرا ودعوى الجاهلية
هي تنادي بهم عند الغضب والاستعداد بآل فلان يا بني فلان
وهي التي عنى بقوله دعوها فانها منتنة اي مستخبثة قبيحة
لانها تثير التعصب على جبر الحق والتقاتل على الباطل ثم انها
تجر الى النار كما مال من دعا بدعوى الجاهلية فليس منا وليتبوأ
مقعده من النار وقد ابدل الله من دعوى الجاهلية دعوى المسلمين
فينادي يا آل المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم فادعوا بدعوى الله

التي سماهم المسلمين وبما نادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كعص
بالله يا المسلمين فاذا دعا بها المسلم وجبت اجابته والتشفع لمن
على كل من سمعه فان ظهر انه مظلوم نصر بكل وجه يمكن شرعا لانه
انما دعا المسلمين لينصروه على الحق وان كان ظالما كف عن الظلم
بالملاطفة والرفق فان نفع ذلك والا اخذ على يده وكف عن ظلمه
فان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله
بعقاب من عنده ثم يدعونه فلا يستجاب لهم وقوله صلى الله عليه
وسلم لعمر حين قال دعني اضرب عنق هذا المنافق لا يحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه دليل على ان المنافقين الذين علم نفاقهم في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مستحقين للقتل لكن امتنع النبي صلى الله
عليه وسلم من ذلك لئلا يدخل في قتلهم تنفيرا لغيرهم عن الدخول في الاسلام
لان العرب كانوا اهل انفة وكبر بحيث لو قتل النبي صلى الله عليه وسلم
من ارتاب منهم لانفر من يعز عنهم فيمتنع من الدخول في الدين وقالوا
هو يقتل اصحابه ويتعصب من قرب من اهل هذا ولا المنافقين فتجمع
الحروب وتكثر الفتن وتمتنع من الدخول في الدين وهو يقبض المقصود
فعفى النبي صلى الله عليه وسلم عنهم ورفق بهم وصبر على جفاهم واذاهم
واحسن اليهم حتى انشرح صدر من اراد الله هدايته فرسخ في قلبه
الايمان وتيسر له الحق اليقين وهلك عن بينة من اراد الله هلاكه
فكان من الخاسرين ثم اقام النبي صلى الله عليه وسلم مستصحبا لذلك
الى ان توفاه الله فذهب النفاق وخمد لان من نفع سماه واسمه ولذلك
قال مالك النفاق في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة عندنا
اليوم وظهر من مذهبه ان ذلك الحكم منسوخ بقوله تعالى لئن لم ينته

نسب اشاره الى
كيفيه ندا عمر رضي
رضي الله عنه لما طعن

المنافقون والذين في قلوبهم مرض الى قوله وقتلوا تقتيلا وبقوله
جاهد الكفار والمنافقين فقد سوى بينهما في الامر بالجهاد
وجهاد الكفار قتالهم وقتلهم فليس جهاد المنافقين كذلك وفي
الاية بيان مباحث ليس هذا موضعها وفرد هب غير واحد من ائمتنا
الى ان المنافقين يعفى عنهم ما لم يظهروا نفاقهم فان اظهروه قتلوا
وهذا ايضا يخالفه ما جرى في عهده النبي صلى الله عليه وسلم فان
منهم من اظهر نفاقه واشتهر عنه حتى عرف به والعلم الله تعالى
نفاقه ومع ذلك لم يقتلوا لما ذكرناه والله اعلم وقد يخرج من
هذا الحديث ايضا حال من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
لانه لم تقم بينة معتبرة بنفاقهم اذ قد نص فيه على المانع من ذلك
وهو غير ما قاله وفيه ما يدل على ان اهون الشرين يجوز العمل
على مقتضاه اذا اندفع الشر الاعظم وفيه دليل على الفعل
بصحيح المزارع وعلى تعليل نفي الاحكام في بعض الصور بما شبه
لذلك النفي وقوله اتدرون ما المفلس حرا صحت الرواية بها
بتقدير وقعت هنا على من تعقل واصلها ما لا تعقل والمفلس اسم فاعل
من افلس اذا صار مفلسا اي افتقر وكانه صارت دراهمه فلوسا
كما يقال اجبن الرجل اذا صار اجبانا واقهف اذا صارت
دابته قهقرى ويجوز ان يراد به انه صار الى حال يقال فيه ليس معه
فلس كما يقال افقر الرجل اذا صار الى حال يقر عليها واذل الرجل
اذا صار الى حال يذل فيها وتزلمسه الفاضي تقليسا ناداه عليه انه
افلس وقوله المفلس هو الذي ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام
وزكاة الحديث اي هذا الحق باسم المفلس اذ يوخذ منه لحسناته التي تتعب

بكر من واحد
الفكر

ـه تجيحها بشروطها حتى قبلت منه فلما كان في وقت نظره إليها وتفقده
بها اخذت منه ثم هرج في النار فلا افلاس اعظم من هذا ولا اخسر
صفقة ممن هذه حاله فقيه ما يدل على وجوب السعي في التخلص من ثقوب
الناس في الدنيا بكل ممكن والاجتهاد في ذلك فان لم يجد الى ذلك سبيلا
فالاكثار من الاعمال الصالحة فلعله يتدارك ما عليه فتبقى له بقية راجحة
والمرجو من كرم الكريم لمن سعى في الاداء نيته وعجزت عن ذلك قدرته
ان يرضي الله عنه خصومه فتتغير للطالب والمطلوب ويصير الجميع الى افضل
محبوب وتقدم ذكر من قال ان الصوم لا يؤدى فيما عليه من الحقوق
وبينا ما يرد عليه وبماذا ينفصل عنه **وقوله** لتؤدن الحقوق
الى اهلها يوم القيامة ٥ هذا جواب قسم محذوف كانه قال والله
لتؤدن والحقوق جمع حق وهو ما يحق على الانسان ان يؤديه وهو
يعم حقوق الابدان والاموال والاعراض وصغير ذلك وكبيره كما قال
تعالى وقالوا يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين **وقوله** حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء والجلحاء
هي التي لا قرون لها وكبش اجلح وشاة جلحاء ويقاد هو من القود اي
القصاص وقد جاء ان ابا هريرة حمل هذا الحديث على ظاهره فقال
يوتى يوم القيامة بالبهائم فيقال لها كوني ترابا وذلك بعد ما يقاد للجماء
من القرناء وحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ٥ وقد قيل
في معنى الحديث ان المقصود منه التمثيل على جهة تعظيم امر الحساب والقضاء
والاهتمام فيه حتى يفهم منه انه لا بد لكل احد منه وانه لا محيص له عنه
وبنا يتد هذا بما جاء في هذا الحديث عن بعض رواته من الزيادة فقال حتى يقاد

للشاة الجلحاء القرناء وللجحر اذا مر على الجحر وللعود اذا خوش العود
فيفهم من هذا ان المقصود منه التمثيل المفيد للاعتبار والتهويل لان
البهائم لا تعقل خطابها ولا توابها ولا عقابها ولم ير الله احدا من
العقلاء ومكلفيه من جملة المعتبرين بالغيب وتفسير هذا التمثيل قوله
تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية وقوله تعالى لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته متدبرا خاشعا متصدعا من خشية الله فتدبر رحمك الله تنتصر والله يحقق الامور على ما هي عليه

ومن باب مثل المومنين ٥ قوله صلى الله عليه وسلم
المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا تمثيل يفيد الحض على
معونة المومن للمومن ونصرته وان ذلك امر متاكد لا بد منه
فان البنيان لا يتم امره ولا يحصل فائدته الا بان يعين بعضه بعضا
ويقويه فان لم يعن ذلك الجملة اخر اوه وخرب بناوه وكذلك المومن
لا يستقل بامور دنياه ودينه الا بمعونة اخيه ومعاضدته
ومناصرته فان لم يقم ذلك تحرج عن القيام بكل مصالحه وعن
مقاومة معانديه فيجب لانه قد يظلم دنيا ولا دين ويلتحق
بالهالكين **وقوله** مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم
مثل الجسد الحديث هكذا صح الرواية في توادهم ومعناه واضح وقد
وقع في رواية تواددهم بتعبير في يحل وليكون مخصوصا على انه
بدل الاشتمال من المومنين والتوادد مصدر تواد يتوادد تواددا
وتوادا اذا ادغم ومقصود هذا التمثيل الحض على ما يتعين من محبة
المومن ونصحته والتفهم بامره **ومن باب تحريم السباب**
والغيبة **قوله** المستبان ما قالا فعلى الاول ما لم يعتد المظلوم
المستبان تنزيلا منزلة مذنب من السب وهو الشتم والذم وبما

مرفوعان بالابتداء وما موصولة وبقي في موضع رفع بالابتداء أيضا
وصلتها تالاه والعايد محذوف تالاه وعلى الاول خبرها ودخلت
الفاء على الخبر لما تضمنه الاسم الموصول من معنى الشرط كقوله تعالى
وما بكم من نعمة فمن الله وما وخبرها خبر المبتدا الاول الذي هو المستبان
ومعنى الكلام ان المتمتري بالسب هو المختص باثم السب لانه ظالم به
اذ هو مبتدئ من غير سبب ولا استحقاق والثاني منتصر فلا اثم عليه
ولا جناح لقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل
لان السب المنتصر به وان كان مباحا للمنتصر فعليه اثم من حيث هو
سب لكنه عاد الى الجاني الاول لانه هو الذي اخرج المنتصر اليه
وتسبب فيه فيرجع اثمه عليه ويسلم المنتصر من الاثم لان الشرع قد
رفع عنه الاثم والمؤاخذة لكن ما لم يكن من المنتصر عدوان الى ما لا يجوز له
كما قال ما لم يعتد المظلوم اي ما لم يجاوز ما سب به الى عشر امثاله
بزيادة سب آخر او بتعزير مثل ذلك السب وذلك ان المباح في الانتصار
ان يرد مثل ما قال الجاني او مقاربه لانه قصاص فلو قال له يا كلب
مثلا فالانتصار ان يرد عليه بقوله بل هو الكلب فلو كرر هذا اللفظ
مرتين او ثلاثا لكان متعديا بالزايد على الواحدة فله الاولى وعليه
اثم الثانية وكذلك لو رد عليه بافحش من الاول فيقول له خنزير مثلا
كان كل واحد منهما ماثوما لان كلا منهما جار على الاخر وهذا كله
مقتضى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وكل ما ذكرناه من جواز الانتصار
انما هو فيما اذا لم يكن القول كذبا او بهتانا فلا يجوز ان يتكلم به ابتداء
ولا قصاصا وكذلك لو كان قذفا فلو رده كان كل واحد منهما قاذفا
للاخر وكذلك لو سب المبتدئ ابا المسبوب او جده لم يجز له ان يرد ذلك

لانه سب لمن لم يجن عليه فيكون الرد عدوانا لا قصاصا قال بعض علمائنا
انما يجوز الانتصار فيما اذا كان السب بما يجوز سب المرء به عند
التاديب فالاحمق والجاهل والظالم لان احدا لا ينفك عن بعض هذه
الصفات الا الانبياء والاولياء فهذا اذا اتاه بسببه فلا حرج عليه
ولا اثم وبقي الاثم على الاول بابتدائه وتعرضه لذلك **تنبيه** ظاهر
قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ان الانتصار
مباح وعلى ذلك يدل الحديث المذكور لكن قوله تعالى والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون مدح من الله تعالى للمنتصر والمباح لا يمدح عليه
واختلف العلماء في ذلك فقال السدي انما مدح الله من انتصر ممن بغى
عليه من غير زيادة على مقدار ما فعل به يعني انه انما مدح من حيث اتقى
الشر في انتصاره اذا وقفه على الوجه المشروع ولم يفعل ما كانت
الجاهلية تفعل من الزيادة على الجناية وقال غيره انما مدح الله من انتصر
من الظالم الباغي الحالن بظلمه الذي يعم ضرره فالانتقام منه افضل
والانتصار عليه اولى قال معناه ابرهم النخعي والاحفاظ ان العفو
عن الجناة واسقاط الطالبة عنهم بالحقوق مندوب اليه مرغب
فيه على الجملة لقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله وقوله فليعفوا وليصفحوا
الا تحبون ان يغفر الله لكم **وقوله** تعفوا عمن ظلمك وتعطي من حرمك
وتصل من قطعك ونحوه كثير ومع ذلك فاختلف العلماء في المحاللة من
الحقوق فقال سعيد بن المسيب لا احلل احدا وكان يكره ان
ان يعفو عن حق وجب له ولا يسقطه ولم يفرق بين الظالم ولا غيره وهذا
هو الذي قصده مالك في كتابه وذهب غيره الى انه تجوز المحاللة من جميع

فيه اشارة الى مسلم التحليل والعفو عن حقوق للانسان وفي الاخبار ما يدل على ذلك

الحقوق واسقاطها والبه ذهب محمد بن سيرين والقاسم بن محمد كان يحلل من ظلمه وبذره لنفسه الخصوم وفرق آخرون بين الظالم فلم يحللوه وبين غيره فحللوه واليه ذهب ابرهيم النخعي وهو ظاهر قول مالك وقد سئل فقيل له ارايت الرجل يموت وله عليه دين لا وفاء له به قال افضل عندي ان يحللنه واما الرجل يظلم الرجل فلا ارى ذلك قال الله عز وجل انما السبيل على الذين يظلمون الناس فظاهر هذا ان الظالم لا يجوز ان يحلل ولم يفرق ولم نفرق بين الحقوق فيكون مذهبه كمذهب النخعي المتقدم خبره الا ترى قول مالك هذا بلفظ آخر فقال اما الرجل يغتاب الرجل وينتقصه فلا ارى ذلك فهم بعض اصحابنا من هذا ان ترك المحاللة انما منعه في الاعراض خاصة واما في سائر الحقوق فمجوز وسبب هذا الخلاف هل تلك الادلة مبقاة على ظواهرها من العموم او هي مخصصة فيخرج منها الظالم لان تحليله من الظالم جرية على الاكثار منها وهو ممنوع بالاجماع ثم ذلك عون له على الاثم والعدوان وقد قال تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واما الفرق بين الاعراض وغيرها فبالغة في سد ذريعة الاعراض لبساعتها ولتشاغل الناس في بابها فاقتضى المبالغة في الردع عنها فاذا علم ان يريد ان يغتاب مسلما ان الغيبة واعراض المسلم لا يعفى لحدها ولا يخرج منها امتنع من الوقوع فيها قال الشيخ رحمه الله ويرد على هذه التخصيصات سؤالات يدخل الكلام بايرادها والانفصال عنها والتمسك بالعموم هو الاصل المعلوم لا سيما مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت

تصدقت

بعرضي على عبادك ومع الاصل الكلي في حقوق بني آدم بين جواز تصرفهم فيها بالاعفاء والمنع والاخذ والاسقاط والله اعلم

تفريع

القائلون بجواز التحليل واسقاط الحقوق اختلفوا هل يسقط بذلك عن الظالم بمطالبة الآدمي فقط ولا يسقط عنه مطالبة الله عز وجل او يسقط عنه الجميع لاهل العلم فيه قولان

وقوله

اتدرون ما الغيبة كان هذا السؤال صدر عنه بعد ان جرى ذكر الغيبة ولا يبعد ان يكون ذلك بعد ان نزل قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ففسر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الغيبة المنهي عنها ووزنها فعيلة وهي مأخوذة من الغيب بفتح الغين مصدر غاب لانها ذكر الرجل في حال غيبته بما يكرهه لو سمعه يقال من ذلك المعنى اغتاب فلان فلانا يغتابه اغتيابا واسم ذلك المعنى الغيبة ولا شك في انها محرمة وكبيرة من الكبائر بالكتاب والسنة فالكتاب قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الآية واما السنة فكثيرة من اصحها ما خرجه ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما الكبائر استحلال المرء في عرض رجل مسلم وفي كتابه من حديث انس عنه صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة اسري بي بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم واذا تقررت حقيقة الغيبة وان اصلها على التحريم فاعلم انها قد تخرج عن ذلك الاصل صورا يجوز الغيبة في بعضها ويجب في بعضها ويندب اليها في بعضها فالاول كغيبة المعلن بالفسق المعروف به فيجوز ذكره بفسقه لا بغيره

وفي ليفعل للاشارة قال المطوع اذا ابرا الظالم تسقط المطالبة عن الظالم فلا يلزم الله مطالبته بذلك

بما يكون مشهورا به لقوله صلى الله عليه وسلم يئس اخو العشيرة
كما يأتي ولقوله لعيينة في فاسق ولقوله الى الراجز يحل
عرضه وعقوبته والثاني ذكر جرح شاهد عند خوف
امضاء الحكم بشهادته وجرح المجروح الذي يخاف ان يعمل بجرحه
او يروي عنه وهذه امور ضرورية في الدين معمول بها بجميع
من اسلفه الصالحي عليها ونحو ذلك ذكر عيب من استنصحت
في مصاهرته او معاملته فهذا يجب عليه الاعلام بما يعلم من
هناته عند الحاجة الى ذلك على جهة الاخبار كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم اما معوية فصعلوك لا مال له واما ابو جهم
فلا يضع عصاه عن عاتقه وقد يكون من هذين الشخصين ما لا يجب
بل يندب اليه كفعل الحسن بن حيي يعرض بالتحفا بخاته
الاغترار بحديثهم وكتجريح من لم يسأل لخافة معاملة من حاله
تحمل وحيث حكمنا بوجوب النص على العيب فانما ذلك اذا لم يحدث بها
من التصريح والتنصيص فما لواخفى التعريض والتلويح لحرم
التعيين والتصريح فان ذلك امر ضروري والضروري يقدر
بقدر الحاجة والله اعلم وقوله وان لم يكن فيه ما تقول فقد
بهته هو بتخفيف الهاء وتشديد التاء لادغام تا المخاطب
في التا التي هي لام الفعل وكذلك رويته ويجوز ان يكون مخففه
على ستاه الخطاب يقال بهته بهتا وبهتانا اذا قال عليه
ما لم يفعل وهو بهتان والمفعول مبهوت وبهتان بهت الرجل
بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم وافصح منها بهت
كما قال تعالى فبهت الذي كفر لانه لا يقال رجل مبهوت ولا يقال

ما بهت ولا تقل قاله الحساني وقوله صلى الله عليه وسلم يئس
ابن العشيرة او رجل العشيرة هو من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذم لهذا الرجل في حال غيبته لما علم النبي صلى الله عليه وسلم
من حاله وانه ممن لا عيبة فيه وهو عيينة بن حصن بن حذيفة
بن بدر الفزاري اسلم بعد الفتح وقيل قبله وهو من المؤلفة
قلوبهم وكان من الاعراب الجفاة روى ابو عمر بن عبد البر عن ابي رجم
الخثعمي ان عيينة دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن فقال
النبي صلى الله عليه وسلم وراءك اذن فقال ما استأذنت على احد
من مضر وكانت عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه
الحميرا فقال ام المؤمنين فقال الا انزل لك عن احمل منها
فقالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وهو
على ما ترين سيد قومه وقال الزهري كان لعيينة ابن اخ
من جلساء عمر رضي الله عنه يقال له الحر بن قيس فقال عيينة لابن
اخيه الا تدخلني على هذا فقال اني اخاف ان تتعلم منه ما لا ينبغي فقال
لا افعل فادخله على عمر فقال يا ابن الخطاب والله ما تقسم
بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر غضبا شديدا حتى هم
ان يوقع به فقال ابن اخيه يا امير المؤمنين ان الله يقول في
كتابه خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين والله ما تجاوز
عنه عمر وكان عمر رضي الله عنه وقافا عند كتاب الله قال
القاضي عياض وقد كان من عيينة وجفاته النبي صلى الله عليه وسلم
وبعد موته ما يدل على ضعف ايمانه بل فيه علم من اعلام النبي
صلى الله عليه وسلم انه يئس ابن العشيرة وقد ظهر ذلك منه

اشار في قول
النبي صلى الله عليه وسلم يئس
ابن العشيرة يريد
عيينة بن حصن
وفي شرح مرطى
حتى عن
عسم المؤلف

اذ هو من ارتد وحكي به اسيرا الى ابي بكر رضي الله عنه والله اعلم
بما كتم له قال الشيخ رضي الله عنه ويظهر من قول النبي
صلى الله عليه وسلم فيه ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة
من ودعه الناس اتقاء فحشه اي عينته ختم له بخاتمة سوء
لانه ممن اتقى النبي صلى الله عليه وسلم فحشه وشره والناس فهو
اذا شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة ولا يكون فرلك
حتى يختم الله له بالكفر والله اعلم ففي حديثه من الفقه جواز
غيبة المعلن بفسقه ونفاقه والامير الجائر والكافر
وصاحب البدعة وجواز مداراتهم اتقاء شرهم لكن مالم يؤد
ذلك الى المداهنة في دين الله تعالى والفرق بين المداراة والمداهنة
ان المداراة تبذل لدرضا لصلاح الدنيا او الدين وهي مباحة
ومستحبة في بعض الاحوال والمداهنة المذمومة المحرمة
هو بذل الدين لصلاح الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له
من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته وكلاته وخلقه ولم
يمدحه بقول لا يرضي الله في حديث وعلى هذا فلا تناقض قوله
صلى الله عليه وسلم بئس اخو العشيرة وقوله في الحديث الآخر
له حسن عشرة مع الخلق فلا مدفع لاهل الزيغ والضلال ان يبقى
على ما اوهموه باشكال وقوله من ودعه الناس او تركه الناس
اتقاء فحشه هذا شك من بعض الرواة في اي اللفظين قال النبي صلى الله
عليه وسلم فان كان الصحيح ودعه فقد تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بالاصل
المرفوض كما قد تكلم به الشاعر الذي هو انس بن زنيم في قوله
تسل اميري ما الذي غيبره عن وصالي اليوم حتى ودعه

مداراة من خاف
المداراة جائز
اذا لم تكن فيها مداهنة
وقد ذكر الفرق
بين المداهنة وبين
المداراة.

٦٩

وقد حكي عن بعض السلف انه قرأ ما ودعك ربك وما قلى
بتخفيف الدال وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تكلم بمصدر
ذلك الفعل المتروض حيث قال لينتهين اقوام عن ودعهم
الجماعات او ليختمن الله على قلوبهم وهذا كله يرد على من قال
من النحويين ان العرب قد اماتت ماضي هذا الفعل ومصدره
ولا تتكلم به استغناء عن ذلك بترك فان اراد به هذا القائل
انه لا يوجد في كلامهم فقد كذبه هذا النقل الصحيح وان اراد ان
ذلك قليل وشاذ في الاستعمال فهو الصحيح ٥

فهذا رد على الاخفش
في قوله التقدير ودع ما قلى
وهو رد ضعيف

ومن باب الترغيب في العفو والستر والرفق

قوله ما نقصت صدقة من مال فيه وجهان احدهما انه يقدر ما ينقص
منه ببركة الله فيه وتنميه وبكثرة الثاني انه وان نقص في
نفسه ففي الاجر والثواب ما يجبر ذلك النقص باضعافه
وقوله ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا فيه ايضا وجهان احدهما
ظاهر فان من عرف بالصفح والعفو ساد وعظم في القلوب
والثاني ان يكون اجره وثوابه وجاهه وعزه في الآخرة اكثر
وقوله وما تواضع احد لله الا رفعه الله التواضع الانكسار
والتذلل وتقيضه التكبر والترفع والتواضع يقتضي متواضعا
له فان كان المتواضع له هو الله تعالى او من امر الله بالتواضع له
كالرسول والامام والحاكم والوالد والعالم فهو التواضع
الواجب المحمود الذي يرفع الله به صاحبه في الدنيا والآخرة
واما التواضع لسائر الخلق فالاصل فيه انه محمود ومندوب اليه
ومرغب فيه اذا قصد به وجه الله تعالى ومن كان كذلك رفع الله

واما الحرق والعقر فمفوتان لمصالح الدنيا وقد تفضيان الى فوت ثواب الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير اى يفضي ذلك به الى ان يحرم خير الدنيا والآخرة ٥

ترجمة باب قوله لا ينبغي للمؤمن ان يكون لعانا ٥ قد تقدم ان اصل اللعن الطرد والبعد وهو في الشرع البعد عن رحمة الله وثوابه الى نار الله وعقابه وان لعن المؤمن كبيرة من الكبائر اذ قد قال صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وقوله لا ينبغي لصديق ان يكون لعانا صديق فعيل وهو الكثير الصدق والتصديق كما قد تقرر في صفة ابي بكر رضي الله عنه واللعانون الكثيرو اللعن ومعنى هذا الحديث ان من كان ضاريا في اقواله وافعاله مصرا على معنى اللعنه الشرعيه لم تكن كثرة اللعن من خلقه لانه اذا لعن من لا يستحق اللعنة الشرعية فقد دعا عليه بان يبعد من رحمة الله وجنته ويدخل في ناره وسخطه والاشارة من هذا ايضا فص اوصاف الصديقين فان من اعظم اوصافهم الشفقة والرحمة للجميع ان مطلقا وخصوصا بني آدم وخصوصا المؤمنين فان المؤمنين كالجسد الواحد وكالبنيان كما تقدم وكيف يليق بهذا ان يعامل باللعنة التي معناها الهلاك والخلود في نار الآخرة فمن كثرة منه اللعن تذر سلبت منصب الصديقية ومن سلبته فقد سلبت منصب الشفاعة والشهادة الاخروية كما قال لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهدا يوم القيامة وانما خص اللعان بالذكر ولم يقل للانسان لان الصديق قد يلعن من امره الشرع بلعنه وقد يقع منه اللعن قلة تدبر ثم يراجع وذلك لا يخرجه عن الصديقية ولا يهم من يشتمنا

الصديقية لغير ابي بكر مساواة غير ابي بكر لابي بكر رضي الله عنه في صديقيته فان ذلك باطل بما قد علم ان ابا بكر رضي الله عنه افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم لكن المؤمنون الذين لعنوا بلعانين لهم حظ من تلك الصديقية ثم هم متفاوتون فيها على حسب ما قسم لهم منها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم في الناقة المرجو عنها باللعنة خذوا ما عليها فانها ملعونة حمله بعض الناس على ظاهره فقال اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ان هذه الناقة قد لعنها الله وقد استجيب لصاحبتها فيها فان اراد هذا القائل ان الله تعالى لعن هذه الناقة كما يلعن من استحق اللعنة من المكلفين كان ذلك باطلا اذ الناقة ليست بمكلفة وايضا فان الناقة لم يصدر منها ما يوجب لعنها وان اراد ان هذه اللعنة انما هي عبارة عن ابعاد هذه الناقة عن مالكيها وعن استخدامها اياها فتلك اللعنة انما ترجع لصاحبتها اذ قد حيل بينها وبين مالكها ومنعت الانتفاع بها لانها قد استراحت من ثقل الحمل وكد السير فان قيل فلعل معنى لعنة الله الناقة ان تترك ان يعترض لها احد فالجواب ان معنى ترك الناس لها انما هو انهم لم يعودوها الى رحالهم ولا استعملوها في حمل اثقالهم فاما ان يتركوها في غير مرعاها من غير مخلف حتى تهلك فليس في الحديث ما يدل عليه ثم هو مخالف لقاعدة الشرع في الامر بالرفق بالبهائم والنهي عن تعذيبها وانما كان هذا منه صلى الله عليه وسلم تاديبا لصاحبتها وعقوبة لها فيما دعت عليها بما دعت به ويستفاد منه جواز العقوبة في المال لمن جنى فيه بما يناسب ذلك والله اعلم ٥ وانورنا الى كمال بيانها

سواء والذكر أو رق وقوله فقالت حل هي كلمة تزجر
بها الابل يقال حل حل بسكون اللام فيهما ويقال حل حل بكسر اللام
فيهما منونة وغير منونة والعنف يقال بضم العين بال أو مرواز
بن سراج ويقال بفتحها وقوله صلى الله عليه وسلم إني لم أبعث لعانا
وانما بعثت رحمة كان هذا منه صلى الله عليه وسلم بعد دعائه على رعل
وذكوان وعصية الذين قتلوا اصحابه ببئر معونة فاقام النبي
صلى الله عليه وسلم شهرا يدعو عليهم ويلعنهم في آخر كل صلاة من
الصلوات الخمس يقنت بذلك حتى نزل عليه جبريل صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله لم يبعثك لعانا ولا سبابا وانما بعثك رحمة ولم يبعثك
عذابا ثم انزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم
فانهم ظالمون على ما ذكره ابو داود في مراسيله من حديث خالد بن ابي عمران
وفي الصحيحين ما يؤيد ذلك ويشهد بصحته وقوله انما بعثت رحمة هذا
كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اي بالرسالة العامة
والارشاد للهداية والاجتهاد في التبليغ والمبالغة في النصح والحرص
على ايمان الجميع وبالصبر على جفائهم وترك الدعاء عليهم اذ لو دعا عليهم
لهلكوا وهذه الرحمة يشترك فيها المؤمن والكافر اما رحمة الخاصة
فلمن هداه الله ونور قلبه بالايمان وزين جوارحه بالطاعة كما قال
تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم فهذا هو المخصوص برحمة الله المعدودة في زمرة
الفائزين معه في مستقر كرامته جعلنا الله منهم ولا حال بيننا وبينهم
وقوله لمن اصابه من الحجر شيئا ما اصابه هذا هو هذا الكلام
من المسهل الممتنع ودل ان معناه ان هذين الرجلين ما اصابا منك حجرا
وان كان غيرهما قد اصابه فدين تنزيل هذا المعنى على ايراد ذلك الكلام فيه

معروفة ووجه التنزيل يتبين بالاعراب وهي ان اللام في لمن هي لام
الابتداء وهي متضمنة للقسم ومن موصولة رفع بالابتداء وصلتها
اصاب وعائدها المضمر في اصاب وما بعدها متعلق به وخبر محذوف
تقديره والله لرجل اصاب منك حجرا اثابر او تاجر ثم نفى عن هذين
الرجلين اصابة ذلك الحجر بقوله ما اصابه ثم ان وجب ان يكون
ما اصابه خبرا من المبتدا الذي هو كل وما عائد يعود على نفس المبتدا او اما
الضمير في اصابه فهو للحجر لا من ضمائر كل بحسب ما قلناه والله اعلم
وقوله اللهم اني بشر اغضب كما يغضب البشر فاي المسلمين لعنته
او سببته او جلدته فاجعل له ذلك كفارة ورحمة ظاهر هذا انه
خاف ان يصدر عنه في حال غضبه شئ من تلك الامور فيتعلق به
حق مسلم فدعا الله تعالى ورغب اليه في انه ان وقع منه شئ من ذلك
لغير مستحق في الباطن في المدعو عليه منتفى كما مر ذلك الدعاء
بان يعوضه من ذلك مغفرة لذنوبه وقربه في درجاته فاجاب الله
تعالى طلبة نبيه صلى الله عليه وسلم وحمده بذلك فلزم ذلك موجبه
الصدق وقوله لحق وعن هذا عبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
شارطت ربي وشرط علي ربي واخبرت عن الله عز وجل انه يجب عليه
كان الله تعالى يشترط شرطا ويوجب عليه لاجله حق بل ذلك كله لمقتضى
فضله وكرمه على حسب ما سبق في علمه فان قيل فكيف يجوز ان يصدر
من النبي صلى الله عليه وسلم لعن او سب او جلد لغير مستحقه وهو معصوم
من مثل ذلك في الغضب والرضا لان كل ذلك محرم وكبيرة والانبياء معصومون
عن الكبائر اما بدليل العقل او بدليل الاجماع كما تقدم
رحمه الله قد اشكل هذا على العلماء وراموا التخلص من ذلك بوجه متعذر

قال الشيخ

أو نحوها واحدة وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يغضب لما يرى
من المغضوب عليه من مخالفة الشرع فغضبه لله تعالى لا لنفسه
فانه ما كان يغضب لنفسه ولا ينتقم لها وقد قررنا في الاصول
أن الظاهر من غضب نحو الفعل الغضوب من أجله وعلى هذا فيجوز
له أن يؤدب المخالف له بالطعن والسب والجلد والدعاء عليه بالمكروه
وذلك بحسب مخالفة المخالف فجبر ان ذلك المخالف قد يكون ما صدر منه
زلة أو هفوة عقلة أو غلبة نفس أو شيطان وله فيما بينه وبين الله
عمل خالص وحال صادق يدفع الله عنه بسببه ذلك أثر ما صدر عن النبي
صلى الله عليه وسلم له من ذلك القول أو الفعل ويحتمل هذا أن النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله فايما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل
أن يجعلها طهورا وزكاة وقربة تقربه بها يوم القيامة اي يخوضه
من تلك الدعوة بذلك والله اعلم قال الشيخ رحمه الله وقد يدخل
في قوله أيما أحد من أمتي دعوت عليه الدعوات الجارية على اللسان
من غير قصد للوقوع كقوله تربت يمينك وألت وعقرى حلقى
ومن هذا النوع قوله لليتيمة لا كبر سنك فان هذه لم تكن عن غضب
وهذه عادة كثيرة في العرب يجرون كلامهم بهذه الدعوات ويجعلونها
دعاء لكلامهم من غير قصد منهم لمعانيها وقد قدمنا في كتاب الطهارة
في هذا كلاما لطيفا بديعا وهو من القول البديع وبما ذكرناه يرتفع الاشكال
ويحصل الانفصال ووجه لغة اي يصير في قدرة الله فقد النادر القرب
محرصفام ادغم الميم الاولى في الثانية وهي على عكس اللغة المشهورة فانهم همسا
قلبوا الراء نونا وادغموا الراء في النون وهو الاول وقوله صلى الله عليه وسلم
لبنيمة ام سلمة أنت هيبه لقد كبرت لا كبر سنك الهاء في هيبه للوقف

فاذا وصلت حذفتها وهذا الاستفهام على جهة التعجب وكأنه لما رأى صلى الله
عليه وسلم قرارها صغيرة ثم غابت عنه مدة ثم رآها قد كانت وكملت
فتعجب من سرعة ذلك فقال لها ذلك القول متعجبا فوصل فلا أمه بقوله
تلا كبر سنك على ما قلناه من اطلاق ذلك القول من غير ارادة معناه
وهذا واضح لما ويحتمل أن يقال انما دعا عليها بأن لا يكبر سنها فتبرة
تعود بها الى أول العمر كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من أن يرد
الى أرذل العمر والمعنى الاول أظهر من سياق يقيه الحوض في اعتذاره
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقول اليتيمة لا يكبر سني أو قالت غربني
هو بفتح القاف وتعني به السن وهو شك عرض لبعض الرواة
وأما له أن من ساوى اخوانه في سنه كان قرن رأسه مجاورا لقرنه
وقرن الرأس هو ناحيته الأعلى وهذا يدل على أن اجابة دعوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت معلومة بالمشاهدة عند كبارهم وصغارهم
لكثرة ما كانوا يشاهدون من ذلك ولعلمهم بمكانته من الله عليه وسلم
وتلوث حمار هالذبرة على رأسها وعنقها والظهور بقايا الكمارة
من الذنوب وتلاشيها في الرواية الأخرى كفارة والصلاة بين الله تعالى
الرحمة كما قد عبر عنها في الرواية الأخرى بالرحمة والزكاة الزيادة
في الأجر كما قد عبر عنها في الرواية الأخرى بالأجر والقربة ما يقرب
الى الله تعالى والى رضوانه وفيه ما يدل على تأكد الشفقة على اليتيم
والرأفة عليه والحنو عليه وقول ابن عباس رضي الله عنهما كنت
ألعب مع الصبيان دليل على جواز تخلية الصغير للعب لتنشيط نفسه
وتنشيط أعضائه وتنشيط رجلاه اي تنشط وقوله فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف بابي اي اختفيت بالباب وكأنه استحيى

من النبي صلى الله عليه وسلم وهابه **وقوله** فحكاني بحكاه فسرتها
امنة بن ذى لا يقدرني قدرة وكلاهما محتاج الى تفسير فاما حكاني
فصحة بالحاء المهملة وبالسين على قول شمر وهو الحق في الصحاح وهكذا
فسره اهل الاتقان والضبط وهو ان تضرب بيدك مبسوطة في
القفا او بين الكتفين وحكاه الهروي بخير مهموز في باب الحاء والكاف
والواو وقال ابن الاعرابي الحطو كرد السني مشتق عز عما واما
القفد بتقديم القاف على الفا فالمعروف عند اللغويين انه المشي
على صرور القدمين من قبل الاصابع ولا تبلغ عقباه الارض يقال
رجل اقفد وامرأة قفدا وهو القفد بفتح القاف والفا حال
الشيخ رحمه الله ولم اجد قفدني بمعنى حكاني الا في تفسير امنة هذا
وهذا الضرب من النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس تاديب له
ولعله لاجل اختفائه به منه اذ كان حقه ان يحتجب اليه ولا يفرمنه ويحتمل
ان يكون هذا الضرب بعد ان امره ان يدعو له معوية فلم يوجد على
معوية انه دعا له وتراخى ذلك الا ترى قوله في المرتين هويا كل
ولم يرد على ذلك وكان حقه في المرة الثانية الايقار فحتى ياتي به
والله اعلم فيه تاديب الصغار بالضرب الخفيف الذي يليق بهم
بحسب ما صار عندهم **وقوله** ادع لي معوية فيه استعمال الصغار
فيما يليق بهم من الاعمال **وقوله** لا اشبع الله بطنه يحتمل ان يكون من دعوة
لا كتريد كما قلناه على تقدير ان يكون معاوية من الاول في امر
كان مقدورا به من شدة الجوع او مخافة فساد الطعام او غير ذلك
وهذا المعنى اولى من ادخل هذا الحديث في مناقب معوية فكانه كنى
به عن انه دعا عليه بسبب كان معذورا به فحصل له من دعا النبي

ملحق المقابلة

صلى الله عليه وسلم الكفارة والرحمة والقربة الى الله تعالى التي دعا
بها النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه ويحتمل ان يكون هذا الدعاء من
النبي صلى الله عليه وسلم على حقيقته اذ ليس المعوية على تثبيطه في اجابة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم واجابته دعوته ولجبه على الفور
بدليل حديث ابي الذي انكر فيه عليه ترك اجابته وكان ابى في الصلاة

باب ما ذكر في ذي الوجهين وفي النميمة

والتحذير من الكذب **قوله** من شر الناس ذو الوجهين يعني
به الذي يدخل بين الناس بالشر والفساد فيواجه كل طائفة
بما يتوجه به عندها مما يرضيها من الشر فان رفع حديث
احدهما الى الاخر على جهة الشر فهو ذو الوجهين تاما وامام
من كان ذا وجهين في الاصلاح بين الناس فيواجه كل طائفة
بوجه خير وقال كل واحد منهما من الخير خلاف ما يقول للاخرى
فهو الذي يسمى المصلح وفعله ذلك يسمى الاصلاح وان كان كاذبا لقوله
صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرا
وينمي خيرا **وقوله** الا انبئكم ما العضه هذا ادرج في قراءته
بفتح العين واسكان الضاد والهاء وهذا عند الحماني وهو مصدر
عضهه تعضيه عضها اذا رماه بكذب وبهتان وقد روى ان
اكثر الشيوخ ما العيضة بكسر العين وفتح الضاد والتا المنقلبة
عند الوقف ما وهي امور لان العيضة اسم والنميمة اسم فحمل تفسير
الاسم بالاسم والعضه مضر ولا يحسن تفسير المضر بالاسم فالرواية
الثانية اولى والذي يبين لك ان العيضة اسم ما قاله ابو عيسى بالك
العيضة الكذب والبهتان وجمعها عيضون مثل عزة وعزين

قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرا وينمي خيرا

وقد بينا ان العصمة المصدر فهم ما قلناه وقد تقدم القول في هذا
في الوحدس والتمام وقد فسر السيد صلى الله عليه وسلم العصمة باليمينة
لان اليمينة لا تنفك عن الكذب والبهتان نمالنا وقوله علكم
بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة
وايا كم والكذب الحديث يفجر يفسق ويوصل والبر العمل الصالح
والجنة كما قدمناه والفجور الاعمال السيئة وعليكم من الفاظ
الامر المصرح بالالزام فحث على كل من فهم عن الله تعالى ان يلتزم
الصدق في اقواله والاخلاص في الاعمال والصفاء في الاحوال فمن كان
كذلك فحري بالابرار ووصل الى رضى الغفار وقد اراد الله الى ذلك كله
بقوله عند ذكر احوال الثلاثة التائبين فقال يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والقول في الكذب المحذر عنه
على الضد من القول في الصدق وقد تقدم القول في البر والفجور والنفس
وقوله ان لم يلتزم ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث
تعني بذلك انه لم يرخص في شيء مما يكذب الناس فيه الا في هذه الثلاث
وقد جاء لفظ الكذب هكذا في كتاب الترمذي من حديث اسماء بنت يزيد
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل الكذب الا في ثلاث
تحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح
بين الناس فهذه الاحاديث قد افادت ان الكذب كله محرم لا يحل منه
شيء الا هذه الثلاثة فانه رخص فيها لما يحصل بذلك من المصالح وترفع
به من المفاسد والاولى ان لا يجترئ في هذه الثلاثة اذا وجد عنه
مندوحة فان لم توجد المندوحة اعملت الرخصة وقد يجد ذلك
بحسب الحاجة الى تلك المصلحة والضرورة الى دفع تلك المفسدة

يهدي يهاه

ان الله لا يحل الكذب الا في ثلاث حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره

وما ذكرته هو ان شاء الله مذهب اكثر العلماء وقد ذهب الطبري
الى انه لا يجوز الكذب الصريح في شيء من الاشياء الا في هذه الثلاثة
ولا في غيرها مستدلا بالقاعدة الكلية في تحريمه وتاول
هذه الاحاديث على التورية والتعريض وهو تاويل لا تعضده
دليل ولا تقارض بين العموم والخصوص كما هو عن العلماء منصوص
واما ذكره نبي نبيا او وليا او اثما او مطلوبا ممن يريد ظلمه
فذلك لا يختلف في وجوبه امتثالا لامر الله العزيز والله اعلم وقوله
ان الرجل لا يزال يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقا تحري الصدق تقصده اليه وتوخاه وتجنبه تفيصه
الذي هو الكذب هي تعرف الصدق بحاله فيكتب من جملة
الصديقين وشتان ما بين هذين وكذلك العدول عن الكذب واصله
الكتب الضم والجمع ومنه كتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها
بحلقة وقوله كتب في قلوبهم الايمان جمعه وضمه وكتاب الله
لاغلبن انا ورسلي اي حكم واوجب فكانه جمع ما حكم به
في المحكوم عليه وكتب الكتاب جمعت فيه الحروف وضممته
وقد تقدم القول في نصه بين وخرج ابو مسعود الدمشقي
حديث عبد الله بن مسعود هذا وزاد فيه وان شر الروايا روايا
الكذب وان الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا يعد الرجل صاحبه
ثم يخلفه وذكر ابو مسعود ان مسلما خرج هذه الزيادة ولم تقع لنا
هذه الزيادة ولا لاحد من اشياخنا فيما علمناه وقال ابو عبد الله
الحميدي وليست عندنا والروايا جمع راوية يعني به حامل الكذب
وراويه والقائم به لانها لغة فعلاء منه وشاة اروية

شبه حامل الكذب لحمله اياه بالراوية الحاملة لما وفيه حجة
للكبرى في تخريجه انكرت مطلقا وحموشا وفيه ما يدل على
وجوب التوقي بالمرغوب ولو كان بالشيء الحقير مع الصبي الصغير
ومن باب ما يقال عند الغضب والنهي عن ضرب الوجه
قوله صلى الله عليه وسلم للغضبان اني لاعرف كلمة لو قالها لذهب
عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يدل على ان الشيطان له تاثير
في تهييج الغضب وزيادته في حمله على البطش بالمغضوب عليه
او الاضرار به او اتلاف نفسه او شر يستحق به العقوبة
في الدنيا والاخرة فاذا تعوذ الغضبان بالله من الشيطان الرجيم
تحكم قصده لذلك فقد التجا الى الله تعالى وقصره واستجار به
والله تعالى اكرم من ان يخذل من استجار به ولما جهل ذلك الرجل
ذلك المعنى وظن ان الذي يحتاج الى التعوذ انما هو المجنون قال
اتحسبني مجنونا ترائى منكرا عملي من تبعه على ما يصلحه ورادا له
بنفعه وهذا من اقبح الجهل وكان هذا الرجل كان من دهاة
الاعراب الذين قلوبهم من الفقه والعلم خراب وقوله انذر رون
من الرقوب يعني قال لما الذي لا يولد له والرقوب فعول وهو
الكثير المراقبة لحضور وقبول لكنه صار في عرف استعمال
عبارة عن المرأة التي لا يعيش لها ولد كما قال عبيد بن الابرص
قانئها شمطة رقوب قال الشيخ قد انقل اهل اللغة ولم يذكروا
ان الرقوب يقال على من لا يولد له مع انه قد كان معروفا عند الصحابة
ولذلك اجابوه رسول الله صلى الله عليه وسلم والغالب ان يقتضيه
لان الذي لا يولد له يكثر بحضرة اترابه المولد وانتظاره له

ويرجو فيه اذا كان من يرثي ذلك كما يقال على المرأة التي ترى تقدموت
زوجها رقوب ولبانة التي ترقب الحوض فتشفر منه ولا تقربه
رقوب قال الشيخ رحمه الله ويحتمل ان يحمل قوله في الرقوب
انه الذي لا يولد له على الذي لا يولد له بعد فقد اولاده لو صوله
من الكبر الى ان لا يولد له فيجتمع عليه مصيبة الفقد ومصيبة
اليأس وقد اموا الا ليؤيسنا في الحديث الاتي قوله ليس
ذلك الرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا اي مواقف
باسم الرقوب من ذلك لان هذا الذي اصيب بفقد اولاده في الدنيا
تجبر في الاخرة بما يعوض عن ذلك من الثواب واما من لم يمت له ولد
فليس يفقد في الاخرة ثواب فقد الولد فهو احق باسم الرقوب من الاول
وقد صدر هذا الاسلوب من النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا كقوله
ليس المسكين بالكواف عنهم وليس الشديد بالصرعة وليس الواصل
بالمكافئ ومثله كثير ولم يرد بهذا السلب سلب الاصل لكن سلب
الاولى والاحق والصرعة بفتح الراء هو الذي يصرع الناس كثيرا
وبالسكون هو الذي يصرعه الناس وكذلك هزأة وهزأة
بكسره وسكونه وقد تقدم وقوله لما صور الله تعالى آدم في الجنة
تركه ما شاء ان يتركه يعني ان الله تعالى لما صور جثة آدم وشكلها
بشكله على ما سبق في علمه فلما رآها ابليس اطاف بها اي دار حولها
وجعل ينظر وكيفيتها وامرها فلما رآها ذات جوف وقع له
انها معتقرة الى ما يسد جوفها وانها لا تتمالك عن تحصيل ما تحتاج
اليه من امر اصلها وشهواتها وكان الامر كما وقع

باب

اذا قال احدكم اخاه فلا يلطم الوجه وفي الاجواف فليجتنب الوجه

فان الله تعالى خلق آدم على صورته ومعنى قائل ضربه وقد بان لك
بعض روايته وقد قلنا ان اصل المقابلة المراقبة ويعني بالاخرة
والله اعلم اخوة الادمية فان الناس كلهم بنو آدم ودل على ذلك قوله
فان الله خلق آدم على صورته اي على صورة وجه المضروب فكان
الله تعالى في وجه ابن آدم ولابن آدم لهم وجه ابيه آدم وعلى من افجر
لهم الوجه من المسلم والكافر ولو اراد الاخرة البتة لكان
للتعليل بخلق آدم على صورته معنى لا يقال فالكافر مامور بقتله
وضربه في اي عضو كان اذ المقصود اتلافه والمبالغة في الانتقام
منه ولا شك في ان ضرب الوجه ابلغ في الانتقام والعقوبة فلا يتم
انما مقصود الحديث اكرام وجه المؤمن لحرمته لانا نقول مسلم
انا مامورون بقتل الكافر والمبالغة في الانتقام منه لكن اذا امكننا
من اجتنابه وجميع اجتنبناه ليسر قبة نادر العضو لان الشرع
قد نزل هذا الوجه منزلة وجه آدم وبقية الرجل وجه اسوة رحمة
اي للاهم وليس كذلك سائر الاعضاء لانها كلها تابعة للوجه
وهذا الذي ذكرناه مرادهم الحرب ولا يكون في الحديث اشكال يدل
في حق الله تشبيها وانما اشكل ذلك على من اعاد الضمير في صورته
على الله تعالى وذلك ينبغي ان لا يصار اليه عقلا ولا شرعا اما العقل
فتجهيل الصورة الجسمية على الله تعالى واما الشرع فلم يرد على ذلك
نصا قاطعا ومحال ان يكون ذلك فان النص القاطع صادق والصادق
لا يقول المحال ويبعد عود الضمير على المضروب لانه هو الذي سبق
الكلام لبيان حكمه وقد اعادت المشهقة نادر الضمير على الله تعالى
فالنزموا القول بالتجسيم وذلك نتيجة العقل السقيم والجهل الصميم

وقد

وتوهيما جهلهم وحمقهم فتبين فيما تقدم ولو سلمنا ان الضمير يعود
على الله قلنا ويل قبيه رجه يحكم وهو ان الصورة قد تطلق بمعنى
الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي صفتها وصورتي
كذا فصورته اي وصفه لي فعلمته وضبطته وصفه
نفسي وعلى هذا فيحتمل معنى قوله ان الله خلق آدم على صورته
اي كلمه مرموقا بالعلم الذي فصل بينه وبين جميع اصناف
الحيوانات وخصه منه بما لم يخص به احدا من ملائكة الارضين
والسموات وقد قلنا فيما تقدم ان التسليم في المتشابهات اسلم
والله ورسوله اعلم الانباط جمع نبط وهم قوم ينزلون بالبطائح
بين العراقين سموا بذلك لانهم يستطون الماء اي يخرجون عليه
حتى يخرج على وجه الارض يقال نبط الماء ينبط وينبه اذا نبع
وانبط الحفار الماء اذا بلغ اليه والاستنباط استخراج العلوم
ويقال على النبط نبيط ايضا وكانوا اذاء امل رمية ولذلك
عيروا بالشمس وصبت ابوابهم على رؤسهم لاجل الجزية وكانهم
امتنعوا من الجزية مع التمكن فعوقبوا بذلك فاما مع تعذر تحرزهم
فلا يحل عقوبتهم بذلك لما يصيره لان من عجز عن الجزية سقطت عنه
وقوله ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا يعني اذا عذبوهم
ظالمين اما في اصل التعذيب فيعذبونهم في موضع لا يجوز فيه التعذيب
او بزيادة على المشروع في التعذيب اما في المقدار واما في الصفة
كما بيناه في الحدود وقوله وامرهم يومئذ عمير بن سعد هكذا
تحت الرواية عن اكثر الشيوخ وفي اكثر النسخ وهو الصواب لانه
عمير بن سعد بن عمر الفارسي الانصاري من بني عمرو بن عوف يكنى ابا

ابا زيد وهو آخر من جمع القرآن الذى تقدم ذكره فى حديث انس الذى
قال فيه انس ابو زيد احد عمومتى واختلف فى اسم ابى زيد هذا فقيل
سعد كما تقدم وهو الاكثر وقيل سعيد وكان عمر رضى الله عنه
ولى عمير احمس وكان نقاله لبسيط وحده وقد وقع فى كتاب النسائى
انه على الصحيح عمر بن سعد قال اهل النقل وهو وهم وانما عمرو
بن سعد معدود فى الصحابة وهو عمرو بن سعيد بن العاص
وبيته كذا قاله القاضى ابو الفضل وان شئت اسرعت ومعناه
ان ترى عن قرب ما تحذر به وتقدم القول فى يوشك وانه
من افعال المقاربة وفى القوم باديهم سباة كذا فى كتاب البقر

الذيب

ومن باب النهى عن الاشارة بالسلاح وفضل تخبئة الاذى عن الطريق

قوله من اشار الى اخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه حتى كذا فى
الرواية بالاقتصار على حتى ولم يذكر الخبر وربما استغنى عنه
لدلالة الكلام عليه تقديره حتى يترك او يدع وما اشبهه
ووقع عند بعض الرواة بعد حتى وان كان اخاه لابيه وامه وعليه
فيكون ما بعده ليس من قول النبى صلى الله عليه وسلم وسقط لبعضهم
يعنى فيكون ما بعده من فعل النبى صلى الله عليه وسلم لكن ان سياق
الكلام واحد ولعن النبى صلى الله عليه وسلم للمشير بالسلاح دليل
على تحريم ذلك سلطانا جرا كان ذلك او مقرا والاخفى وجه لعن من لم
قصد ذلك لانه يريد قتل المسلم او جرحه وكلاهما كبيرة واما ان كان هازلا
فلا قه ترويع مسلم ولاجل ترويعه ولانه ذريعة الى القتل والجرح
المحرمين وقد نص فى الرواية الاخرى على علة مراعاة الذريعة حيث
قال فانه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار

وقوله ولو كان اخاه لابيه وامه يعنى ان ذلك محرم وان وقع مع
اشفق الناس عليه واقربهم رحما وهو يشعر بتمام التنفير من ذلك وبقال
جمم نصل وهى هنا حديدة السهم وتكراره تاكيدا خذ بنصالها
ثلاث مرات على جهة التاكيد والمبالغة فى سد الذريعة وهو
من جمله ما استدل به لمالك على اصله فى سد الذرائع وقوله
حتى اخرش سلما به ما يدل على صحة القول بالقياس وتعليل
الاحكام الشرعية وقول ابى موسى رضى الله عنه ما ظننا
حتى سرد نا ها بعضنا فى وجوه بعض يعنى ما مات معظم الصحابة
حتى وقعت بينهم الفتن والمحن فرمى بعضهم بعضا بالسهام وقاتل
بعضهم بعضا ذكر هذا فى معرض التاسف على تغير الاحوال وحصول
الخلاف لخاصر الشرع من التعاطف والتواصل على قرب
العصر وكمال الخير وقوله فستر الله تعقيبه الى الخبر الملائكة
او لى شاهد من تحلته الثناء بما فعل من الاحسان لغيره وقد تقدم
ان اصل الشكر الغفور او يكون جازاه خيرا الشاكر نسى الجزا
شكرا او عبر عنه بستر كما فى الرواية الاخرى فادخل الجنة
وكل ذلك انما حصل لهذا الرجل بحسن نيته فى تنحية الاذى وقوله
والله لاحبس هذا عن المسلمين لا يؤذيهم وقوله لقد رايت رجلا يتقلب
فى الجنة فى شجرة قطعها اى يتنعم فى نعيم الجنة وملابسها وقصورها
وسائر ما اعد الله فيها وقوله وامر الاذى عن طريق المسلمين هكذا
رواينا وفى رواية عامة الشيوخ بزا مشددة من المرور يعنى نحو
وعند الطبرى وامر برفع محمد من المرور ازاله عن الطريق
ومنه غصنه وعند ابن ماهان احرز وكلها بمعنى واحد وفيه ما يدل

على الترغيب فى ازالة الاذى والضرر عن المسلم وعلى ارادة
الخير لهم وهذا مقتضى الدين والنصيحة والمحبة وقوله دخلت
امراة النار فى هرة الخ اى من اجل وفيه لغتان المد
والقصر وفاعل هذا ان الهر تملك لانه صلى الله عليه وسلم اضاف
الهر للمراة باللام التى هى ظاهرة فى الملك وقد تقدم الخلاف
فى ذلك وفيه ما يدل على ان الواجب على مالك الهر احد الامرين
اما ان يطعمه او يتركه ياكل مما يجده من الحشاش وهى حشرات
الارض واحناشها وقد تقال على صغار الطير وهو بالحاء
المهملة وقال بعضهم الخاء وكسرها وحكى ابو على القالى فيها الضم قاما
الخشاش بالكسرة فغير فهو الذى يدخل فى انف البعير من شدة
والخزامة من شعر قاما الخشاش بالفتح فهو الماشى من الرجال
قال الجوهرى وقريم وترمم بفتح التاء والميم المشددة للعزيز
والنجيب وهى البجنة وخنزعصم ترمم بضم التاء وكسر الميم الاولى
والثانى العزيز ومعناه تاكل ما خوذ من الحرمة وهى الشفة
من كل ذات ظلف ومن باب عذاب المتكبر والمتكبر

قوله العز ازاره والكبر رداؤه قد تقدم بيانه كذا احاديث
هذا الفصل فى كتاب مسلم فقد تقدم بكتاب الجنة ثم خرج الى الحضور
وهذا على نحو قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ثم خرج من
خطاب الحضور الى الغيبة وهى طريقة عربية معروفة وقد ذكرنا نظرا
لذكرنا فى خزرتنا من كتاب مسلم الكبر رداؤه والعظمة ازاره فمن نازعنى
واحدا منهما قصمته ثم القيته فى النار واصل الازار الثوب الذى
يشد على الوسط والرداء ما جعل على الكتفين وكما كان بعض الشيوخ

بخلاف الاولين لانتفى عنهما ولا يقبلان المشاركة غير الله تعالى
عن العز بالازار وعن الكبر بالرداء على جهة الاستعارة المستعملة
عند العرب كما قال ولباس التقوى ذلك خير فاستعار للتقوى لباسا
وكما قال صلى الله عليه وسلم من اسبل شيئا من ثوبه المراد انها وكما
قال النساء يتتبعن الخافقة اذ رعوا لباس الخشية ولم يقولوا
فلان شعاره الزهد والورع ودثاره التقوى وهو كثير معهود
هذه الاستعارة الحسنة ان العز والعظمة والكبر بالمن اوصاف الله
تعالى الخاصة به التى لا تنبغى لغيره فمن تعاطى شيئا منها اذله الله
تعالى وصغره وحقره واهلكه كما قد اظهر الله تعالى من سنته فى
المتكبرين السابقين واللاحقين وقوله تعالى لا يغفر الله
لفلان كما صرح به انه قطع بان الله تعالى لا يغفر لذلك الرجل وكانه
حتم على الله وحجر عليه وهذه نتيجة الجهل باحكام الالهية والادلة
على الله بما اعتقد انه عنده من الكرامة والحظوة المكانة ولذلك
اكد الذنب بن الخسة والاضافة فان كان هذا القائل مستحلا لهذه الامور
فهو كافر مخلد واحباط عمله لاجل الكفر كما حبط عمل الكفار
وان لم يكن مستحلا لذلك وانما غلبه عليه الخوف فحكم بانفاذ الوعيد
فليس بكافر لكنه مرتكب كبيرة فانه قاطع بان من رحمه الله فيكون
احباط عمله بمعنى انه ما اوجب له هذه الكبيرة من الاثم يرى على اكبر
اعماله الصالحة فكانه لم يتقبل له عمل صالح وقوله من ذا الذى يتالى
على الا اغفر لفلان استفهام على جهة الانكار والوعيد ويستفاد
منه تحتم الادلة على الله تعالى ووجوب التاديب معه على الاقوال والاحوال
وان حق العبد اذا عامل نفسه باحكام الخوف وتولاه بما يجب له

من احكام الالهية والربوبية وقوله فاني قد غفرت لفلان واحبطت
عملك دليل على صحة مذهب اهل السنة انه لا يكفر احد من اهل القبلة
بذنب وهو موجه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وان الله تعالى ان يفعل في تعبيره ما يريد من المغفرة والاحباط
اذ هو الفعال لما يريد القادر على ما يشاء وقد يقينا الاحباط المذكور
في هذا الحديث وقوله اذا قال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم قال
ابو اسحق هو اذى اهلكهم بالنصب او بالرفع ، ابو اسحق هذا ابراهيم
بن سفيان الراوي عن مسلم شك في ضبط هذا الحرف وقد فسره الناس
بعده بالوجهين وقد اهلكه رجحه فاذا كان بالرفع فمعناه ان القائل
لذلك القول هو احق الناس بالهلاك او اشدهم هلاكا وتحمله
على ما اذا قال ذلك تحقيرا للناس وزراية عليهم معجبا بنفسه
وعمله ومن كان كذلك فهو احق بالهلاك منهم فاما لو قال ذلك
على جهة الشفقة على اهل عصره واسفا بالنسبة الى من تقدمهم من
اسلافهم فانها لين فلا شيء وله هذا الرحم فانها عادة جارية
في اهل العلم والفضل يعظمون اسلافهم ويفضلونهم على من بعدهم
ويقصرون من خلفهم وقد يكون قد على جهة الوعظ والتوبيخ
ليقتدي اللاحق بالسابق فيجتهد المقصر ويتدارك المفرط كما
قال الحسن رحمه الله لقد ادركت اقواما لو ادركتموهم لقلتم مرضى
ولو ادركوكم لقالوا انا وكلا لا يؤمنون بيوم الحساب ، واما من
قدره بالنصب فيكون معناه ان الذي قال ذلك منهم وكل متفكها لهم هو
اعلمهم بهذا القول فان الذي يسمعه قريبا من رحمة الله فيهلك وقد
يعقب على القائل رأي الخوارج فيهلك الناس بالخروج عليهم ويشق

عصاهم وبالقتال ويغير ذلك كما فعلت الخوارج بعثمان رضي الله عنه
فقتلته وحيث وقتل مضاه انه الذي قال ذلك منهم لا الله تعالى وكانه
هو الذي يحق ذلك من غير تحقيق ولا دليل من جهة الله تعالى والله اعلم
وقوله رب اشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره الاشعث
المتلبد الشعر غير المدهن والمدفوع بالابواب اي عن الابواب
فلا يشرف بفتحها لاحتقاره له ويصح ان يكون معناه يدفع بسبب الابواب
في وجهه كلما اراد دخول باب من الابواب او تضاءلت حاجة من الخوارج
وقوله لو اقسم على الله لابره اي لو وقع منه قسم على الله في شيء لاجابه
الله تعالى فيما سألته اكراما له ولطفا به وهذا اكثر ما تقدم من قول انس
بن النضر رضي الله عنه لا والله لا تكسر ثنية الربيع ابدا فاجاب الله قسمه
ان جعل في قلوب الطالبين القصاص الرضى بالدية بعد ان كانوا ابوا
قبولها ونحو ما تقول للرجل الذي يتقي بالكفار يا قتلوا احتمال القتال وعظم الرزء
فقال ابر اقسمت عليك يا رب او عزمت عليك لتمحقنا اجابهم ولتحيفني
بيمينك وابر الله قسمه فغار ذلك ولقد ابعد من قال ان القسم هنا من
الدعاء من جهة المعنى والمعنى

من باب الوصية بالجار والحث
على الاحسان اليه والتيسير

قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه وفيه ان الجار يطلق على المجاور في الدار وعلى الداخل في
الجوار وكل واحد منهما له حق ولا بد من الوفاء به وفيه حض قوله
صلى الله عليه وسلم لرجل اكحله من لا امن جاره بوائقه وقوله من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ولما اكثر جبريل على النبي صلى الله
عليه وسلم حق الجوار وكثر تحذيره من ذلك غلب على ظنه صلى الله عليه
وسلم ان الله سيحكم بالميراث من الجارين ويدل على ان هذا الجار هنا

وجار الدار الى الجار بالفعل وكان في اول الاسلام ثم نسخ ذلك
كما تقدم فان كان هذا القول صدر من النبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر
فقد كان التوارث مشروعا ثم مشروعيته واقعه بحققه غير منظور
ولا مظنونه وان كان بعد ذلك فوقع ذلك الحكم ونسخه محقق وكشف
نفس مشروعيته ويحتمل ان المراد بالجوار في هذا الحديث هو جوار
الدار والله اعلم **وقوله** اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك
هذا الامر على جهة الندب والحض على مكارم الاخلاق وارشاد الى
محاسنها لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة والالفة ولما
يحصل به من المنفعة ودفع الحاجة والمفسرة فقد يتأذى الجار بقتار
قدر جاره وعياله وصغاره وولده ولا يقدر على التوصل الى ذلك
فيتضرر ضعفا بسبب الشهوة ويعظم على القيام بحقهم الالم والحسرة
بقي شيئا او ارمله صعيفة فيعظم المشعه ويشتد بسببهم الالم والحسرة
وكل ذلك يندفع بالتسبب في شيء من الطبيخ يوقع اليهم فلا اقبح
من منع هذا القدر اليسير الذي يترتب على بذله هذا الضرر الكبير
وقوله فاكثر ماءها تنبيه لطيف على تيسير الامر على المخيل اذ الزيادة
المأمور بها انما هي شيء ليس له ثمن وهو الماء ولذلك لم يقل اذا
طبخت مرقة فاكثر لحمها او صبخها اذ لا يسهل ذلك على كل احد
وقوله ما هيئ منها بمعروف اي يعني بسيرا مثله عرفا فاكثر ان القليل
المحتقر فانه وان كان مما يسير عدم لا يقع ذلك الموقع فلو لم تتيسر الا القليل
المحتقر فلتهده ولا تحتقره كما جاء في الحديث الاخر لا تحقرن من المعروف
شيئا ويكون المعنى له مأمورا بقبول ذلك المحتقر والمكافاة عليه
ولو بالشكر لانه وان كان قدره محتقرا دليل على تعلق قلب المهدي

بجاره **وقوله** ولو ان يلقى احاد بوجه طليق هكذا في بعض نسخ
اللام وبا بعدها وكذلك الوجه بسكون اللام بغير با وبها لغتان يقال
رجل طلق الوجه وطليق الوجه وهو المنبسط الوجه البشوش يقال
طلق وجهه بضم اللام يطلق طلاقه **ومن باب فضل السقي**
على الارملة ونحوها اليتيم قال الجوهري الارمل الرجل الذي لا امرأة
له والارملة المرأة التي لا زوج لها وقد ارملت المرأة اذا مات عنها
زوجها قال ابن السكيت الارامل المساكين من رجال ونساء قال
ويقال لهم وان لم تكن فيهم نساء ويقال قد جاءت ارملة من نساء ورجال
محتاجين وانما شبه الساعي على الارملة بالمجاهد لان القيام على
المرأة ونحوها بصلحها وبما يحفظها ويصونها لا يتصور الدوام عليه الا مع
الصبر العظيم ومجاهدة النفس والشيطان فانهما يحملان على ذلك
ويثقلانه ويفسدان النيات في ذلك وربما ادعوا بسبب ذلك الى السوء
وبسببه لانه ولذلك قل من يداوم على ذلك العمل واقل من ذلك من يسلم
منه حاز اجل ذلك العمل خصلت منه فوائد كثيرة كرب الضعفا وابقا
رحمتهم وسترخلتهم وصون حرمتهم **وقوله** كافل اليتيم له
او لغيره انا وهو في الجنة هكذا تنص بعدم ان اليتيم هو الذي
مات قتل ثقد الاب ونحوه ما يصل بعد الام ومعنى قوله له او لغيره
اي سواء كان اليتيم قريبا للكافل او لم يكن في حصول ذلك الخير الموعود
على كفالته ومعنى قوله انا وهو في الجنة كهاتين اي مع معنى الجنة
وحصرته عبر ان كل واحد منهما على درجته منها اذ لا يبلغ درجة
الانبياء عليهم ولا يبلغ درجة نبينا ادرس الانبيا على ما تقدم والى هذا
المعنى الاشارة بقرانه بين اصبعه السبابة والوسطى فيهم من الجمع

بينهما المعية والحضور ومن تفاوت ما بينهما اختص كل واحد منهما
بمنزلته ودرجته وتدل على هذا المعنى التي صلى الله عليه وسلم وقوله
المرء مع من احب وله ما اكتسب وقد تقدم نحو هذا
ومن آيات التحذير من الرياء والسمعة قوله تعالى
انا اغنى الشركاء عن الشرك اصل الشرك المحرم اشتقاق شريك لله
تعالى في الالهية وهو الشرك الاعظم وهو شرك الحاد عليه وتليه
في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل وهو قول من قال ان موجودا
ما غير الله تعالى يستقل باختراع فعل ولجاده وان لم يعتقد كونه الها
ويلي هذا في الرتبة الاشراك في العبادة وهو الرياء وهو ان يعمل شيئا
من العبادات التي امر الله بفعلها له لغير الله وهذا هو الذي سبق
هذا الحديث لبيان تحريمه وانه مبطل للاعمال ولهذا اشار بقوله
من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه وهذا هو
المسمى بالرياء وهو على الجملة مبطل للاعمال وضده الاخلاص وهو
من شرط صحة العبادات والقرب وقد نبهنا على بعض ما قد يعرض
واستيفاء ما يتعلق بهما يذكر في الرقاق وقوله من سمع سمع الله
به اي من حدث بعمله يريد ليسمع الناس فيحمده الله يوم القيامة
ويشهره على رؤوس الاشهاد كما جاء في حديث مسلم يسمع الله به
سامع خلقه يوم القيامة اي كل من يسمع وقيل ان معنى ذلك ان من اذاع
بعمل صالح وشتهه عليه اظهر الله محبوته وقوله ومن راءى
راءى الله به اي من راءى بعمله فعل شيئا من القرب لغير الله فاعله الله
كما قال ومكروا ومكر الله وقوله ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين
ما فيها اي من الاثم والعقاب وقد تقدم نظير ذلك او لترك التثبت
او التساهل وفي حديث مسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت

يهوي بها في النار سبعين خريفا فمن التثبت وحسب التثبت
عن الاموال والاعمال وكرم التساهل وشيء من الصغائر
وملازمة الخوف والحذر عند كل قول وفعل والبحث عما مضى من الاموال
والاعمال واستحضار ما مضى من ذلك وتذكره من اول زمان تكليفه
الا ان يكون صدر من الكلف شيء لم تستثبته فيحق به هذا
الوعيد الشديد فاذا تذكره واسعفه الله بما ذكر شيئا من ذلك
تاب منه واستغفر وان لم تذكر وجب عليه ان يتوب جملة مجملة
عما علم وعما لم يعلم كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم استغفر عما
تعلم ولا تعلم فمن يعلم ذلك وصدقت نيته قبلت بفضل الله تعالى توبته
وقوله من سخط الله اي بما يسخط الله وذلك بان يكون كذبا وغيبة
او نميمة او سبا او فحشا او باطلا يسخط به الناس كما قد جاء
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للذي يتكلم بالكلمة من الكذب
ليضحك الناس ويل له وويل له وقوله كل امتي معافا الا المجاهرين
كذا رواية اكثر الرواة بتقديم الجيم على الهاء مصوبا على الاستثنا
وهو جمع مجاهر اسم فاعل من جاهره بالقول وبالعداوة اذا باداه
وعاجاه بذلك ووقع في نسخة شيخنا الى الصبر الا المجاهرون بالواو
رفعا وهو حائر على ان يحمل الا على غير كما قد انشده النحويون
وكل ام مفارقة احوه لعمر ابيك الا الفرقدان اي غير الفرقدين
وهو قليل والوجه الاول الفصيح الكثير وقوله وان من الجهار
هذه رواية الاكثر وفي رواية حسنة لانه مصدر جاهر الذي اسم
الفاعل منه مجاهر فيتناسب صدر الكلام وعجزه ورواه اكثر رواة
مسلم وان من الاجهار بفتح الجيم مصدر الجهر اي اعلن قال الخويي
اجهار الرجل اعلانه وكسر الهاء على الجم

وهو الاحاسن في القول بالله الجوهري قال الشيخ وهذه الروايات
وان اختلفت الفاظها فهي راجعة الى معنى واحد يفسره في الحديث
وهو ان يعمل الرجل معصية في خفية وخلوة ثم يخرج يحدث بها
مع الناس ويحدثها وعلنها وهذا من اجسر الكبائر والمحدثات الفواحش
وذلك ان هذا لا يصر الا مجاهر بفجور المعصية او مستهين مستخف
بها مصر عليها غير تائب منها مظهر للمنكر والواجب من هذه
الامور كبيرة وصغيرة اذا اقترف فلذلك ما جعل ذلك اشد الناس
بلاء في الدنيا وعقوبة في الاخرة لانه يجمع عليه عقوبة تلك الامور
كلها وسائر الناس ممن لبس على مثل حاله وان كان مرتكب كبيرة
ما سواه اخف وعقوبته اذا وقعت اهون وردوعه عنها اقرب من الاول
لان ذلك المجاهر هل ان يتوب او يرجع مما اعتاده من المعصية وسهل
عليه منها يكون قد العصاة بالنسبة اليه اما معافا مطلقا
انشاء واما معافى بالنسبة اليه ان عوقب والله اعلم

ومن باب تغليظ عقاب من امر بمعروف ولم يأته
وينهى عن منكر واتاه

قوله القائل لاسامة الا تدخل على
عثمان فتكلمه يعني في تلك الامور التي تنكر عليه وكانت امورا
بعضها حق عليه وبعضها كان له فيها عذر ومنها جواب لو سمع
منه لكن الكرام لا ينفع معهم اعتذار ولا ملام ولم يكن شيء من هذه
الامور يوجب خلعه ولا قتله قطعا ولكن جرت الاقدار بان قتل مظلوما
شهيد الدار قوله اترون اني لا اكلمه الا اسمعكم يعني انه كان
يجتنب كلامه لحضرة الناس وبكلمه اذا خلا به وهكذا يجب ان يعتني
الكبراء والرؤساء بعظموا الملوك اتقاء لحرمتهم وتتحون في الخلا لما يجب

من نحكم وتسمعهم منصوب على الظرف ويروى يسمعهم بالباء اي بحضرة
سمعهم ويروى اسمعهم على انه فعل مضارع وقوله والله لقد كلمته
فيما بيني وبينه ما دون ان افتتح امرا لا اكون اول من فتحه يعني انه كلمه
مشافهة كلام لطيف لانه اتقى ما يكون عن المجاهرة بالانكار
والقيام على الائمة لعظيم ما نظر اليه بسبب ذلك من الفتن والمفاسد
وخصوصا على مثل عثمان رضي لسعة فيه التلطف في الانكار
اذا ارتجى نفعه وقوله ولا اقول لاحد يكون علي اميرا انه
خير الناس اي لا اعريه بذلك ولا اداهنه لكونه اميرا على الله
بل اقول له الحق واصفه بحاله التي هو عليها من غير تصنع ولا ملق
وهذه كانت سيرة القوم لا يخافون في الله لومة لائم ولا يبالون في
القيام بالحق وان ادى الى العظائم وهذا هو اعظم الاسباب التي
اوجبت الاختلاف بينهم حتى ادى ذلك الى الحروب العظيمة والخطوب
الجسيمة فان كل طائفة كانت ترى انها المصيبة المحقة ومخالفتها
المخطئة فانها كانت امورا اجتهادية ولم يكن فيها نصوص قطعية
ويستثنى من ذلك قتلة عثمان فانه لم يرتكب ما يوجب خلعه ولا قتله
والخوارج على علي والمسلمين فانهم حكموا بكفر الجميع فهاتان الطائفتان
مخطئتان قطعا ومن كفرهما او لا فانه مصيب في اجتهاده فله اجران
ومن قصر في اجتهاده مذموم على التقصير وقوله فتسرلق اقتاب
بطنه اي تخرج بسرعة وانزلاق السيف خروجه من غمده والاقتاب
الامعاء واحدها قتب وقال الاصمعي واحدها قتبة ويقال لها ايضا
الاقضاب واحدها قضب قاله ابو عبيد وقال ابو عبيد القتب
ما تحوى من البطن يعني استرار وهي الجوانب وانما استرخاء هذا

لانه كان عالما بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام عليه بوظيفه
كل واحد منهما ومع ذلك لم يعمل بشئ من ذلك فصار كانه مستهين
بحرمات الله تعالى ومستخف باحكامه ثم اندلم نسمع عن شئ من ذلك
وهذا من جمله من لم ينتفع بعلمه الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
اشد الناس عذابا يوم القيامه عالم لم ينفعه الله بعلمه واما ذكر
اسامه هذا الحديث مستدلا به على منع اطراء الامير بان يقال له
انت خير الناس لانه يمكن ان يكون ذلك الامير ممن يامر بالمعروف
ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله فيستحق هذا العقاب الشديد
فكيف يقال له انت خير الناس ويشهد لهذا سياق قوله فتامله
والله اعلم وقد تقدم القول في وجوب تغير المنكر ٥ د

ومن باب تشميت العاطس وكظم التثاؤب

قوله اذا عطس احدكم فحمد الله فشمتوه قال التشميت العاطس
هو الدعاله بالخير يقال شمت العاطس وسمته بالسين والشين
اذا دعاله بالخير والسين اعلا اللغتين قاله ابو عبيد وقال
ثعلب معنى التشميت بالشين ابعد الله عنك الشماته واهل السين
من السمت وهو القصد والهدى وقال ابن الانباري كل داع
بالخير مشمت وتراضلف في تشميت العاطس الحامد لله فاوجبه
اهل الظاهر على كل من سمعه للامر المتقدم ولقوله صلى الله عليه
وسلم اذا عطس احدكم فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه ان يقول
يرحمك الله خرجه البخاري من حديث ابي هريره رضي الله عنه والمشهور
من مذهب مالك ومن اتبعه في جماعه العلماء انه فرض على الكفايه
يجزي فيه دعا بعض عن بعض وذهبت فرقه الى انه على الندب

والله ذهب القاضي ابو محمد بن نصر وتاولوا قوله صلى الله عليه وسلم
حق على كل مسلم سمعه ان يشمته ان ذلك حق في حكم الادب ومكارم
الاخلاق كقوله حق الابل ان تحلب على الماء اختلف العلماء في كيفيه
الحمد والرد لاختلاف الاثار فقيل يقول الحمد لله وقيل الحمد لله رب
العالمين وقيل الحمد لله على كل حال وكبره الطبري فيما شاء من
ذلك ولا خلاف انه مامور بالحمد واما المشمت فيقول يرحمنا الله واياكم
واختلف ايضا في رد العاطس على المشمت فقيل يقول يغفر الله
ويصلح بالكم وقيل يقول يغفر الله لنا ولكم وقيل يرحمنا الله واياكم
ويغفر لنا ولكم وقال مالك والشافعي ان شاء قال يغفر الله لنا
ولكم وان شاء قال يهديكم الله ويصلح بالكم وقوله وان لم يحمد الله
فلا تشمتوه هذا نهي عن تشميت من لم يحمد الله بعد عطاسه واقل
درجاته ان يكون الدعاله مكروها عقوبه له على غفلته
عن نعمه الله عليه في العطاس اذ خرج به ما احتقن في الدماغ
من البخار قاله بعض شيوخنا والاخلاق تعلمان من لم يحمد الله لا تشمت
وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم تشميت العاطس الذي لم يحمد الله
ونص ان ترك الحمد هو المانع من ذلك وقوله في حديث البخاري
كان حقا على كل من سمعه ان يشمته يدل على ان العاطس ينبغي له
ان يسمع صوته لحاضرته وينبغي لكل من سمعه ان يشمته
حيث يسمع من يليه وينبغي لمن لم يسمع العاطس وسمع المشمت
ان يشمت العاطس اذا حصل له ان ذلك تشميت له والاظهر من
الاحاديث المتقدمه وجوب التشميت على كل من سمعه اذا حمد الله
وهو مذهب اهل الظاهر وهي رواية عن مالك وقول سلمة

ثم الاكوع ان النبي صلى الله عليه وسلم عطس عنده رجل فقال له يرحمك الله
ثم عطس اخرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل مزكوم هذا
وقع في الحديث في كتاب مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل
الثالث مزكوم وهو الصحيح في الثالثة ومدحوه الترمذي وقال
في الثالثة انه مزكوم وهو الصحيح في الروايتين وعند ابي داود وغيره الامر بذلك صريحا ثم اخاك بلانا فما زاده
هو مزكوم وبذلك قال مالك وابن دينار فقد روي في موطئه
الشك في الثالثة او الرابعة **تنبيه** للعاطس تغطية
وجهه في حال عطاسه وان يخفض صوته به لان النبي صلى الله عليه
وسلم كزكد على ذلك ولان تغطية الوجه يستر بها كسر العكاس
من الوجه والكشتة ولان اعلا الصوت عندها مباعد للادب
والوقار **وقوله** التثاوب من الشيطان التثاوب مصدر
تثاءب مهموزا ممدودا ولا يقال بالواو ومضارعه يتثاءب
والاسم الثوباء في ذلك بالهمز قال ابو زيد اصله من ثاء
الرجل فهو مثوب اذا استرخى وكسل ونسبته للشيطان
لانه يصدر عن كسبله قائله قال ان يصرد لك مع التثاؤب وقيل
نسبت اليه لانه يوتنبه وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله يحب العطاس ويكره التثاوب فاذا عطس
احدكم الحمد الله فحق كل مسلم سمعه ان يقول له يرحمك الله
واما التثاوب فانما هو من الشيطان
فاذا تثاءب احدكم فليرده ما استطاع فان احدكم اذا تثاءب ضحك
الشيطان منه وهذا يشعر بحمله التاويل الثاني قال بعضهم
بحرية به لانه صار يحدثه التثاوب الذي يكون عن الكسل وذلك له

مرضيه لانه يجر به كريها الى التكاسل عن الخيرات والعبادات ولذلك
جاء في بعض طرق هذا الحديث التثاوب والعطاس من الشيطان فان ذلك
يدل على كسله فيها وعدم نشاطه فتشتغل عليه فيملها فتشتغل
فيها او كل بها **وقوله** فليكظم ما استطاع هذا حظ من علم
ذلك فانه يستدرك ما امكنه او يوطن نفسه على فعله واما
من اكتسب بادبه فهو الحاصل من قوله في درس البخاري فليرده
ويحتمل ان يكون للشيطان بمعنى واحد **وقوله** فان الشيطان يدخل الى
فيه اذا لم يكظم ويحصل من هذه الرواية ومن درس البخاري
ان من لم يكظم تثاوبه ضحك الشيطان منه ودخل في فمه وقيل
انه يتقيأ في فمه قال القاضي وهذا اسر المتثاوب بالفعل ليطرح
ما التي الشيطان في فمه وقل من يشعر بكراهة التثاوب وقرائنه
حاله المتثائب اذا لم يكظم واوامر هذا الباب من باب الارشاد
الى محاسن الاخلاق ومكارم الاداب **وفي باب كراهة المزح**
قوله ويحك قطعت عنق صاحبك وفي حديث ابي موسى رضي الله عنه
قطعتم ظهر الرجل هذا كله بمعنى واحد وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اياكم والمزح فانه الزج ويعني يزل كلما ان المزوح اذا
اكثر عليه من ذلك يخاف عليه منه العجب بنفسه والكبر على
غيره فيهلك دينه بهاتين الكبيرتين فاذا المزح مظنة
الهلاك الدنيوي فحرم لكن هذه المظنة ما تحقق الا عند الاكثار
منه والاطرائه واما مع الندرة والقلة فلا يظن مظنة فيجوز
ذلك اذا كان حقا في نفسه ولم يقصر به الاطراء من على المزوح
الاغترار به وعلى هذا يحمل ما وقع للصحابة رضي الله عنهم

من مدح بعضهم لبعض مشافهة ومكاتبة وقد يمدح الشخص بحضرة
رسلم مشافهة نظما ونثرا ومدح هو ابضا جماعة من اعيان اصحابه
مشافهة لكن لذلك كله انما جاز لما تحف المقاصد وامنت الآفات
المذكورة وقوله ان كان احدكم مادحا اخاه لا محالة فليقل احسب
فلانا ان كان يرى انه كذلك ونحو هذا انه لا ينبغي للانسان
ان يمدح احدا ما وجد من ذلك منه بدا مدح بما
يعلمه من او صافه وبما يظنه ويحذر من الجزم والقطع بشيء من ذلك
بل يجوز ان يقول فيما احسبه او اظن ويزيد على ذلك ما ارجو على الله
احدا اي لا اقطع بانه كذلك عند الله فان الله تعالى هو المطلع
على السرائر العالم بعواقب الامور وقول هما ان رجلا ابتدل يمدح
عثمان رضي الله عنه فجعل المقداد يحثو في وجهه الحصباء فان هذا
الرجل اكثر من المدح حتى صرق عليه انه مداح ولذلك عمل المقداد
رضي الله عنه بظاهر ذلك الحديث فحثا في وجهه التراب ولعل هذا
الرجل كان ممن اتخذ المدح عادة وحرفة فصدق عليه مداح
والا فلا يصدق ذلك على من مدح مرة او مرتين او شيئا او شيئين
وقد تبين الصحابي بفعله ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الحديث
حمله على ظاهره فعاقب المداح برمي التراب في وجهه وهو افقه
بالحال وا اعلم بالمقال وقد ناوله غير ذلك الصحابي تأويلات
لانه راى ان ظاهره جفا والنبي صلى الله عليه وسلم لا يامر بالجفا
فقيل ان معناه خيبوهم ولا تعطوهم شيئا لان من اعطي التراب
لم يعط شيئا كما قد جاء في الحديث الاخر اذا جاء صاحب الكلب يطلب
ثمنه فاملا كفه ترابا اي خيبه ولا تعطه شيئا وقيل ان معناه اعطه

ولا تخل عليه فان مآل كل ما يعطى الى التراب كما قال
وكل الذي فوق التراب تراب وقيل معناه التشبيه للممدوح
على ان يتذكر ان المبدا والمنتهى التراب فليعرضه على نفسه ليلا يعجب
بالمدح وعلى المداح ليلا يغتر ويطري بالمدح وانسبه الحامل بعد
الحمل او الظاهر الوجه الاول وما بعده ليس عليه معول وقوله
عجبا لامر المومن ان امره كله له خير ة المومن هنا هو العالم
بالله الراضي باحكامه العامل على تصرتو موجوده ودلل
ان المومن المذكور انما ان يشكر بما يضره او بما يسره فان كان
الاول صبر واحتسب ورضي فحصل على خير الدنيا والاخرة وراحتهما
وان كان الثاني عرف نعمة الله عليه ومنته فيها فشكرها وعمل
بها فحصل على نعيم الدنيا ونعيم الاخرة وقوله وليس ذلك الا للمومن
اي المومن الموصوف بما ذكرته لانه ان لم يرض ذلك لم يصبر على
المصيبة ولم كتسبها بل يتضجر ويتسخط فيضاف الى مصيبته
الدنيوية مصيبته في دينه وذلك لعدم النعمة ولا يقوم بحقها
ولا يشكرها فتقلب النعمة نقمة والحسنة سيئة نعوذ بالله
من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المومن من جحر واحد مرتين
هذا مثل صحيح وقول بليغ ابتكره النبي صلى الله عليه وسلم من فوره
ولم يتم من غيره وذلك ان السبب الذي اصدره عنه هو ان ابا عزيز
بن عمير الشاعر اخا مصعب بن عمير كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم
ويوذيه ويوذي المسلمين فامكن الله منه يوم بدر فاخذ اسيرا
وجيء به النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يمن عليه ولا يعود لشيء مما كان
يفعله فمن عليه النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقه فرجع الى مكة وعاد

الى اشرها كان عليه فلما كان يوم احد امكن الله منه فاسر فاحضر
بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان يمن عليه فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين والله لا تمكن عارضك
بعده ابدا فامر بقتله واصل هذا المثل ان الذى يلدغ من جحر
لا يعيد يده اليه ابدا اذا كان فطنا حذرا بل ولا لما يشبهه
فكذلك المؤمن لكياسته ومعاتبته وحذره اذا وقع فى شىء مما يضره
فى دينه او دنياه لا يعود اليه والرواية المعروفة لا يلدغ
بضم الغين وكذلك قرأته على الخبر وهو الذى يسمح له سبب
الخبر ومساقه وقد قيده بعضهم بسكون الغين على النهى وهو
بعد وفى رواية اشفعوا الى توجروا ه قوله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه طالب
حاجة اقبل على جلسائه فقال اشفعوا توجروا ه كذا وقع هذا
اللفظ توجروا بغير فاء ولا لام وهو مجزوم على جواب الامر
المضمن معنى الشرط ومعناه واضح لا اشكال فيه وقد روى
فلتوجروا بفاء ولام وهكذا وجدته فى اصل شيخنا ابى الحسن ايوب
ويمكن ان يكون هذه اللام مكسورة لانها لام كى ويكون
الفاء زائدة كما زيدت فى قوله صلى الله عليه وسلم قوموا فلاصلى
فى بعض رواياته وقد تقدم قول من قال ان الفاء قد تأتى زائدة
ويكون معنى الحديث اشفعوا لكى توجروا ويحتمل ان يقال انها
لام الامر ويكون المأمور به التعرض للاجر بالاستشفاع
فكأنه قال استشفعوا وتعرضوا بذلك للاجر وعلى هذا يجوز
كسر هذه اللام على اصل لام الامر ويجوز تخفيفها بالسكون لاجل
حركة

الامير

هـ قوله

حركة الحرف الذى قبلها قوله ولينقض الله على لسان نبيه
ما احب هكذا جاءت الرواية هنا ولينقض باللام وجزم الفعل بها
ولا يصح ان يكون لام كى لذلك ولا يصح ايضا ان يكون لام الامر لان الله
تعالى لا يؤمر وانما جاء هذه الصيغة ورفعت بعد رفع الخبر كما قد جاء
فى بعض نسخ مسلم ويقضى الله على الخبر بالفعل المضارع ومعناه واضح
وبعد الشفاعة المذكورة فى الحديث فى الحوائج والرغبات للسلطان
وذوى الامر والجاه كما تشهد به صدر الحديث ومساقه ولا يخفى ما فيها
من الاجر والثواب لانها من باب صنائع المعروف وكشف الكرب
ومعونة الضعيف اذ ليس كل احد يقدر على الوصول الى السلطان
وذوى الامر ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول مع تواضعه
وترفيه عن الصغير والضعيف اذا كان لا يحتجب ولا يحجب اهل الضعف
حاجة من لا يستطيع ابلاغها وهذا هو معنى قوله تعالى من يشفع
شفاعة حسنة يكن له نصيب منها قال القاضى ويدخل فى عموم الحديث
الشفاعة للمذنبين فيما لا حد فيه عند السلطان وغيره وله قبول
الشفاعة فيه والعفو عنه اذا رأى ذلك كله كما له العفو عن ذلك
ابتداء وهذا ان كانت منه الزلة والغلبة واهل الستر والعفاف
واما المصرون على فسادهم المستهترون فى باطلهم فلا تحل الشفاعة
لامثالهم ولا ترك السلطان عقوبتهم ليرتدعوا وامثالهم ولينزجر
غيرهم بما يفعل بهم وقد جاء الوعيد فى الشفاعة فى الحدود قوله
انما مثل جليس الصالح وجليس السوء كذا وقع فى بعض النسخ وهو من باب
اضافة الشىء الى صفته ووقع فى بعضها الجليس الصالح والجليس السوء

هـ قوله

وهو الافصح والاحسن ثم قال بعد هذا كحامل المسك ونافخ الكير هو الحق
مما يسمّيه اهل الادب لف الخبرين وهو محوين قول امرئ القيس د
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي د
فكانه قال كان قلوب الطير رطبها العناب ويابسها الحشف وقصود هذا
التمثيل الحض على محبة العلما والفضلا واهل الدين وهو الذي يزيد
المفقه علما وفعله ادبا ونظره خشية والزجر عن مخالطة من هو على
نقيض ذلك وقوله الحامل للمسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه فنافعت
الاخبار واستفاضت على ان المسك يجمع في غدره جبوات هو الغزال
او شبهه فيتعقن في تلك الغدد حتى يبيس ونشفه فتوجد تلك الغدد
كالجلبات المحشوة وتلك الجلدة هي المسماة بغارة المسك والجمهور
من علما الخلف والسلف على كهارة المسك وطارته وعلى ذلك يدل استعمال
النبي صلى الله عليه وسلم له وثناؤه عليه واجازته ببيعه كما دل عليه هذا
الحديث وسن المعلوم بالعادة المستمرة بين العرب والعجم استعماله واستطابة
ريحه واستحسانه في الجاهلية والاسلام لا يستقذره احد من العقلاء
ولا ينهى عن استعماله احد من العلما حتى قال القاضي ابو الفضل نقل بعض ائمتنا
الاجماع على طهارته غير انه قد ذكر عن عمر بن عبد العزيز انه قال ولا يصح ذلك
فان عمر رضي الله عنه قد قسم ما غنم منه بالمدينة وقال ابو عبد الله المازري
وقال قوم بنجاسته ولم يعينهم والصحيح القول بطهارته وانما يكره تحقيقا
للاحاديث الصحيحة الدالة على ذلك اذ قد كان النبي صلى الله عليه وسلم
كثيرا ما يستعمله حتى انه كان يخرج ووبيص المسك في مفرقه كما قالت
عايشة وقد تقدم قوله اطيب الطيب المسك وتقدم لك وقد قلنا
ان اهل الاعصار الكريمة مطبقون على استطابته واستعماله فان قيل

كيف لا يكون نجسا وقد قلتم انه دم والدم نجس في اصله بالاجماع
وانما يعفى عن اليسير منه لتعذر التحرز منه على ما هو مفصل في الفقه
فالجواب انا وان سلمنا ان اصل المسك الدم فلا نسلم انه بقي على اصل
الدموية فان الدم اذا تغير نتن لونه وريحه الى ما يستقذر ويستخبث
فاستحال الى فساد وليس كذلك المسك فانه قد استحال الى صلاح يستطاب
ويستحسن ويدل على انواع كل الطيب وهذا كاستحالة الدم لبنا
وبيضا وان شئت حررت فيه قياسا فقهيا فقلت مايع لذ مفتر
يستحيل فعله الى صلاح فيكون طاهرا كاللبن والبيض وتكميل هذا
القياس في مسايل الخلاف وقوله اما ان يحذيك هو بضم الباء رباعيا
من احذيته اذا اعطيته وفي الصحاح احذيته نعلا اذا اعطيته نعلا
تحتذي منه استحذيته فاحذاني واحذيته من الغنيمة اذا اعطيته منها
والاسم الحذوة بالكسر منفخ الحداد والكور المنهى الذي ينفخ فيه على النار
والحوذ ويجوز ان يعبر بالكير عن الكور ه ومن باب
ثواب القيام على البنات والاحسان اليهن قوله من ابتلي
بشيء من البنات فاحسن اليهن كن له سترا من النار ه ابتلي امتحن واختبر
واحسن اليهن قام بما يلحقهن ونظر في اصلح الاحوال لهن
فمن فعل ذلك وقصد به وجه الله تعالى عافاه الله من النار وباعده منها
وهو المعبر عنه بالستر من النار ولا شك في ان من لم يدخل النار دخل الجنة
وقد دل على ذلك قوله في الرواية الاخرى في المرأة التي قسمت التمرة
بين بنتيها ان الله قد اوجب لها الجنة واعاذها من النار وقوله
يشتي من البنات يقيد حكم عمومه ان الستر من النار يحصل بالاحسان الى واحدة
من البنات فاما اذا كان زيادة فعلى الواحدة تحصل له زيادة على الستر

من النار السبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجنة كما جاء في الحديث
الآخر وهو قوله من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة انا وهو
وضم بين اصابعه ويعني من عال جاريتين حتى يبلغا قام عليها بما يصلحها
ويحفظها يقال منه عال الرجل عياله يعولهم عولا وعيالة ويقال
خلته تعصرا اذا كفيته معاشه ويعني ببلوغها وصولها الى حالة
يستقلان بانفسهما وذلك اما بدخول الزوج بها او بغناها عن ازواجهن
ولا يعني به بلوغها الى ان تحيض وتكلف اذ قد تتزوج قبل ذلك
فتستغني بالزوج عن قيام الكافل وقد تحيض وهي غير مستقلة
بشيء من مصالحها ولو تركت لضاعت وتعسرت احوالها بل هي في هذه
الحال احق بالصيانة والحفظ والقيام عليها لتكمل صيانتها فترغب
في تزوجها ولهذا المعنى قال علماؤنا لا تسقط النفقة عن والد الصبية
بنفس بلوغها بل بدخول الزوج بها وقوله لا يموت لاحد من المسلمين
ثلاثة من الولد فتمسه النار الولد يقال على الذكر والانثى بخلاف
الابن فانه يقال على الذكر ابن وعلى الانثى ابنة وقد تقيد مطلق هذه
الرواية بقوله في الرواية الاخرى لم يبلغوا الحنث كما يقيد مطلق
حديث ابي هريرة بحديث ابن النضر السلمي فانه قال فيه لا يموت لاحد
من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم فقوله لم يبلغوا الحنث اي التكليف
والحنث الاثم وانما خصهم بهذا الحكم لان الصغير جبلة اشد رأفة وانعطافا عليه
واعظم رقبة بالاحتساب لما قررناه غير مرة ان الاجر على المصائب
لا تحصل الا بالصبر والاحتساب وانما خص الولد بثلاثة كان الثلاثة اول
مراتب الكثرة فتعظم المصائب فتكثر الاجور فاما اذا زاد على الثلاثة
فقد خف امر المصيبة الزائدة لانها قد صارت عادة وقد بذا قاما قال المتنبي

احترقت كما رقة الجوادث مرة ثم اعترفت بها فصارت دينا له
وقال اخر رزقت بالبين حتى ما اراح له وبالمصائب في اهلي وجيراني
ويحتمل ان يقال انما ذكر ما بعد الثلاثة لانه من باب الاخبار الاولى اذ
من المعلوم ان من كثرت مصائبه كثرت ثوابه فاكتفى بذلك عن ذكره والله اعلم
وقد استشكل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد ثلاثة
من الولد الا كانوا لها حجابا من النار لما سئل عن اثنين قال واثنين
ووجهه انه اذا كان حكم الاثنين حكم الثلاثة فلا فائدة لذكر الثلاثة
اولا وهذا انما يصدر ممن يعتقد ان دلالة المفهوم من دلالة المنطوق
وليس الامر كذلك بل هي عند القائلين بها من اضعف جهات دلالات
الالفاظ وسائر وجوه الدلالات موجه عليها كما بيناه في الاصول
هذا ان قلنا ان اسما العدد لها مفهوم فانه قد اختلف في ذلك القائلون
بالمفهوم والحق ان هذا النوع بالنقب الذي لا مفهوم له باتفاق المحققين
ثم ان الاولى لذلك الاشكال ان يقال ان الثواب على الاعمال انما يعلم
بالوحي بكون الله تعالى قد اوحى الى نبيه بذلك في الثلاث ثم انه لما سئل
عن الاثنين اوحى الله الله في الاثنين مثل ما اوحى اليه في الثلاثة
ولو سئل عن الواحد لاجاب بمثل ذلك كما قد دلت عليه الاحاديث المذكورة
في ذلك ويحتمل ان يقال ان ذلك بحسب شدة وجد الوالدة وقوة صبرها
فقد لا يبعد ان يكون من فقدت واحدا او اثنين اشد جزعا ممن فقدت ثلاثة
او مساوية لها فيلحق بها في رتبتها والله اعلم وقوله الا تحلة القسم
اي ما تحلل به القسم وهو اليمين وقد اختلف في هذا القسم هل هو قسم معين او لا
فالجمهور على انه قسم بعينه فمنهم من قال هو قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين
وقيل هو قوله وان منكم الا واردها وقيل هو قوله تاز على يد خما قضيا

اى قسما واجبا كذلك فسره ابن مسعود والحسن واما من قال لم ينسخ
به قسم العتيبية فهو ابن عتيبة قال معناه التقليل لا شرب ولا دعها
وتحلة اليمين تستعمل وهذا فى كلام العرب وقيل معناه لا يمسه النار
قليلا ولا تحلة القسم كما قيل فى قوله وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان
اى والفرقدان على احد الاقوال فيه قال الشيخ رحمه الله والاشبه
قول ابى عبيد والبيان وجه ذلك موضع آخر وقوله صلى الله عليه
وسلم للنساء اجتمعن يوم كذا يدل على ان الامام ينبغى له ان يعلم النساء
بما يجب اليه من امر دينهن وان يخصص لهن يوما مخصوصا لذلك لكن فى المحرم
او فى ما كان فى معناه حتى تؤمن الخلوة بهن فان تمكن الامام من ذلك بنفسه
فعل والا استنهض الامام شيخا موثوقا بعلمه ودينه لذلك حتى يقوم
بهذه الوظيفه وفى هذا الحديث ما يدل على فضل نساء ذلك الوقت
وما كانوا عليه من الحرص على العلم والحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد قالت عائشه رضى الله عنها نعم النساء نساء الانصار لم يكن
يمنعهن الحياء ان يتفقهن فى الدين وقوله صغارهم دعاميص الجنة
هى جمع دعموص وهو دويبة تغوص فى الماء والجمع دعاميص ودعاميص
قال الاعشى فما ذنبنا ان جاش بحر عميم وبحر سماء كابوا ابو عاصما
ودعموص الرمل اسم رجل كان يضرب به المثل يقال هو ادهى من دعموص هذا
الامر اى اعلم به قال الشيخ رحمه الله هذا الذى وجدته فى كتب اللغه
والذى يقرب ان الدعموص دويبة تغوص فى الماء ولا يلبث وهذا المعنى
بالدعاميص المذكورين فى هذا الحديث الاعلى معنى تشبيه صغار الجنه
بسلك الدويبة فى صغرها او تخصيصها فى نعيم الجنة دليل دل عليه بعده وقد
سمعت من بعض من يعتنى بالاخبار ان الدعموص يراد به الاذن على الملك المتصرف بين يديه

واشتر لعتيبة من ابى الحنت دعموص ابواب الملوك وبابه للحرون فاتح
قال الشيخ رحمه الله وهذا ايضا سبب ما ذكره فى هذا الحديث وقوله كما
آخذ انا ضفنه ثوبه هو بكسر الثاء طرفه قال الخوصى ضفة
الازار بكسر الثاء طرفه وهو حاشيته الذى لا هدب له ويقال هى
حاشية الثوب اى جانبه كان ويقال هو صفنه الثوب وصفنته
طرفه وقوله للاستنثار او قال للتنحى بذيله واتوبه الخنة
اى لانثر ذيله قال الاستنثار والتنحى واحد بمعنى نثر وهذه الرواية
المشهورة ابو عبيد التشنيه وعند ابن ماهان اناه ما لبا ولا ادره وعند
عبد الغافر وابا ه ما لبا من بحصا وقال له وجه واضح وهو هذا الحديث
ما يدل على ان صغار اولاد المؤمنين فى الجنه وهو قول اكثر اهل العلم
وهو الذى يدل عليه اخبار صحيحه كثيره وظاهر قوله تعالى والذين امنوا
واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وقد اخرج بعض العلماء الخلاف
فيهم وقد اجمعوا عن اولاد الانبياء عليهم السلام فتقرر الاجماع على ذلك فى الجنه
حكاه ابو عمر الله المازرى وانما الخلاف فى اولاد المشركين على ما ياتى ان شاء الله تعالى
وقوله لقد انتظرنى حتى رشدت من النار اى استنقذت واصل الحظر
المنع والحظار ما حار بالبستان من عيدان ونحوها سمى بذلك لانه يمنع
من يريد الدخول والحظيره والحظور منه والحظار هنا هو الحجاب المذكور
فى الحديث الآخر ومن باب إذا احب الله عبدا حببه الى عباده
والارواح اجناد مجندة والمرء مع من احب قد تقدم ان معنى محبة الله
تعالى للعبد ارادة اكرامه واثابته والاعمال العباد انما تنتظم تحليها
وان محبة الله تعالى منزهة ان تكون ميلا للمحبوب او شهوة له اذ كل ذلك
من صفاتنا وهى دليل حدوثنا والله تعالى منزه عن كل ذلك واما محبة الملك

فلا بعد في ان يكون على حقيقتها المعقولة في خلقنا ولا احالة في شيء
من ذلك واعلام الله تعالى جبريل واعلام جبريل الملائكة بمحبة العبد المذكور
تشريفا له وتشريفا له في ذلك المحل الكريم وللحصول من المنزلة المنيفة
على الحظ العظيم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى
حيث قال انا مع عبدي اذا ذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم ويجوز ان يراد بمحبة الملائكة
ثناؤهم عليه واستغفارهم له واداؤهم له عند لقائه اياهم **وقوله**
ثم يوضع له القبول في الارض يعني بالقبول محبة اهل الدين والخير
له والرضا به والسرور بلقائه واستطابة ذكره في كل حين وبهذا
قد اجرى الله تعالى عادته بذلك في حق الصالحين من سلف هذه الامة
وستأتي هذه الايمة والقول في النقض على القائل في الحب
وقوله الارواح اجناد مجندة قد تقدم القول في الروح والنفس
في كتاب الطهارة ومعنى اجناد مجندة اصناف مصنفة وقيل اجناس
تختلفه ويعني بذلك ان الارواح وان اتفقت في كونها ارواحا فانها
تتباين باصور واحوال تختلفه تتنوع بها فتتشاكل اشخاص النوع
الواحد وتتناسب بسبب ما اجتمعت فيه من المعنى الخاص لذلك النوع
المناسبة ولذلك تشاهد اشخاص كل نوع تالفة نوعها وتنفر
من مخالفها ثم انا نجد بعض اشخاص النوع الواحد تتالف وبعضها
تتنافر وذلك بحسب امور تتشاكل فيها وامور تتباعد فيها
كالارواح المجبولة على الخير والرحمة والشفقة والعدل فتجد من جبل
على الرحمة بمثل طبعه لكل من كان فيه ذلك المعنى وتالفه وتنشرح اليه
وتنفر ممن اتصف بنقيضه وهذا في الجبال والقسوة وذلك قد شاهد

في كلام الناس المناسبة مؤلفة بين الاشخاص والشكل يالف شكله
والمثل يجذب مثله وهذا المعنى هو الذي حمل عليه قوله صلى الله عليه
وسلم فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وعلى هذا فيكون
معنى تعارف تناسب وتعامل ان معنى ذلك هو ما تعرف الله به
اليها من صفاته وجبلها عليه من لطفه وافعاله فكل روح عرف
من الاخر انه تعرف الى الله بمثل ما تعرف هو به اليه وقال الخطابي
هو ما خلقها الله تعالى عليه من السعادة والشقاوة في المبدإ الاول
قال الشيخ رحمه الله وهذان القولان راجعان الى القول الاول
قد ترجما ويستفاد من هذا الحديث ان الانسان اذا وجد من نفسه
نفرة عمن له فضيلة او صلاح فتش على الموجب لتلك النفرة وبحث
عنه لعل ذلك امر قد ينكشف له فينبغي عليه ان يسعى في ازالة ذلك الذي
تضعفه بالرياضة السياسية والمشاهدة الشرعية حتى يخلص من ذلك
الوصف الموسوم فيميل لاهل الفضايل والعلوم وذلك القول فيما اذا
وجد ميلا لمن فيه شرا ووصف مذموم وقد يقدم القول على قوله
الناس معادن في كتاب المناقب **وقوله** فلعمنا رجلا عند سدرة
المحجر يعني عند باب المحجر والسدرة تقال على ما فوقه الباب وعلى
المسدود الذي هو الباب **وقوله** فكان الرجل استكان اي سخن
تذللا **وقوله** ما اعدوت لها كسر حلاه ولا صياح ولا حدرته
يعني بذلك الحوامل من الحلاء والحرقة والصوم لان الفراش لا بد له
ولغيره من بعلها فكون معناه لم يات منها بالكثير الذي يعمد عليه
وسخي وحول الجند بسببه هو الظاهر ويحتمل ان يكون اراد ان الذي
بعد من ذلك الامور وان كان كثيرا فانه محتقر بالنسبة الى ما عنده

من يحبه الله ورسوله فكانه كمر له ان محبة الله ورسوله اصل الاعمال
واعظم القرب فجعلها محررته واتخذها عدته والله اعلم **وقوله**
قرن ٢ مات مع من احبت نزل فيها عليه في عمر موضع **وقوله** اما فرحنا
بعد الاسلام اشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم ٥ هذا واقع هذا
اللفظ في الاصول وفيه حذف وتوسع بتقديره ما فرحنا فرحا اشد
اشر ٢ من فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك القول وسكت عن ذلك
المحذوف للعلم به وانما كان فرحهم بذلك لانهم لم يسمعوا ان في اعمال البر
ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والحوز معه
في الجنة الله ورسوله فاعظم بامر يلحق المقصر بالمشمر والمتاخر
بالمتقدم ولما يسم انس ان هذا اللفظ محمول على عمومه علق به رجاءه
وحقق فيه ظنه تعالى فانا احب الله ورسوله وابا بكر وعمر فارجو
ان اكون معهم وان لم اعمل باعمالهم والوجه الذي تمسك به انس يشمل من
المسلمين المجبين كل ذي نفس بذلك يعلمه اطلعنا عليه ذلك وان فينا مقصرين
وروي باحد الوجهين وان فينا عمر مستا بالنون **وقوله** اراك الرجل
يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه يعني الرجل الذي يعمل العمل الصالح
صالحا ولا يريد اظهاره للناس لانه لو عمله ليحمده الناس او يبيروه لكان
مرائيا ويكون ذلك العمل باطلا فاسدا فاراها الله تعالى بلطفه ورحمته
وكرمه تعالى المخلصين في الاعمال الصادقين في الاقوال والاحوال
بانواع من اللطف فيقذف في القلوب محبتهم ويطلق الالسنة بالثناء
عليهم ليثبوه ويحترموا في البلاد الاعلا ليستغفروا لهم وينشر طيب ذكرهم
في الدنيا ليقتدي بهم سعيكم امورهم وترتفع مياز لهم ويجعل ذلك
علامة على اسقامه من حاسدهم ويشتري بحسن مثالبهم وقبيح تواسم

ز لذلك عاجل بشرى المومن والله اعلم ذ
كتاب القدر ٥ وقد تقدم في كتاب الايمان القول
في لفظ القدر ومعناه واختلاف الناس فيه **وقوله** ان احدكم يجمع
خلقه في بطن امه اربعين يوما يعني والله اعلم ان المني يقع في الرحم حين
انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافقة مبثوثا متفرقا فيجمعه الله
تعالى في محل الولادة من الرحم في هذه المدة وفي بعض الحديث عن ابن مسعود
رضي الله عنه تفسير لجمع في بطن امه ان النطفة اذا وقعت في الرحم فاراد الله
تعالى ان يخلق منها بشرا طارت في بشرة المراة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث
اربعين ليلة ثم تصير دما في الرحم فذلك جمعها وهذا هو وقت كونها
علقة والعلق الدم **وقوله** يكون في ذلك علقة مثل ذلك ودلك
الاول اشارة الى المحل الذي اجتمعت فيه النطفة وصارت علقة ودلك
الثاني اشارة الى الزمان الذي هو الاربعون وذكر ذلك القول في قوله
ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك والمضغة قدر ما مضغه الماضغ من لحم
او غيره **وقوله** ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح يعني الملك
الموكل بالرحم كما قال في حديث انس رضي الله عنه ان الله قد وكل بالرحم
ملكا وظاهر هذا السياق ان الملك حين يجيئه ينفخ الروح في المضغة
وليس الامر كذلك بل انما ينفخ الروح فيها بعد ان تتشكل تلك المضغة
بشكل ابن ادم وتتصور بصورته كما قال تعالى فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما وكما قال في الاية الاخرى من مضغة مخلقة وغير
مخلقة فالمخلقة المصورة وغير المخلقة السقط قاله ابو العالية وغيره
وهذا التخليق والتصوير يحصل في مدة اربعين يوما وحينيذ ينفخ فيه
الروح وهو المعنى بقوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر وقول الحسن والكلبي

من المعسرين قال الماضي ولم يخلف اربع الروح منه بعد مائه وعشرين عاما
وذلك تمام اربعه اسبوع دخوله في الخامس وهو اسبوع بالمشاهده
وعليه تعول فيما يحتاج اليه من الاحكام في الاستحقاق عند التنازع
وهو وجوب النفقات على جل المخلقات ودلك لتيقنه بحركة الجنس
في الجوف وقيل الله الحكمه وعزة المراة من الوفاة باربعه اسبوع
وعشرين وهو الدخول في الخامسة لتحقيق براة الرحم بملوغ هذه المدة
اذ الم يظهر حمل ونفخ الملك في الصورة سبب يخلق الله عنده نسمة
الروح والحياة لان النسخ المتعارف انما هو اخراج من العالم بفعل
بالمنسوخ منه ولا يلزم منه عقلا ولا عادة في حقنا تاثير في المنسوخ
فيه فان قدر وجود شيء عند كل النسخ وذلك بادراك الله تعالى لا بالنسخ
وعليه المحاربون غير اعاديا لا موجبا عقليا وكذلك القول
في سائر الاسباب المعتادة فما امل هذا الاصل وتمسك به فيه النجاة
من مزالق اهل الضلال من اهل الطبايع وغيرهم **وقوله** ويؤمر
باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ظاهر
هذا الحديث ان الملك يومر بكتب هذه الاربعة ابتداء وليس في الخبر
انما يومر بذلك عند ان يسال عود ذلك فيقول ما الرزق ما الاجل ما العمل
وهل شقي او سعيد فما تضمنه الاحاديث الاتيه تقرر قبل وقد روى
من حديث ابن ابي زايده قال حدثنا داود عن عامر عن علقمه عن ابن مسعود
وعن ابن عمر ان النطفه اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بجمعه فقال
اي رب اذكر ام انثى شقي ام سعيد ما الاجل ما الاثر ما اي ارض تموت
فقال له انطلق الى ام الكتاب فانك تجد قصه هذه النطفه فينطلق فيجد
قصتها في ام الكتاب فتخلق فما كتب رزقها واجلها واثرها فاذا اجلها

قبض وقفت في المكان الذي قدر لها وراى في بعض الروايات حدثت ابن مسعود
ان الملك يقول يارب اخلقها وعبر بخلقه فاذا ثبت عن خلقه قدر فيها الاحكام
دما وان قيل بخلقه قال اي رب ذكر كوسا يعدم بقوله
ان النطفة اذا استقرت في الرحم يعني بعد الاستقرار صيرورة النطفه
علقه ومضغه لان النطفة قبل ذلك غير مجتمعه كما تقدم فاذا اجتمعت
وصارت تاوا دا علقه او مضغة امكن حينئذ ان تؤخذ بالكف
وسماها بكفه وحال كونها علقه او مضغه باسم يليق بها والله اعلم
ويستفاد من حمله ما ذكرناه ان المراة اذا القت نطفه لم يتعلق بها
حكم اذا لم تجتمع في الرحم فتصير بها كانت حاملا اذ الرحم قد ترفع
النطفه قبل استقرارها فيها فاذا طرحته علقه تحققنا ان النطفه
قد استقرت واجتمعت واستحالت الى اول الاطوار مما تحقق به الحمل
وعلى هذا فحور وضع العلقه ما فوقها من المضغة وضع حمل تبرا
به الرحم وتقضي به العده وتثبت به احكام ام الولد وهذا مذهب
مالك واصحابه وقال الشافعي لا اعتبار باسقاط العلقه وانما
الاعتبار بظهور الصوره والتخطيط فان خفي التخطيط وكان لحما
مجتمعا بالثقل والتحرك وعدة اصحابنا التمسك بالحديث المتقدم
وبان مسقطة العلقه او المضغة يصدق على المراة اذا القتها انها
كانت حاملا وصفة ما استقرى رحمها فمنها قوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ويصدق عليها قوله صلى الله عليه وسلم
لسبيعه الاسلمية قد وضعتما بكما من شيء لا انها وصفت مبرا الولد
عن نطفه متخيرا كالمخطط واستفيد ما تعلقوا به سوا او جوابا في الخلاف
وقوله ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنه حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع

فيبنبو عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها الحديث الى اخره
ظاهر هذا الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحا وانه قرب من الجنة بسبب
عمله حتى اشرف على دخولها وانما منعه من دخولها سابق القدر الذى
قضى عليه الخاتمة وعلى هذا فالحوف على الحقيقى انما هو بما سبق
اذ لا تبديل له ولا تغيير واما الاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة
مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال
بالخواتيم اى عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا فى بعض الاشخاص وفى بعض
الاحوال واما العامل المذكور فى حديث سهل المتقدم فى الايمان بانه
لم تكن عمله صحيحا فى نفسه وانما كان رياء وسمعة ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار
فليستفاد من هذا الحديث الاجتهاد فى اخلاص الاعمال لله تعالى والتحرز
من الرياء ويستفاد من حديث ابن مسعود ترك العجب بالاعمال وترك
الاتكال والركون اليها والتعويل على كرم الله ورحمته والاعتراف
بمنته كما قال صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الحديث وقوله
الشقى شقى فى بطن امه يعنى ان اول مبدا الانسان فى بطن امه يظهر
من حاله للملائكة او لمن شاء الله من خلقه ما سبق فى علم الله تعالى من سعادته
ومن شقاوته ورزقه واجله وعمله اذ قد سبق كتب ذلك فى اللوح المحفوظ
كما دل عليه الكتاب والاخبار الكثيرة الصحيحة وكل ذلك فرع سبق العلم
الازلى والقضاء الالهى الذى لا يقبل التغيير ولا التبديل المحيط بكل الامور
على التعيين والتفصيل لان الملائكة كيف تستخرج ما عند الله من علم
حال النطفة فتقول ايارب ما الرزق ما الاجل فيقضى ربك ما شاء فى بطن
من قضى به وحكم للملائكة ما سبق به علمه وتعلقت به ارادته وقوله

ونكته الملك يعنى من اللوح المحفوظ كما تقدم فى حديث حذيفة بن اسيد
ولذلك عطفت هذه الجملة على ما تقدم بالواو لانها لا تقتضى رتبة
ثم يخرج الملك بالصحيفة اى يخرج من حال الغيبة عن هذا العالم الى حال
مشاهدته فيطلع الله تعالى بعض ملائكة الصحيفة من شاء من الملائكة
الموكلين بامواله على ذلك المجموع كل بما عليه من كتبه حسبما ذكر
فى صحيفته وقوله اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون او ثلاثة
واربعون او خمسة واربعون هذا الحد شك من الرواة وحاصله ان
تعيين الملك المذكور فى هذا الحديث انما هو فى الاربعين الرابعة التى
هى مبدا التصوير كما دل على ذلك ما قدمناه قبل هذا وسمى المضغة
نطفة بعد تسميتها علقة لقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج
نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا وخلقها وعظامها فكسونا العظام لحما ثم
لا يكون فى بعض النطفة الى حالة تسمى المضغة كما دل عليه ما تقدم
وهذا تتفق الروايات وتزول الاضطرابات المتوهمة فيها والله اعلم
ويسمى الخلق والتصوير للملك بسمة مجازية لا حقيقية وانما صدر
منه فعل ما فى المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدره الله تعالى
وخلقه واختراعه الا ترى ان الله تعالى قد اضاف الى الله الخلق فى قوله
ومضغ عقب ست جمع الخليفة تعالى ولقد خلقنا كم ثم صورناكم
وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار
مكين الآية وقال يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة الآية وقال وصوركم فاحسن صوركم والله المصور
وعدد كل من الاربعين هو امع ما دلت عليه قطعا الراهن من الادلة
لسى من المحتومات الا ترى العالم تقييد هذا الترديد العجيب ان خلق

حكمته تعالى لما خلقه وهوانه كل لما سبق في علمه وثبت
في قضائه وحكمه والامر الممكن ايجاده الانسان واما والحيوان
بل وجميع المخلوقات فمنها سريع من الحكمه واسير من النطق للحظه
كطرفة عين وقد سمع السامعون قوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون ٥ ومن باب قوله كل ميسر لما خلق له
بتيسير العزيز العليم فمن اهل الجنه ومن اهل النار ومن
كان مسكنه سدره في بعض الاحوال على عادة رؤسا العرب وانهم يسكنونها
ويستريحون بها ويطلون بها اللام وجمعها مخاصر والفعل منه
تخصر وكان ابن عيينه والنخع يقولان في الارض كبريت الارض بها
وهذا فعل المتفكر المعتبر وقوله افلا نتكل على كتابنا ونترك العمل
وفي الرواية الاخرى افلا نتكل على كتابنا ٥ فما هذا السؤال
انه اذا وجبت السعادة والشقاوة بالقضاء الازلي والقدر
الالهي فلا فائده للتكليف ولا حاجة بنا الى العمل فنتركه ونعتمد
على سبق القدر وقد اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بما
يفي معه اشكال فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ فاما
من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الآيه ووجه الانفصال ان الله تعالى
امرنا بالعمل فلا ندرس امتثال امره وغيب عنا المقادير لغيام
حجته وقدره ونصب الاعمال علامه على ما سبق به مشيئته وحكمته
وعزة الانسان بالعمل لا بقي معها لقائل مقول وهو ولهم يسألون
خضع له المبشرون وبينا بما مضى ان مورد التكليف يقتضي
الاختبار وان ذلك ليس مناقضا لما سبقت به الاقدار وقوله فاما
من اعطى اي الفضل من ماله ابن عباس حتى الله تعالى الحسن الصدق من قوله

واتقى اي ربه ابن عباس ٥ فاما وعده بما رتبه على محاسن الخلق وصدق
بالحسنى اي الكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد الخالد موعود الله
فاما وعده بالخلاه والزكاه والصوم ثم بمن اسلم فسنيسره اي
نهون عليه ونهيئه للسبرى اي للحاله السرى من العمل الصالح
والخير الراجح وقيل للجنه واما من بخل اي بماله ابن عباس وقال
قتاده بخل الله واستغنى بماله عن الحسنى ابن عباس عن ربه وكذب
بالحسنى بالجنه والعسرى نقيض ما تقدم من السرى وتردى هلك
بالجمل والكفر وقيل الاخره عذاب الله وقول سراقة بين
لنا ديننا كانا خلقنا الان اي بين لنا اهل ديننا اي ما ننتظره
ونتربص به من حال اعمالنا هل سبق لنا قدر ام لا وقوله كانا
خلقنا الان يعني انهم حدثوا عند المساله فكانهم خلقوا
الان بالنسبه الى علمنا وقائدته استدعاء اوضح البيان وقوله
ثم العمل اليوم ثم جفت به الاقلام هذا يصحح الروايه ثم
الاولى بعد الف لانها استفهاميه والثانيه بالف لانها
خبريه وقد وقع في بعض النسخ بالعكس والاول الصواب ومقتضى
هذا السؤال ان ما صدر عنا من الاعمال وما ترتب عليها من
الثواب والعقاب سبق علم الله بوقوعه ونفذت مشيئته به
اوليس ذلك وانما اعمالنا صادره عنا بقدرتنا ومشيئتنا والثواب
والعقاب مترتب عليها بحسبها وهذا القسم الثاني هو الذي قدره
وقدر كل الذي صلى الله عليه وسلم هذا القسم بقوله لا بل مما جفت به
الاقلام وجرت به المقادير اي ليس الامر مستانفا بل قد سبق به
علم الله ونفذت به مشيئته وجفت به اقلام الكتبه في اللوح

المحمودة وفي نحو الملاحدة المذمومة وايضا كما تقدم لك غير مرة
على هذا فدرت عمران يرد نص المذكور بعد هذا واتض من هذا
كله ما اخرجه الترمذي في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان
فقال اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا
فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة
واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم
ابدا ثم قال للذي في يده اليسرى هذا كتاب من رب العالمين فيه
اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد
فيهم ولا ينقص منهم ابدا فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر
قد فرغ منه قال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة
وان عمل اي عمل كان وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل
اي عمل كان ثم قال بيده فقبضهما ثم قال فرغ ربكم من العباد
فريق في الجنة وفريق في السعير قال الترمذي حديث حسن صحيح والحادثة
في هذا الباب كثيرة صحيحة يغلب بعمومها العلم التقدمي والنقص
الاضطراري بالكمال مذاهب القدرية كلهم كابروا في ذلك
كله وردوه وتأولوا ذلك تاويلا فاسدا رسوموه للاصول
التي ارتكبوها من التحسين والتقبيح والتعديل والتجويز والاصول
والقول بتاثير القدرة الحادثة على جهة الاستقلال وقد
تكلم ائمة اهل السنة معهم في هذه الاصول ونقضوا فسادها
بحسبهم وقوله ففيم العمل هذا السؤال هو الاول الذي تضمنه
قوله الا نمكث على كتابنا ودع العمل وقد بيناه وقوله
اذا الله ما يعمل الناس اليوم ويجدون عند الشرح السعي في
العمل لدنيا كان او لاخرة واصله العمل الشاق والكسب المتعب
وقوله فلا يكون كلما قدر الرواية بعد الف استفهام وهي مراده
اذ لا استفهام دخل في رفع المسؤول وانه مع ان يكون ما اتى به

من قوله كل شيء خلق الله وملكه يده الى اخره جوابا عن سؤاله عنه
ولو لم يتبين الاستفهام مرادا لكان الكلام بعد الظلم ومرجحا
رحمة ولا نفرج من ذلك ولا استدرك جوابا وسأل ما سأله عنه
انه لما تقرر عنده ان ما يعمل الناس فيه شيء قضي به عليهم
ولا بد لهم منه وكانوا ميسرين لما خلقوا له فكيف يعاقبون على ذلك بقاسم
على ذلك كله وبعده من شبهة القدرية المبتدعة على التحسين والتقبيح
وبهذا جاء في ذلك ابو الاسود والحسن في الجواب ومقتضى الجواب
ان الظلم لا يتصور من الله تعالى فان الكل خلقه وملكه لا حجر عليه ولا ضد
فلا تتصور وقوعه الظلم لا سحاله شرطه على ما بيناه غير مرة بحضوره
قوله لا نسأل عما يفعل وهم يسألون وامعن عمران بهذا الجواب
تحقق انه قد رد من الله فاجاب عن الجواب فاحسن في ذلك منه
واخبره انه انما امتحنه بذلك السؤال ليختبر عقله ويشحذ عقله
ثم افاده الحديث المذكور بمعناه قد يعدم الكلام عليه ثم قال
ونصرتي ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها
فجورها وتقواها وقوله ونفس هو قسم مقسم به على ما ذهب
واقرها الان مراده النوع وهو الاكثر وقوله علمت نفس ما قدمت
واخرت اي كل نفس كما قال كل نفس بما كسبت رهينة الا ترى قوله
فالهمها فجورها وتقواها اي جعلها على ما اراد من كل منهما فالهم
للخير والكافر عليه ويسره لها ومنها فالهمه للشر ويسره لها
وهذا هو الموافق للحديث المتقدم المصرح بالاية وقوله وما سواها
اي والذي سواها وقد قدمنا ان معنى اصلها الاتقان وقد تجيء بمعنى
الفهم وهي تقع لمن تعقل ولما لا تعقل والتسوية التعديل يعني انه

هذا اللفظ وهذه المحاجة انهما التقيا باشخاصهما وهذا كما
قررناه فيما تقدم في الانبياء من احيائهم بعد الموت كالشهداء بل هم
اولى بذلك ويجوز ان يكون في ذلك لقاء ارواح وقد قال بكل قول
منهما طائفة من علمائنا وهذه العندية عندية اختصاص وتشريف
لا عندية مكان فانه تعالى منزه عن المكان والزمان وانما هي
كما قال تعالى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر
اي في محل التشريف والاكرام والاختصاص وروى هذا الحديث بعضهم
وزاد فيه ان هذا اللقاء بعد ان سأل موسى فقال يا رب ارنا ادم الذي
اخرجنا ونفسه من الجنة فاراه الله اياه فقال له انت ادم فقال نعم
وذكر الحديث وقوله فحج ادم موسى اي غلبه بالحجة يقال حاججته
فلانا فحججته اي غلبته وقوله انت ادم الذي خلقك الله بيده
هو استفهام تقرير واضافة خلق ادم الى يده اضافة تشريف
ويحتمل ان يراد باليد هنا القدرة والنعمة اذ كلاهما موجود في الانسان
مستعمل فيه فما بال الجارحة فالله منزه عن ذلك قطعا وقوله ونفخ
فيك من روحه يحتمل ان يكون من زايدة على المذهب الكوفي ونفخ
بمعنى خلق اي خلق فيك روحه واضافة الروح اليه على جهة الملك
تخصيصا وتشريفا كما قال بيتي وعبادي واستعار لخلق نفخ لان الروح
من نوع الريح ويحتمل تاويلا آخر والله اعلم بمراده اعلم والتسليم للمتشابهات
اسلم وهي طريقة السلف واهل الاقتداء من الخلف وقوله في الام انت
الذي خيبتنا واخرجتنا من الجنة اي كنت سبب ذلك كله وقال في رواية
اخرى انت الذي اكرمك الله بيده واسجد لك ملائكته وقد تقدم معنى هذا
من غير هذا الوجه والعتاب انما هو على ترك الاولى كما قال قد تبين الرشد من الغي وقد يراد بها الخطأ وعليها يحمل

حلفها عمله وكل ما تحتاج اليه موكلة لفصول الخير والشر
بخبر انه يجري عليها في حال وجودها وسالها ما سبق لها مما
قضي به عليها وفي حديث عمران بن حصين اس الفقه جوامع اخبار
العالم عقول اصحابه الفضلاء مشكلات المسايل برالنا عليهم
اذا اصابوا وبيان العذر عن كل والذي قضي عليها اسها اما
من اهل السعادة وعمل اهل السعادة الذي به يدخل الجنة تعمل
واما من اهل الشقوة وعمل اهل الشقوة الذي يدخل به النار
تعمل كما قال تعالى يعملون الخبث وعمل اهل الجنة يعملون وهاولا
للنار وعمل اهل النار يعملون فطوبى لمن فطنه له بالخير
ويسره له عليه والويل لمن قضى عليه بالشر ويسره له وما
ادرى عمر ما قال قسم قسمة ربعوا اجرين كيف تختلف محركات
اونثال سعادات ومع ذلك فقد الله عنا المقادير ومكننا
من العمل واشرك ربنا للعاذير وحاجنا بالامر والنهي خطاب
المستعلمين ولم يحمل التسمك بسابق القدر حجة للمصرين ولا عذرا
للمعتذرين وعلق الجزاء على الاعمال وجعلها له سببا فقال تعالى
ليجزي كل نفس بما كسبت وبما عملت وقال في اهل الجنة جزاء بما كانوا
يعملون وقال في اهل النار جزاء بما كانوا يأثمون بجزون وقال
ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
وقال على لسان نبيه انما هي اعمالكم اردها عليكم فمن وجد خيرا
فليحمد الله ومن وجد الاخرى فلا يلومن الا نفسه وقال ذلك بان الله
ابتلا واختبر فجعل التسليم له والاذعان ومن باب

قوله ياعبادي

قوله محاجة آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى

بلغت المقابلة

وعصى آدم ربه فغوى اى اخطأ صواب ما اريد به وهذا اكبر ما اصل وذلك
ان شاء الله **وقوله** واعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ يعني الالواح
التي قال الله فيها وكتبنا له في الالواح من كل شئ وهي جمع لوح
بفتح اللام وسمي بصدر لان الشئ يلوح لوحا اذا ظهر وسمي بذلك
لظهور ما يكتب فيه فاما اللوح بضم اللام فهو ما بين السماء والارض
قال مجاهد كانت الالواح سبعة من زمردة خضراء وقال ابن جبير
من ياقوتة حمراء ومعنى كتبنا امرنا من يكتب او خلق فيها قولا وخطوطا
مكتوبة مثل الذي يكتب بالاقلام **وقوله** فيها تبيان كل شئ اي كل
شئ قصرا الى تبيينه او من كل نوع شيا او من كل اصل فرعا **وقوله**
وقربناه نجيا اي للمناجاة وهي المسارة والتقريب بالمرتبة لا بالموضع
والمكان **وقوله** افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي قبل ان يخلقني
باربعين سنة قال فحج ادم موسى فما معنى هذا ان ادم انما غلب موسى
بالحجة لانه اعتذر بما سبق له من القدر عما صدر عنه من المخالفة وقيل
عذره وقامت بذلك حجته فان قيل هذا لزم عليه ان يحتج به كل من عصى
ويعتذر بذلك فيقبل عذره وتثبت حجته فجوابه ان ذلك للعصاة على الله
حجة وهو مناقض لقوله تعالى فلله الحجة البالغة وقد اختلف العلماء في تاويل
هذا الحديث فقيل انما غلبه ادم بالحجة لان ادم ابو موسى وموسى ابن وليس للابن
لوم الابن اباه ولا عتبه قال الشيخ رحمه الله وهذا ناش عن معنى الحديث
وعما سبق له وقيل انما كان ذلك لان موسى قد كان علم من التوراة ان الله تعالى
قد جعل تلك الاكلة سبب اهباطه من الجنة وشقاءه الارض ونشر نسله فيها
ليكلفهم ويمتحنهم ويثيب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروي قال الشيخ
رحمه الله وهذا اقرب الاجوبة تلك الاكلة لا تنفصل عن الزام تلك الحجة والسؤال

باق لم ينفصل عنه وقيل انما توجه لحجته عليه لانه قد علم من التوراة
ما ذكر وان الله قد تاب عليه واجتباه واسقط عنه اللوم والعتب
فلوم موسى وعتبه له مع علمه بان الله تعالى قد تاب المعصية ومحى
بالتوبة وباسقاط اللوم والمعاتبة حتى صارت تلك المعصية
كان لم تكن ووقع في غير محله وعلى غير مستحقه فكان لذلك من موسى
بسببه جفاء في حاله صفاء كما قال بعض ارباب الاشارات ذكر الجفا
في حال الصفا جفا وهذا الوجه ان شاء الله اشبه ما ذكر وبه يتبين
ان ذلك الالزام لا يلزم والله اعلم **وقوله** كتب الله مقادير الخلائق
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اي اثبتها في اللوح المحفوظ
كما قلناه انفا ان شاء فهو توقيت للكتب لا للمقادير لانها
راجعة الى علم الله تعالى وارادته وذلك قديم لا اول له ويستحيل عليه بقدير
بالزمان اذ الحق سبحانه بصفاته موجود لا زمان ولا مكان وهذه
الخمسون الف سنة سبق بتقدير به اذ قبل خلق السموات لا تحقيق
وجود الازمان فان الزمان الذي يعبر عنه بالشمس والايام والليالي
انما هو راجع الى اعداد حركات الافلاك وسير الشمس والقمر في
المنازل والبروج السمائية فقبل السموات لا وجود لذلك وانما يرجع
ذلك الى مدة في علم الله تعالى لو كانت السموات موجودة فيها لعدت
بذلك العدد وهذا نحو ما قاله المفسرون في قوله تعالى خلق السموات
والارض في ستة ايام اي في مقدار ستة ايام ثم هذه الايام كل يوم منها
مقدار الف سنة من سنين الدنيا كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون وكقوله في يوم كان مقداره الف سنة هذا قول ابن عباس
وغيره من سلف المفسرين وعلى ما رواه الطبري في تاريخه نظم وتحمل

أن يكون ذكر الخمسين النافي لمعنى الإخبار بالتكثير ولم يُرد عين ذلك العدد
فكأنه قال كتب الله مقادير الخلايق قبل خلق هذا العالم بأعداد كثيرة
وأزمان عديدة وهذا نحو ما قلناه في قوله تعالى إن تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم والأول أظهر وأولى وقوله وعرشه
على الماء أي قبل خلق السموات والأرض حكي عن كعب الأحبار أن أول
ما خلق الله ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماءً ثم رفع عرشه
على الماء قال ابن عباس في قوله تعالى وكان عرشه على الماء أي فوق الماء
إذ لم يكن سماء ولا أرض قال الشيخ رحمه الله أقوال المفسرين كثيرة
والمستند المرفوع منها قليل وكل ذلك ممكن والله أعلم بحقيقة ذلك
والذي نعلمه قطعاً أن الله تعالى قبل كل أول الموجودات فكان موجوداً واحداً
ولا موجود سواه ثم اخترع بقدرته وأراداته ما سبق به علمه ونفذت
به مشيئته كما شاء ومتى شاء والذي يعلم استحالته قطعاً أن ليبقى شيء
غير الله تعالى من عرش أو كرسي أو ماء أو هواء أو أرض أو سماء إذ كل
ذلك ممكن في نفسه وكل موجود ممكن محدث وإن كل ذلك لا يخلو
عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث حادث على ما عرف حقيقته
في موضعه ولأنه المعلوم الضروري من الشرع فمن شك فيه أو جحده
فهو كافر وإنما يعلم استحالة كون العرش حاملاً لله وأن الله تعالى مستقر
عليه كاستقرار الأجسام إذ لو كان محمولاً لكان محتاجاً فقيراً إلى حامله
وذلك ينافي وصف الإلهية إذ أخص أوصاف الإلهية الاستغناء المطلق
ولو كان وكل لازم كونه جسماً مقدراً ويلزم كونه حادثاً على ما سبق
فإن قيل فما معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قيل المحامل واحدة
وما يدلنا محمد غير أن الشرع لم يعين لنا محملاً من تلك المحامل فنتوقف

في التعيين ونسلك مسلك السلف الصالح في التسليم وقوله كل شيء
هالك حتى الحجر والكبس فيدناه بكسر الزاي والسين وطحاها دحى
هي العاطفة فالرفع عطف على كل والخفض على شيء والكسر بفتح
الكاف لا يجوز غيره ومعنى هذا الحديث أن ما من شيء ينفع في هذا
الوجود كائناً ما كان إلا وقد سبق به علم الله تعالى ومشيئته سواء
كان من أفعالنا أو صفاتنا أو من غيرها ولذلك أتى بكل التي هي للاستغراق
والإحاطة وعقبها بحتى التي هي للغاية حتى لا يخرج عن تلك المقدمة
الكلية من الممكنات شيء ولا يتوهم فيها تخصيص وإنما جعل
الحجر والكبس غاية لذلك ليبين أن أفعالنا وإن كانت معلومة
ومرادة لنا فلا تقع منا إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته
كما قال تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وهذا من نوع قول العرب
قدم الحاج حتى المشاة فيكون معناه أن كل ما يقع في الوجود بقدر الله
ومشيئته حتى ما يقع منا بمشيئتنا والحجر الثقيل عن المصالح حتى
لا يحمل أو يحمل لكن على غير الوجه المرضي والكبس تقييض ذلك وهو
الحر والتسخير في تحصيل المصالح على وجوهها والتحجر في أصله معنى
من المعاني المناقض للقدرة وكلاهما من أوصاف المتعلقات الممكنات
على ما يعرف في علم الكلام وقوله قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع
الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف شاء ظاهر الإصبع محال على الله تعالى
قطعاً لما قلناه آنفاً ولأنه لو كانت له أعضاء وجوارح لكان كل جزء منه
مفتقراً إلى الآخر فيكون جملته محتاجة وذلك ينافي الإلهية وقد تأول
بعض أيمتنا هذا الحديث فقال هو استعارة جارية مجرى قولهم فلان في كفي
وفي قبضتي يراد أنه متمكن من التصرف فيه والتصريف له كيف شاء وأمكن

من ذلك في المعنى مع افادة التيسير ان يقال فلان بين اصبعي اعرفه
كيف شئت يعني ان التصرف متيسر عليه غير متعذر وقال بعضهم
يحمل ان يريد بالاصبع هنا النعمة وحتى انه يقال لفلان عندي اصبع حسنة
اي نعمة ثم قيل في البدء ان قيل فلاي شيء الاصبع ودقته كثيرة لاكثى
تلنا لان النعم وان كانت كذلك خفي فيها ان نفع ودفع وكانه قلوب
بني آدم بين ان يصرف الله عنها ضرا وبين ان يوصل اليها نفعا قال السيد
رحمه الله وهذا لا يتم حتى يقال ان بني آدم هنا يراد بهم الصالحون الذين
تولى الله حفظ قلوبهم واما الكفار والفساق فقد اوصل الله الى قلوبهم
ما شاء بهم من الطبع والختم والرين وغير ذلك وحينئذ يخرج الحديث
عن مقصوده قالنا ويل الاول اولى وقد قلنا ان التسليم اسلم وقوله
اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على ما اعتقد
هذا الكلام يعضد ذلك التاويل الاول وقد وقع هذا الحديث في غير
كتاب مسلم فقال يا مقلب القلوب قلوبنا على طاعتك وهما بمعنى
واحد وحاصله ان احوال القلوب متقلبة غير ثابتة ولا دائمة فحق العاقل
ان يحذر على قلبه من تقلبه ويفزع في حفظه الى ربه ٥ وقوله ما رايت
شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة هذا من ابن عباس تفسير لقوله تعالى
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وهي ما دون الكبائر
والفواحش وهي الصغائر وقال زيد بن ثابت هي ما الموا يعني الجاهلية
وقيل هي مقارنة المعصية من غير اصرار وقيل الذنب الذي يقلع عنه
ولا يصر عليه وقيل غير هذا واشبه هذه الاقوال القول الاول وعليه
يدل مقصود الاية ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس
مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر والفواحش جمع فاحشة

وهي ما استفحش من الكبائر قال الزنا بذوات المحارم واللواط ونحو ذلك
وقوله ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا اي قضاه وقدره
وهو نص في الرد على القدرية وقوله مدرك ذلك لا محالة
كذا محمد وهو مرفوع على انه خبر مبتدا مضمر اي فهو مدرك
ذلك لا محالة اي لا بد من وقوع ذلك منه وقوله فالعينان
زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام
واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى
يعني ان هواه وتمنيه هو زناه وانما الحق على هذه الامور كلها
زنا لانها مقدماته اذ لا يحصل الزنا الحقيقي في الغالب الا بعد
استعمال هذه الاعضاء في تحصيله والزنا الحقيقي هو ايلاج الفرج
المحرم شرعا في مثله الا ترى قوله ويصدق ذلك الفرج ويكذبه
يعني انه ان حصل ايلاج الفرج الحقيقي تم زنا تلك الاعضاء وثبت
اثمه عليها وان لم يحصل ذلك واجتنبت كفر زنا تلك الاعضاء كما قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وقوله كل مولود يولد على الفطرة تقدم ان اصل الفطرة
الخلقة المبتدأة وقد اختلف الناس في الفطرة المذكورة في هذا الحديث
وفي الاية فقيل هي سابقة السعادة والشقاوة وهذا انما يليق بالفطرة
المذكورة في القرآن لان الله تعالى قال لا تبديل لخلق الله واما في الحديث
فلا لانه قد اخبر في بقية الحديث بانها تتبدل وتتغير وقيل هي ما اخذ
عليهم من الميثاق في ظهر آبائهم وهذا انما يليق بالرواية
التي جاء فيها كل مولود يولد على الفطرة ويبعد في رواية من رواها على
هذه الملة وهي اشارة الى ملة الاسلام وقال بعضهم هذه الرواية

كما يفهم من المتأول لبين وهذا القول احسن ما قيل في ذلك ان شاء الله تعالى
لصحة هذه الرواية ولانها مبينة لرواية من قال على الفطرة ومعنى
الحديث ان الله تعالى خلق قلوب بني آدم سوقلة لقبول الحق كما
خلق ابدانهم واسماعهم قابلة للمركبات والمسموعات فما دامت
باقية على ذلك القبول وعلى ذلك الاهلية ادركت الحق ودين الاسلام
هو الدين الحق وقد جاء ذلك صريحا في الصحيح جبل الله الخلق على معرفته
فاجالتهم الشياطين وقد تقدم هذا المعنى وقد دل على صحة هذا
المعنى تعقبه الخبر حيث قال كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون
فيها من جدعاء يعني ان البهيمة تلد ولدها كاملا فلو ترك
فلو ترك على اصل تلك الخلقة لبقي كاملا بريا من العيوب لكن يتصرف
فيه فيجدع اذنه ويوسم وجهه فتطرا عليه الافات والنقايص
فيخرج عن الاصل وذلك الافساد هو تشبيه واقع وجهه
واضح والرواية تنتج بضم التاء الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول
فاعله يقال ذلك اذا ولدت ومصدرها نتاجا وقد تنتجها افعلها
تنجا بفتح النون والتاء مبنيا للفاعل ورثم نتجوها اذا ولدت
عندهم وتولوا نتاجها وحكى الاخفش فيه انه يقال انتجت الناقة
رباعيا ويقال انتجت الفرس والناقة كان نتاجها وقال يعقوب
اذا استبان حملها فهي تنتج ولا يقال منتج واتت الناقة على منتجها
اي الوقت الذي تنتج فيه وتصب جمعا على الحال وبهيمة منصوب على التوطئة
لتلك الحال والجدع القطع وجسون تدركون بحسكم وحواسكم وقوله
ما من مولود الا يولد كذا الكلم غير السمع فعنده تلد بتاء
ثانية من فوقها مضمومة وتكسر اللام على ترك ولد وضرب فتخرج

على ما ذكر الحجري في نوادره قال يقال ولد وتلد بمعنى ويكون على
ابدال الواو تاء لانضمامها وقوله كل ابن ادم يلقى الشيطان
في حضنيه فذا جميعهم والحضن الجنب وقيل الكاشحة غير ان ابن
ما قان رواه خصيبه او صوابهم وتحريف بدليل قوله الا مريم وابنها
وقوله اراءت من يموت صغيرا هذا السؤال انما كان عن اولاد
المشركين كما جاء مفسرا من حديث ابن عباس فاما اولاد المؤمنين
فقد تقدم الاستدلال على انهم في الجنة واما اطفال المشركين ما اختلف
فيهم على ثلاثة اقوال فقيل في النار مع اباءهم وقيل في الجنة وقيل
توقف لهم نار ويوسرون يدخلون لها فمن اقام منهم دخل الجنة
ومن عصى دخل النار وذهب قوم واحسبهم من غير اهل السنة فقالوا
يحولون يوم بدر زخ وسبب اختلاف الثلاثة الاقوال اختلاف الاثار
في ذلك ومخالفة بعضها لظاهر قوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا والصبي والمجنون والحاكمون فهم كالبهائم فلم يبعث
اليهم رسول فلا يعذبون والحاصل من مجموع ذلك وهو القول الحق
الجاري على اصول اهل الحق ان العذاب المترتب على التكليف لا يعذب
من لم يكلف ثم لله تعالى ان يعذب من شاء ابتداء من غير تكليف من صبي او مجنون
او غير ذلك لحكم الله لا يحجر عليه ولا يحكم فلا يكون بالما
شيء من ذلك ان فعله كما قررناه في الباب قبل هذا وعلى هذا يحمل قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة ان الله خلق للجنة اهلا وهم في اصلاب
ابائهم وخلق للنار اهلا وهم في اصلاب ابائهم وقد قدمنا ان الاعمال
معرفات لا موجبات وقوله الله اعلم بما كانوا عاملين اذ خلقهم
معناه الله اعلم بما جبلهم وطبعهم عليه قبل ان خلقه الله تعالى على جبلة

المكلفين كان من اهل الجنة ومن خلقه الله على جبلة الكفار من القسوة
والمخالفة كان من اهل النار وهذا كما قال في غلام الخضر طبع يوم
طبع كافرا وهذا الثواب والعقاب ليس مرتبا على تكليف ولا
مرتبطا به وانما هو بحكم جعله وتبديله واما من قال انهم في النار
مع ابائهم فمعتمده قوله صلى الله عليه وسلم هم من آبائهم ولا حجة
فيه لوجهين احدهما ان المسئلة عليه وهذا خبر واحد وليس نصا
في الغرض وثانيهما سلمناه لا كنا نحمل ذلك في احكام الدنيا وعليها
سئل وعليها خرج الحديث وذلك انهم قالوا يا رسول الله اين اثبت
اهل الدار من المشركين وفيهم الوزراء فقال هم من آبائهم يعني في جواز
القتل في حال التبييت وفي عموم احكام آبائهم الدنيوية به
والله اعلم وقولها عائشة رضي الله عنها في الصبي الانصاري محضور
من عصافير الجنة انما قالت هذا عائشة لانها ثبت على ان كل
مولود يولد على فطرة الاسلام وان الله تعالى لا يعذب حتى يبعث
رسولا فخصت بذلك فاجابها النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكر وقوله
وهم في اصلاب آبائهم لا يعارض ما تقدم من قوله انه يكتب وهو
في بطن امه شقي او سعيد لما قدمناه من ان قضاء الله وقدره رافع
الى علمه وقدرته وهما ازليان لا اول لهما ومقصود هذه الاحاديث
كلها ان قدر الله تعالى سابق على حدوث المخلوقات وان الله تعالى
يظهر من ذلك ما شاء لمن شاء متى شاء وقولها ام حبيبة رضي الله عنها
اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبابي ابي سفيان وبابني
معوية اي اجل اعمارهم حتى اتمتع بهم زمانا طويلا وقوله لا تحل
شيأ منها قبل حله ولا يؤخر شيأ قبل حله كذا الرواية بفتح الحاء

المرتفقين وهو مصدر كل شيء يحل حلا وحلولا ومحلا والمحل ايضا
الموضع الذي يحل فيه اي ينزل وقوله لقد سألت الله الاجال
مصروفة الى اخره ثم قال بعد هذا ولو سألت الله ان يعافيك من
عذاب في القبر وعذاب في النار كان خيرا لك فتارة يرد بعض علمائنا
على هذا سؤالا فقال ما معنى ضربه لها عن الدعاء بطول الاجل وحظه
لها على العباد من عذاب النار وكل ذلك مقدر مقضي لا يدفعه احد
ولا يرده سبب فالجواب انه صلى الله عليه وسلم انبهها عن
الاول وانما ارشدها الى ما هو الاولى والافضل كما نص عليه
وجه ان الثاني افضل انه تتام بعبادة الاستعاذة من عذاب
النار والقبر فانه قد تعبدنا بها في غير ما حوف ولم يتعبدنا
بشيء من القسم الذي ذكر هي به فافترقا وايضا فان التعوذ من عذاب
القبر والنار تذكرها فتخافهما المؤمن ويتقيهما فيجعل من المنقص
للتابرين من خير الدنيا والاخرة ومن باب الامر بالتقوى
والحرص على ما ينفع قوله المؤمن القوي خير واحب الى الله
من المؤمن الضعيف اي القوي البدن والنفس الماهي الخزعة
الذي يصلح للقيام بوظائف العبادات من الصوم والحج والجهاد
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يصيبه وذلك
وغير ذلك مما يقوم به الدين وتنتهض به كلمة المسلمين فهذا هو
الافضل والاكمل واما من لم يقم بذلك من المؤمنين فغيبه خير
من حيث كان مؤمنا قائما بالكلوات مكثرا السواد المسلمين ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم وفي كل خير لكنه قد فاته الحظ الاكبر والمقام الافخر
وقوله احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز اي استعمل الحرص

والاجتهاد في تحصيل ما تنتفع به من أمر دينك ودنياك التي تستعين
بها على صيانة دينك وصيانة عيالك ومكارم أخلاقك وامنعه
عن طلب ذلك ولا تتعاجز عنه متكلا على القدر فتنسب للتقصير
وملام على التفريط شرعا وعادة ومع اتقاء الاجتهاد بصيانته
والبلاغ الحرص على بلوغه ملاذ من الاستعانة بالله والتوكل عليه والالتجاء في كل
الامور اليه ممن سلك بعدي الطريق حصل على خير الدارين وقوله
وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كان كذا وكذا فان قدر الله وما شاء
فعل فان لو تفتح عمل الشيطان يريد وقوع المقدور السليم لامر الله والرضا
بما قدره الله والاعراض عن الالتفات لما مضى وفاته فان افتكر
بعد فانه من دلك وقال لو اني فعلت كذا لكان كذا جاءه وساوس
الشيطان ولا تزال به حتى تفضي به الى الحسرات لتعارض يوم التدبير
ساعي المقادير وهو اصل عمل الشيطان الذي نهى عنه النبي عليه
الصلاة والسلام بقوله فلا تقل لو فان لو تفتح عمل الشيطان ولا تعلم
من هذا انه لا يجوز النطق بلو مطلقا اذ قد نطق بها النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي
ولجعلتها عمرة ولو كنت راجما احدا بغير بينة لرجمت هذه وقال ابو بكر
رضي الله عنه لو ان احدهم تكرار حلب لبانا ومثله كثير لا يحصل
النهي عن الكلام انما هو في ما اداه الخلق في معارضة القدر او مع
اعتقاد ان ذلك نافع لو ان يقع لوقع خلاف المقدور واما لو اخبر
بالنافع على جهة ان يعلق به فائدة في المستقبل فلا كلف في جواز الكلام
اذ ليس في ذلك تتبع لعمل الشيطان ولا شيء يفضي الى ممنوع ولا حرام
والله اعلم

كتاب العلم وما جاء في فضل طلب العلم

قوله من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة
اي من مشى الى تحصيل علم شرعي قاصدا به وجه الله تعالى جازاه الله
عليه بان يوصله الى الجنة مسلما مكرما ويلتمس معناه يطلب
كما قال التمس لوحا ناما من دبير وهو تحصيل وترتيب في الرحلة
في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله وقد ذكر ابو داود في هذا الحديث
من حديث ابي الدرداء وزاد زيادات حسنة فقال على اثر الذي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس
فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها
رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض
والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا
ولا درهما وورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهذا حديث عظيم
يدل على ان طلب العلم افضل الاعمال وانه لا يبلغ احد رتبة العلماء
وان تستهم ثانية عن رتبة الانبياء وقوله ان الملائكة لتضع اجنحتها
رضى لطالب العلم قيل ان معناه تخضع له وتعظمه وقيل تبسطها له
بالدعاء لان جناح الطائر يده وقوله وان العالم ليستغفر له من في السموات
ومن في الارض يعني بهم هنا من يعقل وما لا يعقل غير انه غلب من يعقل
وقيل ان هذا الكلام قد جاء في غير كتاب ابي داود فقال في النملة
في جحرها وحتى الحوت في جوف الماء وعلى هذا المعنى يدل من حديث
ابي الدرداء هذا عطف الحيتان بالواو على من في السموات ومن في الارض
فانه يفيد ان من يعقل وما لا يعقل يستغفر للعالم فاما استغفار

من يعقل فواتحه فانه دعاله بالمغفرة واما استغفار ما لا يعقل فنحو
والله اعلم ان الله يغفر له ويأجره بعدد كل شئ لحقه اثر من علم العالم
وبيان ذلك ان العالم يبين حكم الله تعالى في السموات وفي الارض وفي
كل ما فيهما وما بينهما فيغفر له ذنبه ويعظم له اجره بحسب ذلك
ويحتمل ان يكون ذلك على جهة الاختصار والاول اولى والله اعلم وقوله
وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
هذه المفاضلة لا يصح حتى يكون كل واحد منهما قائما بما وجب عليه
من العلم والعمل فان العابد لو ترك شيأ من الواجبات او تحملها
على جهل لم يستحق اسم العابد ولا يصح له عباده والعالم لو ترك شيأ
من الواجبات لكان مذموما ولم يستحق اسم العالم فاذا تحمل التفصيل
انما هو في النوافل فالعابد يسعى ازمانه في النوافل من الصلاة
والصوم والذكر وغير ذلك والعالم يسعى ازمانه في طلب العلم
وحفظه وتكبيره وتعليمه فهذا هو الذي شبهه بالبدر لانه
قد حمل في نفسه واستضاء به كل شئ من العالم سوى ان علمه
يعدى لغيره وليس كذلك العابد فان غايته ان ينتفع في نفسه
ولذلك شبهه بالكوكب الذي غايته ان يضئ نفسه وقوله
وان العلماء ورثة الانبيا اما خص العلما بالوراثة وان كان العباد ايضا
قد ورثوا عنه العلم بما صار وايه عبادا لان العلما هم الذين نابوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حمل العلم عنه وتبليغهم اياه لامته وارشادهم
لهم وهدايتهم وبالجملة فالعلما هم العاملون بمصالح الامة بعده النائبون
عن سنته الحافظون لشرعه فحظوا الاوفر بالوراثة والاولى
بالنيابة والخلافة واما العباد فلم يطلق عليهم اسم الوراثة لقصورهم

تفعهم ويسر خاطرهم وقوله ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما
يعني انهم هلوات الله عليهم كان الغالب عليهم الزهد فلا يتركون
ما يورث عنهم ومن ترك منهم شيأ يجب ان يورث عنه تصرف فيه
قبل موته كما فعل نبينا صلى الله عليه وسلم حين قال لا نورث ما تركنا
صدقة وقوله فمن اخذه اخذ بحظ وافر اي بحظ عظيم لا شئ
اعظم منه ولا افضل كما ذكرناه وقوله ما اجتمع قوم في بيت
من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت
عليهم السكينة بيوت الله هي المساجد كما قال الله تعالى في بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فيه ما يدل على جواز تعليم القران
في المساجد اما المكبار الذين يحفظون بالمسجد فلا اشكال فيه
ولا خلاف فيه واما الصغار الذين لا يحفظون بالمساجد فلا يجوز
لانه تعريض للمسجد للتقذير والعبث وقد قال صلى الله عليه وسلم
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقد يتمسك بهذا الحديث
من يجيز قراءة الجماعة القران على لسان واحد كما يفعل عندنا
بالمغرب وقد كره بعض علمائنا ذلك ورأوا انها بدعة اذ لم يعرف
ذلك قراءة السلف وانما الحديث محمول على ان كل واحد يقرئ
لنفسه او ممن يصلح عليه ويستفيد منه وقوله الا نزلت
عليهم السكينة فيه دليل على ان الكلام على السكينة في كتاب الصلاة
وانها اما السكون والوقار والخشوع واما الملائكة الذين يحفون
القران سموا بذلك لما هم عليه من السكون والخشوع وقوله
غشيتهم الرحمة اي بكثر خطاياهم ورفع درجاتهم وانالتهم الى
جنته وكرامته وقوله وذكرهم الله فيمن عنده يعني في الملا الكريم

من الملائكة المقربين كما قال ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون
وهذا الذكر يحتمل ان يكون ذكرنا وتشريفا ويحتمل ان يكون ذكرا مباهاة
كما تباهي الملائكة باهل عرفة **وقوله** من بطأ به عمله لم يسرع به
نسبه يعني به ان الاخرة لا ينفع فيها الا التقوى الله والعمل الصالح
لا الفخر الراجح ولا النسب الواضح **ومن باب كراهة**
الخصومة في الدين والغلو في التاويل والتحذير من اتباع الاهواء
قوله ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم هو الرواية الحكم بسكون
الصاد وقد فسره بعضهم بكسرها وكلاهما اسم للخاصم غير
ان الذي بالسكون هو مصدر في الاصل وضع موضع الاسم ولذلك
يكون في المذكر والمؤنث والتثنية والجمع بلفظ واحد وفي الاكثر من
العرب من يثنيه ويجمعه لانه يذهب به مذهب الاسم وفرجات اللفظان
في كلام الله تعالى قال الله عز وجل وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا
المحراب ثم قال خصمان بغا بعضنا على بعض فاما الذي بالكسر فهو
الشديد الخصومة وجمع خصم فيما الخصوم وخصم خصمون كما قال
تعالى بل هم قوم خصمون والالد هو الشديد الخصومة ماخوذ
من اللديدين وهما جانبا الوادي لانه كلما اخذ عليه جانب اخذ
في جانب آخر وقيل لاعوجاج لديدته وهما صفحتا عنقه عند خصومته
وكان خصم الالدين يحيونا بها للخصم لان الالد صفة والخصم اسم فلما
لما كان خصم مصدرا في الاصل وكان الالد صفة مشهورة عكس
الامر فجعل التابع متبوعا وهذا على نحو قوله وغرابيب سود
وانما يقال اسود غربيب وهذا الخصم المبغوض عند الله تعالى هو
الذي ينصر خصومته مرافعة الخصوم ردة بالاوجه الفاسدة

والشبه الموهمة واشد ذلك الخصومة في اصول الدين لخصوصة
اكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي ارشد اليها كتاب الله تعالى
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسلف امته الى طرق مبتدعة
واصطلاحات مخترعة وقوانين جدلية وامور صناعية مزار
اكثرها على مباحث سوفسطائية او مناقشات لفظية يرد
لبسيها على الاخذ شبه ربما يعجز عنها وشكوك يذهب الايمان
معها واخسهم انصافا عنها اجرهم على العلم فهم من عالم بفساد
الشبهة لا يقوى على حلها وكم من مفحم عنها لا يرد حقيقة
علمها ان رآها ولا المتكلمين قد ارتكبوا انواعا من المحال لا يرتضيها
البله ولا الاطفال لما بحثوا عن كبير الجواهر والاكوان والاحوال
ثم انهم اخذوا يبحثون فيما امسك عن البحث فيه السلف الصالح ولم يرد
علمهم فيبحثون البحث وهو كيفية تعلقات صفات الله تعالى وتقديرها
والكاذها في انفسها وانما هي الذات او غيرها وان الكلام هل هو
مخترع او منقسم واذا كان منقسما فهل ينقسم بالانواع او الاوصاف
وكيف تعلق في الازل بالمامور ثم اذا انعدم المامور فهل يبقى
دلال التعلق وهل الامر ليزيد بالصلاة مثلا موجبين الامر لعمرو
وبالزكاة الى غير ذلك من الابحاث المبتدعة التي لم يامر الشرع
بالبحث عنها وسكت اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
وعن سلف سبلهم عن الخوض فيها فانها بحث عن كيفية ما لا يعلم
كيفيته فان العقول لها حد تقف عنده وهو العجز عن الكشف
لاستعداد ولا فرق من البحث في كيفية الذات وكيفية الصفات
ولذلك قال العلم الخبير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولا تدرك

الحوهر والعرض ما رضت ان يكون مسلم وحر وان يكون
ان طريقه المتكلمين اولى من طريقه ابى بحر وحمر فليس مارات
مارى وعدا مضى بعد الكلام باهله الى السكوت وبكثر سلم الى
الحلاق واحل دلك اسم ما قبعوا بما قبعت به الشرايع وكلموا
الخلائق وليس في وسعه العقل ادراك ما عجز الله عن الحكم الى
انفرد بها وكوام تكن ولم يكن ولم يكن الحرال الا ان النبي صلى الله عليه
وسلم قد اخبر انه علامه الضلال كما قال فيما خرجه الترمذي
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وقال انه
صحيح قال الشيخ رحمه وقد رجع كثير من ائمة المتكلمين عن
الكلام بعد انقضا الحمار من بدره واما بعده لما تكلف الناس
واظهر لهم اعاتيه وباطن تريعاته فمنهم امام المتكلمين ابو المعالي
قد حكي عنه انه مات تعلم اهل الاسلام وكلومهم وركبت
البحر الاعظم وغصت في امري وهرعته كل ذلك في طلب
الحق وهربا من التقليد والان قد رجعت عن الكل الى كلمة
الحق عليكم بدين العجائز وايائم وكلام امري عبد الرحيم بن
الاخلاص والوبل لابن الجويني وقال رسول الله لاصحابه يا اصحابنا
لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام قطع بي ما تكلمت
ما تشاغلت به وقال احمد بن حنبل لبشر المريسي
حالي علما حضرته الوفاة قال لبنيه سلموا ادرا العلم مني قالوا
قال فتتهموني قالوا لا قال مالي اوصيكم اتفعلون قالوا نعم قال
علمكم بالحاب الحديث مالي رات الحق معهم وقال سراج الدين البلقيني
لقد بالغت في الاصول ثم عدت القهقرى الى مذهب السلف

ما الاحجار على الاخبيار ما ذكرت عن كيفيته
حقيقة تفسد مع علمك بوجودها وعن كيفيته ادراكك
مع انك تدرك بها واذا عجزت عن ادراك كيفيه ما بين جنبيك
فانت عن ادراك ما ليس بين جنبيك العجز وعاقه علم العلماء وادراك
عقول الكملا ان يطمعوا بوجود ما علم بعض المصنوعات منزه
عن صفاتها مقدس عن احوالها موصوف بصفات الكمال اللائق
به لم يصفه احد من الصادقين عنه شيئا من اوصافه واسمائه
قبلناه واعتقدناه وما لم يعرض له سكتنا عنه وردنا
الخوض فيه لقد طريقه السلف وما يسعوا بها متكلف وتلف
ويحصى في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين ما قد ورد في ذلك
عن الائمة المتقدمين من ذلك قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
من جعل دينه غرضا للخصومات اكثر التنقل والين تزعزع
منه ليس ما سرتوثق النظر فيه وقال مالك ليس في الحرال
من الدين شيء وقال ابن القاسم لا تمكن زاغ القلب من اذنك
ما قد لا اندري ما تعلقك من ذلك وقال الشافعي لان يبتلى العبد
بكل ما نهى الله تعالى عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر
في علم الكلام وقال اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى
فاشهد انه من اهل الكلام ولا دين له قال وحكمي في اهل الكلام
ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشاير والقبايل ويقال
هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال الامام
احمد لا يفلح صاحب الكلام ابدا علما الكلام زنادقه وقال ابن
عقيل قال بعض اصحابنا انا اقطع ان اصحابه ماتوا وما عرفوا

قال الشيخ رحمه الله وهذا الشهرستاني صاحب نهاية الاقدام
في علم الكلام وصف حاله فيما وصل اليه من الكلام وما ناله فتمثل
بما قاله تمني لقد كنت المعاهد كلها وصيرت كعبي بين بكل المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر على ذقن او قارعا سن نادم
ثم قال عليكم بدين العجائز هو اسني الجوائز قال الشيخ رحمه الله
ولو لم يرد في الكلام شيء يلزم به الا مسألتان من مبادئه
لكان حقيقا بالزام وجوب تركه اعني اولهما قولهم ان اول
الواجبات الشك في الله تعالى والثانية قولهم لعلكم معشر ان
من لم يعرف الله بالطرق التي طرقوها والابحاث التي حرروها
بلا يحل ايمانه وهو كافر فالزم معشر على هذا تكفير اكثر المسلمين
من السلف الماضين وائمة المسلمين واول من يبدر بتكفيره اباوه
واسلافه وجيرانه وقد اورد على بعضهم هذا فقال لا نشيع على
بكثرة اهل النار او كما قال ثم ان من نقل هاتين المسألتين من
المتكلمين ردوا على من قال بهما طرق النظر والاستدلال بنا
منهم على ان المسألتين نظريتان وهذا خطأ فاحش فان الكل مخطوئون
الخاصة الاولى بأصل القول بالمسألتين والبقية بسلم ان فسادهما
ليس بضروري وس شك في تكفير من قال ان الشك في الله واجب
او ان معظم الخانة والمسلمين كفار معذورا فرشدنا او يحتمل العقل
وهما اذ كل واحدة منهما معلومة الفساد بالضرورة الشرعية
الحاصلة بالاخبار المتواترة القطعية وان لم تدرك فلا ضرورة
تصار اليه في الشرعيات وما الفقنا نعضنا الدهر من يروج
المبتدعين وسلكوا بنا طريق السلف الماضين وانا طولت في هذه

المسألة الا لتماس لما فرشاع من هذه البدع في الناس ولانه قد اختار
كثير من الجهال صرح في تلك الاقوال وقد بذلت ما وجد على من
النصيحة والله تعالى يتولى اصلاح القلوب الخبيثة وقوله
لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع
فقد ناه سنن بضم السين وهو الطريق ومعناه وهو حمع متنه
وفي الطريقة المسلوكة وذكر الشبر والذراع والجحر امثال
لتفهيم ان هذه الامة لا تقارب غيرها من الابتداع والاختلاف مثل
الذي وقع لبني اسرائيل وقد روى الترمذي هذا المعنى بلفظ
من هذا فقال لتتبعن على سنتي ما اتى على بني اسرائيل حذو النعل
بالنعل ان كان منهم من اتى امه علانية لكان في امتي من يصنع
ذلك وان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق
امتي على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا من هي
يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي خرجه من حديث
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقد رواه ابو داود من حديث
معاوية بن ابي سفيان وقال ثنتان وسبعون وواحدة في الجنة
وهي الجماعة يعني جماعة اصحابه ومن تابعهم على مثل طريقهم وسلك
طريقتهم كما قال في حديث الترمذي وقد تبين بهذه الاحاديث
ان هذا الافتراق المحذر منه انما هو في اصول الدين وقواعده
لانه قد اطلق عليها ملة واخبر ان الهلاك شيء من تلك الملل
موجب لدخول النار وحمل هذا الاسم على الاختلاف في الفروع
مما لا يوجب تعديد الملل ولا اعذار النار وانما هو على اخر
المذهب اليه ما ذهب اليه اخوان واما محكي قد اخر

٤ النار ؟

على ما ذكرناه في الاصول والله حيث ذكر المحكم خبره خفي ولذلك
بلغت المعايلة ضربه المثل ومن باب كيفية التفقه في كتاب الله تعالى
قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الآية
اختلف الناس في المحكمات والمتشابهات على اقوال كثيرة منها
ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ ومنها ان المحكم القرآن
كله والمتشابه الحروف المقطعة في اوائل السور ومنها ان المحكم
ايات الاحكام والمتشابه ايات الوعد ومنها ان المتشابه ايات
ابهام قيام الساعة والمحكم ما عداها ومنها ان المحكم ما وضح
معناه وانتفى عنه الاشتباه والمتشابه نقيضه وهذا اشبه
بما تقدم ذلك لانه مأخوذ على وضع اللسان وذلك ان المحكم اسم مفعول
من احكم والاحكام الاتقان ولا شك في ان ما كان واضح المعنى
لا اشكال فيه ولا تردد وانما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته
وانتفاء تركيبها ومتى احتمل احد الامرين جاز المتشابه والاشكال
والله اعلم ما ذكرناه صار جعفر بن محمد ومجاهد وابن اسحق وقوله
هن ام الكتاب اي اصله الذي يرجع اليه عند الاشكال والاستدلال
ومنه سميت الفاتحة ام القرآن لانها اصله اذ هي اجمالا تحمل جملته
فكانه قال المحكمات اصول ما اشكل من الكتاب فتعمل رد ما اشكل
منه الى ما وضح منه وهذا اصح ما قيل في ذلك وقوله فاما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله
الزيغ الميل عن الحق وابتغاء الفتنة طلب الفتنة وهي الضلال يجاهد
الشك وتأويله ما آل اليه امره وكنهه حقيقته فكانهم تعمقوا
في التأويل طلبا لكنه الامر وحقيقته فكره لهم التعمق وقوله

وما يعلم تأويله الا الله اي ما يعلم حقيقة ما اريد بالمتشابه الا الله
والوقف على الله اقوى وقوله والراسخون في العلم يقولون امنا به
كل من عند ربنا جملة ابتدائية مستأنفة مقتضاها ان حال
الراسخين عند سماع المتشابه الايمان والتسليم وتفويض علمه الى الخبير
العليم وهذا قول ابن مسعود وغيره رضي الله عنهم وقول الراسخون
معطوف على الله تعالى حكي ذلك عن علي وابن عباس رضي الله عنهما
والاول اثبت واسلم والله اعلم وقوله اذا رأيت الذين يتبعون
ما تشابه منه فاولئك الذين سماهم الله فاحذروهم يعني يتبعونه
ويحملونه طلبا للتشكيك في القرآن واضلال العوام كما فعلته
الزنادقة والقرامطة الباطنيون في القرآن او طلبا لاعتقاد
ظواهر المتشابه كما فعلته الحشوية الذين جمعوا ما ورد في الكتاب
والسنة مما يوهم ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا ان الباري جسم محسم
وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل واصبع تعالى الله
عن ذلك فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن سلوك طريقهم فاما القسم
الاول فلا شك في كفرهم وان حكم الله تعالى فيهم القتل من غير استتابة
واما القسم الثاني فالصحيح القول بتكفيرهم اذ لا فرق بينهم وبين
عباد الاصنام والطور ويستتابون فان تابوا والا قتلوا كما يفعل
من ارتد فاما من تبع المتشابه لا على تلك الجهتين فان كان ذلك على
ابدا تأويلا لها وايضاح معانيها فذلك جائز في جواز ه تعالى الخلاف
في جوازنا وبالله التوفيق فاذا عرفت ان مذهب السلف ترك التعرض لتأويلها
مع تنزيههم باستحالة ظواهرها ومذهب غيرهم ابدا تأويلها
وحملها على ما يصح حمله في اللسان علمها من غير قطع بتعيين محمل منها

واما من تتبع المتشابه على نحو ما فعل صبيغ فحكمه حكم عمر رضي الله
عنه فيه الادب البليغ والراسخ في العلم هو الثابت فيه المتمكن منه
وقوله فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما اي خرجت
اليه في الهاجرة وهي شدة الحر وقوله فسمع اصوات رجلين اختلفا
في ايه فخرج يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم
باختلافهم في الكتاب هذا الاختلاف لم يكن اختلافا في القراءة لانه صلى الله
عليه وسلم قد سوغ ان يقرا القرآن على سبعة احرف كما تقدم ولم يكن
احدهما في كونهما قرآنا كان ذلك معلوما لهم ضرورة وسئل هو الكلف
به المسلمون ولا مقرون عليه حاله كفر فلم يسق الا انه كان اختلافا
في المعنى من تلك الايه يحتمل ان كانت من المحكمات الظاهرة المعنى فخالفت
فعلا احدهما اما لقصور فهم او لاحتمال بعيد فانكر النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك اذ قد ترك الظاهر الواضح وعدل الى ما ليس كذلك ويحتمل ان
كانت من المتشابه فتعرضوا لتاويلها فانكر النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك لكون فيه مخالفة لمذهب السلف في التسليم للمتشابهات وتركي
تاويلها وقوله اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فاذا اختلفتم
فيه فقوموا يحتمل هذا الكلام ان يحمل على ما قلناه آنفا قال القاضي
ويحتمل امره بالقيام عند الاختلاف في عصره وزمنه اذ لا وجه
للخلاف والتنازع حينئذ لان حرفه واحد معانيه وهو صلى الله
عليه وسلم حاضر مقيم فيرجعون اليه في مشكله وينقطع تنازعهم
بتبيانه قال الشيخ رحمه الله ويفهم لي ان مقصود هذا الحديث
الامر بالاستمرار على قراءة القرآن وفي تدبره والزجر عن كل شي يقطع
عن ذلك والخلاف فيه وحاله القراءة قاطع عن ذلك اي شي كان في حروفه

او في معانيه والقلب اذا وقع فيه شي لم يرده على الفور فامرهم
بالقيام الى ان تزول تشويشات القلوب ويستفاد هذا من قوله
اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فان القراءة باللسان والتدبير
بالقلب فامر باستدامة القراءة مرة وامر بتدبر القلب فاذا وقع
الخلاف في حال انصرف اللسان عن القراءة والقلب عن التدبير
وعلى هذا فمن اراد ان يتلو القرآن فلا يحتشم معانيه في حال قراءته
مع غيره ويفرد لذلك وقتا غير وقت القراءة والله اعلم والحاصل
ان المتحابين في الله يجب عليهم ان يتعاونوا بحسب
التعاون على فهمه واستخراج احكامه قال بعض من لقيته الله
تعالى ملازمين الاخوة والوفاء فان اتفقت افهامهم فقد حملت
نعمة الله عليهم وان اختلفت وظهر لاحدهما خلاف ما ظهر للاخر
وكان ذلك من مشكلات الظنون ومواضع الاجتهاد فعلى كل واحد
ان يصبر الى ما ظهر له ولا يشرب على الاخر ولا يلومه ولا يجد في نفسه
حالة الاغبياء والمتحذلقين واما من لم يكن كذلك فيفزع الرجوع الى قول
الاعلم فانه عز الغلط انفع واسلم واما ان كان ذلك من المسائل
العلمية فالصائر الى خلاف القطع فيها محروم وخلافه فيها محروم
مذموم ثم حثه على التحقق اما التخصيص واما التفهيم وقوله
هلك المتنطعون قال ابو عبيد المتعمقون في الكلام الغالون فيه
ويعني هم الغالين في التاويل المائلين عن ظواهر الشرع بفضول
كالباطنية وغلاة الشيعة وهلاكهم بان هوى في الحق والدنيا
وبان تقرر معاني الاخرة وانكارها كبير وبغيض لعظيم هلاكهم وقوله
حدثنا وقد تعلمت العلم ليقال عالم وقراءة القرآن ليقال قارئ

فقد قيل ثم امر به تحتب على رجمه حتى القى في النار دليل على وجوب
الاخلاص في طلب العلم وتلاوة القران وكذلك سائر العبادات ولقوله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتعلم العلم من
اعظم العبادات واجلها فتجب فيها النية والاخلاص وقد روى ابو داود
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما مما
يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف
الجنة وهذا يعم جميع العلوم الشرعية سواء كان من العلوم المقصودة
لعينها او للعمل بها كعلم القران والسنة والفقه او من العلوم الموصلة
الى ذلك كعلم الاصول واللسان وهذا وعيد شديد والمخلص منه يسير
اذ الاخلاص في طلب العلم عسير والمجاهدة نفسه عليه قليل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **وعن باب طرح العالم المسئلة**
على اصحابه ليختبرهم قوله ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
وانما مثل المسلم قد يقدر ان الشجر ما كان على ساق والنخل مالم يقل على
ساق وتشبيه المسلم بالنخلة صحيح وهو من حيث ان اصل دينه وايمانه
ثابت وان ما يصدر عنه من العلم والخير قوت للارواح مستطاب
وانه لا يزال مستورا بورقه لا يسقط من ورقه شئ وانه ينتفع بكل ما
يصدر عنه ولا يضره شئ من ذلك ففيه من الفقه جواز
ضرب الامثال واختبار العالم اصحابه بالسؤال واجابة من عجز
عن الجواب وقول عمر لابنه رضي الله عنهما لان يكون قلت هي النخلة
احب الي من كذا وكذا انما تمنى ذلك عمر ليبين لهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
لابنيه فتنة الله يرد دعوته كما انتصب ابن عباس ليظهر على ابنه
فضيلة العلم من صغره ويسود بذلك صغره **وقوله** لا تحبوا عني من كتب

عني غير القران فليمحه الخ هذا النهي متقدم وكان ذلك لئلا يختلط
بالقران ما ليس منه ثم لما امن من ذلك ابيحت الكتابة كما اباحها
النبي صلى الله عليه وسلم لابي شاه وجمع الوداع حين سال اصحابه
ان يكتب له فراى علما وانما هذا نادر لذلك **قال الشيخ** رحمه الله
ولا يبعد ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم انما نهاهم عن كتب غير
القران ليلا يتشاغلوا عن كتابة الاحاديث ولا يحفظوها فقد
ضيع المكتوب ولا يوجد في وقت الحاجة ولذلك قال ما كل ما كتبت
ولا هذه الالواح فط فقال وقلت لابن شهاب احدثت تكتب الحديث قال لا م
ومن باب رفع العلم وظهور الجهل قول انس
رضي الله عنه لاحدثنكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحدثكم احد بعدي سمعته يقول انه قال ذلك لان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد كانوا انقرضوا في ذلك الوقت فلم يبق منهم غيره
وانه من اخرهم موتا توفي بالبصرة سنة مائة وتسعين على ما قاله
خليفة بن خياط وقيل كان سنة بضع وسبعين ومائة وقيل سنة
اقل من ذلك والاول اكثر وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم
له بذلك **وقوله** ان من اشراط الساعة اي من علاماتها قرب يوم
القيامة وقد تقدم القول في الاشراط وانها منقسمة الى ما يكون
من قبيل المعتاد والى ما لا يكون كذلك بل خارقا للعادة على ما ياتي
ان شاء الله تعالى **وقوله** ان يرفع العلم ويظهر الجهل قد سبق كيفية
رفع العلم وظهور الجهل في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الذي
قال فيه ان الله لا يقبض العلم انتزاعا من الناس ولكن يقبض العلم
بقبض العلماء الحديث وهو نص في ان رفع العلم لا يعني به ذهوبه من الصدور

بل يموت العلماء وتفنى الجماهير الذين يتعاطون مناصب العلماء في الفتيا
والتعليم فيفتون بالجهل ويعلمونه فينتشر الجهل ويظهر وقد ظهر
ذلك وحضر على نحو ما اخبر وكان ذلك دليلا من ادلة نبوته وخصوصا
في هذه الازمان اذ قد ولي الحمار سوا والفتيا كثير من الجهال والصبيان
وحرمها اهل ذلك الشان غير انه قد جاء في كتاب الترمذي عن جبير
بن نفير عن ابي الدرداء ما يدل على ان الذي يرفع هو العمل قال ابو اوداد
رضي الله عنه فناجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره الى
السماء ثم قال هذا اوان يختلس فيه العلم من الناس حتى لا يقدروا منه
على شيء فقال زياد بن لبيد الانصاري وكيف يختلس منا وقد قرأنا
القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وابناءنا فقال ثكلتك امك
يا زياد ان كنت لاعدك من فقهاء اهل المدينة هذه التوراة والانجيل عند
اليهود والنصارى فما ذا تغني عنهم فلبث عملة من الصامت فقال
الا تسمع ما يقول اخوك ابو الدرداء فاخبرته بالذي قال ابو الدرداء قال
صدق ابو الدرداء ان شئت لاخوننك باول علم يرفع الخشوع يوشك
ان تدخل مسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا قال هذا حديث حسن غريب
وقد خرج البخاري في حديثه جبير بن نفير ابضا عن عوف بن مالك الاشجعي
من طريق صحيحة وظاهر هذا الحديث ان الذي يرفع انما هو العمل بالعلم
لا نفس العلم وهذا خلاف ما ظهر من حديث ابن عبد البر وغيره فانه صريح
في رفع العلم قال الشيخ رحمه الله ولا تباين بينهما فانه اذا ذهب
العلم بموت العلماء خلفهم الجهال فافتوا بالجهل فعمل به فذهب العلم والعمل
وان كانت المصاحف والكتب بايدي الناس كما اتفق لاهل الكتابين من قبلنا
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزما على ما تركتكم عليه النساء تكلتك

امك يا زياد هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما ذا
ان علماءهم لما انقرضوا خلفهم جهالهم فحرفوا الكتاب وجهلوا
المعاني فعملوا بالجهل واقتوا به فارتفع العلم والعمل وبقيت
اشخاص الكتب لا تغني شيئا وقد تقدم الكلام على قوله من سن في الاسلام
سنة حسنة في كتاب الزكاة ومن باب تقليل الحديث
قال في الرواية وترتيبه ه قد تقدم القول في تقارب الزمان
في الشرح قوله ابو هريرة اسمي عبد شمس او عبد الله او عبد الرحمن
منه لبيهما ما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم اما ليذكرهما
تقربه او ليفيدها ما لم تسمعه قد كان ابو هريرة رضي الله عنه يحضر
مع النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن لم تكن تحضرها عائشة بل وقد
كان لابي هريرة من الملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في مناقبه
ما لم يكن لغيره من الصحابة مع ما اتفق له من الخصوصية التي اوجبت
له لكثرة ما لم يتفق لغيره فكان عند من الحديث ما لم يكن عند عائشة
ولغير عائشة ان تحدث عنه سرده للحديث والاكثار منه في المجلس الذي
ولذلك كانت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سرد الحديث سردكم
انما كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه ويؤيد هذا المعنى
كثير من السلف انكروا الاكثار من على كثرة احاديث لبيبة بطوال
في المجلس الواحد وقد ذم الاكثار من الاحاديث كثير من السلف كما قدمه
ما نقدم في الاكثار من الامات روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال اقلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا شريكم
قال مالك يقول وانا ارضا اقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد عاب كثير من الصحابة على ابي هريرة الاكثار من الحديث حتى احتاج

ابو هريرة الى الاعتذار عن ذلك والاخبار بموجب ذلك حين قال
ان ناسا يقولون اكثر ابو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت
حديثا ثم قال ان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في اموالهم
وان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق وانى كنت
الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطني احضر ما لا يحضرون
واحفظ ما لا يحفظون وقد دخل مالك على ابنى اخته ابى بكر واسمعه ابنى
ابا اويس وسماه يكتبان الحديث فقال اما انهما ان اردتما ان ينفعكما الله
بسر الامر ما تملاه وتفقها ولقد جاء عن شعبه انه قال الكتبة
الحديث ان هذا الحديث مصحف عن قراءة وعن الصلاة فصل انتهم
منتهون قال ابو الحسن الكابي رحمه الله يريد شعبه بقوله
هذا لجبة تكثير الروايات لما قد دخل على المتأخرين من اصلاك الاحاديث
وعمد ذلك فيصيرون بالسلف الى ان يقولوا على الرسول صلى الله
عليه وسلم ما لم يقل قال الشيخ رحمه الله ويظهر لي من قول شعبه
انه فصد تحذير من يغلب عليه سنوه كتب الحديث وروايته حتى يحمله
ذلك على التفريط في مناكد المندوبات من الصلوات والاذكار والدعوات
حرصا على الاكثار وقضا للسهوات والاوكار قال الشيخ رحمه الله
بعده وصايا السلف وسير ائمة الخلف تدبيدها اهل هذه الازمان
واتحملوا ضروبا من الحرمان ترى الواحد منهم يحافظ الليل ويحاسب
رجل ذليل صاغر عن اصل واد بر من العوام ومن لم يشعر بشيء
قط من هذا الشان غير انه فرد واحد سمه في طبق السماع على ملان او اخان
له ملان واركان ودلال الوقت في سن من لا يعقل من الصبيان وسموه ذلك
بالسمر العالي واركان باتفاق السلف واهل العلم في اشغل سفال ودلال ذلك

تصدر من كثر منهم الى الاكثار وان يقال انفرد ملان بعالي الروايات
والاثار ومن كثر منه الله على ذلك الحال ما اخذ عنه حرام وضلال
بل ان يجب الاخذ عمن اشتهر بالعلم والاصابة والصدق والصيانة
من تلك الكتب المحررة المسموعة والاسماع المذكورة الى موارد الاحاديث
عليها ومرجع اهل الاسلام المتعارض كتابه بكتابه ويقيد
منه ما قيده ويعمل ما اهمله فان ورد ذلك الكتاب من شرط مصنفه
الصحة كمسلم والبخاري او سبر من الصحيح وحرره كالمرمذي وجب
التفقه في ذلك والعمل به وان لم يذكر ذلك وجب التوقف الى ان يعلم
حال اولئك الرواة اما بنفسه ان كانت له اهلية البحث في الرجال
واما بتقليد من له اهلية ذلك فاذا حصل ذلك وجب التفقه والعمل
وهو المقصود الاول وعليه المعول وكل ما قلته طريق موصل اليه
يكون عليه وان من علامات عدم التوفيق البقاء في الطريق من غير
وصول الى المقصود على التحقيق وقوله تعالى كل ما بين كلمة عسرا
حلال مع بحلته اعطيته والنحلة العطية كما مر وربي بها هنا
العطية بطريق شرعي كما انه قال كل من ملكته شيئا بطريق شرعي
قليلا كان او كثيرا خطيرا او حقيرا حلال الانتفاع له به مباح مطلقا لا يمنع
من شيء منه ولا يؤاخذ عليه والحال هنا كل ما تحول وتملك من سائر
الاشياء وما يرده بعد ما قضيت الكلية رفع توهم من يتوهم ان ما استلذ
واستطاب من وضع الاطعمة والملابس والمناكح والمساكن يحرم
او مكروه وان كان ذلك من الخسة الخبائث كما قد ذهب اليه بعض غلاة
المتزهدة وسببا في استيعاب هذا المعنى في كتاب الربعين ان شاء الله تعالى
وقوله واني خلقت عبادي كلهم حنفاء هو مع خبيثه وهو المائل عن الاديان

كلها الى فطرة الاسلام وسر الحديث كل مولود
يولد على الفطرة وتقدم في كتاب القدر وقوله وانتم اتتم الشاهين
باجتنابكم عن دينكم يعني شاهدين الناس من الاثم والمعاصي بتعليمكم
وتدريسكم وسياستكم الخير بوساوسكم ومعنى اجتنابكم اجانبكم
اي صرفتم عن مقتضى الفطرة الاصلية كما مال حتى يكون اغواه
عما الشان يعودانه او منصرانه او مجسانه وفي الرواية الاخرى
حتى يعبر عنه لسانه يعني بما يلقي اليه الشيطان من الباطل والفساد
المناقض لفطرة الاسلام ومن باب اقرار النبي صلى الله عليه وسلم
واقرار النبي صلى الله عليه وسلم حجة ودليل على جواز ذلك الفعل اذ
صدور ذلك الفعل من مسلم وراه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه
كتاب الاذكار والدعوات قوله تعالى انا عند
ظن عبدي بي قيل معناه ظن الاجابة عند الدعاء وظن قبول الاعمال عند
التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن قبول الاعمال عند
فعلها على شروطها تمسكا بصادق وعده وجزيل فضله قال الشيخ
رحمه الله ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
وكذلك ينبغي للتائب والمستغفر والعامل ان يجتهد في القيام بما عليه
من ذلك موقنا ان الله تعالى يقبل عمله ويغفر ذنبه فان الله تعالى قد وعد
بقبول التوبة الصادقة والاعمال الصالحة فاما لو عمل بهذه الاعمال
وهو يعتقد او يظن ان الله تعالى لا يقبلها رأسا لا تنفعه فذلك هو
القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وهو من اعظم الكبائر
ومن مات على ذلك وحل الى باطن منه كما قرر حافي بعض الفاظ هذا الحديث
انا عند ظن عبدي بي فليظن بي عبدي ما شاء تاما ظن المغفرة والرحمة

مع الاصرار على المعصية فذلك محض الجهل والغرة وسوء السيرة الى مذمة
المرجية وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله والظن
يتعلق احد الجائزين بسبب يقتضي التغليب فلو خلي عن السبب
المغلب لم يترجح شيء على غيره وتقدم في الحاشية الكلام على قوله
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقوله وانا معه حين
يذكرني اصل الذكر التنبه بالقلب المذكور والتيقظ له ومنه
قوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي تذكروها وقوله صلى الله
عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها اي اذا
تذكرها بقلبه وهو في القرآن كثير وسمي القول باللسان ذكرا لان
دلالته على الذكر القلبي غير انه قد كثر اسم الذكر على القول اللساني
حتى صار هو السابق للفهم واصل مع الحضور والمشاهدة كما قال
تعالى اني معكما اسمع وارى وكما قال وهو معكم اينما كنتم اي مطلع
عليكم ويحميكم ويكلؤكم وقد يجتمع مع ذلك الحفظ والنصر كما قيل في قوله
تعالى اني معكما اسمع وارى اي احفظكم مما تريدون كذا وقد يقرر
هذا ليتبين ان يكون معنى انا معه اذا ذكرني اي من ذكر الله في نفسه
مقربة مما سواه رفع الله عن قلبه الغفلات والموانع وصار
كأنه يرى الله ويشاهده وهي الحالة العليا التي هي ان تذكر الله
كأنك تراه فان لم يصل الى هذه الحالة فلا اقل من ان يذكره وهو عالم
بان الله يسمعه ويراه ومن كان هكذا كان الله له انيسا اذا ناجاه ويحميه اذا تهاون
وحافظا له من كل ما يتوقعه ورفيقا يسوي بنوماه
ومحللا له من الفردوس اعلاه وقوله ان ذكرني في نفسه ذكرته

قوله نفسي النفس اسم مشترك يطلق على نفس الحيوان وهي المتوفاة بالموت والنوم ويطلق ويراد به الدم والله تعالى منزه عن ذلك المعنيين ويطلق ويراد به ذات الشئ وحقيقته كما يقال رأيت زيدا بعينه اي ذاته وقد يطلق ويراد به الغيب كما قد تقدم في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي ما في غيبك والاشبه بهذا الحديث ان يكون معناه ان من ذكر الله تعالى خالبا صفر الجبهة لا يطلع احد من الخليقة على ذكره جازاه الله تعالى بان يذكره بما اعد الله له من كرامته الى اخفاها عن خليقته حتى لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقد قلنا ان التسليم هو الطريق المستقيم **وقوله** وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم يعني ان من يذكره في ملا من الناس ذكره الله في ملا من الملائكة اي اثنى عليه ونوه باسمه في الملائكة وامر جبريل ان ينادي بذكره في ملائكة السموات كما تقدم وهو ظاهر في تفضيل الملائكة على بني ادم وهو احد القولين للعلماء والمسئلة غور ليس هذا موضع ذكره **وقوله** وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا الى قوله اتيته هرولة هذه كلها امثال ضربت لمن عمل اعمال الطاعات وخدمه التقرب الى الله تعالى بذل على ان الله تعالى لا يضيع عمل عامل وان قل بل يتقبله ويجعل له ثوابه مضاعفا ولا يفهم من هذا الحديث الخطا بثقل الاقدام الامر سادي الحمر ي الافهام فان قيل مقتضى ظاهر هذا الخطاب ان من عمل حسنة جوزي بمثلها فان الذراع شبران والباع ذراعان وقد تقرر في الشاب ان الحسنة باقل ما يجازى على الحسنة بعشر امثالها

الى سبع مائة ضعف الى اضعاف كثيرة لا تحصى وكيف وجنة الجمع فلنا هذا الحديث ما سبق لبيان مقدار الاجور وعدد تضاعيفها وانما سبق لتحقيق ان الله تعالى لا يضيع عمل عامل فلذلك اوردنا قال الله تعالى يسرع الى قوله والى مضاعفة الثواب عليه اسراع تم جزئي اليه مشي مبادر لاخذه وتهشبش له بشاشة من سر له ووضع منه الموقع الا ترى قوله ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وفي لفظ اخر اسرعت اليه ولا تتقدر الهرولة والاسراع بضعفي المشي واما تحديد الاضعاف بسبعمائة فمن حيث ورد في موضع اخر لا من هذا الحديث والله اعلم **وقوله** هذا احد ان هو بضم الجيم وسكون الميم وهو جبيل بين قديد وعسفان من منازل اسلم **وقوله** سبق المفردون قال القاضي ضبطناه عن متقني شيوخنا بفتح الفاء وكسر الراء قال الهروي قال ابو العباس عن ابن الاعرابي فرد الرجل اذا تفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الامر والنهي وقال الازهري هم المتخلون عن الناس بذكر الله تعالى وقد فسرهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المستهترون بذكر الله تعالى وضع عنهم الذكر اوزارهم فيردون يوم القيامة خفافا وانما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول عقيب قوله هذا جدان لان جدان جبل منفرد بنفسه هنالك ليس بجنبه جبل مثله فكانه تفرد هناك فذكره بهذا ولاء المفردون والله اعلم وسار الى الموضع تسبقوا في الدنيا الى الاحوال السنية وفي الاخرة الى المنازل العلية **وقوله** الذاكرون الله كثيرا والذاكرات تقدم ذكره المذكورة هنا هي المأمور بها في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وهذا المساق

يدل على ان هذا الذكر الكثير واجب ولذلك لم يكتف بالأمر
حتى اكده بالمصدر ولم يكتف بالمصدر حتى اكده بالصفة وقيل
هذا لا يكون في المندوب فظهر انه ذكر كثير واجب ولا يقول احد
بوجوب الذكر باللسان دايما وعلى كل حال كما هو ظاهر هذا
الامر فتعين ان يكون ذكر القلب كما قاله مجاهد وقال ابن عباس
رضي الله عنهما ليس شيء من الفرايض الا وله حد ينتهي اليه الا ذكر الله
ولم يقل هو ولغيره فيما علمناه ان ذكر الله باللسان واجب على الدوام
فلزم انه ذكر القلب واذا ثبت ذلك فذكر القلب لله تعالى اما
على جهة الايمان والتصديق بوجوده وصفات كماله واسمايه
فهو اوجب استدامته بالقلب ذكرا او حكما في حال الغفلة
لانه لا ينفك عنه الا بنقيضه وهو الكفر والذكر الذي ليس
راجعا الى الايمان هو ذكر الله عند الاخذ في الافعال فيجب على
كل مكلف ان يقدم على فعل من الافعال ولا قول من الاقوال ظاهرا
ولا باطنا الا حتى يعرف حكم الله في ذلك الفعل لامكان ان يكون
الشرع سبق منه فيما على طريق الاجتهاد ان كان مجتهدا او على
طريق التقليد ان كان غير مجتهد ولا ينفك المكلف عن فعل
او قول دايما فذكر الله يجب عليه دايما ولذلك قال بعض السلف
اذكر الله عند همك اذا هممت وعند حكمك اذا حكمت وعند
اذا قسمت وما عدا هذين الذكرين لا يجب استدامته ولا كثرته والله اعلم
ومن باب فضل مجالس الذكر قوله ان لله
ملايكة سيارة فضلا بفتح الفاء واسكان الضاد رواه الشيخان في مسلم
والبخاري اي زيادة على كتاب الناس وعند الهوزني فضل بزيم

اللام على انه خبر مبتدا ووقع عند بعضهم فضلا بضم الفاء والضاد
وكانه تاول له على انه جمع فاضل ولا تساعد العربية ولا المعنى
وعند بعضهم فضلا بضم الفاء وفتح الضاد والدوالسين تحطر فا
والملايكة وان كانوا كلهم كذلك فليس هذا موضع ذكر ذلك والصواب
التقدير الاول وقوله فاذا وجدوا مجلس ذكر قعدوا معهم
وحف بعضهم بعضا باجنحتهم هذه رواية السجزي والسمرقندي
اي يخبر قعود جلوسهم ومصداقها في البخاري يحفونهم باجنحتهم وفي
كتاب ابن عيسى وحط بالطاء المهملة ومعناه اشار بعضهم
لبعض بالنزول ووقع عند العذري حف بالفا القاف المعجمة
وعند بعضهم بالسادمهملة ولسانشي وبما صحفت وقوله سيارة
يعني سايرين كما قال في رواية اخرى سيابين وقوله فاذا
وجدوا مجلس ذكر قعدوا معهم يعني مجالس العلم والتذكير وفي
المجالس التي يذكر فيها كلام الله وسنة رسوله واخبار السلف
الصالحين وكلام الايمة الزهاد المقتدى بهم المبرا ون عن التصنع
والبدع والمنزهين عن المقاصد الرديه والطمع وهذه المجالس قد
عدمت في هذا الزمان وعوض منها الكرب والبدع ومزامير
الشيطان نعوذ بالله من حضورها ونساله العافية من شرورها
وقوله نسائلهم ونحن اعلم منهم اي حيث هذا السوال من الله تعالى
للملايكة هو على حد التشبيه للملايكة على هيئتنا الجعل فينا من
يفسد فيها ويسفك الدما واظهار للحق بقوله اني اعلم ما لا تعلمون
وهو من نحو مباهاة الله تعالى الملايكة بما هل عرفه حين قال لهم
ما اراد ها ولا التفات الى عباد عجاوني شفعا عند الله تعالى

تدعوت لهم ودلالة على الحدث وقوله وتحيرونك اى
بعطوفك بذكر صفات جمالك وجلالك ويريدون ان اصل الحجر
للحشرة ومنه مولعة على كل شجر نار واستجد المرخ والعفار
وقوله كلمة لو وراوا حبتى يدل على ان للمعانى زيادة
تبرية على العلم بالتحقق والوضوح فارها ولا العوام المتدبرين
للحجة والنار كما سواء لما لمس بذلك ومع ذلك فان الله تعالى قال
وحبب لو وراوها بعنى لو راوها لحصل من البغض والحمق زياده
على ما عندهم والتحصيل هو الزياده. سئل موسى الروية والحلل
سئلا سرة احبا الموتى وبعدهم هو المعنى وهوا الملائكة لهم
فلان عمر خطأ اما مر مجلس معهم اما استبعدت الملائكة ان يحل
بهوا مع اهل المجلس المغفرة لانه لم يقع عادته حضور مجالس
الذكر وانما كانت عادته ملازمة الحكايا فعرض له بعدا
المجلس مجلسه فرحل مع اهله مما عم لهم من المغفرة والرحمة
فلستفاد منه الترغيب العظيم في حضور مجالس الذكر ومجالسة
العلما والصالحين وملازمتهم وقوله هم القوم لا شقى جليسهم
بعده مبالغة في اكرامهم وزياده في اعلا مكانتهم الا ترى انه
اكرم جليسهم بنحو ما اكرم به اصحابه لما لم يشقوا قط
ولا طلوا له سما وهذه حالة شريفة ومنزلة منيفة لا خيبنا الله
منها وجعلنا من اهلها وبرياب فضل احصا اسما الله
تعالى قوله ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا
الاسم في العرف العام هو الكلمة الدالة على معنى مفرد وبهذا
الاعتبار لا فرق بين الاسم والفعل والحرف اذ كل واحد منها

يصدق عليه ذلك الحد تلا فعل ولا حرف في العرف العام وانما ذلك
اصطلاح النحويين والمنطقيين ولسرد لك من خرجنا واذا عرفت
هذا فعلمت منه ان قال ان الاسم هو المسمى حقيقة كما قالته
طائفة من ضلال الحشوية فانهم صرحوا بذلك واعتقدوه حتى
الزموا على ذلك ان من قال باسم الله مات ومن قال نار احترق وهما ولا
احسن من ان يشغل بمخاطبتهم واما من قال من النحويين ومن المتكلمين
الاسم هو المسمى فحاشاهم ان يريدوا هذه الحماقة وانما ارادوا
انه هو من حيث انه لا يزال الا عليه ولا يغير الامر وان كان ذلك
الاسم من الاسما الدالة على ذات المسمى دل عليها من غير مزيد
اشر آخر وان كان من الاسما الدالة على معنى زايد دل على ذلك الذات
منسوبة الى ذلك الزايد خاصة دون غيره وبيان ذلك انك اذا
قلت زيد مثلا فهو يدل على ذات مشخصة في الوجود من غير زيادة
ولا نقصان فلو قلت مثلا العالم دل هذا على تلك الذات منسوبة
الى العلم وكذلك لو قلت القدير دل على تلك الذات مع اضافة مال
اليها وكذلك لو قلت الفقير دل على تلك الذات مع سلب المال
عنها وهذا جار في كل ما يقال عليه اسم بالعرف العام وبهذا
تحقق لك ان تتكثر الاسما المختلفة على ذات واحدة لا لوجه
تعود اليها ولا تكثيرا وقد تحصل بهذا معرفة اسم وضوحه على
بعض ائمة المتكلمين وتحرم منه سموا من لزوم تعدد في ذات الاله
حتى تاول هذا الحرف بان قال ان الاسم فيه يراد به التسمية
وراى ان هذا الخلاصة من التكثير وهذا اقرار من غير معرفة الى غير تقرير
وذلك ان التسمية انما هي وضع الاسم او ذكر الاسم فانه يقال لمن سمى

ابنه عند ولادته بزيد سمي تسمية وكذلك قول بعض من
اسم زيد لغيره وعلى هذا فالتسمية هي تخصيص الاسم بالمسمى
فاذا قلنا ان لله تعالى تسعة وتسعين تسمية اقتضى ذلك ان يكون
له تسعة وتسعون اسما تنسب كلها اليه مع ان الذي يعبد
ذلك التكلف والتعسف والحق ما ذكرناه والمنعم الاله
وقد يقال الاسم هو المسمى ويعني به ان هذه الكلمة التي هي الاسم
قد تطلق ويراد بها المسمى كما قيل ذلك في قوله تعالى سبح اسم ربك
الاعلى اي سبح ربك فاريد بالاسم المسمى وهذا لحنة لفظية
لا ينبغي ان ينكر ولا حرج ان يعبر به عن هذا لانه قد ينوب احدهما
عن الاخر في اللسان وغيرهم واذا تقرر هذا فاعلم ان اسما الحق
سبحانه وان تعددت فلا تعدد في ذاته تعالى ولا تركيب لا عقليا
كتركيب الكليات ولا محسوسا كتركيب الجسمانيات
وانما تعدد اسماؤه تعالى بحسب الاعتبارات التي ابديه على
الذات ثم هذه الاسماء منها ما دل على الذات باعتبار ضرب منها
ما يدل على الذات مجردة كاسمه الله تعالى على قول من يقول انه
علم غير مشتق وهو الخليل وغيره لانه يدل على الموجود الحق
الموصوف بصفات الجلال والكمال دلالة مطلقة غير مقيدة
بقيد ولا له اشهر اسما به حتى يعرف كل اسم انه به فيقال الرحمن
اسم الله ولا يقال الله اسم الرحمن وان اعرب معاملة
الاسماء الاعلام في النداء فجمعوا بينه وبين يا النداء ولو كان مشتقا
لكانت لامه زائدة وحينئذ لا يجمع بينه وبينها في النداء كما لا تقول
العرب يا الحارث والعباس ولا شبهة المناحث علم الاشتقاق
ومنها

وسنها ما يدل على صفات الباري تعالى الثابتة له كالعالم والقادر
والسميع والبصير ومنها ما يدل على احاطته بما ابرزها اليه كالخالق
والرازق ومنها ما يدل على سلب شيء عنه كالقدوس والسلام
وبقية الاقسام الاربعة لا رمنه محصرة دائرة بين النفي والاثبات
فاختبرها تجدها كذلك قوله بانه الاواخرا تاكيد للجملة
الاولى ليرتفع به وهم متوهم في النطق او الكتابة لان تسعة
متقاربة لسبعة فيسمع ومائة بمصوره بدل من تسعة وقوله
من احصاها دخل الجنة هذه الجملة خبر ثان للمائة المذكورة
في الجملة الاولى فخبران هذه الجملة هي الفائدة المقصودة لعينها
والجملة مقصودة لها لان مقصودها حصر الاسماء فيما
ذكر وهذا قول قابل لان بمائة دينار اعم منها للصدقة
لا يقتضي ان هذا له ليس له تعالى غير المائة الموشار واما تعميم
ان هذه المائة هي التي اعتنى للصدقة لا غير ها وقد دل على
ان لله اسما اخر مما قدمناه من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني
اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب
عندك وقوله فاحمده لحامد لا اقدر عليها الان للتعريف اي
وقد بحث الناس عن هذه الاسماء في الكتاب والسنة فجمعوها
في تصانيف كالحكيمي والقشيري فمن اراد ها وجدها وقد روى
الترمذي حديثا في هذه وزاد فيه ذكر الاسماء وتعديدها
الى تسعة وتسعين وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث
صفوان بن صالح وهو ممن يضع الحديث والاحصاء على ثلاثة
مراتب او لها الحفظ ومنه قوله تعالى واحصى كل شيء عددا

الاولى

الاخلاق

والثانية بمعنى القسم ومنه يقال جاء وحصاة اي ذولت وقسم
ومنه سمي العقل حصاة قال كعب بن سعد الغنوي
وان لسان المرء ما لم يكن له حصاة على عوراته لدليل
والثالث بمعنى الاحاطة على العمل والقوة ومنه قوله تعالى علم
ان لن تحصوه اي لن تطيقوا العمل به كله والمرجو من كرم الله تعالى
ان من حصل له احصاء هذه الاسماء على هذه المراتب مع محبة النبي
ان يدخله الله الجنة لان المرتبة الاولى هي مرتبة اصحاب اليمين
والثانية للسابقين والثالثة للمصطفين وهي باحاطتها
حصن المرتعاة لها والحافظة على حدودها والاتصاف بقدر
الممكن منها كما اشار اليه الطرسي في المقصد الاسنى وقوله
والله وتر يحب الوتر قد علم ان الوتر الفرد والسبع الزوج
وان معنى وهو انية الله تعالى انه واحد في ذاته فلا انداد له
وواحد في الهيته فلا نظير له وواحد في ملكه وملكه فلا شريك
له وقوله يحب الوتر كاهر ان الوتر هنا للجنس اذ لا معنى
حرى وكره نحمل عليه بحسب معناه على هذا انه يحب كل وتر ترجه
وامر به كالمغرب والشفع والوتر صلاة الليل والوتر
الخمس منها والوتر كالوتر في مراتب الكمال وغسل الميت وغيرها
مما شرع فيه الوتر ومعنى محبته لهذا النوع انه امر به واثاب
عليه وصلح ذلك للعموم لما خلقه وسر امر مجلوقاته كالسموات
السبع والارضين السبع والدراري السبع وكادم الذي خلقه من تراب
وعيسى الذي خلقه من غير اب وبعكس ما خلقه الله وسر امر مجلوقاته
ومعنى محبته لهذا النوع انه خصصه بذلك لحكم علمها وامر

تذكرها وكمل ان يريد ذلك الوتر واحدا بعينه فقيل هو صلاة
الوتر وقيل يوم الجمعة وقيل يوم عرفه وقيل ادم وقيل عمر وكل
وقيل كمل ان يكون معناه ينصرف الى خلقه من يعبد الله بالوحدانية
والتفرد على سبيل الاخلاص والاختصاص قال الشيخ رحمه الله
وهذه الاقوال كلها متقاربة واشبه ما تقدم حمله على العموم
وتكون على وجه وارجو ان يكون اولى بالمقصود ومعنى الوتر
مراد به التوحيد يكون معناه ان الله تعالى في ذاته وكماله وافعاله
واحد ويحب التوحيد اي يوحد ويعتقد انفراده له دون خلقه
فيلتئم اول الحديث واخره وظاهره وباطنه ٥

من باب فضل التهليل والتسبيح والتحميد ٥ قوله

عن ابي هريرة رضي الله عنه من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له
عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة
يعني ان ثواب هذه الكلمات بمنزلة ثواب من اعتق عشر رقاب
وقد تقدم في العتق ان من اعتق رقبة واحدة اعتق الله بكل عضو
منها عضوا منه من النار ثم يزاد مع ذلك كتب مائة حسنة ومحو
مائة سيئة بحمل ذلك كله وكل واحد من هذه الحسنات مضاعفة
بعشر كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وكما في حديث سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه المذكور بعد هذا وهذا الحديث وجميع ما في
الباب من الاحاديث يدل على ان ذكر الله تعالى افضل الاعمال كلها
وقد صرح بهذا المعنى في آخر هذا الحديث حين قال ولم يات احد بافضل
مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وانص ما في هذا الباب مما قدمه

مالك من حديث ابي الدرداء قال الا اخبركم بخير اعمالكم وازكاها
عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب
والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا
اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله وهذا لا يقوله ابو الدرداء من
رايه ولا نظره فانه لا يتوصل اليه برايه فلا يقوله الا عن النبي
صلى الله عليه وسلم غير انه سكت عن رفعه للعلم بذلك عند من كثرته
بذلك وقد رواه الترمذي مرفوعا والله اعلم وقوله وفاتت له
خيرا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي يعني ان الله تعالى يحفظه من
الشيطان في ذلك اليوم فلا يقدر منه على زلة ولا وسوسة بتركه
تلك الكلمات قال الشيخ رحمه الله وهذه الاجور العظيمة والفوائد
الجمة انما تحصل كاملة لمن قام بحق هذه الكلمات فاحضر معانيها
بقلبه وتأملها بفهمه وانفتحت له معانيها وخاض في بحار
معرفتها ورتع في رياض سرها ووصل فيها الى عين اليقين فان
لم يكن قد الى علم اليقين وهذا هو الاحسان في الذكر فانه من اعلم
العبادات وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما قدمناه من الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم يكن تراه فانه يراك ولما كان
الذاكرون في ادراكهم وفهومهم مختلفين كانت اجورهم على ذلك
بحسب ما ادركوا وعلى هذا ينزل اختلاف مقادير الاجور
والثواب المذكور في احاديث الاذكار فانك تجد في بعضها ثوابا
عظيما مضاعفا وتجد تلك الاذكار باعيانها في رواية اخرا
اكثر او اقل كما اتفق هنا في حديث ابي هريرة المتقدم فان فيه
ما ذكرناه من الثواب وتجد تلك الاذكار باعيانها وقد جاء على غيرها

من حديث ابي سعيد الرقاب اكثر مما علقه على حديث ابي هريرة وذلك انه
قال في حديث ابي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة كانت له عدل
عشر رقاب وفي حديث ابي ايوب من قالها عشر مرات كانت له
عدل اربع رقاب وعلى هذا من قال ذلك مائة مرة كانت له عدل
اربعين رقبة وكذلك تجده في غير هذه الاذكار فيرجع الاختلاف في
الاجور لاختلاف احوال الذاكرين وبهذا يرتفع الاضطراب
من احاديث هذا الباب والله الموفق للصواب وقوله الا احد عمل
اكثر من ذلك اي قال فسمى القول عملا كما قد صرح به في الرواية
الاخرى والذكر من الاعمال التي لا ينفع الا بالنية والاخلاص وقوله
سبحان الله وبحمده لا اله الا الله احب الي مما طلعت
عليه الشمس اي ليس ان يكون له الدنيا بكليتها فيحمل ان يكون
هذا على جهة الاعتبار على طريقة العرب في ذلك ويحتمل ان يكون معنى
ذلك ان تلك الاذكار احب اليه من ان يكون له الدنيا فينفقها
في سبيل الله في اوجه البر والخير والا فالدنيا من حيث هي دنيا
لا تعدل عند الله جناح بعوضة وكذلك هي عند انبيائه واهل المعرفة به
فكيف يعدل احب الله من ذكر اسما الله وصفاته الذي يحصل بها ذلك
الثواب العظيم والحظ الجزيل وقوله الله اكبر كبيرا به كبيرا
على انه منصوب بفعل مضمر تقديره اكبر كبيرا هذا قول بعض النحويين
وقوله والحمد لله كثيرا نصب كثيرا على انه نعت لمصدر محذوف
كانه قال والحمد لله حمدا كثيرا وقوله فهاؤلاء للربي اي هاؤلاء
الكلمات هي حق الله تعالى اذ هي اوصافه تعالى اي فما الذي اذكره
لحقي وحظي فوله صلى الله عليه وسلم على دعا يشمل له مصالح الدنيا

والآخرة فقال قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني
اي اغفر لي ذنوبي السالفة وارحمني بتعريفك المتوالية واهدني الى
السبيل الموصل اليك وارزقني ما استعين به على ذلك وبعضني
عن غيرك وعافني عما ينقص لي شيئا او ينقصه وقوله وجمع
اضابعه اي حرز تلك الكلمات الموعود بها عليها تمكينا لها في النفس
وضبطا لها في الحفظ وقوله فان هؤلاء لجمع لك دنياك وآخرتك
اي هذه الدعوات تجمع لك خيرات الدارين وتكفيك شر ورهما
وقوله يعقد الله الف حسنة او يحط كذا وقع هذا اللفظ في بعض
النسخ بالف قبل الواو وفي بعضها باسقاط الالف وهو صحيح رواية
ومعنى لان الله تعالى تجمع كله لقاء تلك الكلمات كما تقدم ولوحت
رواية الالف لحملت على المذهب الكوفي في ان او تكون بمعنى الواو
وقوله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم
لستم تدعون اصم ولا غائبا اي ارفقوا يقال ربع المرحل يربع اذا
وقف وتحبس ومنه قولهم اربع على ظلعك اي ارفق بنفسك
وانما قال لهم تدعون اصم ولا غائبا لانهم رفعوا اصواتهم كما يرفع
من كان اصم او غائبا ثم قال لكم تدعونه سميعا قريبا وهو معكم مثل
لهم بما بين ادبر مما يحسونه ويدركونه فقال لكم تدعونه اقرب
الى احدكم من عنق راحلته فنزه معه وقرب بالاطلاع والمشاهدة
لا بالمكان والزمان وقوله انه ليغان على قلبي اني لاستغفر الله
في اليوم مائة مرة الغان للمحو والغين التغطية ومنه يقال
للغيم الغين لانه يغطي ويستر احوالا ان قلب النبي صلى الله عليه وسلم
تاثر بسبب ذنب يرتكبه منه نفس او ريب او طبع عليه من دون

الخطايا بريء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يعلم انها اذا وقعت
منهم اثرت في قلوبهم كما تؤثر الذنوب في قلوب العصاة بل هم
مغفور لهم ومكرمون وغير مؤاخذين بشيء من ذلك فضبط بهذا
ان ذلك الغين ليس هو بسبب ذنب ولا اختلف انه في ذلك الغين
فقالت طائفة انه عبارة عن فترات وغفلات عن الذكر الذي
كان يداوم به فكان يستغفر من تلك الفترات وقيل كان ذلك بسبب
ما اطلع عليه من احوال امته وما يكون منها بعده فكان يستغفر
لهم وقيل كان ذلك لما يشغله من النظر في امور امته وقضاء حوائجهم ومكارمهم
عدوه عن تحمل مقامه فكان يعد ذلك ذنبا من اعظم الطاعات
واجل الاعمال تزلفا الى الله وارتفاعا في درجاته ورفعة لمقامه فلهذا يستغفر ربه
من ذلك وقيل كان ذلك حالة خشية واعظام لله تعالى والاستغفار
الذي صدر منه لم يكن لاجل ذلك الغين بل للقيام بالعبادة الاتي
قوله في الحديث انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم
مستانف غير لبس احدهما معلقا على الاخر وقال بعض ارباب الاشارات
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي في المقامات سريع التنقل
في المنازلات فكان اذا ترقى من مقام الى غيره اطلع على المتنقل عنه
فظهر له انه نقص بالنسبة الى المتنقل اليه فكان يستغفر الله من الاول
ويتوب منه كما قال في الحديث وقد اشار الجنيد الى هذا بقوله
حسنات الابرار سيئات المقربين والله اعلم وقوله يا ايها الناس
توبوا الى الله اشارة الى قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا
ايها المؤمنون وكما قال توبوا الى الله توبة نصوحا وقال وسلم شب
فان حكم الظلوم والاخلاف انها واجبة على كل من اذنب وهي

في اللغة الرجوع يقال تاب وثاب وناب وآب بمعنى رجع وهي في الشرع
الرجوع عما هو مذموم في الشرع الى ما هو محمود فيه وسماتي استيفا
الكلام فيه في الوثائق ان شاء الله تعالى **وقوله** فاني اتوب اليه
في اليوم مائة مرة يدل على استدامة التوبة وان الانسان ينبغي
ذكر ذنبه حدوث التوبة لانه من حصول الذنب على نفس ومن الخروج
عن عقوبته على شك فحق التائب ان يجعل ذنبه نصب عينيه ويتوجع
دائما عليه حتى يتحقق انه غفر له ذنبه ولا يتحقق اشفاقا منا دلك
ايضا الله عز وجل واجب عليه ملازمة الخوف من الله والرجوع
الى الله ندما على ما فعل وبالعزم على ان لا يعود الله والاقلاع عنه
ثم لو قدر بانه تحقق انه غفر له ذلك الذنب بعينه عليه وظيفة
الشكر كما قال صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا وانما اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بانه يكرر توبته كل يوم مع كونه معصوما له
ليكون به عمرا نفسه بطريق الاولى لان خبره يجعل اذا كان
حال من تحقق مغفرة ذنوبه فكيف حال من هو مرتهن لكل ساعة
اجرى واولى بدلك العمل على الاستغفار والتوبة تقتضي شفاء تاب
منه الاوردلك منهم بحسب حال من صدر منه ذلك الشيء فتوبة
العوام من الشبهات وتوبة الخواص من الغفلات وتوبة خواص
الخواص من الالتفات الى الحسنات هذا قاله بعض ارباب القلوب
وهو كلام حسن في نفسه بالغ في قسم

وفي تاب قوله لتحقق الرائي لحالته **والعزم** في جابه د
قوله لا تقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت الخ نهى الرسول صلى الله
عليه وسلم عن هذا القول لانه يدل على شعور الرغبة وقلة التهمم

بالمطلوب وكان هذا القول يتضمن ان هذا المطلوب ان حصل والا استغنى
عنه وان كان هذا حاله لم تحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذي هو
روح عبادة الدعاء وكان دلك دليلا على قلة اكتراثه بزنوبه ورحمة
ربه وايضا فانه لا يكون موقنا بالاجابة وقد قال صلى الله عليه وسلم
ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب
دعاء من قلب غافل لاه ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالنهي
عن دلك حتى امر بنقيضه فقال لتعزم في الدعاء اي ليجزم في طلبته
ويحقق رغبته ويتيقن الاجابة فانه اذا فعل دلك دل على علمه
بعظيم قدر ما يطلب من المغفرة والرحمة وعلى انه مفتقر لما يطلب
مضطر اليه وقد وعد الله المضطر بالاجابة بقوله امن يجيب
المضطر اذا دعاه **وقوله** فان الله صانع ما شاء لا مكره له اظهار
لعدم فائدة تقييد الاستغفار والرحمة بالمشيئة لان الله تعالى
لا مضطره الى فعل شيء دعا ولا غيره بل يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء
ولذلك قيد الله تعالى الاجابة بالمشيئة في قوله فيكشف ما تدعون
اليه ان شاء فلا معنى لاشتراك قسيميه فيما قد استبعده واما اشتراطه
في الايمان فلعدم القول فيه **وفي تاب** اكثر ما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به انما كان اكثر دعاء النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة لانها
من الدعوات الجوامع التي تتضمن خير الدنيا والاخرة ودفع كل ان حسنة
نكرة في سياق الطلب وكانت عامة فكأنه يقول اعطني كل حالة
حسنة في الدنيا والاخرة وقد اختلفت اقوال المفسرين في الاية
اختلافا مبنيا على عدم التوقيف وعلى قلة الناقل لموضوع الكلمات

فنيل الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة ونيل العافية
والعاقبة ونيل المال وحسن المآل وصل المراة الصالحة والجور
العبر والصحيح الحمل على العموم والله اعلم **وقوله** انه صلى الله عليه وسلم
عاد رجلا من المسلمين قد خفت حتى صار مثل الفرخ اي ضعف وتخيل
في جسمه وخفي كلامه وتشبيهه له بالفرخ دال على انه تناثر
اكثر شعره ويحتمل ان يكون شبهه به لخفته والاول اوقع في التشبيه
ومعلوم ان هذا المرض لا يبقى معه شعر ولا قوة **وقوله** صلى الله عليه
وسلم سبحان الله انك لا تطيقه يعني ان عذاب الاخرة لا يطيقه احد
في الدنيا لان نشاة الدنيا ضعيفة لا تحمل العذاب الشديد والالم العظيم
بل اذا علم على ذلك فلك وعلمه واما نشاة الاخرة فهي للبقاء اما
في نعيم او في عذاب لهذا مؤبد كما مال في حق الكفار كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب نسال الله العافية
في الدنيا والاخرة ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ارشده الى احسن ما يسال
وهو قوله آتنا في الدنيا حسنة **وفي** رواية **ما كنت تدعو به**
وما تقول فيه قوله او خر رضي الله عنه على في دعاء اخر به
في صلاتي اما خص الصلاة لانها حالة اجابة او قال صلى الله
عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء
وتقدم ان الكلام وضع الشيء في موضعه وكلام الانسان لنفسه هو
تزكيها مع مواقعها في كثير منا من المعاصي الموجبة عقوبتها وغفران
الذنوب هو ستريها بالتوبة منها او بالعفو عنها **وقوله** ما عندك
لي مغفرة من عندك اي تفضلا من عندك وان لم اكن اهلا والا فالمغفرة
والرحمة وكل شيء من عنده تعالى وقد اكثر ذلك في قوله اني انت

الغفور الرحيم اي لانت الكثير المغفرة والرحمة لا اني استحق ذلك ونذر
استحب بعض العلماء ان يدعو بهذا الدعاء في الصلاة قبل السلام والصلاة
فلما عذر علما بيا محل الدعاء غير انه ذكره الدعاء في الركوع واقربه
للاجابة السجود كما قلناه وقد ذكرنا انه يجوز ان يدعو في الصلاة
بكل دعاء كان بالفاظ القران او بالفاظ السنة او غيرها حلافا
لمن منع ذلك اذا كان بالفاظ الناس وهو احد من قال واوجبه **وقوله**
اللهم اني اعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار الفتنة هنا
هي ضلال اهل النار المفضي بهم الى عذاب النار وفتنة القبر هي الضلال
عن جواب اجابة الملكين فيه وهما مقدر وتقديرها عدم وعذاب القبر هو
ضرب من لم يوفق للجواب بمقامع الحديد وتقدم في يوم القيامة
وشر فتنة الغنى هي الحرص على الجمع للمال وحبه حتى يكتسبه من غير
حله ويمنعه من واجبات انفاقه وحقوقه وشر فتنة الفقر
يعني به الفقر المدقع الذي لا يحبه صبر ولا ورع حتى يتورط صاحبه
بسببه مما لا يليق باهل الاديان ولا باهل المروات حتى لا يأتي بسببه فاقته
على اي حرام وثب ولا اي رداءة تورط وقيل المراد به فقر النفس
الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها وليس بشيء ويرده الاحاديث
الدالة على ان الغنى افضل من الفقر وان الفقر افضل من الغنى الا ان يعني
والفقر المذكور هنا مذموم بما تفاق العقلاء وقد تكلما على مسالة
التفضيل فيما يعرض والكسل المتعوذ منه هو التثاقل عن الطاعات
وعن السعي في تحصيل الصالح الدنيوية والاخروية به والعجز المتعوذ منه
هو عدم القدرة على تلك الامور والفقر المتعوذ منه هو المتعوذ منه في
الحديث الاخر بارذل العمر وهو ضعف القوى واختلال الحواس والعقل

الذى يعود الكبير بسببه الى اسوأ حاله الصغير وهو الذى مال الله
منه ومن نفسه بتفسيده فى الخلق افلا تعقلون وقوله فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعوذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء روى بضم
الراء وباسكانها فالضم الاسم وبالاسكان المصدر وهما متقاربان
والمتعوذ منه ان يلحقه شقاء الدنيا بجهنبيه وثقله وفى الاخره
بعذابه وجهد البلاء بروى بضم الجيم وفتحها قال ابن دريد هما لغتان بمعنى
واحد وهو التعب والمشقه وقال غيره وهو بفتحه به بالضم الوسع
والطاقة وبالفتح المبالغه والغايه وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال
جهد البلاء قله المال وكثره العيال وشماتة الاعداء ومعنى كلامهم
او ترجمهم ما يلحقه من الضرر والمصايب وبدا هذا الدعاء مجملا
كما نرى لان ذلك السجع لم يكن متكلفا وانما ذكره من ذلك ما كان متكلفا
كما تقدم وانما دعا النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوات ونعوذ
بهذه التعوذات اظهارا للعبوديه بها وسائلا للمشروعيه لتقتدى به عباده
ونتعوذ بتعويذاته والله اعلم وفى باب ما يقول اذا نزل
منزلا وعند النوم قوله اذا نزل احدكم منزلا فليقل اعوذ
بكلمات الله التامات من شر ما خلق قيل معناه الكاملات اللاتى
لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر وقيل معناه الشافيه
الكافيه وقيل الكلمات هنا هى القران فان الله تعالى قد اخبر عنه بانه
هدى وشفا وهذا امر على جهة الارشاد الى ما يدفع به الاذى ولما
كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى والتجا اليه كان ذلك من باب
المندوب اليه المرغب فيه وعلى هذا فحق المتعوذ بالله تعالى وباسمايه
وصفاته ان يصدق الله فى التجايه اليه ويتوكل فى ذلك عليه ويحضر

ذلك فى قلبه فمتى تفعل ذلك وصل الى منتهى طلبه وسعادة دنياه وقوله
فانه لا يضره شئ حتى يرتحل منه هذا خبر صحيح وقول صادق قد علمنا صدقه
دليلا وتجربة فانى منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرنى شئ الى
ان نزلت فلتخت فى عقرب بالمهدية ليلا فتفكرت فى نفسى ماذا فى قوله فمن
فنسيت ان اتعوذ بتلك الكلمات فقلت لنفسى ذاما لها وموبخا
ما قاله صلى الله عليه وسلم للرجل الملذوع اما انك لو قلت حين امسيت
اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وقوله اذا اخذت
مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن هذا الامر
على جهة الندب كان النوم وفاة وقد يخون موتا كما قال تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها
الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ولما كان الموت كذلك ندب صلى الله
عليه وسلم النايم الى ان يستعد للموت بالطهاره والاضطجاع على اليمين
على الهيئة التى يوضع عليها فى قبره وقيل الحكمه فى الاضطجاع على اليمين
ان يتعلق القلب الى الجانب الايمن فلا يثقل النوم وفيه دليل على ان النوم
على طهاره كامله افضل وقد ذكر الاسرفى حكم الجنب عند النوم فى الطهاره
وقوله قل اللهم انى اسلمت وجهى اليك وفى روايه نفسى بدل
وجهى وكلاهما بمعنى الذات والشخص فكانه قال اسلمت ذاتى وشخصى
وقد قيل ان معنى الوجه القصد والعمل الصالح ولذلك جاء فى روايه اسلمت
نفسى اليك ووجهت وجهى اليك مجمع بينهما ودل ذلك على انهما امران
متغايران كما قلناه ومعنى اسلمت سلمته واستسلمت اى سلمتها لك اذ
لا قدره لى على تدبيرها ولا على جلب ما ينفعها ولا على دفع ما يضرها
بل امرها اليك سلم تفعل فيها ما تريد واستسلمت لما تفعل بها قلا اعتراض

على ما تفعل ولا معارضة **وقوله** وفوضت امري اليك اى توكلت عندك
في امري كله لتكفيني همه وتتولى اصلاحه **وقوله** والجات ظهري اليك
اسندته اليك لتقويه وتعينه على ما ينفعني لان من استند الى شي
تقوى به واستعان **وقوله** رغبة ورهبة اليك اى طمعا في رفدك
وثوابك وخوفا منك ومن اليم عقابك **وقوله** فامنت على الفطرة
اى على دين الاسلام كما قال في الحديث الاخر من كان آخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنة **قال الشيخ** رحمه الله هذا قال الشروح وبعد الخمس
وفيه نظر لانه اذا قال فاتيا بهذه الكلمات المقتضية للمعاني التي
ذكرناها من التوحيد والتسليم والرضا الى ان يموت على الفطرة
كما يموت من قال لا اله الا الله وان لم يخطر له شيء من تلك الامور
فاين ما يوه تلك الكلمات العظيمة وتلك المقامات الشريفة فالجواب
ان كلا منهما وان مات على فطرة الاسلام فبين الفطرتين ما بين
الحالتين ففطرة السابقة الاولى فطرة المقربين والصديقين وفطرة
الثانية فطرة اصحاب اليمين **وقوله** وان اصبحت اصبت خيرا اى صادفا
في حالك وزيادة في اجرك وانمالك **وقوله** قل امنت بكتابك الذي
ارسلت ه هذا لفظه لم يخرج نقل الحديث بالمعنى وهو الصحيح من مذهب
مالك وقد وقع الخلاف فيه ولا شك في ان لفظ النبوة من المتملة وهو
الخبر فالنبي في العرف هو المتبأ من جهة الله تعالى بامر يقتضي تكليفا
فان امر بتبليغه الى غيره فهو رسول والا فهو نبي غير رسول وعلى
هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا لان الرسول والنبي قد اشتركا
في امر عام وهو النبأ وافترقا في امر وهو الرسالة فاذا قلت محمد
رسول الله يعم ذلك انه نبي رسول فلما اجتمعا في النبي صلى الله عليه وسلم

فائدة مذهب الامام مالك الجواز رواية الحديث بالمعنى

اراد ان يجمع بينهما في اللفظ كي يفهم من كل واحد منهما من حيث النطق
ما وضع له ايضا فليخرج عما يشبه تكرار اللفظ من غير فائدة لانه اذا
قال ورسولك فقد فهم منه انه ارسله فاذا قال الذي ارسلت صار
كالحشو الذي لا فايدة له بخلاف وبنبيك الذي ارسلت فانهما لا تكرار
فيهما لا محققا ولا متوهما والله اعلم **وقوله** اللهم باسمك احيا
وباسمك اموت اي بك يكون ذلك فالاسم هنا هو المسمى كقوله تعالى
سبح اسم ربك الاعلى اى سبح ربك هذا قول الشارحين **قال الشيخ**
وقد استفدت فيه من بعض مشايخنا معنى آخر وهو انه يحتمل انه يعني
باسمك المحيي المميت من اسمايه تعالى ومعنى ذلك ان الله تعالى انما
سمى نفسه باسمايه الحسنى لان معانيها ثابتة في حقه واجبة
له فكل ما قدر في الوجود من الاثار انما هي صادرة عن تلك المقتضيات
فكل احيا في الدنيا والاخرة انما هو صادر عن قدرته على الاحيا
وكذلك القول في الاماتة وفي الرحمة والملك وغير ذلك من المعاني
التي تدل عليها اسماؤه فكانه قال باسمك المحيي احيى وباسمك
المميت اموت وكذلك القول في سايرالاسما الدالة على المعاني
وبسط هذا يستدعي تطويلا وفيما ذكرناه تنبيه يكتفي به النبيه
وقوله واليك النشور اى المرجع بعد الاحيا يقال نشر الله الموتى
فنشروا اى احياهم فحيوا وخرجوا من قبورهم منتشرين اى حاملات
في تفرقة كما قال تعالى فاذا هم جراد منتشر **وقوله** لك مماتها
ومحياها اى موتها ومحياها اى ذلك لك وحدك لا لغيرك **وقوله**
فالق الحب والنوى اى شاق الحبة فيخرج منها شجرة والنواة
فيخرج منها نخلة ومنه اسم المشهور بن علي رضي الله عنه والذي

فائدة الاسم والمسمى

خلق الحبه وترا السمه اى شقها وقوله الرحل لابن عمر سمعت من ابن عمر
يقال من حسر من ابن عمر يحدث اراه السمرقندى يزيده ابن عيينه وهو
وهم لان الليل سمعت من جنيد من عمر وهو ابن عمر لا عمرو وذلك لانه
الحماحه وهو الصحيح واصل برت اسم فاعل من برت الشئ يبريه اذا اصلحه
وقام عليه م انه يقال على السمر والمالك وقوله انت الاول فليس
قبلك شئ الحديث الى اخره يتضمن هذا الدعاء من اسماء الله تعالى ما تضمنه
قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وقد اختلفت عبارات
العلماء فى ذلك وان شئت عبارا اسم فى ذلك قول من قال الاول ابتداء
والاخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل
الاول بلا ابتدا والاخر بلا فنا والظاهر بالايات والباطن عن الادراكات
وقيل الاول القديم والاخر الباقى والظاهر الغالب والباطن الخفى
اللطيف بالخلق وهذا القول يناسب الحديث وهو معناه وقوله
فليس فوقك شئ اى لا تقصدك شئ وقوله فليس دونك شئ اى لا تخفى
عليك ولا ترفق وقوله اداوى كاذهب الى مداواته اى اسعى فى
الازهرى اتيت عاوى بمعنى واحد لازم ومتعد وفى الصحاح عن ابى زيد
اويته انا ايواء واويته اذا انزلته وقد يجعل اويت بمعنى ايا ما
اوى له بمعنى رثيت له فما قصر لغير مال وذ والرقة
ولوانى استاويته ما اوى ليا ٥ وقوله ولما خذ اخذ اخله ازاره
فلينفض بها فراشه وسمى الله فانه لا يدرى ما خلفه بعده على
فراشه ٥ واخذه الازار يعنى ما يلى الجسد من طرفى الازار قال
الشيخ وحمد الله هذا الحديث يتضمن الارشاد الى محاسن الاداب معلومة
ظاهرة وهو ان الانسان اذا قام عن فراشه لا يدرى ما دب عليه

بعده من الحيوانات ودوات السموم فيستحب له اذا اراد ان ينام على
ان ينفضه وبحسن ان يكون ذلك ثلاثا فقد ثبت ان فى احدى شقى
فراشه مضجعه وقد يكون فيه شئ يخفى من رطوبة او غيرها
فيؤذيه مضجعه ظاهرة واما اختصاص هذا النفض بداخله الازار
فمضجعه لم نظهر لنا علة لما ظهرت تلك للنبى صلى الله عليه وسلم نشر
بذلك والله اعلم واما الذى علمنا من الامتثال ونفع ان النبى صلى الله عليه
وسلم خاصية كلية تنفع من ضرر بعض الحيوانات كما قد امر بقتل
بعض الحيوانات كما تقدم والله اعلم ويدل على ذلك ما زاده الترمذى
فى هذا الحديث فلما خرصنه ازاره فلينفض بها فراشه ثلاثا
فيحتمل ان يكون ذلك لما خرصنه ازاره وقوله لك وضعت جنبى وبك ارفعه
كذا لهم لك رضعت باللام لا بالباء وبك ارفعه روى بالباء وباللام
فالباء للاستعانة اى بك استعين على وضع جنبى ورفعه فاللام
يحتمل ان يكون معناه لك لعبرت بذلك فان نومه انما كان ليستجم
به لما عليه من التكاليف ولانه خاريوحى اليه فى نومه ولانه
كان يقتدى به فصار نومه عبادة واما يقظته فللكلى انها
كانت كلها عبادة ويحتمل ان يكون معناه لك وصفت جنبى لحفظه
ولك رفعته لترحمه وقوله فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى اى كثير
من الناس ممن اراد الله اهلاكه فلم يطعمه ولم يسقه ولم يكسه
اما لانه اعدم هذه الامور فى حقه واما لانه لم يقدر على
الانتفاع بها حتى هلك هذا ظاهره ويحتمل ان يكون معناه كم
من اهل الجهل والكفر بالله تعالى لا يعرف ان له الا هو يطعمه ويسقيه
ويؤويه ولا يقيد بذلك فصار الا له فى حقه وفى اعتقاده
كانه معدوم ومن باب مجموع ادعيه كان النبى صلى الله عليه وسلم
يدعو بها

قوله اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل هذا كقوله
في الحديث الآخر اللهم إني أعوذ بك من كل شر غير أنه نبه في هذا
على معنى زائد وهو أنه قد يعمل الإنسان العمل لا يفجر به إلا الخير
ويكون في باطن أمره شرا لا يعلمه فاستعاذ منه وتؤيد هذا
أنه قد روي في غير كتاب مسلم من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم ويحتمل
أن يريد به ما عمل غيره فيما يظن أنه يقتدي به فيه وقوله وإليك
أنبت أي تبت ورجعت وقوله وبك خاصمت أي بإعانتك وتعليمك
وبلامدك جادلت الخالفين فيك حتى خصمتهم وقوله وأخر الأمر
يموتون إنما خص هذين الموعبين بالموت وإن كان جميع الحيوان
تموت لأن هذين النوعين هما المكلفان المقصودان بالتبليغ
والله أعلم وقوله إذا كان في سفر فأجر أي استبقه في السحر
أو خرج في السحر وآخر الليل وقوله سمع سامع بحمد الله
وحسن بلائه علينا وجزيته في كتاب شجى أبي الخير أيوب
سمع بفتح السين والميم وتشديدها قال القاضي أي بلغ من سمع
قولي وقبله الخطابي سمع سامع بفتح السين وكسر الميم وتخفيفها
وهكذا أذكر أني قرأته أي اسمع سامع من سمع شاهد بحمدنا
ربنا على نعمه. قال الشيخ رحمه الله وعلى تقدير التفسيرين
فهو خبر بمعنى الأمر أي ليسمع سامع وليبلغ وهذا نحو قوله بحرق
رجل بالنار وبدرهمه أي ليتصدق وجمع عليه ثيابه أي ليلتحم وقد
تقدم القول في نحو هذا وحسن بلائه بمعنى ابتلائه وتقدم أن
أصل الابتلاء الاختبار وقد يكون بالنعمة وقد يكون بالنقمة وقوله ربنا
صاحبنا أي احفظنا وكفايتك وبدرابتك وقوله عائذا بالله

من النار هو منصوب على الحال أي أقول ذلك مستعيذا بهذه الحال وقوله
اللهم اخفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وكل ذلك عندي مرتب
القول في عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من الذنوب وما جاء
مما يوهم غير هذا وتأويل ما ذكر فيه اعلم أنا وإن قلنا إن الذنوب
لم تقع منهم غير أنهم يتوقعون وقوعها فإن ذلك ممكن وقد أمنوا وقوع
ضرر وقوع الممكن المتوقع ويقدر وقوعه واقعا فيبتهلون منه
وعلى هذا فيكون قوله وكل ذلك عندي أي ممكن الوقوع عندي
ودليل صحة ذلك أنهم مكلفون باجتناب المعاصي كلها كما كلفه
غيرهم فلو لم يجز عليهم إمكان الوقوع لما صح التكليف والثانية
إن هذه التقريرات وهذه الدعوات والتضرعات قيام بحق
وظيفة المعبودية واعتراف بحق الربوبية ليقتدي بهم متدينو
أممهم ويسلكوا مناهج سبلهم فتستجاب دعوتهم ويقبل توبتهم
والله أعلم وقد أطنب الناس في ذلك وما ذكرناه خلاصة
وقوله أنت المقدم وأنت المؤخر أي المقدم لمن شئت بالنبوة والولاية
والطاعة والمؤخر لمن شئت بضد ذلك والمعنى أنه تعالى مقدم كل
مقدم في الدنيا والآخرة ومؤخر كل مؤخر في الدنيا والآخرة
وقد ورد الإسمان من أسماء الله تعالى في المزدوجة فالأول والآخر
والمبدئ والمعيد والقابض الباسط والخافض الرافع والضار النافع
فهذه الأسماء لا تقال إلا مزدوجة كما جاءت في الكتاب والسنة هكذا
قال بعض العلماء ولم يجز أن يقال يا خافض حتى يضم إليه يا رافع
اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم
اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر
ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك
اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني
أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله
اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره
اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم
وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم
اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك وأعوذ بك من شر ما عاذ به
عبدك ونبيك اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل
وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك أن تجعل كل قضاء
قضيته لي خيرا يا رب العالمين

وهذا دعاء عظيم جمع خير الدنيا والآخرة والدين والدنيا فحق على
كل سامع له ان يحققه ويدعو به آناء الليل وآناء النهار لعل الانسان
يوافق ساعة اجابته فيحصل للانسان خير الدنيا والآخرة وقوله
اللهم اني اسألك الهدى والتقى الحديث الهدى يعني الى الصراط
المستقيم وهو صراط الذين انعم عليهم والتقى يعني الخوف من الله
والحذر من مخالفته ويعني بالعفاف الصيانة عن مطامع الدنيا
وبالغنى غنى النفس وقوله اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع هو
الذي لا يعمل به كما قال صلى الله عليه وسلم العلم الذي لا يعمل به
كالكنز الذي لا ينفق منه اتعب صاحبه نفسه في جمعه ثم لم يصل
الى نفعه وقوله فلا شيء بعده اي لا شيء يضره ولا يدفع خيره
وقوله من الكسل وسوء الكبر يروى بفتح الباء واسكانها وبالفتح
يعني به الهرم وقد قلنا ان المراد بذلك الكبر ذل العمر وبالاسكان يعني
بذل التكبر المذموم المحرم الذي تقدم ذكره وقوله لو وزنت
بها ما قلت سر اليوم لوزن سفن اي لرجحت عليهن في الثواب
وهذا دليل على ان الدعوات والاذكار الجوامع تحصل عليهن من الثواب
اضعاف ما يحصل على ما ليست كذلك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم
يحب الدعوات الجوامع وقوله سبحان الله وبحمده هذا الكلام على
اختصاره جملتان احداهما جملة سبحان الله فانها واقعة موقع
المصدر والمصدر يدل على صدره فكأنه قال سبحت الله التسبيح الكثير
او التسبيح كله على قول من قال ان سبحان الله اسم علم للتسبيح وبحمده
متعلق بحذوف تقديره واثني عليه بحمده اي بذكر صفات كماله وجلاله
وهذه جملة ثانية خبر بجملة الاولى وقوله مداد كلماته هو

بكسر الميم وبالباء بين الدالين ويعني به كلامه القديم المنزه عن
الحروف والاصوات عن الانقطاع والتغييرات كما قال تعالى
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي ولو جئنا بمثله مددا وزنة عرشه اي وزنه الذي لا يعلم
مقداره الا الله ورضى نفسه يعني لما يرضاه ممن رضي عنهم من النبيين
والصالحين لا ينقطع ولا ينقضي وانما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
هذه الامور على جهة الاعتبار الكثرة التي لا تحصر مثلها
على الذاكر بهذه الكلمات ينبغي له ان يدوم عليها لو تمكن من تسبيح
الله وتحميده وتعظيمه عدد الانفاس ولا يحصر لفضل ذلك
يحصل له من الثواب ما لا يدخل تحت حساب وقوله واذكر بالهدى هداك
الطريق والسداد سداد السهم هذا الامر منه صلى الله عليه
وسلم يدل على ان الذاكر ينبغي له ان يلازم ركابه فيستحضر معاني
دعواته في قلبه ويبالغ في ذكرها بلفظه بصرف الاشتغال بتدابير
الاحوال فاذا قال امدني على الصراط المستقيم وسددني سداد السهم
اعانني كان ابلغ وافهم من قوله اهدني وسددني فقط وهذا واضح
ومن باب التسلي عند النوائب بالاذكار قوله
ان فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرحى في يديها تعني من مشقة
الطحن في الرحا وفي غير كتاب مسلم انها طحنت بالرحا حتى مجلت يداها
وقمت البيت حتى اغبر شعرها وحين حتى تغير وجهها ففيه دليل
على ان المرأة وان كانت شريفة عليها ان تخدم بيتها زوجها وتقوم
بعمله الخاص وبه قال بعض اهل العلم وقيل ليس عليها شيء من ذلك
مطلقا اذا كانت شريفة او دنية حكاه ابن خواز منداد عن بعض

اصحابنا ومشهور مذهب مالك الفرق بين الشريفة فلا يلزمها
وبين من ليس كذلك فيلزمها ومحل هذا الحديث ان فاطمة رضي الله
عنها تبرعت بذلك مراعاة لخاطر نبي اسخياء ذلك لمن تبرع به
لانه معونة للزوج وفي مندوب اليها وقد تقرر هذا
في النكاح ونحوه شاهد على ما كان عليه ذلك العصر الصالح
من شظف العيش وشدة الحال وان الله تعالى حاهم الدنيا
مع انه مكنهم منها وهي سنة الله في الانبياء والاولياء كما
قال اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل.
وقوله فجاء وقد اخذنا مضاجعنا كان هذا المجيء بالليل لانه قد
جاء في بعض طرقه انه قال طرقها ليلا وقوله على مكانكما اي ابقيا
على مكانكما والزماه وقعود النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه
وبين علي رضي الله عنهما دليل على جواز مثل ذلك وانه لا يعاب
من فعله اذا لم يؤد ذلك الى الخلاع على عورة او الى شيء ممنوع
شرعا وقوله ما الفيته عندنا اي ما وجدت الخادم عندنا ثم انه
احالهما على التسبيح والتهليل والتكبير ليكون ذلك عوضا من
الدعاء عند الكرب والحاجة فما فاتته عادته عند الكرب
على ما جاء في الحديث المذكور يحتمل ان يكون من جهة
انه اكد لابنته ما يجب لنفسه اذ فاتته دعفة منه من ايثار
الغير وتحمل شدته والصبر عليه ترفيعا لمنازلهم وتعظيما
لاجورهم وبهذين المعنيين او احدهما يكون ذلك الاذكار خيرا
لهما من خادم اي من التبرع بسؤال خادم والله اعلم وقوله فان
كل الله عليه وسلم يعزل عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم الحميد

قال الطيبي كان السلف يدعون بهذا الدعاء ويسمونه دعاء
الكرب فان قيل كيف يسمى هذا دعاء وليس فيه من معنى الدعاء
شيء وانما هو تعظيم لله وثنا عليه فالجواب ان هذا يسمى دعا
لوجهين احدهما انه يستفتح به الدعاء ومن بعده يدعو وقد
ورد في بعض طرقه ثم يدعو وثانيهما ان ابن خزيمة قال وقد
سئل عن هذا فقال اما علمت ان الله تعالى يقول اذا شغل عبدي
ثنائي عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقد قال
امية بن ابي الصلت اذا اثنا عليك الربوما كفاه من يعرضه الثناء
قال الشيخ رحمه الله وهذا كلام حسن وتتميمه ان ذلك انما
كان لنكتتين احداهما طرو المثنى عليه فانه اذا اكتفى بالثنا
عن السؤال استحق له النزل عليه والمبالغة في كرم الخلق
وثانيهما ان المثنى لما آثر الثنا الذي هو المثنى عليه على حق نفسه
الذي هو حاجته بودر الى قضاء حاجته من غير احراج الى
احدهما ومثله السؤال مجازاة له على ذلك الايثار والله اعلم
وربما قرجا منصوصا عليه وسمي دعاء وان لم يرفعه دعاء
ولا طلبا اخرجه النسائي من حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذي النون
اذ دعا بها في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين فانه لم يدع بها مسلم في شيء الا استجيب له ومعنى
اذا اخربه امر اي اصابه وده هم وهو بالجيم انهمله وبالزاي
وبالياء الموحدة وقوله اذا سمعتم صياح الديكة فاسالوا الله
من فضله فانها رات ملكا وهذا يدل على ان الله تعالى خلق للديكة

إدراكا تدرك به الملائكة كما خلق للحمير إدراكا يدرك به
الشياطين ويفيد أن كل نوع من الملائكة والشياطين موجودان
وهذا معلوم من الشرع قطعا والمنكر لشيء منهما كافر وكأنه
إنما أمر النبي صلى الله عليه بالدعاء عند صراخ الديكة لتؤمن الملائكة
على ذلك الدعاء فتتوافق الدعوتان فيستجاب للداعي والله أعلم
وإنما أمر بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير لأن الشيطان لما حضر
تخاف من شره فينبغي أن يتعوذ منه وقوله صلى الله عليه وسلم وقد
سئل أي الكلام أفضل فقال ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده
سبحان الله وبحمده وفي الرواية الأخرى أن أحب الكلام إلى الله سبحان الله
وبحمده قال السمح رحمه الله هذا الحديث يعارضه قوله في حديث
أبي هريرة المتقدم في فضل التهليل ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به
إلا أحد عمل أكثر من ذلك وقوله أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي
لا إله إلا الله وقد تقدم في حديث سمرة بن جندب قوله صلى الله عليه
وسلم أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
لا يضرك بأيهن بدأت فقد قضى هذا الحديث بأن الأربعة متساوية
في الأفضلية والأحبية من غير مراعاة تفاوت بعضها على بعض والأخبار
وإن اشتبه ذلك فحيث الحق أن أحد هذه الأذكار الأربعة أفضل الكلام
وأحبه فأما إذا انضمت إلى أخواتها الثلاثة المذكورة في هذا الحديث
أما مجموعة من اللفظ أو في القلب بالذكر لأن اللفظ إذا دل على واحد
منها بالمطابقة دل على سائرها باللزوم وبيان ذلك أن معنى سبحان الله
البراءة له من كل النقائص والتنزيه عما لا يليق بجلاله ومن جملتها تنزيهه

عن الشركاء والأنداد وهذا معنى لا إله إلا الله هذا مدلول اللفظ
من جهة مطابقته وكما وجب تنزيهه عن صفات النقص لزم اتصافه
بصفات الكمال إذ لا واسطة بينهما وهي المعبر عنها بالحمد لله
ثم كما تنزه عن صفات النقص واتصف بصفات الكمال وجب له
العظمة والجلال وهو معنى الله أكبر فقد ظهر كذلك أن لهذه الأربعة
الأذكار متلازمة في المعنى وأنها قد شملها لفظ الأحبية كما
جاء في الحديث فمن نطق بجميعها فقد ذكر الله بأحب الكلام إلى الله
لفظا ومعنى ومن نطق بأحدها فقد ذكر الله ببعض أحب الكلام
نطقا وبجميعها معنى من جهة اللزوم الذي ذكرناه فتدبر هذه
الطريقة فإنها حسنة وبها يرتفع التعارض المتوهم من تلك
الأحاديث والله أعلم ولم أجد في كلام المشايخ ما يفتح والله أسأل
فيما ذكرته وقوله إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها
أو يشرب الشربة فيحمده عليها قد تقدم أن الأكلة بفتح الفم المرة
الواحدة من الأكل وبالضم اللقمة ويصح هذا اللفظ هنا للمفسرين
وبالفتح وحده مقيدا في كتاب شيخنا وأكثر هنا بمعنى النشر
وقد قدمنا أن الحمد يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع
الحمد وفيه دلالة على أن شكر النعمة وإن قلت سبب لرضى الله تعالى
الذي هو أشرف أحوال أهل الجنة وسيأتي قول الله عز وجل لأهل
الجنة حين يقولون أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول العطيم
أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده
أبدا وإنما كان الشكر سببا لزيادة الأجر لتضمنه معرفة
المنعم والإقرار به بخلق تلك النعمة وإضافتها إلى المنعم بحليه متصلا

ينقل أولا ما على النقيض
وهو هنا وترك خلت الجنة
وترك حرمان من النار م

من المنع وحرما ومنة وان المنع عليه مقبور محتاج الى ذلك الشيء
ولا نجى به عنها فقد تضمن لك معرفة حق الله وفضله وحق العبد
ورفاقته وقدره فجعل الله جزاءك لك المعرفة بذلك الكرامة
الشريفة وقوله ما من عبد مسلم يدعو لاخيه بظهر الغيب الا
قال الملك ولك بمثل ه المسلم هنا هو الذي سلم المسلمون من لسانه
ويده الذي يحب للناس ما يحب لنفسه لان هذا هو الذي تحمله
حاله وشفقته على اخيه المسلم ان يدعو له بظهر الغيب اي في حال
غيبته عنه وانما خص حالة الغيبة بالذكر ليبعدها عن الرياء
والاغراض المفسدة او للنصيحة فانه في حال الغيبة يخلص الاخلاص
ويصح قصد وجه الله تعالى بذلك فيوافقه الملك في الدعاء ويبشره
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بان له مثل ما دعا به لاخيه
والاخوة هنا هي الاخوة الدينية وقد يكون معها صداقة
ومعرفة وقد لا يكون وقد تتعين وقد لا تتعين فان الانسان
اذا دعا لاخوانه المسلمين حيث كانوا وصدق الله في دعائه
واخلص فيه في حال الغيبة عنهم او عن بعضهم قال الملك له ذلك القول
بل قد يكون ثوابه اعظم لانه دعا بالخير وقصره للاسلام وكل
المسلمين والله اعلم وقوله يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة
رحم يعني بالعبد الطالب لقبول دعائه فان اجابة الدعاء لا بد لها
من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي الشيء المدعو به فمن شروط الداعي
ان يكون عالما بان لا قادر على اجابته الا الله تعالى وان الوسائط
في قبضته ومسخرة بتسخيره وان يدعو بنية صادقة وحضور
قلب وان يكون مجتنبا لاكل الحرام كما قررناه وان لا يمل من الدعاء

فيتركه ويقول قد دعوت فلم يستجب لي كما قال في الحديث ومن شروط المدعو
به ان يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال ما لم
يدع باثم او قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل
في قطيعة الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم وقد بينا ان الرحم ضربان
رحم الاسلام ورحم القرابة وبتسخير يعني وذلل يقال حسر البعير
كسر وكسر حسورا اعيا واستحسر وكسر مثله وفائدة هذا
استدامة الدعاء وترك اليأس من الاجابة ودوام رجائها واستدامة
الالحاح في الدعاء قال الله يحب الملحين في الدعاء رفيقه والدعاء مخ
العبادة وخلاصة العبودية والقائل قد دعوت فلم أر يستجاب لي ويترك
قائلا من رحمة الله وفي صورة الممتن بدعائه على ربه ثم انه جاهل بالاجابة
فانه يكفيها اسعافه في عين ما طلب فقد يعلم الله ان في عين ما طلب مفسدة
يبصره كنهها فيمنع اجابته في الصرف وقد يعلم الله ان تاخيره الى وقت
آخر اصلح للداعي وقد يؤخره الله سبحانه تحب استماع دعائه ودوام
تضرعه فتكثر اجوره حتى يكون ذلك الحظ له اعظم من عين المدعو
به لو قضي له وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الا كان
بين احدى ثلاث اما ان يستجاب له واما ان يدخر له واما ان يكفر عنه
ثم بعد هذا كله فاجابة الدعاء وردت في مواضع من الشرع مطلقة
فهي مقيدة بمشيئته كما قال تعالى فيكشف ما يدعون اليه ان شاء ه

ومن باب الدعاء بصالح ما عمل من الاعمال ه

غريب حديث الغار الكوهان هنا المطر الكثير وأوى الى الغار
انضموا وقد تقدم الكلام عليه وتصوبت الحظت نزلت فاطبقت عليهم اي حارت
على باب الغار كالطبق وارخى عليهم اي ارخى الصخرة واختنسها الاجل

ملحق المقابلة

العيال والابوين وتاتى بى الشجراى تعد عليه ابتغاء السخر الذى يراه
بماشيته والحلاب اما يحك فيه وهو الجلد اصلا وقد يكون اللبن
ويتفاحشون من الكوم والضغامر دود معروف الاول صوت الذلة
والفاقة والذات الجال اللازمه والعاده المتكررة وافرح افخر والفرجه
بضم الفاء لانه من السعة واذا كان بمعنى الراحة فلت فيه فرجه وفرج
وبعل كل واحد منهما فرح بالضم والخفيف بمرح بالضم لا غير
والقبو وشرب العشى والصبوح شرب الصباح والجاشر به عند
اطلاق الخمر تقال جشرت الصبح انفلق وتغبب لطلبت وقولها لا تفض
الخاتم الكنه الفض الكسر والبيع والخاتم بنا بتعن الفرج وعذرة
البكارة وحقه التزويج المشروع والفرق بكال بيع بلا نه اصوع
وبعال بيع الوا وصوا لافصح وبال اردد ويعال يسكونها وهذا كره
غيره وهذه اسوات من الفقه لا تخفى وقول جنطله الاسيدى
هو بحكمه انما منسوب الى اسيد قبيل من بنى تميم ومن رواه الاسيدى
فقد اخطا وجاء فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
تاقوا جنطلة انكار منه على نفسه لما وجد سنها فى حلوقها حلاف ما ظهر
منها لحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فخاف ان يكون ذلك من ابواع النفاق
واراد من يعسد ان يستدل بتلك الحالة الى كان يجدها عند سوطه النبى
صلى الله عليه وسلم ولا يستغل عنها بشئ وقوله تزوجنا الخمرة وانا كنا
نرى عيش الدى عراته وقد رته راى عيش منصوبا على المصدر كانه قال
كانوا نراها راى عيش قال العامى ضبطناه بالفم اى كانا كحال من يراها
وبعم النصب على المصدر وقوله عاقتنا الازواج والاولاد
والضيعات الروايه الصحيحه المعروفه عاقتنا بغير الهمزه وبالعا

والسين المهملة ومعناه عالجنا وحاولنا وفى الصحاح المعاقسة المعالجة
يعنى انهم اذا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتغلوا
بهذه الامور وتركوا تلك الحالة الشريفة التى كانوا يجدونها
عند سماع موعظة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاهدته
ورعى الخطابى هذا الحرف عانستنا بالنون وفسره يلاعبنا ورواه
القتيبى عابثتنا بالثاء والشين المعجمة وفسره نعانقنا والتعبد
الاول اولى رواية ومعنى وقد جاء مفسرا فى الرواية الاخرى بقال
ما حكت الصبيان ولا عبت المرأة والضيعات جمع ضيعة وهى ما
يتعلق بمعايش الرجل منه من مال او حرفة او صناعة وقد يعدم
ذكرها وقول ابى بكر رضى الله عنه والله اتا لنتفى مثل هذا ردا
على غلاة الصوفية الذين يزعمون ولم مثل تلك الحال ولا يعدون
بسببها على اهل الكمال ووجه الرد ان ابا بكر رضى الله عنه افضل
اساس دينهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة
ومع ذلك فلم يدع خروجا عن جبلة البشرية ولا تعاطى دواع
الذكر وعزم الفترة ما هو خاصة الملائكة تحولها الى تدوم للمعاملات
لكنها تتفاوت بسبب المنازلات والمقام ما يحصل للانسان بكسبه
وكسبه والحال ما يحصل له بهبة ربه ولذلك قالوا المعاملات مكاسب
والاحوال مواهب ومن كاب وفقه عملا تقبله ومن صفى وارده حامه
وزكاه وعلى الجملة فمنه الله وحده العالم الانسانى جعل بعضهم فى
تلوينهم ومشاهدتهم فى مكاشفتهم وسر ذلك ان هذا العالم متوسط
بين عالمى الملائكة والشياطين وعن الملائكة فى الخير حيث يعلون ما يؤمرون
ويحزنون المل والاسفار لا يفترون ومن الشياطين فى الشر والغواية

بحيث لا يغفلون وجعل هذا العالم الانساني متكونا فيهم ومكونه
ويفنيه ويبقيه ويشهده ويفقده والله اشار صاحب الشفاعة
بقوله ولكن ساحنظله ساعة وساعة وقال في حديث ابي ذر رضي الله عنه
وعلى العاقل ان يجعل له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب
فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها
لحاجته من المطعم والمشرب وهذا الحال وما عداه شهوات
وخيال وقوله لو ان وهو على ما يكونون عندي وفي الذكر
لصافحتهم الملائكة هذا الحديث اورده بالواو والعاطفة للطرف
الثاني على الاول وبفيد انه وقف مصافحة الملائكة على حصول
حالتين لنا على حال شاهده الجنة والنار مع ذكر الله تعالى ودوام
ذلك يبقى والله اعلم ان المنكر انما هو ان يثبت هذه الامور فلما الله تعالى
فاذا شاهد الجنة مثلا لم يحجبه ما شاهد من نعيمها وحسنها
عن رؤية الله تعالى بل لا تلتفت اليها من حيث هي جنة بل من حيث انها
هي محل القرب من الله تعالى ومحل رؤيته ومشاهدته ومكون محبوبه
مع جمعه وعكاوه في صنعه ومن كان كذلك ناسب الملائكة في معرفتها
فبادرت الى اكرامه ومشافهته واعظامه ومصافحته والمسؤول
من الكريم المنعال ان يمنحنا من صفاء هذه الاحوال ٠

كتاب التوابين وحسن مآب وحوب التوبة وفضلها

قد تقدم القول في وجوب التوبة وفي معناها اللغوي وقد اختلفت
عبارات العلماء والمشايخ فيها فقال بعضهم انها الندم وآخر يقول
انها العزم على ان لا يعود والآخر يقول الاقلاع عن الذنب وبالجمع
بين ذلك الامور الثلاثة فيقول انها الندم على ذنب وقع والاقلاع

عنه في الحال والعزم على ان لا يعود الله وبهذا اتضح انه مع ما فيه
من التركيب المحذور في الحدود غير مانع ولا جامع بيان الاول انه قد
يندم ويقلع ويعزم ولا يكون تائبا شرعا اذ قد يفعل ذلك شحا
على ماله او لئلا يعيره الناس من ذلك ولا تصح التوبة الشرعية الا بالنية
والاخلاص وانها من اعظم العبادات الواجبات ولذلك قال تعالى
توبوا الى الله توبة نصوحا واما الثاني فبيانه انه يخرج منه
من زنا مسلم فقهر وكره فانه لا يأثم منه غير الندم على ما مضى من الزنا
واما العزم والاقلاع فغير متصور من منه ومع ذلك فالتوبة
من الزنى صحيحة وقد اجماعا وهذا اعتبر من قال ان الندم يغني وحده
التوبة وليس بصحيح لانه لو ندم ولم يقلع وعزم على العود لم يكن تائبا
اتفاقا واما قول بعض المحققين هذا احد التوبة كما اخر تعالى
ترك اختيار ذنب سبق منذ مثله حقيقة او تقديرا لاجل الله تعالى
وهذا اسد العبارات واجمعها وبان ذلك ان التائب لا بد ان يكون
نادما على الذنب عازما ان ذلك الذنب الماضي لو وقع وفرغ منه فلا يحل
تركه اذ هو عازم متمكن من عينه لا تركا ولا فعلا وانما هو متمكن
من مثله حقيقة وصورة اخر مثلا فلو جبل يحل منه كحقيقة الزنا بل
لا اسبح منه ان يقدر انه لو كان متمكنا من الزنا لتركه فلو قدرنا
من لم يقع منه ذنب لم يصح منه الا اتفاقا ما يمكن ان يقع لا تركا سل ما وقع
ممكن متقبلا لا تائبا فتدبر هذا وقوله لاجل الله تعالى تحرز ممن يترك
ذلك لغير الله تعالى اذ ذلك لا يكون تائبا اتفاقا فلا يكون بفعله ذلك
توبة وهذا واضح وقد اتضح لنا ما علم ان الباعث على التوبة تتبعه
الا هي تتبعه من اراد سعادته يصح الذنوب وضررها واسفا

سموم مهلكه تفوت على الانسان سعادة الدنيا والاخرة وتجنبه
عن معرفة الله تعالى في الدنيا وعن تقربه وكرامته في الدار الاخرة
ومن انكشف له هذا وتفقد نفسه وجدها مشحونة سموم المهلكة
ومملوة بها فانه لا يشك في ان من حصل له علم ذلك انبعث منه خوف عظيم
الهلاك فيبتعث عليه المبادرة للخلاص من اسر تلك المهلكة
ما يتوقعه وكما فعله الجبين يبعث منه الندم على ما فرط منه وتزيد
مثل ما سبق كافة عفو به الله تعالى يصرف عليه انه تائب قال
من كرر منه عاد على المعصية وملازما لاسباب الهلكة اعلم
ان هذا ان الذنوب اما كبيرة او غيرها فتوبة الكفر عن موته مقطوع
بقبولها وما عداها ممكن وله ان شاء الله بوعده الصدق وقوله الحق
واعني بالقبول الخلاص من ضرر الذنوب حتى يرتفع حكم لعمل دنبا كما قال
صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم الذنب الذي تنا -
فيه اما حق الله تعالى واما حق لعبده فحق الله تعالى يكفي في التوبة
منه اتركه الذي ذكرناه غير ان منها ما يتضاف التزع فيه لمجرد الترك
بل اضاف الى ذلك في بعضها فعلا كالصلاة والصوم ومنها ما اضاف
اليها كفارة كالحنث في الايمان والظهار ويجب ذلك بالامر بقضاء
ضرر ذلك الذنب الا بتركه وفعل ما امره الله به من القضاء والكفارة
واما حقوق الادميين فلا يسقط اثمها الا بالى مستحقها او ما لم توصل
الى اربابها لم تخلص من ضرر ذلك الذنب ومن اجتمع في الخروج عن الحقوق
فلم يقدر على الخروج منها بعفو الله ما مول وفضله مبذول فكم ضمن
من التبعات وكم بدل من السيئات بالحسنات وتفصيل ما اجملناه موجود
في كتب مسالك الاسلام صلى الله عليه وسلم **وقوله** هل الله عليه وسلم لله اشد

فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في ارض دوية مهلكة الحرث
سواء مثل بضربة سان سرعة رسول الله تعالى لتوبة عبده التائب
وانه يقبل عليه بمغفرته ورحمته ويعامله معاملة من يفرح به
ووجه هذا المثال ان العاصي حصل بسبب معصيته في قبضة الشيطان
واسره وقد اشرف على الهلاك هاذ الكف الله به وارشده
للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية وتخلص من اسر الشيطان ومن
المهلكة التي اشرف عليها فاقبل الله عليه برحمته وبغفرته
وبادر الى ذلك مبادرة هذا الذي فقد انتهى به الفرح واستغرقه
السرور الى ان نطق بالحال ولم يطقه لشدة سروره وفرحه
والا فالفرح الذي هو من صفاتنا محال على الله تعالى لانه انفعال
وطرب يحدث الانسان من رقة نفسه عند ظفره بغرض يستكمل به
الانسان بفقدانه وبسببه خلته او يدفع به عن نفسه ضررا
او نقصا وكل ذلك محال على الله تعالى بانه الكامل بذاته الغني
بوجوده الذي لا يلحقه نقص ولا قصور لكن يعبر الفرح عندنا له
ثمرة وعائدة وهو الافعال على الشيء المفروح به واجلاله المحل
الاعلا وهذا امر الذي يعم في حقه تعالى فعبر عن ثمرة الفرح بالفرح
على طريقة العرب في تسمية الشيء باسم ما جاوره او كان منه
بسبب وبزيد هذا ان كل انسان حار في كل ما اكلمه الله تعالى
على نفسه من الصفات التي لا يليق به كالغضب والرضا والضحك وغير
ذلك **وقوله** دويبة مهلكة الرواية المشهورة بضم الدال
وتشديد الواو المكسورة وبعدها باء موحدة وهي التفسير
والفلاة وجمعها دوى ورمال الحمل الدابة المعانة

قال المهروي في خطبه الحجاج تزلفنا الى بعضلتي
ازوع حراج من الراوي ° قال يعني الغلوات الواحدة
راوته في الحجاج الدرّ والدروي المغازة وكذلك الدوية
لانها مغازة مثلها سميت السبا تال والدرّ انما هو موضع
وهو ارض من ارض العرب وربما قالوا داويته فلبوا الواو
الاولى الساكنة الفا لانفتاح ما قبلها ولا يقاس عليه °
وقوله سعلكه الرواية بضم الميم واللام اي تقلك مسافر قد
فتر سعلكة بضم الميم وكسر اللام اسم فاعل اي يسعلك من يرحل
مسافرا انما سميت الفتر بالمغازة من قولهم فوز الرجل اذا اسرع
وسل على هربي التفاؤل كما قال للديغ سليم وقوله الحارث
بن سويد حرثني عمر الله حرثني احدهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاخر عن نفسه ثم حرث بالحديث الذي ذكرناه والتنويه
ولم يذكر سلم الحديث الاول الذي حدث به عن نفسه وقد ذكره
البخاري والترمذي وغيرهما قال المؤمن يرى ذنوبه كانه
قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب
مر على انفه فقال به هكذا فهذا هو الذي حدث به ابن مسعود
عن نفسه ؟ انه رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو صحيح المعنى يشهد
له ما في الحديث من خوف المؤمن وتهاون الفاجر والمنافق
وقوله لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته احد
ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته احد يعني لو علم
ذلك وجد انظر اليه ولم يلتفت الى سقابله واما اذا نظر
الى معامل كل واحد من الطرفين فانما هو تنفيس من رحمة الله والمؤمن

يرجو رحمة الله ويخاف عقابه كما قال ليعصم المؤمن خوف المؤمن
ورجاؤه لكنه لا وقوله فما رجل يعمل خيرا فظ ° هذه الرواية
فيها توسع في العبارة لانا نعلم قطعا ان هذا الرجل كان متزينا
بدين حق ومن كان كذلك لا بد ان يعمل حسنة صوما او صلاة
او تلفظا بخير او شيا من الخير الذي تقتضيه شريعته وانما
الرجل كان خطاء كثير المعاصي وقد ورد على هذا المعنى في رواية اخرى
في الاصل فقال اسرف رجل على نفسه فلما حضرته الوفاة وذكر
الحديث وقوله لئن قدر الله عليه ليعذبنه ° الرواية التي لا يعرف
غيرها قدر بخفف العامل وظاهر هذا اللفظ انه شك في كون الله
تعالى يقدر على احيائه واعادته ولذلك امر اهله ان يحرقوه
ويخففوه ويذروا نصفه في البر ونصفه في البحر وكانه توقع
انه اذا فعل به ذلك تعذرت اعادته وقد اوضح هذا المعنى ما
رواه بعض الرواة وفي غير كتاب مسلم قال فلعلي اضل الله اي اغيب
عنه وهذا كافر في شك الرجل في علم الله تعالى والاول كافر
في شكه في انه تعالى يقدر على اعادته ولما كان هذا الفهم الفاسد
في تاويل هذا الحديث قسم الفهم الاول فما فيه حمد ذلك على
كفره وقال ان هذا الرجل جمل صفتين من صفات الله تعالى وهما
العلم والقدرة ومن جهل ذلك لم يخرج من اسم الايمان بخلاف من جحدهما
والله ربنا ابو الحسن الاشعري مع انه مؤمن تقدم له قول اخر
بانه مكفر وهو مؤمن عنه الطبري قال الشيخ وهذا الطائفة
انحرفت عن معنى الحديث الى معنى اخر اصلف به المتكلمون وهو ان
من اعتقد ان الله تعالى قادر فلا قدرة وعالم فلا علم ومريد فلا ارادة

بطل وكفر ايضا لا يكفر على الفولس المتقدمين ولا يخلف المسلمون في ان
من جعل او شك في كون النار تعالى عالما به وقادرا على اعادته كافر
حلال الدم في الدنيا مخلد في النار في الاخرة لان ذلك معلوم من الشرع
بالضرورة بوجوه او الشك فيه يكذب للرسول صلى الله عليه
وسلم قطعا فمقتضى الحديث بظاهره ان الرجل كافر على مقتضى
شريعتنا ولذلك قال فانه فعل شرع ذلك الرجل لم يترتب عليه الحكم
بتكفيره من جعل ذلك او شك فيه والتكفير حكم من الاحكام الشرعية
يجوز ان يخلف الشرائع فيه كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا قال النووي رحمه الله وهذا فيه نظر لان هذا ليس الفاظ
من ضروريات الشرائع اذ لا يخلو شريعة من الجهل بان الله تعالى عالم قادر
مريد ولا من الشك فيها فلا بد ان تنتهي الرسل لقومهم على نفوره
الصفات مع ان العقول تدل عليها فيكون العلم بذلك ضروريا من
كل الشرائع كما كان ذلك ضروريا في شرعنا فيكون جاحد ذلك والشاك
فيه مكذبا للرسول ومكذبا الرسل كفرة في كل شرع بالضرورة
وقالت طائفة بالتجويز ان يكون شرعه اولئك الهود ان الكافر
بفعله ما هذا جائز عقلا فلا يبعد ان يكون في كل شرع مع القطع
بان ذلك لا يخلو شرعنا وفي شرعنا فيه حكم قال النووي
رحمه الله وهذا باطل لهذه الاحاديث الشهيرة المتقدمة في الاعمال وانها
تقتضي ان اهل التوحيد المعذبين في النار اذا شفع فيهم انبياؤهم وشفع
نبينا صلى الله عليه وسلم امته في النار فان جهنم نبينا نار سائر الامم
فان لا اله الا الله وصول الله ليست لكل امة محمد بقول الله وعزتي لا خرجن
من قال لا اله الا الله وعمومات القرآن تدل على ان كل من مات كافرا فانه

من قال لا يخرج من النار ولا تناله شفاعة شافع القسم الثاني
قالوا انه لم يكفر لما تضمنه من صفات الله تعالى ولا شك في شيء
منها وتأولوا الحديث تأويلات احدها ان الرجل صدر عنه ما صدر
حالة دهش غلب عليه لعظيم علم مواخذة قوله ذلك لما لم يواخذ
الغافل الذي استعبدني واياه بكذا وتأولوا ان هذا جار على
حرف من حروف كلام العرب البليغ مما يسميه اهل النقد نجاة
العارف وسماه ابن المعتز سوء الشك باليقين وهو كقوله تعالى
لعله يتذكر او يخشى وقوله تراءا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين وقول الشاعر ياظبية اقرحتني ثم لذ بالجبل وهذا اقتفا آثار سالم
وهذا كله اضافي وسئله كثيرة والصحيح ان قدر معناه ضيق يعني الله
تعالى لم يا فتشه الحساب وضيقه عليه لبعد بيته اشار العرب ومنه
قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه اي ضيق عليه وهذا التاويل حسن
لكنه كمن لقنه فقدر والتاويل الاول اولى لانه نص قدر ولكن
احمل الله وستحمد لكون هذا الحديث مأوى ولس على ظاهره
قوله في آخر الحديث ما حملك على ما صنعت فقال خشيتك يا رب
فلو كان جاهلا بالله او صفاته لما حاسبه ولما عمل شيئا والله اعلم
وقوله راشه الله ملا كذا الرواية الصحيحة ومعناه
اكسبه الله مالا قال ابن الاعرابي الرياش المال قال القتيبي
اصله من الريش كان الطير لا يطير له مثل المتصوص من الطير
وعمر الفارسي رأسه مالا فهو مرؤوس ومرؤوس فعله اي اعطاه الله
من ذلك كثيرا قال ابو عمرو بن العلاء غشه الله ترؤسه وعسا
اذا كان عاله ناسا كثيرا وذلك سوء الحسب وقوله

فلم يشتهر بالنقل رواية الشيخ وعن ابن ماهان لم يقيد بالعمرة وكلاهما بمعنى واحد والعمرة تنزل من السماء وكذلك ابتاء رواما تاء بالباء والميم فاسمان تنزل منهما وقد فسر بهما في الأصل بعال لم يذكر وهو تفسير صحيح ويشهد له المعنى والسياق وقوله فان الله يقدر على ان يعذبني وجزما الروايات والنسخ تختلف في ضبط هذه الكلمات وحاصله يرجع الى تقدير احد ساكنين بالكسرة ونصب الاسم المعظم بها ونقدير مرفوعها فعل يطابع وهو خبر ان وعلى ان يعذبني متعلق به وهذا اخر ما تحقق عن الرجل اخره عن نفسه ان الله يقدر على تعذيبه وهي رواية صحيحة لقول من قال لم يقدر علا واشاكا والماكا رخاها وبانبهما لحمه ان المكسورة ورفع اسم الله بعدها وجزم نقدرها على شذوذه البا ويعذبني بجزم على جواب الشرط وهذه الرواية صحيحة لقول من قال ان الرجل كان شاكا على ما ذكرناه والاشبه ما اخترناه والله اعلم وسقطت هذه الجملة من بعض النسخ وهي ثابتة في اكثرها وسقطت من نسخة الشيخ ابي علي ابن سينا وفيه دليل على ان الحديث كان من شرائع من قبلنا ان الرجل ان ورث ماله من يشاء الناس فيسخ وكل بشر خطاء

ومن باب رجاء مغفرة الله تعالى لعبده وسعة رحمته قوله

ليس احد احب اليه المدح من الله التقييد الصحيح رفع احب على انه خبر مقدم ومبتدؤه المدح والجملة خبر ليس وقد قيده بعض الناس احب بالنصب على انه خبر ليس ورفيه تعذر وتكلف وقد تقدم القول في محبة الله غير مرة ومعناها هنا ان الله تعالى يثيب عاديه بما لا يثيب احدا من الخلق مادحه وقوله من اجل ذلك مدح نفسه

اي من اجل ان يثيب مادحيه مدح نفسه لا انه يفتقر للمدح ويرتاح فان ذلك من سمات فقرنا وخستنا وهو منزه عن ذلك كله وقد تقدم القول في خبر الله في الجرود وقوله وليس احد احب اليه العذر من الله اي الاعتذار بمعنى التقدمة بالبيان والانذار ويحتمل ان يريد به الاعتذار من عباده له من ذنوبهم اذا استغفروا منها وقوله ما احد اصبر على اذى سمعه من الله الصبر لغة حبس النفس على ما تكرهه او تشق عليها وذلك على الله تعالى محال لكنه قد يكون معه الصفح عن الجاني والحلم عليه مع الرفق به وذلك مرجو من الله تعالى فحسن ان يطلق الله تعالى ذلك على نفسه وقد سمى نفسه بالصبور كما جاء في الحديث وقوله لو لم تذنبوا لذهب بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم هذا خبر من الله تعالى عن ممكن مقدر الوقوع مع علم الله تعالى بانه لا يقع فحصل منه ان الله تعالى يعلم حال المقدر الوقوع بما يعلم حال المحقق الوقوع وخرج من هذا قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد خبر بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لو كان كيف كان يكون وحاصل هذا الخبر ان الله تعالى سبق في علمه انه يخلق من يعصيه ثم يتوب فيغفر له فلو قدر ان العاصي يظهر في الوجود لذهب الله بالطائعين الذين خلق من يعصيه فيغفر له حتى يوجد ما سبق في علمه ويظهر من مغفرته ما تضمنه اسمه الغفار فيه من الفوائد رجا مغفرته والطماعية في سعة رحمته وقوله لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده على نفسه اي لما اظهر قضاءه وابرزه لمن شاء اظهر كتابا ما في اللوح المحفوظ او فيما شاءه مقتضاه خبر حق ووعد صدق ان رحمتي تغلب غضبي

اي سبقة وتزيد عليه وقد تقدم القول في غضب الله ورضاه وان ذلك
يرجعان الى ارادته والى متعلقاتها من انصال المنافع والالطاف الى المرحوم
او انصال المضار والانتقام للمغضوب عليه ليرجع غضبه اذن
ورحمته الى الافعال وهو المراد بهذا الحديث واذا ظهر هذا
فمعنى غلبة الرحمة او سبقها على ما جاء في الرواية الاخرى ارفقه
بالخلق وانعامه عليهم ولطفه بهم اكثر من انتقامه واخره وبدأوه
وابتداوه الخلق وتخيله واتقانه وترتيبه وخلق اول نوع
الانسان في الجنة كل ذلك كل ذلك رحمته السابقة وكذلك ما رتب
على ذلك من النعم والالطاف في الدنيا والاخرة وكل ذلك رحمات
متلاحقة ولو بدا بالانتقام لما حمل هذا العالم نظام ثم العجب
ان الانتقام به كملت الرحمة والانعام وذلك ان بانتقامه من
الكافرين كملت رحمته على المومنين اذ بذلك حصل صلاحهم
واصلاحهم وتم لهم دينهم وفلاحهم وظهر لهم قدر نعمة الله
عليهم في صرف ذلك الانتقام عنهم فعند ظهور ان رحمته سبقت
غضبه وانعامه غلب انتقامه وقوله ان لله مائة رحمة
انزل منها رحمة هذا نص في ان الرحمة يراد بها متعلق ارادة الحق
سبحانه لا نفس الارادة وانما راجعة الى المنافع والنعم ومقتضى
هذا الحديث ان الله تعالى علم انواع النعم التي ينعم بها على خلقه
مائة نوع فارسل منها في هذه الدار نوعا واحدا فبه انتظمت
مصالحهم وحصلت مرافقهم كما نبه عليها في بقية الحديث
فاذا كان يوم القيامة حمل بعباده المومنين ما بقي في علمه وهو التسعة
والتسعون فتحمل الرحمة كلها للمومنين وهو المشار اليه بقوله

بشارة الى معنى قوله عليه السلام ان لرحمتي عليك غلبت غضبي

تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فهو الذي صرح
به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لهم ابي الجنة ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بله لما اطلعكم عليه وعند هذا يتبين
معنى قوله تعالى وكان بالمومنين رحيما فان رحيما من ابنية المبالغة التي
لا تبقي ابلغ منها ويفهم من هذا ان الكافرين لا تبقى لهم في النار رحمة ولا
تنالهم نعمة لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها اذ كل ما علم الله
من الرحمات للمومنين خبأ الله لنا بإزائهم للمومنين عذابا اخر الا
الكافرين وما قلناه اولى من قول من قال ان معنى قوله ان لله مائة
رحمة الاخبار والتحقير لانه لم تخر عادتهم بذلك في مائة وانما جرت
بالتسعين ولو جرت بذلك لكان ذلك كثيرا جدا وما ذكرناه حقيقة وكان
اولى والله اعلم وقوله ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة
رحمة معنى خلق هنا قدر وهو اصل هذا اللفظ كما قال زهير
ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
اي تقدر ويحتمل معنا ه ان الله اظهر تقديره لتلك الرحمات اي علمه
بها يوم اظهر تقديره لاختراع السموات ويحتمل ان يقال ان معنى خلق
اخترع وابرز يوم خلق السموات والارض المائة الرحمة فارسل في هذا
العالم نوعا واحدا من تلك الانواع وادخر في الجنة سايرها الى يوم
القيامة وقوله كل رحمة طباق ما بين السماء والارض اعجابا وتكثيرا
وترجيا هذا الاعجاب بهذا النوع كثيرا في الشرع واللغة وترجا في بعض
الفاظ رواه مسلم جعل الله الرحم مائة جزء رؤي بضم الراء وفتحها وهو معنى الرحمة
والمنقط الذي ذكرناه هو الاصح والاوضح وقوله فاذا امرأة من السبي
تبتغي اذا وجدت صبيا اخذته قال القاضي كذا في جميع نسخ مسلم

ولبعوالته وفيه وتم وفي كتاب البخاري تسعي محال تبتغي وهو
وجه الكلام وصوابه قال الشيخ رحمه الله لا فما يحسن رواية
تسعى ووضوحها لكن لو رواية تبتغي وجه واضح فلا يغلط الرواة
لهم وذلك ان تبتغي معناه تطلب ولذها وحذف مفعوله للعلم به
وقوله أذنب عبدي ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك
وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب
يدل على عظم فائدة الاستغفار وعلى عظم فضل الله وسعة رحمته وجلم
وكرمه ولا شك في ان هذا الاستغفار ليس هو الذي ينطق به
اللسان بل الذي يثبت معناه في الجنان فيحمل به عقد الاصرار وينوم
معه على ما سلف من الاوزار فاذا الاستغفار تتوجه التوبة وعبارة
عنها ولذلك قال خيارهم كل مفتن توابا قيل هو الذي يتكرر منه
الذنب والتوبة فكلما وقع في الذنب عاد الى التوبة واما من قال
بلسانه استغفر الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج
الى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر اذ لا صغيرة مع اصرار
ولا كبيرة مع استغفار وفائدة هذا الحديث ان العود الى الذنب وان
كان اقبح من ابتدائه لانه اضاف الى الذنب نقض التوبة فالعود الى
التوبة احسن من ابتدائها لانها اضافة البها ملازمة الالحاح
بباب الكرم وانه لا غاية للمغفرة سواه وقوله اعمل ما شئت
فقد غفرت لك قد تقدم الكلام فيه وتقريرها نكتة وهي ان هذا
الامر كيف يحمل ان يكون معناه الاكرام فيحمل من باب قوله تعالى ادخلوها
بسلام امنين واخر الكلام خبر عن حال المخاطب بانه مغفور له ما
سلف من ذنبه ومحفوظ ان شاء الله فيما يستقبل من شانه ع

ومن باب قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات

قوله عالجت امرأة اي جامعها والتقاها اصيب منها عرضا وشهوة
واقصى المدينة ما بعد منها يعني موضعا خاليا عن الناس وقوله
اني اصبت منها ما دون ان امسها اي لم اجامعها وقد قال في رواية
اخرى ان الذي اصاب منها قبلة قبلها واياها عنى في الرواية الاخرى
بقوله اصبت حدا وكيف ان يكون معناه اصبت منها شيئا ممنوعا
لان الحد في اصله هو المنع ويحتمل انه ظن ان ورد لكل ذنب حدا فلذلك
ذكر هو الظاهر من قوله اصبت حدا فاقم علي كتاب الله وقوله
فانطلق فاتبعه النبي صلى الله عليه وسلم رجلا دعاه فتلا عليه هذه
الاية اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل انما دعاه النبي
صلى الله عليه وسلم بعد اعتراضه فيه لان الله تعالى انزل الاية بعد اعتراضه
بسبب سؤال الرجل المذكور كما نص في رواية اخرى ان رجلا
اصاب من امراة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزلت
الاية فقيل أله خاصة قال بل للناس كافة فيكون ان الاية نزلت بسبب ذلك الرجل واقامة
الصلاة القيام بفعلها على شروطها والمثابرة عليها وطرفا النهار
هما الصبح والعصر وقيل الظهر والعصر وقيل العشا والمغرب وزلفا
بضم اللام على قراءة الجماعة وهي الساعات المتقاربة جمع زلفة
وهي القربة والمنزلة وقراها بزلف بضم اللام وابن محيصن بسكونها
والمراد المغرب والعشا والله اعلم وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات
يعني الصلوات الخمس كما فسر مفسرا عنه صلى الله عليه وسلم قاله الطبري
وقال المحاهدي لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله قال الشيخ الذي
يحكم عمومه صالح لما قاله وزيادة عليه كما قال صلى الله عليه وسلم

الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن
اذا اجتنبت الكبائر وقد تقدم القول في معنى هذا الحديث في الكتاب
وقوله ولكل وجهة هو موليها اي لكل احد من الناس قبلة يتوجه
نحوها في صلاته وقيل ان هذا الرجل هو عمرو بن غربة كان يبيع التمر فقال لامرأته
في البيت ثمر اجود من هذا فدخلت فوثب عليها وقبلها ثم ندمها
نادما فجاء باكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فقال
له حضرت معنا الصلاة قال نعم قال فقد غفر لك وقيل انها كانت
صلاة العصر وقوله الراهب لقاتل التسعة والتسعين انه لا توبة
له دليل على قلة علم ذلك الراهب وعدم فطنته حيث لم يصح
وجه الفتيا ولا سلك طريق الخير على نفسه ممن صار القتل له
عادة معتادة فصار هذا مثل الاسد الذي لا يبالي حين يفترسه
فكان حقه ان لا يفتيه فهمه بمنع التوبة مداراة لدفع القتل عن
نفسه كما يداري الاسد الضاري لكنه اعان على نفسه فانه لما
ايأسه من التوبة قتله بحكم سبعيته ويأسه من رحمة الله
وتوبته ولما لطف الله به يقي في نفسه الرحمة في السؤال عن
حاله فمازال ينحث الى ان ساقه الله الى هذا الرجل العالم الفاضل
فلما سأله بفتي بالحق والصواب فقال له ومن يحول بينك وبين التوبة
فترتاب وتستحي على من تشفيها عنه ثم انه احاله على ما ينفعه
وهو مفارقته لارضه التي كانت غلبت عليه حكم عادة اهلها
الفاسدة ولقومه الذين كانوا يعينونه على ذلك بحملونه عليه
وبهذا يعلم فضل العلم على العبادة فان الاول لما خلت عليه الرهبانية
واغتر بوصف الناس له بالعلم فاتى بغير علم فهلك في نفسه واهلك

غيره والثاني كان مشتغلا بالعلم ومعتنيا به فوفق للخير واحياه الله
في نفسه واحيا به قال القاضي ومذهب اهل السنة والجماعة
ان التوبة تكفر القتل كسائر الذنوب وهو قول كافة العلماء
وما روي عن بعضهم من تشديد في الزجر وتغليظ في القول فانما ذلك
ليلا يجتري الناس على الدماء وقد اختلف في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فقيل معناه ان جازاه وقيل الخلود
طول الاقامة لا التابيد وقيل الاية في رجل بعينه قتل رجلا له
عليه دم بعد اخذ الدية ثم ارتد وقد تقدم القول على ان ما دون
الشرك يجوز ان يغفره الله تعالى وانه ليس من ذلك شيء كفرا قتلا
كان او ترك صلاة او غيرهما كما دل عليه قوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولقوله في حديث
بن الصامت رضي الله عنه تما بعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا وان لا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فمن اصاب شيئا من ذلك
فعوقب به فهو كفارة له ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه
فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه ولقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث عبادة ايضا خمس صلوات افترضهن الله عز وجل على العباد
فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا كان له عند الله عهد ان يغفر له
ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه
وهذه حجج صريحة تبين فساد مذهب المكفرة بشيء من ذلك وقوله
نصف الطريق اي بلغ نصفه يقال نصف الماء والشهر وغيرهما اذا
بلغ نصف ذلك وقوله تأبى مصدره اي نهض به مع ثقلها اصابه
من الموت وقوله قبل صحة توبته وصدق نيته وقوله فانتصت

ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة انه جاء تائبا مقبلا بقلبه هذا نص صريح في ان الله تعالى اطلع ملائكة الرحمة على ما في قلب ذلك الشخص فصرفه الى التوبة وحرصه عليها وان ذلك لم يخف على ملائكة العذاب حتى قالت انه لم يعمل خيرا قط ولو اطلعت على ما في قلبه من التوبة لما جاز لها ان تقول هذا ولا تنازع ملائكة الرحمة في قولها انه جاء تائبا مقبلا بقلبه بل شهدت بما في علمها كما شهد الآخرون بما تحفظوه لكن شهادة ملائكة الرحمة على اثبات التوبة وشهادة ملائكة العذاب على علم وشهادة الاثبات مقدمة فلا جرم لما تنازع الصفان وخرج كلاهما عن الشهادة الى التحاكم بعث الله اليهما ملكا حاكما يفصل بينهما وصور بصورة الادمي اخفاء عن الملائكة وتنبيها لبني آدم وان منهم من يصلح ان يفصل بين الملائكة اذا تنازعوا وقوله فجعلوه بينهم فيه حجة لمالك على قوله ان المتخاصمين اذا احكما بينهما رجلا يصلح للحكم لزمهما ما يحكم به وتقدم خلافه في ذلك الشافعي وقوله فقيسوا ما بين الارضين فالى اينهما كان ادنى فهو له دليل على ان الحاكم اذا تعارضت عنده الاموال بمجرد الشهادة وامكنه ان يتوصل بالقرائن على ترجيح بعض الدعاوى فعل كما فعله سليمان صلى الله عليه وسلم حيث قال استوني بالسكين استقبحتما تنبيه قال القاضي جعل الله قرب الارض من القرية علامة للملك عند اختلافهم مع عدمهم معرفة حقيقة باطنه التي اطلع الله عليها ولو تحققوا توبته لم يختلفوا ولا احتاجوا للمقايسة قال النحاس وهذا يخالف قول بعض ملائكة الرحمة جاء تائبا بقلبه الى الله عز وجل وهذا نص في ان ملائكة الرحمة علمت ما في قلبه فكيف تخفى ملائكة العذاب من قلبه ما علمته

ملائكة الرحمة لما تنازعوا لان الملائكة كلهم لا يخفى عليهم ان التوبة اذا صحت في القلب وعمل على مقتضاها بالجوارح بالقدر المحض مقبولة بفضل الله ووعده الصدق والاحسن ما ذكرناه ان بها الله وانما جعل الله قرب تلك الارض سببا مرجحا لحجة ملائكة الرحمة ومصرفا للحكمة التوبة وفيه دليل على ان اعمال القلوب عفو ان على الباطن وقوله فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي انما فاز ذلك الحاكم بقياس الارض ويفهم منه ان الرجل حين افترى الى الارض التي خرج منها فلو ترك الله الارض على حالها لقبضته ملائكة العذاب لكن عمرته الاكناف الالهية وسبقت العناية الازلية فقربت البعيد وابعدت القريب ويستفاد منه ان الذنوب وان عظمت تغفر الله اعظم منها وان من اتهم صدق التوبة تقبل منه سلك به طريق اللطف والقربة وقوله يفجر من ظهرت معصيته حتى يخرق ناقته العير الابل التي عليها احمالها وفرجلا للناس امرهم اي كشفه واوضحه يعني انه بين لهم وجهه وقوله فقل رجل يريد ان يتغيب بطن ارض لك يخفى له كذا وقع هذا الكلام في سائر روايات كتاب مسلم وفي بعضها وسقط من الكلام الا قليل يظن به يستقيم الكلام وهي احاب بعد ما نصه قل من يغني الغنى لان معنى قوله قل رجل يعني ما رجل فكانه قال ما رجل يريد ان يتغيب الا ظن ذلك يخفى له وقوله ما انا اليها امعر موبا لعين المهملة ومعناه امثل وقوله وتنازك الغرز اي تقدم الغراة والغرز والمفارك المنغرز وجمعه مراك والاسوه القدوة والمعموص عليه المعيب المنعم الصفر وقوله جبسه برداه والتخرق في طيلسه البردان

يعني به الرداء والإزار او الرداء والقميص وسماهما بردين لان القميص
والإزار قد يكونان من برد والبرود ثياب من اليمن فيها خطوط
ويحتمل ان يسميهما بردين على طريقة العمرين والبكرين والقمرين والعطف
الحائك وكان هذا القائل كان في نفسه حقد ولعله كان منافقا
ينسب كعبا الى الزهو والكبر وكانت نسبة باطلة بدليل شهادة
القائل العدل معاذ بن جبل رضي الله عنه او قال يئس ما قلت والله يا رسول الله
ما علمنا عليه الا خيرا وفيه جواز الذم والتقبيح للمتكلم في حق المسلم
بالعيب والقبيح ونصرة المسلم في حال غيبته والرد عن عرضه وقوله
اذ رأى رجلا مبيضا يزول به السراب هو بكسر الباء اسم فاعل من تبيض
فهو مبيض اي ابيض ياض نفسه في السراب ويزول يتردد ويضطرب
والسراب ما يرى نصف النهار كانه ماء وقوله كن ابا خيثمة
هذه صيغة امر ومعناها الخبر اي هو ابو خيثمة وقيل معناه لتوجد
ابا خيثمة واسمه عبد الله وقيل مالك بن قيس واحد المنافقين
عابوه واتهموه بالطعن في الغيب وقالوا اجاع والبث اشد الحزن
واطفت اخونه وهي من افعال المقاربة على ما تقدم واظل فاد ما
اقبل وهو رباعي وراح ذهب وزال ما اجمعت صرفه عزم على فعله
وقوله وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه انما كان يفعل ذلك
ليبدأ بتعظيم بيت الله قبل بيته وليقوم بشكر نعمة الله تعالى عليه
في سلامته ويسلم عليه الناس وليسن ذلك في شركه والجد الخصومة
المحكمة والظهر يعنا الابل التي يحمل عليها ظهورها ومرار بن ربيعة
كما وقع في كتاب مسلم وذكره البخاري بن الربيع وذكره ابو عمر بالوجهين
وتسميه مسلم فعال العامري والصواب العمري وكذا ذكره البخاري

وابن اسحق وابو عمر بن عبد البر وهو منسوب لعمرو بن عوف وقوله
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة هو دليل
على هجران من ظهرت معصيته فلا يسلم عليه الى ان يقلع ويظهر توبته
والثلاثة مرفوع على الصفة لاي ويجوز نصبه على الاختصاص
وحكى سيبويه اللهم اغفر لنا ايتها العصابة وتنكرت تغيرت
واستكانا سكنا اي خضعا وذلا وشبت القوم اصغرهم وامدهم
اقوامهم واساورته النظر اي انظر اليه نظرا خفيا وتسورت الجدران
اي علوت سورها والسدد الله اي اسالك بالله ومنه التشهد وهو
رفع الصوت بالشعر وغيره وقول ابي قتادة الله ورسوله اعلم
فيه انه اجابة عند الحاجة عليه بالسؤال وهو قد كلمه فيكون
مخالفا للنهي وقد تأول بان ابا قتادة قال ذلك لنفسه مخبرا عن
اعتقاده ولم يقصد كلامه ولا اسماعه قال الشيخ رحمه الله وكمل
ان يقال ان ابا قتادة فهم ان الكلام نهي عنه انما هو الذي يقتضي الحرمة
بعينه والمماسطة واعادة المعاني فاما مثل هذا الكلام الذي يقتضي
الابعاد والمنافرة فلا والله اعلم الا ترى انه لم يرد عليه السلام
ولا التفت لحربته والنبطي واحد النبط والنبيط وهم العاملون
لتلك الارض وسموا به لانهم ينبطون المياه اي يستخرجونها وتامت
بها التنور صورتها اي قدر بالصفة التنور فوعيتها اعنه فاحرقتها
ويقال تيمم بالياء وبالهمزة والصفة بفتح الميم وكسر الفاء وسكونها
الضاع وصرف الاهتمام وترك المبالاة به حتى يضيع وقوله الحق باهلك
فكون عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر هذا يدل على ان الخلي باهله ليس
من الناحية الكلية من صراحه ولا من كنايته الظاهرة وغايته ان يكون

يحتمل ان يراد به الطلاق اذا نوى ذلك وقوله وضاقت على الارض بما رحبت اى برحبها وما مصدرية والرحب بضم الراء السعة وارتفى اهل واشرف وسلع بفتح السين وسكون اللام جبل بالمدينة معروف وقوله فخررت ساجدا هذه سجدة الشكر وظاهر هذا انها كانت معلومة متعندم معمولا بها فيما بينهم وقال بها الشافعي ومالك في احد قوليه ومشهور مذهبه الكراهة ورخص الفرس اجارته الجري الشريد وكسوته للبشير ثوبيه مع كونه ليس له غير هما دليل على جواز مثل ذلك اذا ارتجى حصول ما يستعين به وهو دليل على جواز اظهار الفرح بامور الخير والدين وجواز البذل والهبات عند ها وقد يخرج خمر رضي الله عنه لما حفظ سورة البقرة جزورا وقوله فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة اى زمرة زمرة وجماعة بعد جماعة وفيه دليل على جواز التهنئة باسور الخير بل على ترتيبها اذا كانت دينية فانه اظهار السرور بما يسر به اخوه المسلم واظهار المحبة وتصفية القلب بالمودة وقوله فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني قيل لمن قال بجواز القيام للتواصل والمصافحة وقد يتنا الخلاف في ذلك في الجهاد وقوله وكان كعب لا ينساها لطلحة اى تلك المكرمة والبشاشة التي ظهرت له منه ومعناه ان تلك العطية اكدت في قلبه محبته والزمته حرمته حتى غمرها من الايدي الجسيمة والمنن العظيمة وقوله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله اى ان من علامات صدق توبتي او من شكر توبتي ان اتصدق بمالي الى ان علي لله نذرا والتزاما فرح بفرح الشكر وابتغاء الثواب اقترحه الي صلى الله

بعد

وسلم فكان ذلك جائزا ولم يدخل في عموم النذر المنهي عنه بقوله لا تنذروا فقد يتبادر ذلك مما تقدم وعلى مقتضى هذا اللفظ فقد وجب عليه اخراج كل ماله وان كان ذلك يؤدي الى ان يبقى فقيرا محتاجا ربما يفضي به ذلك الى سؤال الناس والى الدخول في مكاسب اكتفى الشرع منه ببعضه فقال امسك عليك بعض مالك فهو خير لك وهذا البعض الذي امره بامساكه هو الاكثر والمتصدق به هو الاقل كما قال في حديث سعد الثلث والثلث كثير كما تقدم وقوله فما علمت احدا ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني اى انعم ومنه قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اى نعمة ويقال في الخير والشر بلاء وربما غلب وقد جمع بينهما في غير هذا وقوله فابتلاها اكثر ابلاء الذي يبتلو اصله من الابلاء وهو الامتحان والاختبار ويمتحن بالخير والشر كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والفتنة المشقة وسوء الحال وهو العسر اعانه وتزيغ عمل وتذهب به تاب عليهم لتوبوا اى الهمهم اسباب التوبة واعانهم عليها ليتوبوا الى ليفعلوا منهم وقبل تاب عليهم قبل توبتهم وليتوبوا الى ليدوموا على فعلها وقوله ما انعم الله على احد بعد ما هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا حين جمع الكلام رواه مسلم والبخاري الا اكون في رأيه وفي رواية ان لا اكون كما قال تعالى ما فعلته الا نحن معناه ان يسجد وفي رواية الاصيلي عن البخاري الا ان اكون بينته ولست بنبي الاولى الصواب والرجس المستخبث المستقذر المدموم وقوله وما خلفنا انما هو التخلف اى اخروا عن الغزو فلم يقعدوا شيء وعذر كذلك في نفسه الحديث

طالع

ومن باب من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها باب التوبة

يعني ان التوبة تصح وتقبل دائما الى الوقت الذي تطلع فيه الشمس من حيث تغرب فاذا كان ذلك طبع على كل قلب بما فيه ولم تنفع توبة لاحد وهذا معنى قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ويسر ذلك وسببه ان ذلك هو اول قيام الساعة فاذا شوهد ذلك وعوين حصل الايمان الضروري وارتفع الايمان بالغيب الذي هو المكلف به وسيأتي القول في تحقيق التوبة في طلوع الشمس من مغربها

وقوله ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقد تقدم الكلام على اليد المنسوبة الى الله تعالى غير مرة وهذا الحديث اجري مجرى المثل الذي يفهم منه دوام قبول التوبة واستدامة اللطف والرحمة وهذا اثر لكرم مقتضى الغنى القوي القاهر الى مقتضى اللطيف الرؤوف الغافر وهو نحو قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقوله من يقرض غير عديم ولا ظلوم فمن لطيف لطفه انه خاطبنا مخاطبة الاحرص لنفسه المحتاج ومن عجائب كرمه انه استقرض منا ماله استقراض من احتاج فسأله بعظمته وجلاله وبحق محمد وآله ان يعاملنا باللطف وعفوه وافضاله

كتاب الزهد

ومن باب هوان الدنيا

قوله والناس كنفتيه اي جنبتيه ويروى كنفتيه تثنية كنف وهو منصوب على الظرف وهو خبر المبتدا وقوله لجزر اسكة اي لجفير الاذنين ضبع ضاجيها وقيل هو الذي لا يسمع وقوله واسم الدنيا اهون على الله من هذا عليكم

الدنيا وزنها تعدل وألفها للتانيث وهي من الدنو بمعنى القرب وهي صفة لموصوف محذوف كما قال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وغيرانه قد كثر استعمالها استعمال الاسماء فاستغنى عن موصوفها كما جاء في هذا الحديث والمراد الدار الدنيا او الحياة الدنيا التي يقابلها الدار الاخرى او الحياة الاخرى ومعنى هوان الدنيا على الله تعالى ان الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقا موصلة الى ما هو المقصود لنفسه وانما جعلها دار اقامة ولا جزاء وانما جعلها دار رحلة وبلاغ وانه ملكها في الغالب الكفرة والجهال وحماها الانبياء والاولياء والابدال وقد اوحى النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فقال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء وحسبك بها هوانا ان الله قلاصغرها وحقرها وزهدها وابغضها وابغض اهلها ويحبها ولم يرض لعامل فيها الا بالتزود منها والتأهب للارتحال عنها ويعضد من ذلك ما رواه ابو عيسى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم رواه من حديث ابي هريرة وقال حديث حسن غريب ولا يفهم من هذا الحديث اباحة لعن الدنيا وسبها مطلقا لما روينا من حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها يحوز من البر بانه اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه خرجه الشريف ابو القاسم زيد بن عبد الله بن سعود الهاشمي وهذا يقتضي المنع من سب الدنيا ولعنها ووجه الجمع

بينهما ان المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعدا عن الله وشاغلا
عنه كما قال بعض السلف كل ما شغلك عن الله تعالى من مال وولد
فهو عليك مشؤم وهو الذي نبه الشرع على ذمه بقوله تعالى انما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد واما ما كان من الدنيا يتقرب به من الله تعالى ويعين على عبادة الله
فهو المحمود بل هو للانسان والمحبوب لكل انسان فمثل هذا لا يسمى
بل يرغب فيه ويحب واليه الاشارة بالاستثناء حيث قال الا ذكر الله
وما والاه او عالما او متعلما وهو المصرح به في قوله فانها نعمت
معينة المؤمن عليها يبلغ الخير وبها يحوز الاجر وبها يرتفع
التعارض بين الحديثين والله اعلم وقوله الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر انما كانت الدنيا كذلك لان المؤمن فيها مقيد بقيود التكليف
فلا يقدر على حركة ولا سكون الا ان يفسح له الشرع فيفك قيده
ويحله من الفعل او الترك مع ما هو فيه من توالي انواع البلايا
والمحن المكابدات من الهموم والغموم والاسقام والالام ومكابدة
الاعداء والاضداد والعيال والاولاد وعلى الجملة فاشد الناس بلاء
الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل بحسب دينه كما
قاله صلى الله عليه وسلم واي سجن اعظم من هذا ثم هو في هذا السجن على
غاية الخوف والوجل اذ لا يدري بما يختم له من عمل كيف وهو يسمع
امر الاشي اعظم منه ويخاف هلاكا لا هلاك فوقه فلولا انه
يرجى الخلاص من هذا السجن لهلك مكانه لكن لطف به فهون عليه
ذلك كله بما وعد على صبره وبما كشف له من حميد عاقبة امره
والكافر منقطع عن تلك التخاليف آمن من تلك المخاوف فقيل

على لذائذ شهده وشهواته مغتر بمساعدة الايام بأكل ويتمتع
كما تفعل الانعام وعن قريب يستيقظ من هذه الاحلام ويحل في السجن
الذي لا يرام تسأل السلامة من اهوال يوم القيامة وقوله الهاكم
التكاثر اي شغلكم الاكثار من الدنيا وهن الالتفات اليها عما
هو الاولى بكم من الاستعداد للاخرة وهذا الخطاب للجمهور
اذ جبلت الانسان على ذلك فطر كما قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة وكما قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
الآية وقوله يقول ابن آدم مالي مالي اي يفتخر بنسبة المال اليه
وكونه في يديه حتى ما يجب به ويخر به ولعله ممن تعب هو وجمعه
ووصل عمره الى نفعه ثم اخبر بالاوجه التي ينتفع بالمال فيها
واقتصر الكلام بانما التي هي للتحقيق والحصر فقال انما له من ماله
ثلاث وذكر الحديث وقوله واعطى فاقتنى هكذا وقع هذا
اللفظ عند جمهورهم ووجهه اعطى الصلاة فاقتنى الثواب
لنفسه كما جاء في الرواية الاخرى تصدق فامضى وقد رواه
ابن ماجة بمعنى اكتسب غيره كما قال تعالى اغنى واقتنى
وقوله فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي جاؤا فاجتمعوا عند صلاة الصبح معه ليقسم بينهم ما جاء به
ابو عبيدة لانهم ارهقتهم الحاجة والفاقة التي كانوا عليها
لا الحرص على الدنيا ولا الرغبة فيها ولذلك قال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابشروا وامّلوا ما يسركم وهو انكم تنظرون منه
عليهم ما هم فيه من الشدة وبشارة لهم بتحصيل الفتح عليهم وقوله
والله ما الفقر اخشى عليكم الفقر منصوب على انه مفعول مقدم

باختني ولا يجوز رفعه الا على وجه بعيد وهو ان يحذف ضمير المفعول
ويعامله معاملة الملفوظ به كما قال امرر الغني
فثروته نسيبة وثروة اجر ا فكانه قال فثروت نسيبته
وثروة اجره وهي قليله بعيده وفيه ما يدل على ان الفقر اقرب
للسلامة والاتساع في الدنيا اقرب للفتنة ونسال الله الكفاف
والعفاف وقوله فتنتنا فسوها كما تنا فسوها اي تحاسدون
فيها فتختلفون وتتقاتلون فيهلك بعضكم بعضا كما قد ظهر
ذلك ووجد وقد سمي في هذا الحديث التحاسد تنا فسا توسعا
لقرب ما بينهما وقد بينا حقيقة كل واحد منهما فيما تقدم ومعنى
تلعيج تتعلقن عن امر دينكم وعن الاستعداد لاخرتكم وقوله اذا
فتح عليكم فارس والروم اي قوم انتم هذا استفهام يسوقه
اخبارا منه عن امر قبل وقوعه وقع على نحو ما اخبر عنه فكان
ذلك من ادلة صحة نبوته ورسالته وعلم له صلى الله عليه وسلم
منها وكم ومعنى اي قوم انتم اي على اي حال تكونون وكانه
قال اتبقون على ما انتم عليه او تتغيرون بكم الحال فقال عبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه نقول كما امرنا الله اي نقول قولا مثل الذي
امرنا الله وقال هذا منه اشاره الى قول الله تعالى حسبنا الله ونعم
الوكيل وذلك انه فهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف عليهم
الفتنة من بسط الدنيا عليهم فاجابه بذلك فكانه قال نستكفي
الفتن بالله ونقول كما امرنا وهذا اخبار منهم بما تقتضيه
حالهم في ذلك الوقت فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بانهم لا يبقون
على تلك الحال وانها تتغير بهم وقال بعض الشارحين لعله يكون

كما امرنا الله وهذا تقدير جملة للمراد لاحتاج اليه مع صحة المعنى
الذي ابديناه واسا علم وقوله او غير ذلك هو بسكون الواو
وهي العاطفة ومغير بالنصب على اضمار فعل تقديره او يكون
غير ذلك وقوله تنافسون تحاسدون ثم تتدابرون تتباغضون
اي تتسابقون الى اخذ الدنيا ثم تتحاسدون بعد الاخر ثم تتقاطعون
فيولي كل واحد دبره عن الاخر معرضا عنه ثم تتحيف البقاع في
القلوب وتقتراكم حتى يكون عنها الخلاف والقتال والهلاك
كما قد وجد وقوله ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فيجعلون
بعضهم على رقاب بعض وفي روايه الصحيحين فتدرى متحملون قال
بعضهم لعل صواب هذا الكلام ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين
قال القاضي لا ادري ما الذي حمل هذا على تغيير الروايه مع عدم
توجيه الكلام مع ما قبله واستقلال له بالمراد لا سيما مع قوله
بعد هذا فيحملون بعضهم على رقاب بعض فان شبه ان يكون الكلام
على وجهه واراد ان مساكن المهاجرين وضعفتهم ستقع عليهم
اذا ذاك الدنيا حتى يكونوا اسوة بعضهم على رقاب بعض قال
الشيخ رحمه الله والعجب من انكار القاضي على ذلك المتناول واجتباء
هذا المعنى الذي لا يقبله سياق الحديث ولا يظهر له معنا ه
وذلك ان معنى الحديث انه اخبرهم انهم تتغير بهم الحال وانهم يصدون
عنهم وعن بعضهم احوال غير مرضية لخالف حالهم التي كانوا عليها
من التنافس والتباغض وانطلاقهم في مساكن المهاجرين فلا بد
ان يكون هذا الوصف غير مرضي كالاوصاف التي قبله وان يكون ذلك
الاوصاف المتقدمه توجبه وحينئذ يلتئم الكلام اوله واخره

ولا يخفى ما في هذا التفسير الذي ذكره القاضي فيكون معنى الحديث
انه اذا ارتفع التنافس والتحاسد والتباغض حل ذلك على
ان يأخذ القوي ما أفاءه الله على المسكين الذي لا يقدر على مزاحمته
فيمنعه عنه ظلما وقهرا بمقتضى التنافس والتحاسد
والتباغض ويعضده رواية السمرقندي فيحملون بعضهم على
رقاب بعض اي بالقهر والغلبة واما ما اختاره القاضي فغير
ملايم للحديث فتدبره بحره كما اخبرتك والله اعلم وقوله انظروا
الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم اي اعتبروا بمن
فضل عليه في المال والخلق والعافية فيظهر عليكم ما انعم الله
به عليكم فتشكرونه على ذلك فتقومون بحق النعمة وذلك
بخلاف ما اذا نظر الى ما فضل عليه به غيره من ذلك فانه
يحقر عنده ما انعم الله عليه به من النعم وتكثر فيها فلا يحسبها
نعما فينسى حق الله فيها ورما حمله ذلك النظر الى ان تمتد عينه
الى الدنيا فينافس اهلها وتتقطع نفسه حسرة فوتها وتكسر اهلها
وذلك هو الهلاك في الدنيا والاخرة وقوله وهو اجدر ان لا تزدروا
نعمة الله عليكم هو عاير على مصدر انظروا واجدر بمعنى احق
واوجب والازدراء الاحتقار وقوله ناقة عشراء هي التي مضى لها
من حملها عشرة اشهر وجمعها عشار وكانت انفس اموال العرب
لقرب ولادتها وكرم لبنها وقال ابن جني هي التي اتى عليها بعد
وضعها عشرة اشهر وفي الصحاح العشار بالكسر جمع عشراء
وهي الناقة التي اتى عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر
وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع

ايضا يقال ناقة عشراء وبوق عشار وعشرات يبدلون من همزة
التانيث واوا وتعشرت الناقة تعشيرا اذا صارت عشراء وقوله
ما نتج هذا وولد هذا اي تولى نتاج ناقته وولادة شاته ووقع
هنا نتج رباعيا والمعروف الثلاثي وحكى الاخفش نحتها وانجها
بمعنى وقد اشبعنا القول فيه فيما تقدم وقوله انقطع بي الحبال
في سفري هو الرواية المشهورة بالحاء المهملة والموحدة وبالالف
وهي جمع حبل وهو المستطيل من الرمل وقيل هي الاسباب التي
يتوصل بها الى البلاغ وهذا اوقع للتعبيرين ورواه ابن الحذاء
الجبال جمع جبيل ورواه بعضهم كذلك غير انه زاد الفاء ووقع
لبعض رواة البخاري الجبال بالجيم وفيه بعد وقوله واسرا اجمدك
اليوم شيئا اخذته لله تعالى هذا الاكثر الرواية ومعناه لا ابلغ
منك جهدا ومشقة في منعك شيئا اخذته لله مال صاحب
الا فعال جمدته واجهدته بلغت مشقته وقيل معنى لا اجهدك
لا اقلل لك فيما تاخذ والجهد ما يعيش به المقل ومنه والذين
لا يجدون الا جهدهم وعند ابن ماهان لا احمدك بالحاء المهملة والميم
من الحمد ودار رواه البخاري ومعناه لا احمدك في اخذ شيء او اثابه
لكبير نفسي بما تاخذ كما مال المرقش ليس على طول الحياة ندم
اي ليس على مرت طول الحياة ندم وقوله انما ورثنيه هذا اكابر
عن اكابر يعني انه ورث ذلك المال عن اجداده الكبراء فجعله تحلة
على نفسه بنعمة الله تعالى وعلى تجديد نعمه وعلى التقرب بما ورثه ذلك
سخط الله الرائم وكل ذلك يستوجب النعل واعتبر كمال الاكمل لما
اعترف بنعمة الله تعالى عليه وشكره عليها وسخت نفسه بها

تبسمها الله عليه وشكر فعله ورضي عنه فحمل على الرتب الفاخرة
وجمعت له نعم الدنيا والآخرة وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله
يحب العبد التقي الغني الخفي جمهور الرواة يقيدونه الخفي
بالحاء المعجمة من الخفاء والتقي المتقي الله تعالى وقدمنا التقوى
فيما تقدم والغني يغني به من استغنى بالله ورضي بما قسم الله له وقيل
يغني به غنى النفس والخفي يعني به الخامل الذي لا يبرز العلوة
فيها ولا الظهور في مناقبها وهذا نحو ما قال في حديث آخر
في صفة ولي الله تعالى وكان عامضا في الناس اي لا يعرف موضعه
ولا ينوه به وقد رواه الدولابي الخفي بالحاء المهملة فقيل
معناه العالم من قولك كاد حتى يخفيها وقيل المخفي باهله
الموصول لهم بالبر الساعي في حوائجهم وقوله مالنا طعام نأكله
الا ورق الكبلة بضم الباء وسكون الباء ثمر العضاه وقال ابن الاعرابي
ثمر البشم الكويا ورواه البخاري احسنها لانه بين فيها
انهم يأكلون ثمر العضاه ورق شجر السمر وقوله ثم اصبحت
بنو اسد تعزرني على الدين هو بالزاي اي تؤلمني والراء بينة بين
التعزير والتعزيز واختلف في معناه هنا فقال الهروي معناه توقفني
والتعزير الوقف في بعض الاحكام والفرائض وقال الطبري
اي تقومني وتعلمني وفيه تعزير السلطان اي تقويمه بالتأديب
وقال الحربي التعزير بمعنى اللوم والعتب قال الشيخ رحمه الله
هذه اقوال الشارحين لهذه الكلمة وفيها كلها بعد عن معنى الحديث
والذي يظهر لي ان الذي يليق بمعناه ان التعزير معناه الاعظام والاكبار
كما قال تعالى وتعزروه اي تعظموه وتوقروه فيكون معناه على هذا
انه

انه وصف ما كانت حالتهم عليه في اول امرهم من شدة الحال
وبضعوبة العيش والجهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم انهم اتسعت
عليهم الدنيا وفتحت عليهم الفتوحات وولوا الولايات فعظمهم
الناس لشهرة فضلهم وكثرة دينهم وكانه كره تعظيم الناس له وخص
بني اسد بالذكر لانهم افرطوا في تعظيمه والله اعلم وهذا الذي ذكرناه
هو الذي صرح به عتبة بن غزوان في الحديث الآتي بعد هذا حيث قال
لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة وما لنا
طعام الا ورق السمر حتى قرحت اشداقنا فالتقطت بردة
فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر
سعد بنصفها فما اصبح منا اليوم احد الا اصبح اميرا على مصر
من الامصار واني اعوذ بالله ان اكون في نفسي عظيما وعند الله
صغيرا فيحتمل ان يكون هذا هو الذي عنا سعد بن ابي وقاص رضي
الله عنه والله اعلم واما ما فسرت به المشايخ ذلك الكلام فيقتضي
تفسيرهم ان بني اسد خاشنوا عليه امور الدين وعابوها
عليه وتعليمهم قولهم ويعضد هذا ما ذكره البخاري من حديث
جابر بن سمرة قال سئل اهل الكوفة سعدا حتى ذكروا انه لا يحسن
ان يصلي فاستحضره عمر فقال انهم لا يزعمون انك لا تحسن تصلي
فقال اما انا فاني كنت اصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اخرم عنها اصلي صلاة العشاء فاركد في الاوليين واحذف في الاخريين
قال ذاك الظن بك يا ابا اسحاق فارسل معه رجلا او رجالا الى الكوفة
فسأل عنه ولم يدع مسجدا الا سأل عنه ويثنون معروفا حتى دخل مسجدا
لبني عبس فقام رجل منهم يقال له اسامة بن قتادة يكنى ابا سعدة فقال اما
اذ نشدتنا فان سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية وذكر الحديث

سخبرة ان وكان اميرا على البصرة ٥ عتبة هذا ما ارى خليف
لبني نوفل تمم الاسلام اسلم سابع سبعة كما قال وهاجر وشهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا والمشاهد كلها امره
عمر رضي الله عنه على جيش فتوجه الى العراق ففتح الابلة
والبصرة ومصر بها وبنى مسجدها الاعظم ثم انه حج فاستعفى عمر
عن ولاية البصرة فلم يعفه فقال اللهم لا ترددني اليها فسقط
عن راحلته فمات سنة سبع عشرة وهو منصرف من مكة الى البصرة
بموضع يقال له معدن بني سليم قاله ابن سعد ويقال مات
بالرذة قاله المدايني وقوله ان الدنيا قد آذنت بصرم اي
اشعرت وآعلمت بزوال وانقطاع وقوله وولت حذاء
اي سريعة خفيفة ومنه قيل للنعامة حذاء اي منقطعة الذنب
قصيرته ويقال حمار احذ اذا كان قصير الذنب حكاه ابو عبيد
وهذا مثل كانه قال ان الدنيا قد انقطعت مسرعة وقوله
ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء يصابها صاحبها
الصبابة بضم الصاد البقية اليسيرة والصبابة بالفتح رقة
الشوق ولطيف المحبة ويصابها بضم صبها على قلة الماء
وضعفه وقوله فانتقلوا بخير ما بحضرتكم اي ارتحلوا الى الآخرة
بخير ما بحضرتكم من اعمال البر جعل الخير المتحلى منه كالحاضر
وقوله فانه قد ذكر لنا ان الحجر ليلقى من شفير جهنم الحديث اخره
يعني انه ذكر له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل لان مثل هذا لا يعرف
الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم وكانه لم يسمعه هو من النبي صلى الله
عليه وسلم سمعه من يخبره فسكت عنه اما نسيانا واما لامر شرح له

ويحمل ان يكون سمعه هو من النبي صلى الله عليه وسلم وسكت عن رفعه
للعلم بذلك وشفير جهنم حرفها الاعلا وحرف كل شيء اعلاه وشفيره
ومنه شفرا العين وشفر الباب ما بين عضادتيه وجمعه مشارع
وهو ما يسد به الحلق وقوله وهو كظيظ من الزحام اي ممتلئ
منه يقال كظه الشراب كظيظا وقرحت اشرافتنا اي تقرحت
اي اكلت من خشونة الورق والبردة الشملة والعرب تسمي
الكساء الذي يلتحف به بردة والبرد بفتحتين نوع من برود اليمن المرشبة وقوله وانه لم تكن نبوة قط الا تناسختي
يكون آخرها ملكا يعني ان زمان النبوة يكون الناس فيه يعملون
بالشرع ويقومون بالحق ويرهبون الرسل ويرغبون في الآخرة
ثم انه بعد انقراضهم وانقراض خلفائهم يتغير الحال ويتعكس
الامر ثم لا يزال الامر يتناقص وادبار الى ان لا يبقى على الارض
من يقول الله الله فيرتفع ما كان الصدر الاول عليه وهذا هو
المعبر عنه هنا بالتناسخ فان النسخ هو الرفع والازالة وهذا
الحديث نحو قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي بعثه الله في امة قبلي
الا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون
بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون
ما لا يؤمرون الحديث وقوله حتى يكون آخر اعقابها ملكا يعني
انهم يعرضون عن سنن النبوة وخلفائهم الى الاقبال على الدنيا واتباع
الهوى وهذه احوال اكثر الملوك فاما من سلك سبيل الصدر الاول
الذي هو زمان النبوة والخلافة من العدل واتباع الحق والاعراض
عن الدنيا فهو من خلفا الانبياء وان تأخر زمانه كعمر بن عبد العزيز

وانتظار الثواب عليها والخوف من عدم المصائب ونسيه الدنيا ٥

وفي باب سيرة عيش النبي صلى الله عليه وسلم ٥

الرف خشبة ترفع عن الارض يلقى عليها ما يرفع قاله الحربي وقال غيره هي الغرفة والشطر النصف وهو هنا نصف وسق شعير والذقل اردأ التمر وقد ادقل النخل اذا ردئ وقيل هو جنس من النخل له تمر وهو حب كبير له نواة مرورة بمقدار الجوزة تشبه نوى التمر فاذا يبس صار عليه مثل اللفافة واحاديث هذا الباب كلها وان اختلفت الفاظها تدل على ان اسى صلى الله عليه وسلم لم يكن يدرك الشبع ولا الترفه في العيش لا هو ولا من حوته بيوته ولا اهله بل كانوا يأكلون ما خشن من المأكل ويقتصرون منه على ما يسد الرمق معرضين عن متاع الدنيا موثرين ما يبقى على ما يفنى ثم ان الله تعالى لم يزل كذلك حالهم مع اقبال الدنيا عليهم واجتماعها بحذافيرها لديهم الى ان وصلوا الى ما طلبوا وكفروا بما فيه رغبوا وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا اى كفافا كما جاء في الرواية الاخرى ويعني به ما يقوت الابدان ويكف عن الحاجة والفاقة وهذا الحديث حجة لمن قال ان الكفاف افضل من الغنى والفقر وقد تقدمت هذه المسألة في الزكاة ووجه التمسك بهذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم انما يدعو لنفسه بافضل الاحوال وايضا فان الكفاف حالة متوسطة بين الغنى والفقر وقد قال صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وايضا فان هذه الحال سليمة من آفات الغنى وآفات الفقر المدقع فكانت افضل منهما ثم ان حاله صاحب الكفاف حالة الفقير اذ لا يتوقع في طيبات الدنيا ولا في وفورها ما كانت حالة الى الفقر اقرب فقد حصل له

رجع

وهي اسرعها اذ لم يحن بعد الخلاص من سلك سبيلهم واقتدى بهم في عاجل احوالهم غير مؤد لاجر هو معدود منهم وداخل في زمرتهم ان شاء الله وقوله ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بماذا ترجع اليم البحر وهو مثل لحقارة الدنيا وقلتها وهو نحو قول الله تعالى قل متاع الدنيا قليل اى كل شيء يتمتع به من الدنيا من اولها الى اخرها قليل اذ لا بقاء له ولا صفو فيه وهذا بالنسبة الى نفسها واما بالنسبة الى الاخرة فلا خطر ولا قدر للدنيا وهذا هو المقصود بتمثيل هذا الحديث حيث مثل فلينظر بماذا يرجع ووجه هذا التمثيل ان القدر الذي يتعلق بالاصبع من ماء البحر لا قدر له ولا خطر وكذلك الدنيا بالنسبة الى الاخرة وقوله مثل الموشي كخامة الزرع الخامة هي الغضة الرطبة من النبات وانشد ابو عمر

انما نحن مثل خامة زرع ممتهان باتت تحصره

وتميلها الرياح اى تردها من جانب الى جانب وقد بين ذلك بقوله تصرعها مرة وتعدلها اخرى وصوابه تفيئها بضم الياء وكسر الفاء وتخفيف الياء والهمز فانه يقال انماث الشيء ذاب وفاء هو في نفسه ومن قال الفاء وشدد الياء فقد اخطأ لانه انما يقال في ياء الشجرة يعني اذا اظهر فيها الخبر والارزة شجرة الصنوبر وسميت بذلك لثبوتها يقال شجرة ارزة اى ثابتة في الارض وقد ارزت تأرز ويقال للناقة القوية ارزة والحمولة على اصلها القليمة الرخوة وهذا مثل للغالب من المؤمنين والغالب من الكافرين وحكمة الله في ابتلاء المؤمنين في الدنيا ان يعذبهم فيها ويخلصهم من تبعاتها وان يوفر حظوظهم في الاخرة وعكس ذلك في الكفار والمنافقين وفائدة هذا الحديث اجتناب المصائب والصبر عليها

ما حصل للفقير من الثواب على الصبر وفي مرارته وانه لا يقال
فتركت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر الشديد المدقع
كما ذكر لتعلله احاديث هذا الباب وغيرها الا ترى انه يهوى الامام
ولا يشبع يومين متواليين ويشد على بطنه الحجر من الجوع والحجر من
ولم يكن له سوى ثوب واحد فاذا غسله انتظره الى ان يجف وربما
خرج وقيمته تنفع الحاضرين مات ودرعه مرهونة في شعير لاهله ولم
يخلف دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا اجالة في الفقر
اشد من هذه وعلى هذا فلم يكن حاله الكفاف بل الفقر فلم يحبه الله
تعالى في الكفاف لعلمه بان الفقر افضل له لانا نقول ان الذي لله
عليه وسلم قد جمع له حال الفقر والغنى والكفاف وكانت اول
احواله الفقر مبالغة في مجاهدة النفس وفي ما بقي من الوقات
عادتها حصلت له سلامة ملكها وتخلص له خلاصة سببها
فخيره الله في ان يجعل له جبال تهامة ذهبا تسير معه حيث سار
فلم يلتفت اليها وجاءته فتوحات الدنيا فلم يفرح عليها بل صرفها
وانصرف عنها حتى قال مالي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود
فيكم وهذه حالة الغنى الشاكر ثم اقتصر من ذلك كله على قدر ما يرد
ضرورات نفسه وضرورات عياله ويرد حاجتهم فاقتنى ارضه تجبر
وكان يدخر قوت عياله ويدخر لهم سنة فاندفع عنه
الفقر المرتفع وحصل الكفاف الذي عابه ثم انه لما احتضر
وقت تلك الارض على اهله ليتروح لهم ذلك الكفاف الذي ارتضاه
لنفسه وليتظهر اجابة دعوته حتى لا هل من بعده وعلى ذلك نهج
نهج الخلفاء الراشدين من على ما تدل عليه سيرهم واخبارهم وعلى هذا

فاهل الكفاف هم صدر كتيبة الفقراء الداخلين الجنة قبل الاغنياء
بخمس مائة عام لانهم وسطهم والوسط العدل وليسوا من الاغنياء
كما قرر ناه فاقتضى ذلك ما ذكرناه والله اعلم وقول الرجل
لعبد الله بن عمرو الستا من الفقراء سؤال تقرير وكانه سال
شيئا من الذي اثنى قال الله فيه للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وكان ذلك
الرجل قال الستا من الفقراء الذين يستحقون من الفيء سهما بنص
القرآن وكانه الجأه لذلك مع ذلك التفات الى الفقر المهاجرين
وتحجج به فاجابه عبد الله بما يكسر ذلك منه ويزيل آفة الالتفات
الى الاكمال بما تقتضي ان الاحق باسم الفقراء المهاجرين من كان متجردا
عن الاهل والمسكن كما كان حال اهل الصفة في اول الامر وهذا
معنى هذا الحديث الى نحو قوله صلى الله عليه وسلم ليس المتربص
وليس المسكين بالطواف فكان عبد الله قال له ليس الفقير
المهاجري الذي يجوز له زوجة ومسكن وانما الفقير المتجرد عن
ذلك ولم يرد ان من كان فقيرا مهاجرا له زوجة ومسكن
انه لا يسمى من الفيء شيئا لان صاحب العيال الفقير اشد فاقة
وحاجة لانه خلاف ما وقع لهم فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم
بحسب فاقتهم وحاجتهم ويفضل في العطاء من له عيال على من ليس كذلك
وذلك فعل الخليفتين من بعده على ما هو المعلوم من حالهما وان حمل قول
عبد الله على ظاهره لزم عليه ان من كان له زوجة ومسكن لا يعد ذلك
لم يعد من الفقراء المهاجرين الذين وصفهم الله تعالى الذين يبتغون
الى الجنة فيلزم ان لا يكون ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي من الفقراء

السابقين الى الجنة وذكل بأهل فقعا وقوله أثبت بن الملوذ لما اخبره
ان له خادما على جهة الاخبار والمبالغة لا انه الحقه بالملوك حقيقة
ولا بالاغنياء ولا سلبه ذلك اسم الفقر اذ لم يكن له غير ما ذكر والله اعلم
وقوله جاء ثلاثة نفر الى عبد الله بن عمرو ٥ هذه قضية اخرى
غير القضية المتقدمة وان اتفق اوقاتها فانها من رواية ابي عبد الرحمن
الجيلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص لان هذا وان الثلاثة وذلك واحد
والان مقصوده من هذا الحديث غير مقصوده من الاول وذلك ان
هذا والثلاثة شكوا اليه شدة فاقتهم وانهم لا شيء لهم فخيرهم
بين الصبر على ما هم فيه حتى يلقوا الله يتحملون على ما وعدهم الله
به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من السبق الى الجنة قبل الناس
كلهم وبين ان يرفع امرهم الى السلطان فيدفع لهم ما يغنيهم وبين ان
يواسيهم من ماله فاختار القوم البقاء على الحالة الاولى من الصبر
على مضض الفقر وشدته وبينهم من هذا الحديث ان مذهب عبد الله
وهذا والثلاثة ان الفقر المرفع والتجرد عن المكتسبات كلها
افضل وقربة اتفاقا ان المسئلة مسألة خلاف وان الكفاف افضل
على ما ذكرناه اتفاقا وقوله صلى الله عليه وسلم ان فقراء المهاجرين
يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا ٥ هذا الحديث
اختلفت الفاظ الرواة فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى عبد الله بن عمرو
الحديث المتقدم وروى الترمذي من حديث ابي سعد الخدري كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم
بخمس مائة عام قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وروى ايضا
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل

فقراء الجنة قبل الاغنياء بخمس مائة عام بنصف يوم ٥ قال هذا حديث
حسن صحيح وفي طريق اخرى يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف
يوم وهو حسن صحيح عام وقال حديث حسن صحيح ٥ وروى ايضا عن جابر
ان عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء المسلمين
الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا قال هذا حديث حسن صحيح ٥ فاختلفت
هذه الاحاديث في اي الفقراء هم السابقون وفي مقدار المدة التي بها
يسبقون فهذان موضعان ويرتفع الخلاف عن الموضع الاول
بان يرد مطلق حديث ابي هريرة الى مقيد رواية الاخرى وفي رواية
جابر رضي الله عنه فيعني بالفقراء فقراء المسلمين وحينئذ يكون حديث
عبد الله بن عمرو وحديث ابن سعد مخصوصا بفقراء المهاجرين وحديث
ابي هريرة وجابر رضي الله عنهما يعم جميع فقراء المسلمين فيدخل الجنة
فقراء كل قرن قبل اغنيائهم بالمقدار المذكور وهذه طريقة حسنة
ويزيدها وضوحا بما فرح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اصحاب
الجد محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار يسألون عن طول اموال
كانت بايديهم وهذا واضح واما الموضع الثاني فقد تقدم ان الخريف
هو العام هنا واصل الخريف فصل من فصول السنة وهو الفصل
الذي يخترف فيه الثمار اي تجتنى فيه فسمي العام بذلك ويمكن الجمع
بين الاربعين وحديث الخمس مائة عام بان سباق الفقراء يسبقون
سباق الاغنياء باربعين عاما وغير سباق الاغنياء بخمس مائة عام
اذ في كل صنف من الغريقين سباق والله اعلم وهذه الاحاديث
محمة والاجماع على تفضيل الفقر على الغنا ويتقرر ذلك من وجهين احدهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا لجبر كسر قلوب الفقراء ويهون

عليهم ما يجرونه من مرارة الفقر وشدايده بمنزلة تحصل لهم في الدار
الاخرة على الغنى عوضا لهم عما مروا به من الدنيا وصبرهم ورضاهم
بذلك وثانيهما ان السبق الى الجنة ونعيمها اولى من التاخر
عنها بالضرورة فهو افضل وثالثها ان السبق الى الفوز من
اهوال يوم القيامة والصراط اولى من المقام في تلك الاهوال
بالضرورة فالسابق الى ذلك افضل بالضرورة
وحينئذ لا يلتفت لقول من قال ان السبق الى الجنة لا يدل على
الافضلية السابق ورد ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم افضل
الخليقة ومع ذلك فدخوله الجنة متاخر عن دخول هؤلاء الفقراء
لانهم يدخلون قبله وهو في ارض القيامة ثانية عند الميزان
وثالثة عند الصراط ورابعة عند الحوض كما قد اخبر عن كل هذا
فتبين عنه وهذا قول باطل صدر ممن هو بما ذكرناه وبالنقل
جاهل فكانه ليس بمسلم فانتقام في كتاب الايمان من قوله صلى الله عليه
وسلم انا اول من يقرع باب الجنة فيقول الخازن من انت فاقول
انا محمد فيقول الخازن بك امرت لا افتح لاحد قبلك وفي حديث اخر
انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من يدخل الجنة ومعي فقراء
المهاجرين وعلى هذا فدخل الجنة مرتبتان ما اعز له فيها
ويبوء الفقراء منازلهم ثم يرجع الى ارض القيامة ليخلص امته
بمقتضى ما جعل الله في قلبه من الحنو على امته والشفقة عليهم
والرافة بهم فيلازمهم في اوقات شدايدهم ويسعى بهم كالجنة
في تجارتهم فيحضرهم عند وزن اعمالهم ويسقيهم بحوضه ويذود عنه
لهم بالسلامة عند جوازهم ويشفع لمن تحل النار منهم وهو مع

ذلك في اعلى نعيم الجنة الذي هو غاية القرب من الحق والحظوة
الذي لم ينله احد غيره من الخلق ولذة النظر الى وجه الكريم وسماع
كلامه الكريم بالطف خطاب واكرم تكليم كيف لا وهو يسمع
يا محمد قل يسمع لك سل تعط اشفع تشفع فيقول امتي امتي
امتي فيقال ادخل الجنة من امتك من لا حساب عليه
من الباب الايمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب
بها العبارات والخيط
بها الاشارات حشرنا الله في زمرته ولا اخلانا من شفاعته
قال القاضي ابو الفضل ويحتمل ان يكون السابقين الى الجنة
يتنعمون في اقنيتها وظلالها وينالون من ثمارهم ونعمها الى ان يدخل
محمد صلى الله عليه وسلم بعد تمام شفاعته ثم يدخلونها معه على قدر
منازلهم وسبقهم والله اعلم قال القاضي ابو العباس المصنف
وهذا الاحتاج الى تقديره لان الذي هو فيه من النعيم بما ذكرناه اعلى
واشرف مما هم فيه فلا يكون سبقهم لاحد النعيمين اشرف
ممن سبق الى الاخر منهما وهذا واضح ومن باب كرامة
من تورع بالكف والاجتهاد في العبادة وفي التواضع الفلاة من الارض هي
القفر والحديقة البستان وسميت بذلك لانها احدقت بها حواجز
قالوا واصله كل ما احاط به البناء والحديقة ايضا القطعة من
النخل والجرة ارض ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار
والشرجة مسيل الماء وهي بفتح الشين وسكون الراء وجمع شراج
وشروج ومن قال شرجة بضم الراء فقد اخطا المعروف من اللغة
واستوعب حمدته سمع الماء الى نبعه وقوله فتحي دلل السحاب
اي احمر وقصر والنجوى اصله ما اقتصر به من الحديث دلل

على صحة القول بكرامات الاولياء وان الولي قد يكون له مال وضيعة
فلا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا
الى الدنيا لما قدمناه من ان المقصود بالنهي انما هو من اتخذها مستكثرا
ومتنعما وفي تمنعا بزهرة الدنيا لما يخاف عليه من الميل الى الدنيا
والركون اليها واما من اتخذها تعاشا يصون بها دينه وعياله
فاتخاذها بهذه النية من افضل الاعمال وهي من افضل الاموال
وقوله للسبي صلى الله عليه وسلم ادخل سرا ان استطعت فعله
ويحمل مشقته وهذا اخبره منهم لمن انه انما يقتل الله خوفا
من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة من غير له لاحتياج الى ذلك
التكلف فاما دهم النبي صلى الله عليه وسلم ان هناك طريقا اخر
لعباده وهو الشكر على مغفرته للذنوب وايصاله نعمه
لمن لا يحصى عليه منها شيئا فيتعين الشكر على ذلك هم الشكور قد
قلنا انه اعتراف بالنعمة وقيام بالحرمة ممن شرحه قال وتكرر
منه سمي الشكور ولذلك قال الحليم الغفور وقليل من عبادي
الشكور وقوله سددوا وقاربوا وابشروا اي سددوا في الاعمال
اي اعملوها مسددة لا غلو فيها ولا تقصير وقاربوا في ازمانها
بحيث لا يكون فيها قصور ولا تطويل وابشروا على ذلك بالثواب
العباد
الكثير والخير الجزيل وقوله فانه لن يدخل الجنة احدا عمله اي ان
اعمال الصالحة ليست مما تقتضي دخول الجنة او ليست في نفوسها
على صفات تقتضي ذلك ولا يسخى المكلف على الله بسببها شيئا اذ لا
منفعة له فيها ولا غرض فانه الغني بذاته الذي لا يستغني عنه
وكان هذا نص في الرد على اهل البدع والمعتزلة في قولهم وقاعدتي

التحسين والتقبيح والاستحقاق للمكلفين وغيرهم ولا انت
فانهم وقع لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعظيم معرفته بالله
وكثرة عباداته انه يجب بعمله فردا النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك بان قال لا انا الا ان يتغمدني الله برحمة وفضل يستوفي
بيمنه وبينهم وذلك المعنى واخبر انه عن فضله ورحمته لا بسببي
وقوله ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي
تقبض التكبر والتجبر هو الترفع على الغير فالتواضع هو
الانخفاض عن الغير وحاصله ان المتكبر يرى لنفسه مزية على الغير
تحمله على احتقاره والمتواضع لا يرى لنفسه مزية بل يراها
لغيره بحيث تحمله ذلك على الانخفاض له فرأى لحقه ولاشك
ان التكبر مذموم منه كفر وهو الكبر على الله وعلى انبيائه
وما عداه من الكبائر والتواضع ايضا منه اعلاه وادناه فالاعلى
هو التواضع لله تعالى ولكتابه ولرسوله والادنى هو ما عداه والله اعلم
وقد تكلمنا على ذلك فيما تقدم

كتاب ذكر الموت

قوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن
بالله اي استحضروا الاعمال الصالحة والاداب الحسنة التي يرجى
العامل لها قبولها وتحقق ظنه برحمة ربه عند فعلها
فان رحمة الله قريب من المحسنين وعفابه محوف على العصاة والمذنبين
وقد قلنا ان حسن الظن بغير عمل غرة كما قال صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وهذا انما يكون في حال الصحة والقوة على العمل
واما في حال حضور الموت فليس ذلك الوقت وقتا يقدر فيه على

استبعادات عمل غير الفكر في سعة رحمة الله وعظم فضله
والله لا يتعاظمه ذنب يغفره وإنه الكريم الحليم الغفور الشكور
المنعم الرحيم ويذكر بآيات الرخص وأحاديثها لعل ذلك
يقع بفهمه فيحب الله تعالى فيحكم عليه بذلك فيلقى الله تعالى
وهو يحب الله تعالى فيحشر في زمرة المحبين بعد أن كان في
زمرة الخطائين ويستمد له قوله يبعث كل عبد على ما مات
عليه وقوله إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان
فيهم ثم بعثوا على نياتهم يعني إذا أراد الله أخر قوم
بما ظهر فيهم من المنكر أهلك جميعهم بعذاب يرسله على جميعهم
صالحهم وطالحهم فأما تعذيب الصالح فتكفير له في درجاته
وتكثير لثوابه ثم يختم على نيته الصالحة فتنزل له الصفة
الرابحة وأما تعذيب الطالح فانتقام منه والمؤخر له أعظم
من الواقع به وهذا نحو مما قالته عائشة رضي الله عنها
أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث

ومن عرض مقعد الميت عليه ٥ قوله إذا مات أحدكم
عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ٥ هذا مما صلى الله عليه
وسلم إخبار عن غير الشهداء فإنه قد تقدم أن أرواحهم في حواصل
طير تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها وغير الشهيد إما مؤمن
وإما غير مؤمن فغير المؤمن هو الكافر فهذا يرى مقعده من النار
غدوا وعشيا وهذا هو المعنى بقوله تعالى النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب
وأما المؤمن فلما أن لا يدخل النار أو يدخلها بذنوبه فالأول

يرى مقعده من الجنة لا يرى غيره رؤية خوف وأما المؤمن المؤاخذ
بذنوبه فله مقعدان مقعد في النار ومن تعذيبه ومقعد
في الجنة بعد إخراجه فهذا يقتضي أن يعرضا عليه بالغداة
والعشي إلا أن قلنا إنه أراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيف
ما كان فلا يحتاج إلى ذلك التفسير والله أعلم وهذا الحديث
ومعناه يدل على أن الموت ليس بعدم وإنما هو انتقال من
حال إلى حال ومفارقة الروح للبدن ويجوز أن يكون هذا
العرض على الروح وحدها ويجوز أن يكون عليه مع جزء من البدن
والله أعلم بحقيقة ذلك والغداة والعشي إنما هما بالنسبة
إلى الحي لا بالنسبة إلى الميت إذ لا يتصور في حقه شيء من ذلك
وقوله لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر
الذي أسمع منه ٥ فيه تقديم القول على عذاب القبر وأنه مما يجب
الإيمان به وترجيح الأخبار عنه من الكتاب والسنة وإجماع
سلف الأمة ولا التفات لاستبعاد المبتدعة فإن الإمكانات
متسعة والقدرة صالحة وامتناع التدافن لو سمع عذاب
القبر كما يدعون سببه غلبة الخوف عند سماعه فيغلب الخوف
على الحي فلا يقدر على قرب القبر للدفن أو يهلك الحي عند سماعه
إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار فليس سماعه
بمهلك السامع لضعف هذه القوى في هذه الدار ألا ترى أنه إذا سمع
الناس صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة هلك كثير من
الناس وأن صعقة الرعد من صعقة التي تضربه الملائكة بمطارق
الحديد التي يسمعها كل من يليه إلا الثقلين وقد قال صلى الله عليه وسلم

لو سمعها انسان لصعق وقوله ان العبد اذا وضع في قبره وتولى
عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم هذا نص في ان الميت يسمع وقد
تقدم الكلام في هذا وفي انكار عائشة اياه على ابن عمر في كتاب
الجنائز وقوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار اي لو لم تؤمن
ولم تقم بحجتك فتراه لكي يزيد به حسرة كما قمت بحجتك
وقوله فيراهما جميعا بدل على ان رؤيته لهما حقيقة بالعين وعلى
هذا فيحيى الميت في قبره حياة محققة بحيث يرى ويسمع ويسأل ويتعلم
وعلى هذا تدل ادلة الكتاب والسنة في غير ما موضع والحكمة
في ان الله تعالى يريه ايانا ليعلم قدر نعمة الله فيما صرفه عنه
من عذاب جهنم وفيما اوجب له من كرامة الجنة وقوله فيفسح
له في قبره اي يوسع له فيه سبعون ذراعا فيحمل البقاء على
ظاهره ويكون معناه انه ترفع الموانع عن بصره فيبصر
مسافة مقدارها سبعين ذراعا حتى لا تناله ظلمة القبر
ولا ضيقه متى رد روحه اليه ويحتمل ان يكون ذلك كله استعارة
عن سعة رحمة الله له واكرامه اياه والاول اولى والله اعلم
وقوله وملئا عليه خضرا اي نعما غضة ناعمة واصله من خضرة
الشجر والخضر بكسر الضاد اسم جنس للنبات الرطب الاخضر
وقوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الاخرة اي يثبتهم في هذه الدار على التوحيد والايمان بالنبي
صلى الله عليه وسلم حتى يميتهم عليه وفي الاخرة عند المسائلة
في القبر كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم فان كان اسي صلى الله عليه
وسلم قاله فهو المقصود وان كان من قول البراء فقد لا يقوله

فيبصر

احد من مثل نفسه ورأيه فهو محمول على ان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله وسكت البراء عن رفعه لعلم المخاطب بذلك والله اعلم وقد
قيل عن البراء وقد نقل عن البراء انه قال هما سؤال القبر وسؤال
القيامة يعني يبرز المؤمن فيهما الى الصواب ويصرف الكافر
عن الجواب وقوله ويضل الله الظالمين اي يخذلهم عند السؤال
قاله قتادة وقوله ويفعل الله ما يشاء اي لا محجر عليه فيما
يفعل فيهدي من شاء ويضل من شاء ويخذل وقوله صلى الله عليه وعلى جسد
كنت تعمره الصلاة هنا بمعنى الرحمة وهذا يدل على ان الروح
كالساكن في المنزل فهو عامر ومدبر وتغاير الروح
من قبيل الجواهر وانها داخلة في الجسد وغيرها على الارواح
وقوله فينطلق به الى ربه اي الى كرامة ربه او الى محل اكرام
ربه له وآخر الاجل يوم القيامة والرنطة الملاءة التي لبست
لفقتش وقوله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا هذا
من عمر رضي الله عنه استبعاد على حكم ما جرت به العادة فاجابه
النبي صلى الله عليه وسلم بانهم يسمعون كسمع الاحياء فيجوز ان يكون لكل
منهم دائما غير انه منع الاحياء بين ادراك ذلك من الميت ويجوز
في بعض الاوقات وقد تقدم استيفاء هذا المعنى في الجنائز والرواية
جيفوا بفتح الجيم والياء مبني للفاعل ومعناه انتنوا فصاروا
جيفا وصاديد قريش ساداتها واجلهم صنديد والطوي
البئر المطوية وهي الرضي ايضا وقد سامح من اطلق على القليب خويا

ومن باب الحشر وكيفيته

الحشر الجمع وسنه قوله
تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا والعزل جمع اعزل وهو الاقلف

وهو ما لم يختن من الرجال

والغرلة والقلفة ما يقطعه الخاتن وقوله كما بدانا أول خلق
نعيده اى نعيده على خلقته الأولى لا ينقص منها شئ وقوله
الا ان اول الناس يكسى يوم القيامة ابرهيم صلى الله عليه وسلم
هذا يدل على ان الناس كلهم الأنبيا وغيرهم يحشرون عراة
كما قال في الحديث المتقدم وان اهل السعادة يكسون من ثياب
الجنة ولا شك في ان من كسي من ثياب الجنة فقد لبس جلده بقيته
مكارة الحشر وعرقه وحر الشمس والنار وغير ذلك وظاهر قوله
يقتضي ان ابرهيم يكسى قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيجوز ان يكون
هذا من خصايص ابرهيم كما قد خص موسى صلى الله عليه وسلم بان النبي
صلى الله عليه وسلم يجده متعلقا بساق العرش مع ان النبي صلى الله
عليه وسلم اول من تنشق عنه القبر ولا يلزم من هذا ان يكون ابرهيم
افضل منه مطلقا بل هو افضل من وافى القيامة وسيد ولد
ادم كما دل له عليه فيما تقدم ويجوز ان يراد بالناس من عداه
من الناس فلم يدخل تحت خطاب نفسه والله اعلم وقد تقدم القول
على قوله انهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقهم وقوله يحشر الناس على ثلاث
طرايق اثنين مشاة وراكبين وهي الطرايق الاحوال المختلفة والفرق
المتفرقة ومنه قوله تعالى كنا طرايق قددا اى فرقا مختلفة
قال القاضي هذا الحشر هو في الدنيا قبل قيام الساعة وهو اخر
اشراطها كما ذكره مسلم بعد هذا في ايات الساعة قال فيه
وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وفي رواية
تطرد الناس الى محشرهم وفي حديث آخر لا تقوم الساعة حتى
تخرج نار من ارض وبذا انها قبل يوم القيامة فقوله فتقيل

معهم حيث قالوا وتمشي معهم حيث امسوا وتبيت معهم حيث اصبحوا
قال وفي بعض الروايات في غير مسلم فاذا سمعتم بها فاخرجوا
الى الشام فانه اسرع بسبقها اليه قبل ان تاخذها لهم وقد
قال الازهري في قوله اول الحشر ان الحشر الاول الى الشام
اجلا بني النضير عن بلادهم الى الشام قال الشيخ رحمه الله
وعلى هذا فيكون معنى ناجين في لقا الله وثوابه
وهداه ولهم المؤمنون الذين وسموا باسم الايمان وقوله باسم
اي خايبين يعني بهم الكفار الذين وسموا باسم الكفر وذلك
اذا طبع على كل قلب بما فيه عند طلوع الشمس من مغربها
واذا خرجت دابة الارض فتخطم في وجوه الناس ما تسم في
وجه المؤمن مؤمن ومن في وجه الكافر كافر على ما ياتي ان شا الله
تعالى ومن باب دنو الشمس من الخلايق يوم القيامة والمحاسبة
قوله ترتمي الشمس يوم القيامة اي تقرب والميل اسم مشترك
بين مسافة الارض والمرود الذي يكتحل به العين والاول اشكل
المراد على سليم بن عامر والاول به هنا مسافة الارض انها
اذا كان بينها وبين الرؤس مقدار المرود فهي متصلة
بالرؤس لقلة مقدار المرود وقوله ويكون الناس في العرق
على قدر اعمالهم فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى
ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق
الجاما وقد تقدم ان الحقوين الخصران وقيل هما طرفا الوركين
والاول المعروف وهذا العرق انما هو لشدة الضغط
وحر الشمس الذي على الرؤس بحيث تغلي منها الهوام وحرارة

الانفاس وحرارة النار المحرقة بارض المحشر ولا تفا تخرج منها
اعناق تلتقط الناس من الموقف فتريح وهو بة الابدان
من كل انسان بحسب عمله ثم تحمم عليه ما تريح منه بعد ان يخوض
عرقهم في الارض مقدار سبعين باعا او ذراعا او عاما
على اختلاف الروايات فان قيل فعلى هذا يكون الناس في مثل
البحر من العرق فيلزم ان يسبح الكل فيها سباحا واحدا وكيف
يكون فيه متفاضلين بعضهم الى عنقه وبعضهم الى فمه
وما بينهما قلنا يزول هذا الاستبعاد بامور احدها
احدها ان يخلق الله ارتفاعا في الارض الى تحت قدم كل
انسان بحسب عمله فيرتفع عن الارض بحسب ارتفاع ما
تحته وثانيها ان يحشر الناس جماعات في تعرقه فيحشر كل
من بلغ عرقه الى كعبيه في جهة وكل من بلغ كعبيه في جهة
وهكذا والقدرة صالحة لان مسك عرق كل انسان عليه
بحسب عمله فلا يتصل بغيره وان كان بازايه كما قد امسك
جرية البحر لموسى صلى الله عليه وسلم حيث فلق لقا الخطر
ولبني اسرائيل لما اتبعهم فرعون والله اعلم بالواقع من هذه
الاوجه والحاصل ان هذا المقام مقام هائل لا تفي بهوله
العبارات ولا يحيط به الاوهام والاشارات وابلغ ما نطق
به من دلك الناطقون قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون وقوله
من حوسب يوم القيامة عذب يعني حساب مناقشة ومطالبة
كما ثبت في اللفظ الاخر من نوقش الحساب والمناقشة الاستقصاء
في المطالبة بالجليل والحقير والصغير والكبير وترك المسامحة

في شيء من ذلك قال الهروي يقال انتقشت منه حتى استقصيته
منه وقوله عذب ظاهره عذاب النار جزاء عن سيئاته ما ظهر
حسابه ويدل على ذلك قوله هلك اي بالعذاب في النار ويجوز
ان يكون عذاب بعض من ناقش نفس المناقشة وما يلازمها من
التوبيخ واللوم ثم يغفر الله كما جاء ان بعض الصالحين رؤي في
النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبنا فدققوا
ثم سوفوا فاعتقوا واعتراض عايشة رضي الله عنها بقول الله
تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا انما حملها عليه انها
سمعت بظاهر لفظ الحساب لانه يتناول القليل والكثير ولو
سمعت لفظ المناقشة لما وقع لها ذلك والله اعلم وقوله
انما ذلك العرض يعني ان الحساب المذكور في الاية انما هو
ان تعرض اعمال المؤمن عليه ويوقف عليها تفصيلا حتى يعرف
منة الله تعالى عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها
في الاخرة كما في حديث ابن عمر الاتي بعد هذا وقوله لا يزول
قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن اربع عبر هنا يراد به العموم
لانه نكرة في سياق النفي لا كنه مخصص من لا حساب عليه
وهم الزمرة السابقة الى الجنة اولا المزين بقال النبي صلى الله
عليه وسلم فيهم أول زمرة تدخل الجنة من امتي سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب
الايمن بقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي
والاقدام ويؤيد هذا ما قد رجح في الحديث انه يخرج من النار
عنق فيصول وكلت بكل جبار وكان المراد هذا الجنس
الاكثر من الناس والله اعلم وقوله عن عمره فيما افناه

وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ما عمل فيه وعن ماله من أين
اكتسبه وفيما أنفقه ظاهره أنه يسأل عن هذه الأربعة جملة
كما نطق بها وليس كذلك بل يسأل عن آحاد كل نوع منها
فيسأل عن أزمانه من وقت تكليفه زمانا زمانا وعما عمل
عملا عملا وعن معلوماته وما عمل بها واحدا واحدا وهكذا
في سائرها تعميما وتحريرا وتفصيلا والدليل على ذلك قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقالوا يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
إلا أحصاها وقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا
تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا
حاسبين ومثل هذا كثير في الشريعة ومن تصفح ذلك حصل على العلم
القطعي واليقين الضروري من ذلك وقوله يؤتى الموسر بربه
يوم القيامة هذا إدناه تقريب وإكرام لا إدناه مسافة وكان
ويحتمل أن يكون من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
كما قالوا واسأل القرية أي أهلها وقوله حتى يضع عليه كنفه أي
ستره وجناح إكرامه وكنفه فيحاسبه خطاب الملاطفة
ومناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول هل تعرف فيقول
بلسان الفرح والاستبشار رب أعرف فيقول الله له ممتنا
عليه ومظهرا فضله لعبده فإني سترتها عليك في الدنيا وإني لم
أفضحك بها بين الخلائق ولم أطلعهم على شيء منها ويحتمل أن
يكون معنى ستره إياها أنه ترك المؤاخذة عليها أدلّ وأخزه
بها لفضحت العقوبة الذنب كما افتضحت ذنوب الأمم السالفة بسبب

العقوبات التي وقعت بهم فسارت بذنوبهم وعقوبتهم الركبان
وعلمها كل إنسان وهل هذه الذنوب كبائر وصغائر أو صغائر
فقط وهل كان تاب منها أو لم يتب من هذه مباحث تظهر وقد أشرنا
إلى نكت منها فيما تقدم ومن باب حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات هذا من التمثيل الرائع موقعه ومن
الكلام البليغ الذي انتهى نهايته وذلك أنه مثل المكاره بالحفاف
وهو الزابر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إلى ذلك الشيء إلا بعد
أن يتخطى وقابله هذا التمثيل أن الجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز
المكاره وبالصبر عليها وأن النار لا نجى منها إلا بترك الشهوات
وقهر النفس عنها وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه مثل طريق
الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال طريق الجنة حزن بربوة وطريق
النار سهل بسهوة والحزن هو الطريق الوعر المشكل والربوة
المكان المرتفع وأراد به أعلى ما يكون من الروابي والسهوة
بالسين المهملة وهي الموضع السهل الذي لا علة فيه ولا وعورة
وهذا أيضا تمثيل حسن رائع موقعه وقد تقدم القول على أحاديث
عياض في كتاب العلم وقوله إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم
إلا بقايا من أهل الكتاب نظر بمعنى أبصر والمقت أشد البغض
وأراد بالعجم هنا كل ما لا يتكلم بكلام العرب وبقي بذلك قبل بعثة النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك أن كلا الفريقين كان يعبد غير الله أو يشرك
معه غيره وكان الكل ضلالا عن الحق خارجين عن مقتضى العقول
والشرائع فأبغضهم الله لذلك أشد البغض لكن لم يعاجلهم بالانتقام
منهم حتى أعذر إليهم بأن أرسل إليهم رسولا وأنزل عليهم كتابا فهفا

لمعاذيرهم واظهار الحجة عليهم وانما استثنى البقايا من اهل
الكتاب لانهم كانوا متمسكين بالحق الذى جاءهم به نبيهم ويعنى
بذلك والله اعلم من كان فى ذلك الزمان فمتمسكا بدين المسيح لان من
كفر من اليهود بالمسيح لم يبق على دين موسى ولا متمسكا بما فى
التوراة ولا دخل فى دين عيسى فلم يبق احد من اليهود متمسكا بدين
حق الا من آمن بالمسيح واتبع الحق الذى كان عليه واما من لم يؤمن به
فلا تنفعه يهوديته ولا تمسكه بها لانه قد ترك اصلا عظيما مما
فيها وهو العهد الذى اخذ عليهم فى الايمان بعيسى وكذلك نقول
ان كل نصرانى بلغه امر نبينا وشرعنا فلم يؤمن به لم تنفعه
نصرانيته لانه قد ترك ما اخذ عليه من العهد فى شرعه ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يسمع بى احد من هذه الامة
يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من
اصحاب النار وقوله انما بعثتك لابتليك وابتلى بك اى لامتحنك
بتبليغ الرسالة والصبر على معاناة اهل الجهالة وامتحن بك اى من
آمن بك واتبعك اتبينه ومن كذبك وخالفك انتقمت منه وعاقبته
وقوله وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء اى يسرت تلاوته وحفظه
فحفظ على الالسنة ودعته التلوة فلو غسلت المصاحف كلها لما
انفسل من الصدور ولما ذهب من الوجود وليشهد لذلك قوله تعالى انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر وفى الاسرائيليات ان موسى صلى الله عليه وسلم قال يا رب
انى اجد امة بخير انا جلها فى صدورها فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد
وقوله تقرؤه نائما ويقظانا وكذلك ان يريد بذلك انه يوحى اليه

القرآن فى اليقظة والمنام وقد تقدم ان رؤيا الانبياء حق وكذلك ان
يكون معنى نائم هنا مضطجعا يعنى فى صلاة المريض فالله اعلم
وفيها بعد وشبه منها ان شاء الله ان الله تعالى يسره على لسان نبيه
وذكره حيث كان يقرؤه تاما كما كان يقرؤه منتبها لا يخل منه
حرف لا سيما وقد كان صلى الله عليه وسلم تمام عنايته وقلبه يقظان
وقد شاهدنا المدرسين على تكرار القرآن يقرؤن منه الكثير وهم نيام
وذلك قبل استحكام غلبة النوم عليهم وقوله ان الله امرنى ان احرق
قريشا اى اخبتهم بما استعلم من الحق الذى خالف اهواءهم وما علم
قلوبهم بعيب آلهتهم وتسفيه احلامهم وما بهم وقتالهم ومقاتلتهم
حتى فانى احرق قلوبهم بالنار ولا يصح ان يحمل ذلك على ظاهره لان النبى
صلى الله عليه وسلم لم يصح عنه انه حرق احدا من قريش بالنار بل نهى
عن التعذيب بالنار وقال لا يعذب بالنار الا الله وقوله فقلت
اذا يثلغوا راسى فيدعوه خبزة هو الرواية الصحيحة المشهورة
بالثاء المثلثة والغين المعجمة ومعناه يشدخوا كما له الهروى وقال
غيره الثلغ شدخك الشئ الرطب باليابس وروايه العذرى يقلعوا
بالقاف والعين المهملة ولا يصح مع قوله فيدعوه خبزة ومعنى هذا
انه شبه الراس اى الشيخ بالخبزة اذا شدخت لتشرد قال الشيخ
رحمه الله مقر الذى قاله النبى صلى الله عليه وسلم من نحو ما قاله موسى
صلى الله عليه وسلم حين امر بتبليغ الرسالة الى فرعون فقال رب
انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هارون
ولهم على ذنب فاخاف ان يقتلون فهذا صريح فى انها خافا غير الله وحينئذ
يعارضه قوله تعالى فى وصفه الرسل الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه

يخشونه ولا يخشون احدا الا الله وهذا نص في ان الرسل لا تخشى الا الله وهذا هو المناسب لمعرفتهم بالله وانه ليس في الوجود فاعل ولا خالق الا هو وخصوصا لاولي العزم من الرسل وخصوصا لمحمد وموسى على الله عليهما وعلى جميع الانبيا وبترتيب التعارض بين الجهتين احدهما ان ذلك الخوف كان منهما في بدايتهم قبل تمكنهم والعلم بحمد عواقب الامور وقبل تاهبهم فلما امنوا وامنوا لم يخشوا الا الله ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره يحترس وهو في منزله فلما انزل الله تعالى والله يعصمك من الناس اخرج راسه اليهم فقال اذهبوا فقد عصمني ربي وثانيهما على تسليم ان يكون ذلك منهم وغيره بدايتهم لكن ذلك الخوف هو الذي ينفك البشر عن مجانبته ويقع بادرته حتى اذا راجع الانسان عقله وتدبر امره اضمحل ذلك الخوف اي اضمحلال وحصل له من معرفته الله ما يستحقر معه رسوخ الجبال والله اعلم **وقوله** استخرجهم كما استخرجوك اي اخرجهم كما اخرجوك والسين والتا زايدتان كما يقال استجاب بمعنى اجاب وقد رواه العذري كما اخرجوك وهذا يدل على ان هذا القول صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة فان اهل مكة هم الذين اخرجوه من مكة حتى هاجر الى المدينة **وقوله** واجلب عليهم بخيلك اي اعزم على عزومهم واسرع فيه يعني على عزومهم وتسرع عليهم **وقوله** واجلب خبيثا سبعت خمسة مثله هذا يدل على ان هذا كان قبل غزوة بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوم بدر في ثلاثمائة وثلاثة عشر وقبل سبعة عشر فامده الله بخمسة الاف من الملائكة كما نطق القرآن به **وقوله** اهل الجنة ثلاثة اي المتاهلون لدخولها الحائزون له **وقوله** وذو سلطان

مقسط متصدق موفق مسدد وما بعده مرفوع على انها صفات لذو وهي بمعنى صاحب والمقسط العادل والمتصدق المعطي للصدقات والموفق المسدد لفعل الخيرات **وقوله** رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسكين رحيم كثير الرحمة والقربى القرابة ورقيق القلب لينه عند التذكر والموعظة ويصح ان يكون بمعنى الشفيق **وقوله** وضعيف متضعف يعني ضعيفا في امور الدنيا قويا في امر دينه كما قال الموسى القوي احب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير وكما قدم الضعف في امور الدين وجعله من صفات اهل الجنة قدم هنا الضعيف الذي لا زبر له والزبر هنا العقل قاله الهروي وفي الصحاح يقال ما له زبر اي عقل وزماسك قال الشيخ وسمي العقل زبرا لانه يزجر عن القبيح والزجر يقال زبره يزبره بالضم اذا انتهره ومنعه ولما كان العقل هو المانع لمن اتصف به من المفاسد والزاجر عنها سمي بذلك وقد قيل في الزبر هو الحزم انه تفسير من النبي صلى الله عليه وسلم لقوله او لا الضعيف الذي لا زبر له فيعني بذلك ان هاولاء القوم ضعفا العقول فلا يسعون في تحصيل مصلحة دنيوية ولا فضيلة نفسية ولا دينية بل يهملون انفسهم اهمال الانعام ولا يبالون بما يشتبه عليهم من الحلال والحرام وهذه الاوصاف الخبيثة الدنية هي اوصاف هذه الطائفة المسماة بالقلندرية **وقوله** قلت ويحك يا ابا عبد الله قال نعم والله لقد ادركتهم في الجاهلية وان الرجل ليبرع على الحي بامانه الا وليديتهم بها هذا القايل هو قتادة وابو عبد الله هو مطرف بن الشخير الذي روى عن عياض بن حمار ويدل هذا على ان مطرفا ادرك الجاهلية وانه صحابي وان لم يذكره ابن عمر في الصحابة وكان حفه

الشيخ السيد ... على شرح ... الاعلام ...

أن يذكره لان من شرطه أن يذكر من الذى زمن النبى صلى الله عليه وسلم
ومعروف والذى زمانه صلى الله عليه وسلم على ما قاله ابن قتيبة والجبى
القتيل والوليدة الامة وجرث مقبرة ابى اصل الى الصبر معتشى به
فيحتاج علته الا وليد تتمم بفتح التاء ووجهه انه استثنا من مستثنى
محذوف تقديره ما به شئ او حاجة الا وليد تتمم ووقع فى بعض النسخ
الا وليدة غير مصاب وقوله والخابن الذى لا تخفى له خيانة
الخابن هو الذى يأخذ فيما اؤتمن عليه بغير اذن مالكه وتخفى له هنا بمعنى يظهر
كما قال خفاهن من انها تمهن كاذبا خفاهن ودق من عشى مجلب
اى اظهرهن وخفى من الاضداد يقال خفيت الشئ اى اظهرته وسترته
قاله ابو عبيد وقوله وذكر النحل والكذب هذا الرواية المشهورة
فيه بالواو والجامعة وقد رواه ابن ابى جعفر عن الطبرى باو التى للشك
قال القاضى والعلة الصواب وبه تصح القسمة لانه ذكر ان اصحاب النار
خمسة الضعيف الذى وصف والخابن الذى وصف والرجل الخادع الذى
وصف قال وذكر النحل والكذب ثم ذكر الشنظير الفحاش وكذلك قوله
اهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق
القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال فذا قيدناه
بخفض مسلم عطفا على ما قبله وفى رواية اخرى ومسلم عفيف بالرفع وحذف
الواو قال الشيخ رحمه الله والعفيف الكثير العفة وهى الانكفاف
عن الفواحش وعما لا يليق والمتعفف المتكلف للعفة والشنظير السيئ
الخلق والفحاش رجل شنظير وشنظيرة اى سيئ الخلق قالت امرأة من العرب
شنظيرة زوجها اقل من حمقة حسد راسى رجل فانه لم يراتنى قط
ربما قلو قيمورة بالذال المعجمة لقربها من الظاء لعلة او لثغة والفحاش

الكثير الفحش ونقل الشنظير هو الفحاش عن صاحب العين قال شنظر
بالقوم شتم اعراضهم والشنظير الفحاش من الرجال الفظ وذلك من
الابل وقوله الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف الضعيف متضعف
فتح العين على انه اسم مفعول وذكر ابن قتيبة فى كتاب النبى ابى الكبر
يعنى بذلك ان الغالب على صفة اهل الجنة الضعف عن نيل الدنيا ومالها
ودوامها ومناصبها وايثار الخمول والتواضع فيها يلبسون الرقيق
الملابس ولا يلتفتون الى فاخر المراكب ولا الى صدور المجالس علما
منهم بانهم على جادة سفر وان الدنيا ليست بمقر فاخوالهم احوال المسافرين
المرتحلين فهم كما وصفهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله رب اشعث
اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره والاشعث المتلبد
الشعر والاغبر الذى علته غبرة الغبار والاطمار الثياب الرثة
ولا يؤبه له لا يلتفت اليه يقال فلان لا يؤبه به ولا يؤبه له اى لا يبالى
به ان استفعلت ما وبقت وما بهت اى ما فطنت له وانت به
مفسر انا مثل تخل اى تبالى فان قيل كيف يكون هذه اوصاف اهل الجنة
وكيف تحمد هذه الاوصاف وقد امر الشرع بالذكاء والفطنة والزينة
فى الجمع والاعياد والتطيب وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتطيب ويتنظف
ويتزين للوفود والجمع والاعياد قلنا لا تناقض بين هذا وبين ما
وصف به النبى صلى الله عليه وسلم اهل الجنة فانه صلى الله عليه وسلم انما
وصف هذا وهو الغالب باغلب احوالهم وغالب احوالهم ملازمة
الاسفار الشرعية من الحج والجهاد والسياحة فى الارض والفرار
بادبانهم من الفتن ومع ذلك فله فيتنظفون النظافة الشرعية
ويتزينون التزين الشرعى اذا حضروا فتنه واشتهم ذلك وحضروا

جماعات المسلمين وجمعائهم فهم مع الناس فآيبون وعنهم بائنون
داخلون في غمارهم ومستترون بجمولهم واحمالهم ثم توجهوا الى
الحق واعرضوا عن الخلق وعلى الجملة فمقصود هذا الحديث ان احوال
اهل الجنة على التفصيل من احوال اهل النار الا ترى انه قابل صفات
اهل الجنة وذكر نقائضها في اهل النار فقال وأهل النار كل جواظ
زنيم متكبر عتل فالجواظ الجموع المنوع حكاه الهروي وقال
غيره الكثير اللحم المختال يقال جاء يجوظ جوظا اذا كان كذلك
وقال ابن دريد هو الجابي القلب والعتل قيل الجافي الشرس الخصومة
وقيل هو الاكول الشروب الظلوم والعتل هو العنف ومنه سميت
القسي الفارسية عتلا لشدتها والزنيم هنا هو الذي يعرف بالشر
كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل هو اللئيم واما الزنيم المذكور في الاية
فقيل انه رجل يعينه له زنمة كزنمة التيس وهي الغدة المتعلقة
بحلقه وقيل هو الولد وكان له زنمة تحت اذنه وقيل هو الملصق
بالقوم وليس منهم وقيل هو الاخنس بن شريق وكان حليفا ملحقا
والمتكبر الموصوف بالكبر المستعمل له وقد بينا الكبر فيما تقدم وقوله
كثيرا رب شفعت مرفوع بالابواب اصل رب للتقليل وقد تاتي للتكثير
وقد جاءت هنا في شعر امرئ القيس قال

قيارب مغرور بي خرت وراه وعان فككت الغل عنه تقداري

وقال وماربت بوم قد لهوت وليلة بآيسة كانها خط تمثال

ومثله كثير قصد به مدح نفسه ولا يمدح بالقليل النادر بل بالكثير
المتكرر وتحلج رب في هذا الحديث ان يحمل على الكثير فكانه قال كثير
ممن يكون هذا حاله لو اقسم على الله لابره وقوله مرفوع بالابواب

اي عن ابواب الملوك والكبراء فلا يسمع له قول ولا تقضى له حاجة لهوانه
لا يعرف ورث الهيئة اي رثها بحيث تحتقره العين وقوله لو اقسم على الله
لابره قيل فيه لو دعا لاجابه قال الصحيح وهذا محمول على اصل
وضع الكلام من غير ضرورة بل هو على اصله وقد دل على هذا ما تقدم
من حديث ام الربيع حيث قال والله لا تكسر ثنية الربيع ثم لما رضي
الطالب بالدية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو
اقسم على الله لابره وقوله يدخل الجنة قوم افئدتهم افئدة الطير
يحتمل ان يقال انما شبههما بها لضعفها ورقتها كما قال في اهل
اليمن هم ارق قلوبا واضعف افئدة ويحتمل انه اراد بها انها
مثلها في الخوف والهيبة والخبر على الجملة اكثر الحيوانات
خوفا وحذرا حتى قيل احذر من غراب وقد غلب الخوف على كثير من
السلف حتى اضمحت قلوبهم فماتوا ٥ ومن باب
صفة الجنة وما اعد الله فيها ٥ قوله لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا الرواية
المشهورة بالزال المعجمة المضمومة اي مدخرا وهو مصدر
يقال ذخرت الشيء اذخره ذخرا واذخرته ادخره ادخارا
بالادغام وهو افتعلت ووقع في طرق الفارسي ذكرا بالكاف
وللبعض ذخر بغير تنوين وليس بشيء ومعنى هذا الكلام ان الله تعالى
ادخر في الجنة من النعيم والخيرات واللذات ما لم يطلع لحلله احد
من الخلق لا بالاخبار عنه ولا بالفكرة فيه وقد تعرض بعض الناس
لتعيينه وهو تكلف بتغييب الخبر نفسه اذ قد نفى علمه والشعور
به عن كل احد ويشمل له وحقيقة قوله بله ما اطلعكم عليه اي دع

مطلب من قوله عليه السلام لو اقسم على الله لابره

ما اطلعتم عليه يعني ان المعدة المذكور غير الذي اطلع عليه
احراس الخلق وبلة اسم من اسماء الافعال بمعنى دع هذا هو المشهور
فيها وقيل هي بمعنى غير وهذا تفسير معنى وقوله ان في الجنة
شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها
الرواية التي لا تعرف غيرها الراكب مرفوع فاعل يسير والجواد
منصوب مفعوله يسير والمضمر بفتحتين وكذلك السريع ومعناه
الذي الراكب فرسه السريع الذي هذا ضمر سنة المرة تلا يقطعها
وقيل هي شجرة طوبا والله اعلم وقد تقدم القول في تضمير الخيل في
كتاب الجهاد ومعنى خلفها نعمها وراحتها من قولهم عيش خليل
وفلان معنى خلفها ذراها وناحيتها وكنفها كما يقال انا في خلد اي
في كنفك وحوطتك مالك الشيخ رحمه الله والذي اخرج الى الهزن
الثاء وليس ان الظل المتعارف عندنا انما هو وقاية عن حر الشمس
وادناها وليس في الجنة شمس وانما هي انوار متواليه لا حر فيها
ولا قر بل الذات متواليه ونعم متتابعة وقوله اجل عليكم رضواني
اي اوجب لكم رضاي فلا يزول عنكم ابدا وهذا انقطاع له بوجوه
من الوجوه وقد اكد ذلك بقوله فلا اسخط عليكم بعده ابدا ٥

ومن باب غرف الجنة ٥

قوله ان اهل الجنة
ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري
يعني ان اهل السفل من الجنة ينظرون الى من فوقهم على تفاوت
منازلهم كما ينظر من على الارض في رأي السماء على تفاوت
منازلها فيقال هذا منزل فلان كما يقال هذا المشتري مثلا او الزهرة
او المريخ وقد تبين لك بقوله لتفاوت ما بينهما وسمي الكوكب دريا

لبياضه وصفائه وقيل لانه شبه بالدر في صفائه وقوله الغابر
من الأفق من المشرق او المغرب الرواية المشهورة الغابر بالراء
ومعناه الذاهب او الباقي على اختلاف المفسرين وهو من الاضداد
يقال غبر اذا ذهب وغبر اذا بقي ويعني به ان الكوكب حالة
طلوعه وغروبه بعيد عن الابصار فيظهر صغيرا لبعده وقد
بينه بقوله في الأفق من المشرق او المغرب والافق ناحية
السماء وهو بضم الهمزة والفاء وبسكونها كما يقال عسر وعسر
وجمعه آفاق وقد فسرنا تلك اللفظة على من يروي الغابر
بالغين المعجمة اسم فاعل من غبر وقد روي في غير مسلم الغارب بتقديم
الراء وروي الغارب بالعين المهملة والزاي اي البعيد ومعانيها
كلها متقاربة ومن الأفق روايتنا ومن الى لابتدا الغاية وفي
الكرمانية واما من المشرق فلم نر وفي كتاب مسلم الايمن وقد رواه
الخلدي في المشرق بفي وهي اوضح فاما من رواها بمن ففي الموضعين
فوجهه ما فيها ان يكون الأول لابتدا الغاية والثانية بدل منها
مبينة لها وقيل ايضا في قوله من المشرق لانتهاء الغاية وهو
خروج عن اصلها وليس معروفا عند اكثر النحويين وقولهم تلك
منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال
آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فهذا وقع هنا هذا الحرف بلى الى
اصلها حرف جواب وتصديق وليس هذا موضعها لانهم لم يستفهموا
وانما اخبروا ان تلك المنازل للانبيا لا لغيرهم فجواب هذا يقتضي
ان يعرف بل الى للاضراب عن الاول والجاب المعنى الثاني فكانه
تسومح فيها فوضعت بلى موضع بل ورجال مرفوع بالابتدا

المحزوم تقديره هم رجال وفيه ايضا توسع اى تلك المنازل منازل
رجال امنوا بالله اى حقايقه وصدقوا المرسلين اى حق تصديقهم
والا فكل من يدخل الجنة امن بالله وصدق رسله ومع ذلك فهم
متفاوتون فى الدرجات والمنازل وهذا واضح وقوله صلى الله
عليه وسلم لابن صياد ما تربة الجنة هذا نص فى ان النبى صلى الله
عليه وسلم هو السايل لابن صياد عن تربة الجنة وفى الرواية
الاخرى ان ابن صياد هو الذى سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وهما بابان روايتان والواقع منهما احراهما والله اعلم
وكيف ما كان فالمخبر عن تربة الجنة صدق وصحيح لانه كان كالحواى
من النبى صلى الله عليه وسلم فهو حق اذ الكذب عليه محال وان كان ابن
صياد هو الذى قاله فقد علمنا صحة ذلك من جهته ان النبى صلى الله
عليه وسلم صدقه فى ذلك ويكون ابن صياد علم ذلك من جهة ما
القاه عليه شيطانه من الكلمات التى استرق فان ابن صياد كان
من الكهان على ما يانى فى حديثه والارمكة دقيق الحوارى شبه تربة
الجنة به فى حسن لونها وطعمها وشبه رائحتها بالمسك وهذا
تشبيه تقريب وابن الثرا من الثريا وقوله ان فى الجنة لسوقا
ياتونها كل جمعة السوق تذكر وتونث وتسمى سوقا لقيام
الناس فيها على ساق وقيل السوق الناس يباعون اليها فيحمل
ان يكون سوق الجمعة عبارة عن مجمع اهل الجنة وكل يترا ورهم
وسمى سوقا بالمعنى الاول ويؤيد هذا ان اهل الجنة لا يفقدون شيئا
حتى يحتاجوا الى شرايه من السوق ويحتمل ان يكون سوقا حقيقيا
على محاسن ومستلذات ومستطابات يجمع هناك من تربته

شمها

حسنة كما يجمع فى الاسواق حتى اذا جاء اهل الجنة نزاورها فمن
اشتهى شيئا وصل اليه من غير مانعة ولا معارضة ونعم الجنة
وخيرها اعظم واوسع من ذلك كله وخص يوم الجمعة بذلك
لفضيلته ولما خصه الله تعالى به من الامور التى تقدم ذكرها
ولانه يوم المزيد اى اليوم الذى يبقى لهم ما وعدوا به من
الزيادة وايام الجنة تقريبية اذ لا ليل هناك ولا نهار
وانما هناك انوار مختلفة لا ظلمة معها على ما ياتى ان شاء الله
تعالى وقوله فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم
ريح الشمال عندنا فى الدنيا عندهم احسن الارواح فلذلك سميت ريح الجنة
بالشمال وفى الشمال لغات يقال شمال وشمال وشمل وشمول
حكاها صاحب العين وتقابلها الجنوب وقد سميت هذه الريح
فى حديث اخر بالمثيرة لانها تثير النعيم والطيب على اهل
الجنة وقوله اول زمرة يدخلون الجنة هم امتى على صورة القمر
ليلة البدر الصورة بمعنى الصفة يعنى انهم فى اشراق وجوههم
على صفة القمر ليلة تمامه وكماله وهى ليلة اربعة عشر ولذلك
سمى القمر بدرا فى تلك الليلة ومقتضى هذا ان انوار اهل الجنة
متفاوتة حسب درجاتهم وقوله لا يبولون ولا يتغوطون ولا
يتفلون ولا يتمخطون هل انما تصدر هذه الفضلات عن
اهل الجنة لانها اقذار مستخبثة والجنة منزهة عن مثل ذلك
ولما كانت آخر الجنة فى نهاية اللطافة والاعتدال لم يكن لها
فضلة تستقذر بل تستطاب وتستلذ وهى التى عبر عنها بالمسك
كما قال ورشحهم المسك وقد جاء فى لفظ اخر لا يبولون ولا يتغوطون

وانما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك يعني من آباطهم وقوله
امشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة يقال ههنا
ايش حاجة في الجنة للامشاط ولا تتغير شعورهم ولا تتسخ واي
حاجة للحور بريحهم اطيب من المسك وكان من ذلك بان نعيم
اهل الجنة وبسوتهم ليس عن دفع الم اعتراهم فليس اكلهم عن جوع
ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم عن نتن وانما هي لذات متواليه
ونعيم متتابعه الاثر قوله تعالى لآدم صلى الله عليه وسلم ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وجهة ذلك ان الله تعالى
نعمهم في الجنه بنوع مما كانوا يتنعمون به في الدنيا وزادهم
على ذلك ما لا يعلمه الا الله كما قدمناه وقد تقدم الكلام في الالوه
وفي لغاتها وانها العود الهندي في كتاب الطيب وقوله
وازواجهم الحور العين الحور جمع حوراء والحور في العين شدة
بياضها في شدة سوادها هذا المعروف قال ابو عمرو والحورا
ان تسود العين كلها مثل اعين الظبا والبقر قال ليس في
بني ادم حور وانما قيل للنساء حور العين لانهن يشبهن بالظبا
والبقر وقال الاصمعي لا ادري ما الحور في العين والعين جمع
عيناء وهي الواسعة العين في الجاحظ رجل اعين واسع العين
والجمع عين واصله فعل بالضم ومنه قيل لبقر الوحش عين
والثور اعين والبقرة عيناء وقوله لكل واحد منهم زوجتان
يعني ان ادنى من في الجنه درجة له زوجتان اذ ليس في الجنه
اعزب كما قال واما غيرها فلا فمن ارتفعت منزلته كثرت ازواجهم
على قدر درجاتهم كما ياتي من قوله في الجنه درة طولها ستون ميلا

تعلم

فجل راى وتدمنه اهل الجنه من ما يرون الاخرين ولهذا ان نوع
النساء المشتمل على الحور والادميات في الجنة اكثر من نوع رجال
بني ادم ورجال بني ادم اكثر من نسائهم وعن هذا قال صلى الله
عليه وسلم اقل ساكني الجنة النساء واكثر ساكني جهنم النساء
يعني نساء بني ادم ممن اقل في الجنة واكثر في النار وقوله يرى
مخ ساقها من وراء العظم يعني من شدة صفاء لحم الساقين وكانه
بواسخ الساقين من وراء اللحم كما يرى السلك في جوف الدرة
ايضا فيه وقوله قلوبهم قلب واحد اي كقلب واحد يعني انها
مطهرة عن ذمائم الاخلاق في مكملة بمحاسنها فلا اختلاف بينهم
ولا تباغض وقوله يسبحون الله بكرة وعشيا هذا التسبيح ليس عن
تكليف والزام لان الجنة ليست محل تكليف وانما هي محل جزاء
وانما هو عن تيسير والهام كما قال في الرواية الاخرى يلهمون
التسبيح والحمد كما تلهمون النفس ووجه التشبيه ان تنفس
الانسان لا بد له منه ولا كلفة عليه فيه ولا مشقة في فعله
واحاد التنفيسات مكتسبة للانسان وجلها ضرورية في حقه
اذ يتمكن من ضبط قليل الانفاس ولا يتمكن من جمعها فكذلك يكون ذكر الله
تعالى على السنة اهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد تنورت بمعرفته
وابصارهم قد تمتعت برويته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلات
اسماعهم بمحبته ومحالته فالسنتهم ملازمة ذكره ورهبته شكره
فان من احب شيئا اكثر من ذكره وقد تقدم ان اوقات الجنة بين الابار والساعات
تقديرية وقوله اخلاقهم على خلق رجل واحد قد ذكر مسلم اختلاف الرواة

في تقدير خلق هل هو بفتح الخاء وسكون اللام او بضمهما وكذلك اختلف فيه
قراءة المحاربي والذي سابقه ما قبله الضم فيكون معناه ان اخلاقهم
متساوية في الحسن والكمال كلهم كريم الخلق اذ لا يأتي عن ولا يحاسر
ولا ينفر ويشهد له قوله فيما تقدم قلوبهم قلب واحد وقوله
على طول ابيهم آدم او على صورة ابيهم اسبينا في خبر اخر عنهم
ويحتمل ان يريد به الخلق بالفتح والسكون ويكون قوله على طول
ابيهم وما بعده مفسرا للاول الخلق الاول اول لما ذكرناه
ولانا اذا حملناه عليه استغرقنا منه فائدتين من الوجه
الثاني فائدة واحدة وحمل كلام الشارع والنصحا على تكثير
الفوايد اولى كما قررناه في الاصول وقوله ستون ذراعا في
السما اي في الارتفاع وكل ما علاك فهو سما ويعني بذلك ان الله
تعالى اعاد ادم الجنة الى خلقته الاولى التي هو ادم وعلى صفته
وطوله الذي خلقه الله عليه في الجنة وكان طوله فيها ستون
ذراعا في الارتفاع من ذراع نفسه والله اعلم ويحتمل ان يكون
ذلك الذراع بالذراع المتعارفة عندنا ثم لم ير احد خلق ولده وطوله
بعضهم كما جاء في الرواية الاخرى وقوله خلق الله ادم على صورته
هذا الضمير عايد على اقرب مذكور وهو ادم فهذا الاصل في
عود الضمايد ومعنى ذلك ان الله تعالى اوجده على الهيئة التي
خلقه عليها لم يتنقل في النشاة احوالا ولا تردد في الارحام
اطوارا اذ لم يخلقه صغيرا فكبر ولا ضعيفا فقوي بل خلقه
رجلا كاملا سويا قويا بخلاف سنة الله في ولده ويحتمل ان يكون
معناه الاخبار عن ان الله تعالى خلقه يوم خلقه على الصورة

التي كان عليها بالارض وانه لم يكن في الجنة على صورة اخرى
ولا اختلفت صفاته ولا صورته كما تختلف صور الملايكة والجن
والله اعلم ولو سلمنا ان الضمير عايد على الله تعالى لم يمتنع ان يقال هنا
ان الصورة بمعنى الصفة وقد بيناه فيما تقدم وكما قد ذكرناه
في قوله اول مرة يدخلون الجنة على صورة القمر فان معناه
على صفته من الاضاءة لا على صورته من الاستدارة وقوله
فلما خلقه الله قال اذهب فسلم على اولئك النفر وهم نفر من الملايكة
جلوس السلام الى اخره دليل على ان تحريم السلام فانه مما شرع
وكلف به ادم ثم لم ينسخ في شريعة من الشرايع فانه تعالى اخبره
انها تحيته وتحية ذريته من بعده فلم يزل ذلك معمولا به في الامم
على اختلاف شرايعها الى ان انتهى ذلك الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فامر به وافشاه وجعله سببا للمحبة الدينية ولدخول الجنة
العلية وهذا دليل بتمسك به من قال بوجوبه وهو احد القولين للعلما
وقد تقدم القول في ذلك وقوله سيحان وجيحان والنيل والفرات
كل من انهار الجنة هذه الانهار الاربعة اكبر انهار الاسلام فالنيل
بيلاد مصر والفرات بالعراق وسيحان وجيحان بيلاد خراسان ويقال
سيحون وجيحون وكما مر هذا الحديث ان اصل هذه الانهار ومادتها
من الجنة كما قررناه في احاديث الاسرا وقد تقدم ان النيل والفرات
نهران من اصل سدرة المنتهى وقد نص عليه البخاري ويحتمل ان يكون
المراد انها تشبه انهار الجنة في حلوها وبركاتها وابعد من هذا
احتمال ان يكون المراد بذلك ان الايمان يعم بلاد هذه الانهار وقاصد
لطلبها وان اغلب الاجسام المتغذية بمياه هذه الانهار مصيرها الى الجنة

باب صفة جهنم اعاذنا الله منها قوله

يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون
الف ملك يجرونها تقدم ان جهنم اسم علم لنار الاخرة وكذلك سقر
ولها اسماء كثيرة اعاذنا الله منها وهي انها كما اخبر بها من الجل الذي خلقها الله
فيه فتدار يوم المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق الا اليها كما دلت
بها عليه الاحاديث الصحيحة والزمام ما يتزم به الشيء اي يشد ويربط
وهذه الازمة التي تساق بها ايضا تسمع من خروجها على اهل
المحشر فلا يخرج منها الا الاعناق التي امرت تأخذ من يشاء الله اخذه
وملائكتها كما وصفهم الله تعالى غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون واما هذا العدد المحصور للملائكة فكانه
عدد رؤسايهم واما جملتهم فالعبارة عنها ما قال الله تعالى وما
يعلم جنود ربك الا هو وقوله تاركم هذه التي يوقد ابن ادم جزء
من سبعين جزأ من نار جهنم يعني انه لو جمع كل ما في الوجود من النار
التي يوقدها بنو ادم لكانت جزأ من اجزاء جهنم المذكورة وبيانه
انه لو جمع حطب الدنيا فوقد كله حتى صار نارا لكان الجزء الواحد
من اجزاء نار جهنم الذي هو من سبعين جزأ اشد من حر نار الدنيا
كما بينه في اخر الحديث وقولهم والله ان كانت لكافية ان في مثل
هذا الموضع مخففة من الثقيلة عند البصريين فهذه اللام هي المفرقة
بين النافية والمخففة من الثقيلة وهي عند الكوفيين بمعنى ما واللام
بمعنى الا تقديره عندهم ما كانت الا كافية وعند البصريين انها
كانت كافية فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بانها كما فضلت
عليها في المقدار والقدر بتسعة وتسعين جزأ فضلت عليها في شدة الحر

ع قوبلت

يتسعة وتسعين ضعفا وقوله اذ سمع وجبة اي هدة وهي صوت
وقع الشيء الثقيل وقوله اتدرون ما هذا دليل على انهم حين سمعوا
الوجبة خرق الله لهم العادة فسمعوا ما بعد عنهم وانا
فالعادة تقتضي مشاركتهم في سماع هذا الامر العظيم
فيه دليل على ان النار قد خلقت واكثر فيها ما شاء الله مما يعذب
به من يشاء وهو مذهب اهل السنة خلافا للمبتدعة وقوله
ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد الحديث انما عظم خلقه
ليعظم عذابه ويتضاعف وهذا انما هو في بعض الكفار بدليل انه
ترجمات احاديث اخر تدل على ان التكبير في حشر يوم القيامة
امثال الذر في صور الرجال يساقون الى جهنم يسمى مولس
وقد تقدم قوله ان ضرس اهل النار عند ابي طالب في رحبة نعلان من نار
يغلي منها دماغه وهو ابو طالب ولا شك في ان الكفار في نار جهنم
متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة ولا نعلم على القطع
بالنجاة انه ليس عذاب من قتل الانبياء والمسلمين وشكك فيهم وافسد
في الارض وكفر مساويا لعذاب من كفر فقط واحسن للانبياء
والمسلمين وهذا البحث ينبغي على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة
وقد ذكرنا ذلك في الاصول وقوله منهم من تأخذه النار الى كعبيه
الحرث والحجزة معقد السراويل والازار والترقوة بفتح التاء وضم
القاف هي العظم الذي من ثغرة النحر والعاتق وهذا الحرث
ايضا يدل على ان اهل النار متفاوتون فيها وبمثل هذا قال في الكفار
كما قلنا في حديث ابي طالب ومعلوم ان تعذيب من الى كعبيه

الا ان الله تعالى يسلم اماتة كما صح في الحديث ه

ومن باب ذبح الموت ه قوله يجاء بالموت يوم القيامة كانه كبش املح قد تقدم الكلام على الاملح في الضحايا وانه الذي فيه بياض وسواد والبياض اكثر كما قاله الكسائي وقيل يحتمل ان يكون الحكمة في كون هذا الكبش املح لان البياض من جهة الجنة والسواد من جهة النار **قال الشيخ** رحمه الله ظاهر هذا الحديث يستحيل ذلك ان العقلاء اتفقوا على ان الموت اما عرض محض واما نفي الحياة ولم يذهب احد الى انه من قبيل الجواهر وايضا فان المدرك من الموت والحياة انما هما امران متضادان متعاقبان على الجواهر كالحركة والسكون وقد دل على ذلك من جهة السمع قوله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهذا يبطل قول من قال من المعتزلة ان الموت عدم الحياة لان العدم لا يخلق ولا يوجب احتاجا للجواهر واستيفاء المباحث العقلية في علم الكلام واذا تقرر ذلك استحال ان ينقلب الموت كبشا لان ذلك انقلاب الحقايق وهو محال وقد تاول خلق الناس ذلك الخبر على وجهين احدهما ان الله تعالى صور كبشا خلق فيها الموت ليراه اهل الجنة واهل النار ويعرفوه فعل الله فيه لعلا يشبه الذبح احدهما عند ذلك الفعل حتى يامنه اهل الجنة فيزدادوا سرورا الى سرورهم ويتيأس منه اهل النار فيزدادوا حزنا الى حزنهم وعلى هذا يدل ما في الحديث ولا احالة في شيء من ذلك ولا بعد والوجه الثاني ان المراد بالحديث تمثيل عدم الموت على جهة التشبيه والاستعارة ووجهه ان الموت لما حكم في حق هاؤلاء

صار بمثابة الكبش الذي يذبح فيستعرف فعبر عنه بذلك وهذا بيّنه بعد وتحميل الكلام على ما لا يصح له والوجه المعنى الاول والله يقولون يوقعون رسمهم ويتشوفون ليبصروا ما عرض لهم **وقوله** تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر يعني انذرهم لعلهم وحذرهم والنداء اعلام بالشر والبشارة اعلام بالخير ويوم الحسرة يعني به ذبح الموت اذ سمعوا خلود فلا موت وقضي يعني احكم وتم والامر يعني به خلود اهل النار فيها **وقوله** وهم في غفلة وهم لا يومنون استيناف اخبر عما كانوا عليه في الدنيا يعني انهم كانوا كذلك في الدنيا والله اعلم

ومن باب محاجة الجنة والنار ه قوله كما حاجت الجنة والنار فعال البناء اوثرت بالمتكبرين الحديث ظاهر هذه المحاجة انها لسان مقال فيكون خزنة كل واحدة منهما الفاعلون ذلك ويجوز ان يخلق الله ذلك القول فيها شاء من اخبار الجنة والنار قلنا فيما تقدم انه لا يشترط عقلا في الاموات المقطعة ان يكون محلها حيا فلا فائدة لمن اشترط ذلك من المتكلمين ولو سلمنا لكان من الممكن ان خلق الله في بعض اجزاء الجنة والنار الجمادية حياة بحيث يصدر ذلك القول عنه والله اعلم لا سيما وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان ان كل ما في الجنة حي ويحتمل ان يكون ذلك لسان حال فيكون ذلك عبارة عن كمالهما والاول اولى والله اعلم **وقول الجنة** مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم وفي رواية وغرتهم الضعفاء جمع ضعيف يعني به الضعفاء في امر الدنيا ويحتمل ان يريد به هنا الفقراء وحمله على الفقراء اولى من حمله على الاول لانه يكون معنى الضعفاء معنى العجزة المذكورين بعد وسقطهم بفتح السين والقاف جمع ساقط وهو النازل القدر

وكيف يستقر هذا المذهب الفاسد في قلب من له ادنى فكرة
ومن العقل اقل مسكة فان الاجسام من حيث هي كل متساوية
في الاحكام العقلية وما ثبت للشيء ثبت لمثله وقد ثبت لهذه
الاجسام الحدوث فيلزم عليه ان يكون الله تعالى حادثا وهو
محال باتفاق العقلاء والشرايع ثم انظر غفلتهم وجهلهم بكلام الله
تعالى ومعانيه فكانهم لم يسمعوا قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير ويلزم على قولهم ان يكون كل واحد منا مثلا
له تعالى من جهة الجسمية والحيوانية والجوارح وغير ذلك من الاعضاء
والاعصاب واللحم والجلود والشعور وغير هذا وكل ذلك هالكات
وضلالات والله سبحانه يرشد بعض العباد ومن يضلل الله فما له
من هاد وقد تأولنا على ما ذكرنا الحدث تأويلات واشبه ما فيها
تأويلان ان النار تتغيظ وتهيج حنقا على الكفار والمتكبرين والعصاة
كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ وكما قال يوم يقول لجهنم هل
امتلأت وتقول هل من مزيد وكما قال يوم الحدث لا تزال جهنم
يلقى فيها وتقول هل من مزيد وكما قال تخرج عنق من النار فتقول
وكلت بالجبارين والمتكبرين فكانها تعلو وتطغى حتى كادها
تجاوز الحد في بعض الحدث انها كادت ان تلتقم اهل المحشر فيكسر الله
شررها وحدتها ويردها ويذللها ذل متعبير ويمشي عليه
بالقدم والرجل تعبير عن تذليلها بذلك ويشهد لذلك قوله
صلى الله عليه وسلم فيضع قدمه عليها وعلى هذا فدخول فيها
في الرواية الاخرى يعني عليها كما قال لاصلبنكم في جذوع النخل
اي على جذوع النخل وثانيهما ان الرجل والقدم عبارة عمن

وسلم الثاني
الجمع

وهو الذي عبر عنه بانه لا بيوتة له واصله من سقط المتاع وهو
رديئه وحجرهم قال الفامي هو بفتح العين والجيم جمع حاجر
قال الشيخ ويلزمه على ذلك ان يكون بالتاء كحاتب وكتبة
وحاسب وحسبة في مثل هذا نادر وانما يسقطونها اذا
سلكوا بالجمع مسلك اسم الجنس كما فعلوا ذلك في سقطهم وصواب
هذا اللفظ ان يكون عجرهم بضم العين وتشديد الجيم كخوشاهد
وشهر وكذلك اذكرانى قرأته وخرثهم بفتح الخاء المعجمة
والثاء المثلثة جمع خرثان وهو الجيعان والخرث الجوع وقد رواه
الطبري بحرثهم بكسر الخاء وبالثاء باثنتين من فوقها وتشديد
الراء اي بخفلتهم واقل الكلم منهم كما قال في الحدث الآخر اكثر
اهل الجنة البله يعني به عامة اهل الجنة الذين لم يتفطنوا للشبه
ولم توسوس لهم الشياطين بشيء من ذلك فهم صحاح العقايد
ثابتو الايمان وهم اكثر المومنين واما العارفون والعلماء والحكماء
فهم الاقلون وهم اصحاب الدرجات العلى والمنازل الرفيعة وقوله
فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها وفي الكلمة الاخرى حتى يضع رب
العزة فيها قدمه وفي الكلمة الاخرى حتى يضع الله رجله وليس كل
لا فيها ولا عليها وقد حمل بظاهر هذا اللفظ من اذهب الله
عقله واعدم فهمه وهم المجسمة المشبهة فاعتقدوا ان لله تعالى
رجلا من لحم وعصب تشبيها لرجلها كما اعتقدوا في الله تعالى انه
جسم يتلمه اجسامنا ذو وجه وعينين وجنب ويد ورجل وهكذا
وهذا ان دل فانما يدل على جهالة خالفوا بها العقول وادلة الشرع المنقول
وما كان سلف هذه الامة عليه من التنزيه عن المماثلة والتشبيه

تأخر دخوله في النار من أهلها وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار
يلقون فيها فوجا بعد فوج كما قال تعالى كلما ألقي فيها فوج سألهم
خزنتها ويؤيده قوله في هذا الحديث لا يزال يلقى فيها ما الخزنة تنتظر
أو لا يدخل المتأخرين إذ قد علموا بأسمائهم وأوصافهم كما روي
ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ما في النار كيس ولا سلسلة ولا مقمع
ولا نابوت إلا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر
صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته فإذا استوفى كل واحد منهم
ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة قط
قط أي حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا وحينئذ تنزوي جهنم على
من فيها أي تجتمع وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر فعبر عن ذلك الجمع
المنتظر بالرجل والقدم كما عبرت العرب عن جماعة الجراد بالرجل
فتقول جاء رجل من جراد أي جماعات منها وبتمشد بحمد هذا التأويل
قوله في آخر الحديث ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها
خلقا يسكنهم فضل الجنة والله أعلم بمراد رسوله أعلم والتسليم في المشكلات
أسلم وقد تقدم القول في قط الزمانية وأنها مبنية على الضم
مشددة ومخففة وأنها تقال بفتح القاف وهو الأصل فيها وتقال
بالضم اتباعا وإمامة بمعنى حسب فهي مبنية على السكون وقد تكسر
ويلحقها نون الوقاية إذا لم تضف ويقال بالراء بدل الميم فيهما مايحق في الطعام

وبين ما يشاء من أركان الكافر عليه يوم القيامة

قد تقدم القول على رؤية الله تعالى في كتاب الإيمان وعلى قوله
تضارون قوله أي هل هو منادى مرخم محذوف قال يا فلان ولا مرخم
في غير النداء إلا في ضرورة الشعر وقوله ألم أكرمك أي ما فضلتك

به على سائر الحيوانات كما قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا وقوله وأسودك أي جعلتك سيدا على قومك والسود
المتقدم بالأوصاف الجميلة والأفعال الحميدة وقوله وأذرك
ترأس وتربع أي ألم أتركك ترأس على قومك أي تكون رئيسا
عليهم وتربع بالباء الموحدة أي نأخذ المرباع أي الربع مما يحصل
لقومك من الغنائم والكسب وكانت سعادتهم أن أسراهم كانوا
يأخذون من الغنائم الربع ويسمونه المرباع قال فطرب المرباع
الربع والمحشار العشر ولم يسمع في غيرهما ورواية الجمهور تربع
بالباء وعند ابن هانئ تترع بتاء باثنتين من فوقها ومعناه تتمتع
وقوله أفظننت أنك ملاقيّ أي لعلمت كقوله تعالى وظنوا أنهم
مواقعوها أي علموا وقوله فاليوم أنساك كما نسيتني أي أتركك
في العذاب فما تركت معرفتي وعبادتي وقوله للثالث هاهنا إذا
يعني هاهنا تكذب وتفعل غير الحق وذلك أن هذا المنافق انجاه
كذبه ومرقاته في الدنيا من سفك دمه واستباحة ماله واستحق
الكذب إلى الآخرة حتى كذب بين يدي الله تعالى وقوله فيختم على فيه
أي يمنع من الكلام المكتسب له وتنطق لسانه وسائر أركانه بكلام
ضروري لا كسب له فيه ولا قدرة على منعه كما قال تعالى يوم
تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وإذا شهدت
عليه أركانه بعمله خلي بينه وبين الكلام المقدور له فيبلوغ جوارحه
الشاهدة عليه بفعله وليكن جمعي كنت أناضل أي أدافع
والرواية المشهورة إذا التي للتقليل وقد رواها ابن الحذاء إذن

والاول اصح واشهر وقد سكت عنه المنطق جمله عنز الحربي
واقتصر على هاهنا وقيل معناها هاهنا اثبت مكانك كما تقول
لمن تهدده اثبت مكانك حتى ارى ما ذكرناه اولا اشبه
والله اعلم وقوله ليبغ رسن نفسه بضم الباء وكسر الزال المعجمه
من اعذر اى بالغ فى عذر نفسه يعنى ان المنافق قال ما قال من ادعاء
فعل الخيرات المتقدمة وقوله فى الرواية الاخرى الم تحبرنى من الكلم
الى اخر الكلام ليبالغ فى عذر نفسه الذى يظن انه ينجيه يقال اعذر
الرجل فى الامر اى بالغ فيه وقد تقدم القول فى ان اقل ساكنى الجنة
النساء الادميات وان هن اكثر ساكنى النار وقوله اذا كان يوم القيامة
دفع الله الى كل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فداؤك
من النار يعنى مسلما مذنبا بدليل الرواية الاخيرة التى قال فيها
تجىء يوم القيامة باقوام من المسلمين بذنوب امثال الجبال ومعنى
كونه فداء للمسلم من النار ان الله يغفر للمسلم ذنوبه ويضاعف
للكافر العذاب بحسب جرائمه لانه تعالى لا يؤاخذ احدا بذنب
احد كما قال ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله فى الرواية الاخرى
فتغفرها لهم اى يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كانهم لم يذنبوا
ومعنى حمله ويضعفها على اليهود والنصارى انه يضاعف عليهم
عذاب ذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين
لمؤاخذته وابذلك وله تعالى ان يضاعف لمن شاء العذاب ويخففه
عمن يشاء بحكم ارادته ومشيئته اذ لا يسأل عما يفعل ولما كان خلاص
المؤمن من ذنوبه عند ما يدفع له الكافر يسمى بذلك فكاكا قال
يسمى تخليص الرهن بتوبة المرتهن فكاكا واما قوله فى الرواية

الاخرى لا يموت مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا او نصرانيا
فيعنى بذلك والله اعلم ان المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه وبقى مكانه خاليا اضاف الله ذلك المكان الى يهودى او نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بسبب كفره وليستدل لهذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث انس للمؤمن الذى يثبت عند السؤال فى القبر فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة وقد تقدم الكلام عليه وانما احتاج علماؤنا لتاويل الفاظ حديث ابى موسى المذكور فى هذا الحديث لما عارضها من قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولقوله وان ليس للانسان الا ما سعى ولقوله وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى ولقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ولقوله صلى الله عليه وسلم الا لا يجنى جان الا على نفسه ومثله كثير وكل الجمله فهى قاعدة معلومة من الشرع لا تختلف فيها وقوله استحرمنى وانت المليك رى الله الاخر استسمنى منى وانت رب العالمين يحتمل ان يكون هذا القول صدر من هذا الرجل عند غلبة الفرح عليه واستخفافه اياه فغلط فيما غلك الذى قال الدهم انت حبيبى وانا ربك ويحتمل ان يكون معناه اجازنى على ما كان منى فى الدنيا من الاستهزاء والسخرية باعمالى وقلة اهتمالى بها فيكون هذا على جهة المقابلة كما قال تعالى الله يستهزئ بهم ومكروا ومكر الله وقد تقدم القول فى حمد الله تعالى وانه راجع الى الرضا وقوله يكبو مرة وتسفعه النار مرة اى تسفعه وتبعثر بخطاطيف

منه ح

الصراط وعقبانه وتسفعه اى تحرقه وتغيّر لونه وقول الله
ما صرينى منك اى ما قطع كلبتك وما فصلها يقال صرمت ما
بينهم صرما اى فصلت ويقال اختصما الى الحاكم فصرى بينهما
اى قطع وفصل ٥ كتاب الفتن والاشراط

قوله صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب ٥ هذا
تنبيه على الاختلاف والفتن والهرج الواقع فى العرب واول
ذلك قتل عثمان رضى الله عنه وليزلك اخبر عنه بالقرب ثم لم يزل ذلك
كذلك الى ان صارت الحرب بين الامم كالقصعة بين الاكلة كما قال
فى الحديث الآخر اوشك ان تتداعى عليكم الامم كما تتداعى
الاكلة على قصعتها فنال ذلك مخاطبا للعرب ولهم خاطب ايضا
بقوله انى لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر

وقوله فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ٥ الردم
هو السد الذى بناه ذو القرنين على ياجوج ومأجوج ويقال ارمان ولارمان
لغتان وفى بها من هنا جعلها من ايجج النار وهو ضوءها وحرارتها
وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم ونسل من الاجاج وهو الماء الشديد
الملوحة ونسل هما اسمان اعجميان غير مشتقين قال مقاتل هم من ولد
يافث بن نوح صلى الله عليه وسلم الحاد من الترك كعدد احتلام آدم
صلى الله عليه وسلم فاختلط ماؤه بالتراب فاشبه مخلقوا من ذلك
وبه نقول لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يحتلمون وذكر
الفرغانى فى كتابه المسمى بعيون المعانى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال ياجوج امة انها اربعة ما بين اصبر وكذلك ماجوج لا يموت الرجل
حتى ينظر الى الف فارس من ذريته صنف منهم كالارز طولهم مائة وعشرون

اشارة فى تنبيه
لنظر ياجوج وماجوج
وصفتهم

ذراعا وصنف ينتشر اذنه ويلتحف بالاخر لا يمرون بفيل ولا بشىء
الا اكلوه ويأكلون من مات منهم فمقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان
يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الحرم من مكة والمدينة
وبيت المقدس ونال على رضى الله عنه وصنف منهم فى طول شبر
لهم مخالب وانياب السباع وتراعى الحمام وتساقد البهائم
رعوا الزبيب وشعورهم تقيهم الحر والبرد واذا نام احدهم افترشها
وبيرة يشتون فيها والآخر اجلدة يصيفون فيها يحفرون السد
حتى كادوا ان يقبضوا فيعيده الله كما كان حتى يقولوا انه نقبه
غدا ان شاء الله فيخرجون ويخرجون فيخص الناس بالحصون
فيرمون الى السماء فيرد اليهم السهم ملطخا بالدم فيقولون قد قهرنا
بالتعقف فى رماحهم يعنى الزرد قال الشيخ وسيأتى من اخبارهم
الصحيحة ما يعتمد بالصحة لاكثر هذين الحديثين وقوله مثل هذه
وحلق باصبعه الابهام والتى تليها هذا الخبار وتفسير من
الصحابة الذى شاهدوا اشارة النبى صلى الله عليه وسلم ان الرواة
بعدهم عبروا عن ذلك باصطلاح الحساب فقال بعضهم وعقد
سفيان بيده عشرة وقال بعضهم وحلق وهيب بيده تسعين وهذا
تقريب فى العبارة والحاصل ان الذى فحوا من السد قليل وهم
مع ذلك يلهمهم الله تعالى ان يقولوا غدا نفتحه ان شاء الله فاذا
قالوها خرجوا والله اعلم وقوله انهلك وفينا الصالحون
قال نعم اذا كثر الخبث رويناه بفتح الباء وهو اسم للزنا قال القاضى
العرب تسمى الزنا خبثا وخبيثة ومنه فى المخرج انه وجد
مع امرأة خبثة بها اى بزنى وهو اخذ الناوبلين قوله تعالى

يلى

الخبيثات للخبيثين وقيل هو الفسوق والفجور ويروى الخبث
بسكون الباء وهو مصدر يقال خبث الرجل خبثا وهو خبيث
وأخبث مخبر محله الخبث وقد تقدم أن الله تعالى اذا اهلك قوما
مهلكا واحدا بعثهم على نياتهم وقوله اشرف على اطم من اطام
المدينة اى على حصن من حصونها وتسمى ايضا الاكام وقد تقدم ذلك
واشرف ارتفع وقوله انى لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم
مواقع جمع موقع وهو موضع سقوط الشيء وقوعه وخلال
بمعنى بين وهو خبر ان اى انه رأى مواضع الفتن وعاينها وقد نص
في الخبر الاتي بعد هذا على انها اتت من قبل المشرق وقد وجد
كل ذلك كما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم فكان ذلك من ادلة صحة
نبوته ورسالته ظهرت بعد وفاته وقد تقدم القول في قرني
الشيطان في كتاب الصلاة وقوله سالم لاهل العراق اما قتل
موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ الكلام الى آخره تعظيما لما اقدموا
عليه من قتل اخيار المسلمين وصدورهم وتقبيح عليهم وتهديد لهم
ووجه ذلك ان الله تعالى عظم على موسى وهو صفيه وكليمه صلى الله عليه وسلم
قتل كافر لم يأمره عن قتله مع ان قتله كان خطأ وكرر عليه وامتن
عليه بمغفرته له ذلك مرارا فكيف يكون حال من سفك دماء
خيار المسلمين من صدور هذه الامة من الصحابة والتابعين كل ذلك
بمحض الهوى والتجري على استباحة الدماء وهم الذين قتلوا الحسين
وسبوا نساءه وآل بيته واولاده من غير توقف ولا سؤال ولا تلوم
البر الغيث ليرتفع عنهم الاشكال فانا لله وانا اليه راجعون وقوله
فنجيها من الغم اى من كم الحجر وقيل كم الخوف والقيد وقد تقدم

فتونا فتنة بعد فتنة اى محنة تقع بعد محنة وفتونا مصدر فتن
كخرج خروجا وتقعر قعودا وقال قتادة بلوناه بلاء بعد بلاء
يعني انعمنا عليه بنعم كثيرة وقد تقدم ان البلاء يكون بمعنى الابتلاء
بالخير والشر وكل ذلك بمعنى الفتنة والمحنة لانها كلها بمعنى
واحد وفر منها الفرار من الفتن وكسر السلاح فيها
قوله من تشرف اليها تستشرفه اى من تعلاها او تشوف اليها
صرعته واهلكته وهو ماخوذ من اشرف المريض على الهلاك اذا
اشفى عليه وقد روى من تشرف اليها على انه فعل مضارع مجزوم
بالشرط والاول على انه فعل ماض في موضع جزم بالشرط وقوله
انها ستكون فتن الا ثم تعود فتن الحوث الى آخره كله تضمن الاخبار
عن وقوع فتن هائلة عظيمة بعده والامر بالكف عنها والفرار
منها وقوله يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر هذا محمول على ظاهره
ودل انه اذا فعل ذلك لم يكن له شيء يستعين به على الدخول فيها فيفر
منها ويسلم وقوله لينج ان استطاع النجا اى ليسرع وليفر
ان وجد الى ذلك سبيلا وقد قال بظاهر هذه الاحاديث جماعة
من السلف فاجتنبوا جميع ما وقع بين الصحابة من الخلاف
والقتال منهم ابو بكرة وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد
فاما عبد الله بن عمر فندم على تخلفه عن نصر علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وقال عند موته ما اسى على شيء ما اسى على تركي قتال الفئة
الباغية يعني فئة معوية واما محمد بن مسلمة فاخذ سيفا من خشب
وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره بذلك واقام بالربذة
فمن هاهنا لا ينكر على من تمسك بمثل هذه الاحاديث فانكف وسلم ومن استعمل

عليه الامر فانكت لذلك كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما الى آخر
له الكتب فتدبر ذلك وانتقاضي وجه توجه في هذا الحديث الكلام في دم
الصحابة وقتالهم وللناس في ذلك غلو واسراف واضطراب
من الفقهاء واختلاف والذي عليه جماعة اهل السنة والحق حسن
الظن بهم والامساك عما شجر بينهم وطلب احسن التاويل لفعلهم
وانهم مجتهدون غير قاصدين للمعصية والمخاطرة بذلك وطلب
تحت الدنيا بل كل متحمل على ما يليه وبحسب ما ادّاه اليه اجتهاده
لكن منهم المخطئ في اجتهاده ومنهم المصيب وقد رفع الله الحرج
عن المجتهد المخطئ في مروج الذهب وحقق الاجر للمصيب وقد
وقف الطبري وغيره عن نفس الحق منهم وعند الجمهور ان عليا
واشياعه مصيبون في ذبهم عن الامامة وقتالهم من نازعهم فيها
اذ كان احق الناس بها وافضل من على الارض حينئذ وغيره تاول
وجوب القيام لتغيير المنكر في طلب قتلة عثمان الذين في عسكر
علي وانهم لا يتركون بيعته ولا يعقدون امامة حتى يقتضوا ذلك
ولم يطلبوا سوى ذلك ولم يرهود فعلهم اذ الحكم فيهم الى الامام وكانت
الامور لم تستقر استقرارها ولا اجتمعت الكلمة بعد وفيهم عدد
ولهم شوكة ومنعة ولو اظهر تسليمهم اولا او القصاص لاضطرب
الامر وانتشر الحبل ومنهم جماعة لم يروا الدخول في شيء من ذلك
محتجين بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التلبس بالفتن والنهي عن
قتال اهل الدعوة كما احتج به ابو بكرة رضي الله عنه في هذا الحرب
على الاحنف وغيره انها بقتل لتاويلهم ولم يروا اخذها بالظنة
فقاتلوها وقوله اراك ان اكرهت الى قوله بسوء باثمه واثمك

اي يرجع والمتاهة المرجع وقد تقدم ذلك ومعنى انه يبوء باثمه فيما
دخل فيه قبائك لقتله اياك او لاكراهه اياك على ما اكرهك
وفيه رفع الحرج عن المكره على مثل هذا والمكره هنا هو الذي
لا يملك من نفسه شيئا لقوله اراك ان اكرهتني حتى يتطاول ولم
يعلل انه انطلق من قبل نفسه ولم يختلفوا ان الاكراه على القتل لا يعذر
به احد وانما يعذر فيما تعلق بالقلب او مالم يعد الانسان نفسه
واختلف في الاكراه على المعاصي التي بين الله تعالى وبين عبده هل
يعذر المكره فيها في احكام الدنيا والاخرة ام لا وفي المسئلة لجاج
تعرف في كتب الاصول وقوله اذا تواجه المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار معناه انهما مستحقان لذلك اما
القاتل فبالقتل واما المقتول فبقصد الحرام والمستحق للشيء
قد يعفى عنه وان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فاما من اعتقد استحلال دم المسلم بغير سبب ولا تاويل فهو
كافر وفي بعض الفاظ هذا الحديث في الاول اذا المسلمان حمل
احدهما على اخيه السلاح فهما على جرف جهنم فاذا قتل احدهما
صاحبه فخلاها جميعا رواه الطبري والعدني وهما على جرف
جهنم كما ذكرناه بالجيم وغير بعضهم جرف بالحاء وكلاهما
متقارب في المعنى والصورة ورواه ابن ماهان في جر بالحاء
المهملة والراء وغيرها مصدر حرت النار تحر حرا وحرارة
وقوله لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل
ولا المقتول فيما قتل يعني بذلك ان الهرج والقتل
يكثر ويستسهل حتى لا يبالي به فيكون قتل المسلم عند قاتله

كقتل عملة كما هو الحال الآن في اقصى المغرب والهرج هو كثرة
الاختلاف والقتل وهو سابق الرأي وقوله هنا النازل والمقول
في النار يوضح ان ذلك المحمول في هذا الحديث وحديث ابي بكرة
على ما اذا كان القتال في طلب الدنيا او على مقتضى الاهواء
وليس في المتاولين المسلمين ولا فيمن قاتل البالغين ه د
ومن باب لا تقوم الساعة حتى تقتتل فيتان عظيمتان ه
يعني بهما فئة علي ومعوية رضي الله عنهما والله اعلم بما تولد
دعواهما واحدة اي دينهما واحد اذ الكل مسلمون يدعون
بدعوة الاسلام عند الحرب وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وقوله في تفسير الهرج القتل القتل وجدته في كتاب
الشيخ برفع اللام من القتل في الفقطتين معتنى به مصححا عليه
وهو مرفوع على خبر مبتدا محذوف اي هو القتل هو القتل ه
واصل الهرج الاختلاط يقال هرج القوم اذا اختلطوا وسمي
القتل بالهرج لانه لا يكون غالبا الا عن اختلاط وقوله ان الله
زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها اي جمعها لي حتى ابصرت
ما تملكه امتي من اقصى المشارق والمغارب منها وظاهر هذا
اللفظ يقتضي ان الله تعالى قوى ادراك بصره ورفع عنه الموانع
المعتادة فادرك البعيد من موضعه كما ادرك بيت المقدس
من مكة واخبر بما رآه وهو ينظر اليه وكما قال اني لانظر
قصر الحيرة الابيض وكما قال يعون شلها الله له فرأها والاول
اولى وقوله وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها هذا الخبر
قد وجد مخبره كما قال صلى الله عليه وسلم فكان ذلك من دلائل نبوته

وذلك ان ملك امته اتسع الى ان بلغ اقصى بحر طنجة الذي هو منتهى
عمارة المغرب الى اقصى المشرق وما وراء خراسان والديلم وكثير
من بلاد الهند والسند والصغد ولم يتسع ذلك الاتساع
من جهة الجنوب والشمال ولذلك لم يذكر صلى الله عليه وسلم انه
ارى به ولا اخبر ان ملك امته تبلغه وقوله اعطيت الكنزين
يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك
الروم وقصورهما وبلادهما وقد دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الآخر حين اخبر عن هلاكهما لتنفقن كنوزهما في سبيل الله
وعبر بالاحمر عن كنز قيصر لان الغالب عندهم كان الذهب وبالابيض
عن كنز كسرى لان الغالب كان عندهم الفضة والجوهر وقد ظهر
ذلك ووجد كذلك في زمان الفتوح في خلافة عمر فانه سيق اليه
تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت اموالهم وجميع ما حوته
مملكته على سعتها وعظمتها وكذلك فعل الله بقيصر لما فتح بلاده
وقوله واني دعوت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة بعامة كذا وقع
الرواية بالباء وكان قياسه لا بعامة صفة لسنة فكانه قال
بسنة عامة ويعني بالسنة الجدب العام الذي يحوز به الهلاك
العام وسمي الجدب والقحط سنة وجمع سنين كما قال تعالى ولقد
اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات اي بالجدب المتوالي
وبيضة المسلمين معظمهم وجماعتهم وفي الصحاح بيضة كل شيء حوزته
وبيضة القوم ساحتهم وعلى هذا فيجوز معنى الحديث ان الله
تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع
ما حازوه من البلاد والارض ولو اجتمع عليهم كل من بين اقطار الارض

وبين جوابها وقوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم
لبعض وحاصل هذا انه اذا فاز من المسلمين ذلك النفر فتجمعهم
واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو فتقوت شوكة العدو
واستولى كما شاهدناه في ازماننا في المشرق والمغرب وذلك
انه لما اختلف ملوك الشرق وتجادلوا استولى الكافر الترك
على جميع عراق العجم ولما اختلفت ملوك المغرب وتجادلوا
استولت الافرنج على جميع بلاد الاندلس والجزر القريبة
منها وهاهم قد طمعوا في جميع بلاد الاسلام فنسأل الله
ان يتدارك المسلمين بالعفو والنصر واللطف ويحتمل ان
يكون حتى هنا بمعنى كي لفساد المعنى فتدبره وقوله وسألته
ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها يعني ان لا يهلك جميعهم
بطوفان كطوفان نوح صلى الله عليه وسلم حتى يغرق جميعهم وهذا
منه بعد ولعل هذا اللفظ كان بالعدو فتحرف على بعض الرواة
لقرب ما بينهما في اللفظ ويدل على صحة ذلك ان هذا الحديث
قد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم خباب بن الارت وثوبان
وغيرهما وكلهم قالوا بدل الغرق المذكور في هذا الحديث عدوا
من غير انفسهم والله اعلم وقوله وسألته ان لا يجعل بأسهم
بينهم فمنعنيها البأس الحرب والقتل واصله من بئس ييأس
اذا اصابه البؤس وهو الضر ويقال ياس وضرا وقوله
يا محمد اني اذا قضيت قضاء لا يرد يستفاد منه انه لا يستجاب
من الدعاء الا ما وافق القضاء وحينئذ يشكل ما قدمنا عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ويرتفع الاشكال

بأن يقال ان القضاء الذي لا يرده دعاء ولغيره هو الذي سبق علم الله
بانه لا بد من وقوعه والقضاء الذي يرده الدعاء او حلة الروح
هو الذي اظهره الله بالكتابة في اللوح المحفوظ الذي نال الله
علم يحيي الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقد تقدم ذلك
في كتاب القدر ومن باب اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون الى قيام الساعة

قول حذيفة رضي الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما
ما ترك فيه شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث
به هذا المحذور الذي هو في مقامه يجوز ان يتعلق بترك والاليق
ان يكون متعلقا بحدث لان الظاهر من الكلام انه اراد انه ما ترك
شيئا يكون الى قيام الساعة الا حدث به في ذلك المقام وهذا
المقام المذكور في هذا الحديث هو اليوم الذي اخبر عنه ابو زيد
عمرو بن اخطب المذكور بعد وبالجزء التاسع يوم للاخبار عما ذكره
على انه قد روى البزار من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوما ثم قام
خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا اخبرنا به حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه وظاهر هذا ان هذا المقام كان بعد
العصر لا قبل ذلك ويجوز ان يكون كانت الخطبة من بعد صلاة الصبح
الى غروب الشمس كما في حديث ابي زيد واقتصر ابو سعيد في الذكر
على ما بعد العصر وفيه بعد وعلى كل تقدير فمعلومات هذه الاحاديث
يراد بها الخصوص اذ لا يمكن ان تحدث في يوم ولا في ايام ولا في اعوام
تجمع ما تحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم تفصيلا وانما مقصود
هذه المعلومات الاخبار عن رؤس الفتن والملاحم ورؤساتها

بلغها فقاله

كما قال حذيفة بعد هذا حين قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وهو يحدث مجلسا انا فيه عن الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يعد الفتن منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا ومنهن
كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار قال اسبح على اني
اقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد اعلمه بكل فاعل
ما يجري بعده لاهل بيته واصحابه وباعيان المنافقين وبكل فاعل
ما يقع في امته من كبار الفتن وصغارها واعيان اصحابها واسمائهم
وانه بث الكثير من ذلك عند من يصلح لذلك من اصحابه كحذيفة
رضي الله عنه قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه من شاب
فتنة الى ان تنقضي الدنيا تبلغ من مدة ثلاث مائة فصاعدا
الا سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته خرجه ابو داود
وبهذا يعلم ان اصحابه رضي الله عنهم كان عندهم من علم الكوائن
الحادثة الى يوم القيامة العلم الكثير والجم الوافر لكن لم يشيعوها
اذ ليست من احاديث الاحكام وما كان فيها شيء من ذلك حرسوا
به وتقصوا عن عهدته وحذيفة رضي الله عنه في هذا الباب زيادة
مزية وخصوصية لم تكن لغيره منهم لانه كان كثير السؤال عن
هذا الباب كما دلت عليه احاديثه وكما دل عليه اختصاص
عمر رضي الله عنه له بالسؤال عن ذلك دون غيره وانظر زيد المذكور
في هذا الباب هو عمرو بن اخطب بالخاء المعجمة الانصاري من بني الحارث
ابن الخزرج صحابي النبي صلى الله عليه وسلم وقال غزوت معه سبع غزوات
او سبعا وقد تقدم القول في حديث حذيفة في كتاب الايمان وقوله
ما بقي الا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اسر الي في ذلك شيئا

قوله

لم يحدث به غيري كذا وقع هذا اللفظ وكذا صح في الرواية
وما بقي الا ان يكون فلا الا لاجانبة وان المصدرية فقيل الوجه
اسقاط الا لان مقصود الكلام ان حذيفة رضي الله عنه اخبر
عن نفسه بانه يعلم كل فتنة تكون من بدء الساعة فيظن سامع
هذا القول ان النبي صلى الله عليه وسلم اسر اليه من ذلك شيئا
لم يسره الى غيره فنفى هذا الظن بذلك القول ثم نبه على سببه
علمه بذلك فقال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو
يحدث مجلسا انا فيه عن الفتن فيعني بذلك انه سمع من النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس مع الناس لكنه حفظ
ما لم يحفظه غيره وضبط ما لم يضبط غيره كما قال في الحديث
المتقدم وقل الا ثابته في الرواية فلا سبيل الى تقرير
اسقاطها ومعنى الكلام مع ثبوتها وما لي عذر في الاعلام
بجميعها والحديث عنها الا ما اسر الي النبي صلى الله عليه وسلم
مما لم يحدث به غيري فخرج بقوله كلامه اشارة الى ان النبي صلى الله
عليه وسلم عهد اليه واسر له الا يحدث بكل ما يعلمه من الفتن
او لا يذيعه ان رأى في ذلك مصلحة وهذا اولى لما ذكرناه من ثبوت
الرواية وان المعلوم من حال حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم
خصه من العلم بالفتن واسر اليه منها بما لم يخص به غيره
واما ما لم يسره اليه ولا خصه به فهو الذي يحدث به كما جاء مفصلا
بقوله لعمر قال وهو يحدث مجلسا انا فيهم عني الفتن والله اعلم

وقوله حدث به حديث بوم الجرعة كذا هو بضم الجيم والراء والعين
المهملة وهو موضع بجهة الكوفة وروي عن بعضهم بسكون الراء

لعله ما شيء

قوله

وأصل الجرعة الرمل الذي فيه سهولة يقال له جرع وأجراع
وجرعا وذلك اليوم هو يوم خرج أهل الكوفة إلى سعيد بن العاص
وكان عثمان رضي الله عنه ولاه عليهم فردوه وولوا أبا موسى
الأشعري رضي الله عنه وسألوا عثمان توليته فأقره وقوله
نشغني أحالفك لأكثر الشيوخ بالحاء المهملة من الحلف الذي هو
اليمين وقد رواه بعضهم أخالفك بالخاء المعجمة وهي التي ذكرها
وكلاهما يصح فتأمل مساقه. ومن باب ما فتح من ردم يأجوج
ومأجوج ويغزو البيت جيش فيخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير ذلك
إشارة إلى سؤال أم سلمة عن الجيش الذي يخسف به وسؤالها عن
ذلك الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان هذا ظاهره لكن
قال أبو الوليد الكناني هذا لا يصح لأن أم سلمة ماتت في أيام
معاوية قبل موته بسنة ولم تدرك أيام ابن الزبير قال
القاضي وقد قيل إنها ماتت أيام يزيد بن معاوية في أولها فعلى هذا
يستقيم الخبر فإن عبد الله نازع يزيد لأول ما بلغته البيعة
له عند موت معاوية وداخله شيئا فوجه إليه يزيد أخاه
عمرو بن الزبير ليجيئه به أو يقاتله فظفر به عبد الله بن الزبير
ومات في سجنه وصلبه ذكر ذلك الطبري وغيره وذكروا وفاة
أم سلمة أيام يزيد أبو عمر بن عبد البر قال الشيخ رحمه الله
هذا الحديث رواه عن أم سلمة عبد الله بن صفوان من طرق صحيح
في الأصل وفيه أيضا عنه أنه رواه عن حفصة رضي الله عنها
فيحتمل كل واحدة منهما حدثت به عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا
اضطراب وقوله يعوذ بالبيت عائذ فيبعث الله بعثا فإذا

كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم. الذي أنا رأيت هذا الحديث
في وقت عبد الله بن الزبير أن عبد الله بن الزبير لجأ إلى البيت
عندما طالبه يزيد بن معاوية بأن يبايعه ففر من المدينة إلى مكة
واستجار بالبيت ووافقه على رأيه على ذلك جماعة على خلافة
يزيد فجهز يزيد جيشا من أهل الشام إلى مكة فتحدث الناس
أن ذلك الجيش يخسف به وذكروا الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحينئذ قال لهم صفوان أما والله ما هو بهذا الجيش
كما قد ظهر أن ذلك الجيش لم يخسف به والبيداء أرض ملساء
لا شيء فيها وفي الصحاح البيداء المفازة والجمع بيد وقيل يعني
بيداء المدينة ثم لا اختلف في ذلك أبو جعفر وعبد العزيز
بن رفيع كما ذكر في الأصل. وليتوضح لنا بصري والشريد
الطريد عن أهله ويعني به هنا المنفرد عن ذلك الجيش الذي
يخسف به ومنعة بتحريك النون جمع مانع ككاتب وكتبة
وبالسكون مصدر منع والمستبصر المتبصر بالأمور والمجبور
المكره الذي لا حيلة له في دفع ما يحمل عليه وهو من جبرت
الرجل على الشيء يفعله فهو مجبور بلا ألف وقال أجبرته وهي
الأفصح والأكثر فهو مجبر وقوله عبث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في منامه وجرته مقيدا بفتح الباء أي أتى بكلمات كأنها
مختلطة يقال عبث الشيء يعبثه بفتح الماضي وكسر المضارع
فأما عبث بكسر الماضي وفتح المضارع فمعناه لعب وقوله
إن ناسا من أمتي يؤمون بالبيت برجل أشر يؤمون
يعني يقصدون معناه بالبيت وهو مما يتعدى بنفسه كما تقدم

خير مرة وقوله يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى
المهلك الهلاك ويصدرون يرجعون واصل الصدر الرجوع عن موضع
المتاعر شتى يختلف بحسب نياتهم ومن باب الامور
التى لا تقوم الساعة حتى تكون . قوله خسر الفرات عن جبل من
ذهب اى تكشف ومنه خسرت المراة عن وجهها اى كشفت
والخاسر الذى لا سلاح عليه وكان هذا يكون اذا اختزت الارض
تقيأ ما فى جوفها كما تلتزم فى كتاب الزكاة وقوله ثم تعمره
فلا يأخذ منه شيأ نهى على اصله من التحريم لانه ليس ملكا لاحد
وليس بمعدن ولا يبعد ان يكون فى بيت المال ولانه لا يوصل اليه
الا بقتل النفوس فحرم الاقدام على اخذه وقوله منعت العراق
درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر
اردبها هذا الرواية المشهورة بغير اذا فيكون ماضيا بمعنى الاستقبال
كما قال الله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه اى يأتى وكقوله واذ قال
الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس بمعنى اذ تقول ومثله كثير
وقد رواه ابن ماجة اذا منعت وهو اصل الكلام غير انه تحتاج
الى جواب اذا وتحمل ذلك وجهين احدهما ان يكون الجواب محذوفا من اول
الكلام ويكون العامل فيه قوله كما قال امرؤ القيس لما اجزنا ساحة الحى وانتحى
اى لما اجزنا انتحى فزاد الواو وتحمل ان يكون جواب اذا محذوفا والتقدير
اذا كانت هذه الامور رجات الساعة وذهب الدين ونحو ذلك والله اعلم
وتسمية النبى صلى الله عليه وسلم يأجوج ومأجوج كل قوم باسمه المعروف عندهم
دليل على انه كان يعرف كلام الناس وان تفوت افهامهم واختلفت
عبارتهم وقد تقدم تحقيق هذا فى اول كتاب الايمان

عن موضع وهذا منه اخبار بان امور الدين وقواعده
يتشرك القليل بها لضعف القائم بها او لكثرة الفتن واشتغال
الناس بها وبهام امر المسلمين فلا يعنون بمباحث الزكاة والجزية
ممن وجبت عليه فيمتنع من عليه ممن يؤديه والله اعلم وقوله
وعدتم من حيث بدأتم اى رجعتم على الحالة الاولى التى كنتم عليها
من فساد الامر وافتراق الكلمة وغلبة الاهواء وذهاب الدين وقوله
شهد على ذلك لحم ابى هريرة ودمه اى صدق بعد الخروج وشهد
بصدقه كل جزء فى ابى هريرة ومعناه ان هذا الكون حق فى نفسه
ولا بد من وقوعه وقوله تنزل الروم بالاعماق او بدابق
الاعماق جمع عمق بضم القاف وفتحها وهو ما بعد من اطراف المفاوز
قال راويه وقائم الاعماق خاوى المخترق ودابق اسم بلد
والاغلب عليه التذكير والصرف لانه فى الاصل نصر قال الراجز
يدابق ابن منى دابق . وقد يؤنث ولا يصرف وهو بفتح الباء
وكذا وجدته مقيدا مضبوطا وكتاب الفتح وتقال بالكسر فيما احسب
وقول الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نسترق ابناءهم الرواية الصحيحة سبوا
بضم السين والباء اى الذين اصابوا منا سبيا وقد قيده بعضهم بضم
السين والباء وليس بشىء لان قول المسلمين جوابهم له والله ما خلى بيننا
وبين اخواننا يعنون انهم منهم فى الانساب والدين فلو ان الروم
طلبوا من سبى منهم لما قالوا لهم ذلك مطلقا والله اعلم وقوله
فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم ابدا لانهم فروا من الزحف حيث
لا يجوز لهم الفرار فلا يتوب الله عليهم اى لا يلهمهم اياها ولا يعينهم
عليها بل يصرون على ذنبهم ذلك ولا يندمون عليه ويجوز ان يكون

معنى ذلك انه تعالى لا يقبل توبتهم وان تابوا ويحونون مآثم
بمن شاء الله الا بقبول توبتهم لعظيم جرمهم وقوله ان المسيح
فتر خلفتم في اهليكم بذا الرواية الجيدة مخففة اللام بغير
الف اي بشر يقال خلفت الرجل في اهله بخير او بشر وقد تقدم
قوله صلى الله عليه وسلم من خلف غازيا في اهله بخير فقد غزا
وقد رواه بعضهم خالفتم والاولى اصوب لان خالف يتعدى بالى
وخلف يتعدى بفي وقد خالف الرجل خلف بحر وقد سلم الفعل
في اسم المسيح في كتاب الايمان وسبابي الكلام في الدجال وحوله
هاجت ريح حمراء شديدة احمرت لها الشجر وانكشفت الارض
فظهرت حمرتها وقوله فجاء رجل ليس له بحيرا الا باعبر الرجات
الساعة كذا رويته بحيرا على وزن بعيد وهو تقييد ابي الفتح
السناني التميمي وغيرها العذري بحير على وزن خمير قال الشيخ
وكلاهما لغة صحيحة قال الحربي البحير مثل النسق الراب
والعادة وكذلك البحيرا والابحير اقال ما زال ذلك بحيراه والبحراه
وامر بتاه اي دابه وعادته قال غيره وبحيرا افصحها والشرك
بضم الشين وهي هنا اول الطائفة من الجيش تقاتل ومنه الشركان
لنقدمها اول الرسم وقيل انهم سموا بذلك لعلامات تميزوا بها
والاشراك العلامات وهذا هو الاعرف ويحجز بينهم الليل اي يحول
بينهم وبين القتال بسبب ظلمته والحاجز هو الفاصل بين شيئين
ويفيء اي يرجع وتقدا اليهم اي تقدم ومنه سمي التقدمة
متقدمة الجيش وقوله تجعل اسما الذريرة تحليم كذا لقيتهم
بالباء واحدة ومكونها ورواه العذري الدايرة ومعناهما متقاربة

قال الهروي الدايرة الدولة تدور على الاعداء والدبرة النصر
والظفر يقال لمن الدبرة اي الدولة وعلى من الدبرة اي الهزيمة
قاله الهروي وقوله حتى ان الطابير ليمر بجنباتهم فما خلفهم كذا
رواية الجماعة وهو جمع جنبة وهي الجانب ووقع لبعضهم بجماتهم
اي باخماصهم والجثمان الاصل والشخص كلها تسمى بذلك
واما الجنة فيقال على الجالس والنائم وقوله اذ سمعوا بناس
هم اكثر من سبعين رجلا كذا للعذري وكذا قرانه وعند غيره
بباس بباء واحدة واكبر سا واحدة ابهما وهو الحرب الشديد والامر
الهايل قال بعض المشايخ وهو الصواب وتصحيحه رواية ابي داود
اذ سمعوا باسرا كم من ذلك ويسير بن جابر يروى بالباء والنون
من تحتها وبالهمزة والصريخ الصارخ اي المغوث عند الامور
الهايلة والصراخ وبر فضون يرسون ويتركون والطليعة هو
الذي يتطلع الامور ويستكشفه وقوله اني لاعرف اسماءهم
واسما ابايهم والوان خيولهم دليل على صحة ما قلناه من ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يخاطبهم بما يعرفون من احوالهم وقد اعلم بتفاصيل ما يجري بعده والتخاص من يجري
منه شيء له تعلق بالامة وقوله تقوم الساعة والروم اكثر
الناس هذا الحديث رواه مسلم من طريقين احدهما لا تعقد فيه
عليه والاخر فيه نقب وهو الذي قال فيه حدثني ذرعة بن يحيى
التجيبي شاعر الله بن وهب حدثني ابو شريح ان عبد الكريم بن الحارث
حدثه ان المستورد القرشي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ذلك قال الدارقطني عبد الكريم لم يدرك المستورد والحديث
مرسل قال الشيخ هذا الحديث ذكره مسلم مفردا على الاسناد

اي عند قوله الى ان يحكم الله
الكفر الكفر وفي الاصل الكفر بالباء

السلم الذى لا تعقب منه وكان مسلما تحقق ما قاله الدارقطنى
ولذلك اردفه على الاسناد الاول الذى هو عمدته وعلى شرطه
وهذا وغيره مما تقدم مثله يدل على ان القسم الثالث الذى ذكره
مسلم فى اول كتابه ادخله فى مسنده والله اعلم وهذا الحديث
قد صرحت فيه الوجود بانهم اليوم اكثر من فى العالم غير ماجوج وماجوج
اذ قد عمروا من الشام الى اقصى منقطع ارض الاندلس وقد اتسع
دين النصارى اتساعا عظيما لم تتسعه امة من الامم وكل ذلك
بقضاء الله وقدره ووصف عبد الله بن عمرو لهم بما وصفهم به من
تلك الاوصاف الجميلة انما كانت عالمة على الروم الذين ادرك
صورهم وامامهم فى الوجود منهم اليوم فهم الخمس الخليقة
واركسهم ورثة موصوفون بنقايض تلك الاوصاف وقوله
واكثر الناس عند مصيبة كذا رواه الجمهور وهو من كبرت
العظم والرجل اذا سرت مقاقره وقد فسر معنى هذه الرواية
فى الرواية الاخرى التى قال فيها واسرعهم اقاقه بعد مصيبة
ووقع لبعضهم اصبر الناس بدل اكثر الناس والاول اعم واحسن
وقوله اتى النبى صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب يعنى من قبل
مغرب المدينة عليهم ثياب الصوف هذا لباس اهل المادية
والاكمة القطعة الغليظة من الرمل وقوله وقفوا امامه
فوقفلهم او استدعوا منه ذلك وقوله قالت لى نفسى اتتهم
كذا بينهم هذا الرواية المعروفة وفى بعض الروايات اذا قالت لى نفسى
اتيتهم بزيادة اذ ومعنى اتيتهم جئتهم ويقاتلونه بفتلونه عن قبله اى خديعة
والتجى الناجى المتباعد وهو المخرج وخلوة وقوله تغزون فارس

فيفتحها الله الحديث الى اخره هذا الخطاب وان كان لاولئك
القوم الحاضرين فالمراد هم ومن كان على مثل حالهم من الصحابة
والتابعين الذين تفتح بهم تلك الاقاليم المذكورة ومن يكون بعدهم
من اهل هذا الدين الذين يقاتلون فى سبيل الله الى قيام الساعة
ويرجع معنى هذا الحديث الى الحديث الاخر الذى قال فيه لا تزال طائفة
من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم الى قيام
الساعة وقوله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله وقع فى بعض النسخ
فيفتحه بضمير المذكر فيحتمل انه يعنى بذلك قتل الدجال نفسه
الذى يكون على يدى ابن مريم صلى الله عليه وسلم كما تقدم وحكاياتى
ويحتمل ان يعود على ملكه وخزيرته فى اصل السبخ فيفتحها الله
بضمير المؤنث يعنى بذلك مملكته او ارضه التى تغلب عليها
وخزيرة العرب ارضهم التى يسكنونها وسميت جزيرة لانها
محفوفة بالجزار التى احدقت بها وقد تقدم القول فيها فى الجهاد

ومن باب الايات العشر التى تكون قبل قيام الساعة

حذيفة هو ابن اسيد هو بضم الهمزة وكسر السين وقيل ابن اسيد
بضم السين وكسر الراء وهو غفارى حليف بنى ساعدة بايع رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة يعرف بالكوفيين وبالكوفة مات وحديثه
خرجه فى العشر الايات رواه سفيان بن عيينة عن فرات القزاز
عن ابى الطفيل عن حذيفة على نص ما ذكرته فى المختصر والعشر
الايات فيه مجموعة غير مرتبة وقد رواه شعبة عن فرات
فجاء بها مرتبة مجموعة فكانت هذه الرواية بالذكر فى المختصر
اولى لكن لم يقدر ذلك فلنذكر هذه الرواية هنا قال حذيفة

رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفة ونحن أسفل منه
فاطلع إلينا فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال إن الساعة لا تقوم حتى
يكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة
العرب والدخان ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع
الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس تحاشعة
وعيسى عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن أبي سريحة قبل ذلك
لا يذكر أنه صلى الله عليه وسلم وقال أحدهما في العاشرة ونزول عيسى
ابن مريم وقال الآخر ريح تلقي الناس في البحر وهذه الروايات
مرتبة محسنة فلنرد إليها الروايات التي لا ترتيب فيها فأول
هذه الآيات الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها ذكر أبو الفرج
الجوزي أنه وقعت بعراق العجم زلازل وخسوفات هائلة هلك
بسببها خلق كثير وقد سمعنا ونحن بالأندلس أن بلدا بشرقيها
خسف به وهلك كثير من أهله وأما الدخان فهو الذي دل عليه
قوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الآية على ما ذهب
إليه غير ابن مسعود وهم جماعة من السلف رضي الله عنهم وهو
مروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وابن عباس والحسن وابن أبي مليكة
وروى خلافه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة دخانا
يمكث في الأرض أربعين يوما قال الفتح ويؤيد هذا قوله
في الآية ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون وقوله إنا كاشفوا
العذاب قليلا إنكم عائدون وهذا يبعد قول من قال إنه الدخان
الذي يعذب به الكفار يوم القيامة وهو مروي عن زيد بن علي وسيأتي
القول في حديث ابن مسعود في التفسير وأما الدابة فهي التي قال الله تعالى

وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ذكر
أهل التفسير أنها خلق عظيم تخرج من صدع من الصفا لا يفوتها
أحد ثم المؤمن فيقبل وجهه ويثبت بين عينيه مؤمن ونسم الكافر
فيسود وجهه ويكتب بين عينيه كافر وعن عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما أن هذه الدابة هي الجساسة المذكورة في الحديث
بعد هذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها تتعبان أيام الكعبة
فاختلفت القبائل وتفرقت في صورتها وفي أي موضع تخرج
منه على أقوال كثيرة وليس في شيء من ذلك خبر صحيح مرفوع قال
بعض المتأخرين من المفسرين الأقرب أن تكون هذه الدابة إنسانا
متكلما يناظر أهل البدع والفجور ويجادلهم لينظروا فيهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال الشيخ وإنما قال هذا
عندي هذا القائل لأنه لم يقف لقوله تعالى تكلمهم وعلى هذا فلا يكون
في هذه الدابة آية خارقة للعادة ولا يكون من جملة العشر
الآيات المذكورة في الحديث لأن وجود المناظرين والمحتجين على
أهل البدع كثير فلا آية خاصة فلا ينبغي أن تذكر مع العشر
التي تقع خصوصية وجودها إذا وقع القول لم نبه القرآن على
حسن تسمية هذا الإنسان المناظر الفاضل العالم الذي يحتج على أهل الأرض
باسم الإنسان أو بالعالم أو بالإمام إلى أن يسمى بدابة وهذا أخرج عن
عادة النحاة وعن تعظيم العلماء وليس ذلك بأبي المقلا فالأولى ما قاله
أهل التفسير وأما كيفية صفتها وخلقتها وما تكلمهم فالله أعلم
بذلك وآخر ذلك نار تخرج من اليمن وما قبلها تقدم من قعر
عدن وفي رواية من أرض الحجاز قال العلماء فإن الحشر نار

لحشر الناس ويكون ابتداء خروجها من اليمن وظهورها من الحجاز
وقوله تضيء اعناق الابل ببصرى اى تكشف بضوئها اعناق
الابل ببصرى وهى بالشام فيبقى والله اعلم ان هذه النار الخارجة
من قعر عدن تسوق بارض الحجاز مقبلة الى الشام فاذا قاربت الشام
امات ما بينها وبين بصرى حتى يبرى بسببه ضوئها اعناق الابل
ويقال ضاءت النار واضاءت لغتان وببصرى بضم الباء وهى مدينة
من مدن الشام قيل هى حوران وقيل قبسارية وقوله ان اول
الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على
الناس ضحى يعنى والله اعلم اول الايات الكائنة فى زمان ارتفاع
التوبة والطبع على كل قلب بما فيه لان ما قبل طلوع الشمس
من مغربها التوبة فيه مقبولة وايمان الكافر يصح فيه بدليل
ما يرواه ابو داود من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
فاذا طلعت ورأها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا ومعنى قوله
اذا طلعت ورأها الناس آمن من عليها اى حصل لجميع من على الارض
التصديق الضرورى بامور القيامة الذى لا يكلف به ولا ينفع
صاحبه لكون صور الاخرة معاينة وانما كان طلوع الشمس مخصوصا
بذلك لانه اول تغيير هذا العالم العلوى الذى لم يشاهد فيه
تغيير منذ خلقه الله والى ذلك الوقت واما ما قبله من الايات فقد
يشاهد ما يقرب من نوعه فاذا كان ذلك وقع على كل قلب ما هو
من كفر او ايمان اخرج الله الدابة معرفة لما فى خواطر الناس من ايمان

او كفر تكلمهم بذلك اى تعرف المومن من الكافر بالكلام وتسمه
وجوه الفريقين بالنور فينطق وصفه فى جبهته مومن او كافر
حتى يتعارف الناس بذلك فيقول المومن للكافر ويحك سلقت يا كافر
ويقول الكافر يا مومن ثم يبقى الناس على ذلك ما شاء الله ثم يرسل
الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى احد على وجه الارض فى قلبه
مثقال ذرة من ايمان الا قبضته على ما جاء فى حديث عبد الله بن عمرو
الآتى بعد هذا وغيره وقد تقدم فى كتاب الايمان حديث ابى هريرة
الذى قال فيه ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
او كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض
وذكر من جملة الثلاث الدجال ويلزم عليه ان يرتفع التكليف
بالايمان وبالتوبة عند خروجه والاحاديث الاتية فى صفة الدجال
تدل على خلاف ذلك على ما سنبينه فدل على ان ذكر الدجال مع الطلوع
والدابة وهم من بعض الرواة والله اعلم وقد اختلفت الاثار والاقوال
فى اول الايات المذكورة وما ذكرته اشبهها واولاها ان شاء الله
وقوله تبلغ المساكن بالباء الموحدة والاول بكسر الهمزة والثانى
بالياء المفتوحة عند الترمذى وعند ابن عيسى وبها بالنون المكسورة
وهو موضع بينه وبين المدينة القدر الذى كنا نحن شعيبة بخراسان
ميلا وقد تقدم ان من اهل السنن من حمل هذا على الاعداد المعطوفة
التى اولها احد وعشرون وآخرها تسعة وتسعون وهذا اخبار منه
صلى الله عليه وسلم بان الناس يكثرون بالمدينة ويتسعون فى مساكنها
وفنيائها حتى يصل بناؤهم ومساكنهم الى هذا الموضع وقد كان ذلك
والله اعلم فى ملوك بنى اميتهم بعد ذلك فلم تزل امرها الى ان اقفرت

رجالها كما تقدم وقوله ص تضطرب اليتات دوس حول ذي
الخلصة المعروف في ذي الخلصة الفتح في الخاء واللام وبعد الراء نون
وروينه في كتاب مسلم وفي السيرة لابن اسحق قال القاضي
يقال بفتح الخاء واللام وضمها وبسكون اللام وجزم نحكي عن ابي بكر
الهروي وتبالة بفتح التاء وبالباء موضع بالين وليس بتثليثه التي
تضرب بها المثل الذي يقال فيه اهون على الحجاج من تبالة تلك
بالكاف قال ابن اسحق وذو الخلصة بيت فيه صنم يسمى ذا الخلصة
لدوس وخثعم وبجيلة وكان يسمى الكعبة اليمانية بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله رضي الله عنه فحرقه بالنار قال
الفتح رحمه الله ومعنى هذا الحديث ان دوسا يظهر فيها الارتداد
عن دين الاسلام ويرجعون الى ما كانوا عليه من عبادة الاوثان
كما قال في حديث عائشة رضي الله عنها لا يذهب الليل والنهار حتى
تعبد اللات والعزى وسيأتي في التفسير ويضطرب تحرك عند
الطواف بذلك الصنم والاليات جمع الية وقوله لا تقوم الساعة
حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وفي الاخرى فيتمرغ
عليه ويقول يا ليتني هذا القبر يعني من شدة
البلاء وكثرة الفتن والانكاد اللاحقة للانسان في نفسه وماله
وقوله ولذلك علل ليس به الدين الا البلا وكان هذا اشارة الى
ان كثرة الفتن المشقات والانكاد تؤدي هيبة الدين من اكثر الناس
او قللت الاعتناء به من ان تفسد بالدين من غير محذور الفتن ولذلك
عظم قدر العبادة في حالة الفتن حتى قال صلى الله عليه وسلم العبادة
في الهرج كهجرة الي وقوله يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة

زاد ابو داود في هذا وخرج كثير منها السويقتان تصغير الساقين
والحراش سرقته وصغرها لدقتهما ورقتهما وهي صفة
سود الحبشة غالبا وقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث آخر بقوله كأني به اسود افحج يقلعها حجرا
حجرا والفحج تباعد ما بين الساقين ولا يعارض هذا قوله
تعالى ألم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
لان تخريب الكعبة على يدي هذا الحبشي انما يكون عند خراب
الدنيا ولعل ذلك في الوقت الذي لا يبقى الا اشرار الخلق ممن
حرما آمنا مع بقاء الدين واهله فاذا ذهبوا ارتفع ذلك
المعنى قال النووي ويتحقق الجواب عن ذلك انه لا يلزم
من قوله تعالى انا جعلنا حرما آمنا ان يكون ذلك دائما في كل
الاوقات بل اذا خطت له حرمة وامن في وقت ما فقد صدق
اللفظ وصح المعنى ولا يعارضه ارتفاع ذلك المعنى في وقت اكثر
فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اجل لي مكة ساعة
من نهار ثم عادت حرمتها الى يوم القيامة قلنا اما الحرم
بالحرمة والامن فلم يرتفع ولا يرتفع الى يوم القيامة اذ لم
يستحق ذلك بالاجماع واما وقوع الخوف فيها ونزع حرمتها
فقد وجد ذلك كثيرا ويكفيك بعوث يزيد بن معوية وجيوش
عبد الملك وقتال الحجاج لعبد الله بن الزبير وغير ذلك مما
خرابها وما فعل بها من احراق الكعبة ورميها بالحجارة
المنجنيق وقوله يخرج رجل من قحطان يسوق الناس
بعصاه اي يملكهم ويتصرف فيهم كما يتصرف الراعي في الماشية

ولعل هذا الرجل التحكانى هو الذى يقال له الجحكاه واصل
الجحجحة الصياح بالسبع ليكف فيقال جحجحت بالسبع اى
زجرته بالصياح ويقال تجحجحه عنى اى اتنه وقوله
يقاتلون بين يدى السلكه قوم نعالهم الشعر كان وجوههم
المجان المطرقه الجان بضم الميم جمع بحن بكسر الميم وهو
الترس والمطرقه التى البست الطاقه فوق اخرا ومنه
طارقت النعل اذا اطبقت طاقه فوق اخرى ووجه التشبيه
ان وجوههم غالبا عراض العالى محدوده الاذقان صلبته
وقوله نعالهم الشعر وفى روايه يتخذون الشعر اى يتخذون
من الشعر حبالا ويصنعون منه نعالا كما يصنعون منه ثيابا
ويشهد لهذا قوله فى روايه اخرى يلبسون الشعر ويمشون
فى الشعر هذا ظاهره ويحتمل ان يريد لك ان شعورهم كثيفه
طويله فهى اذا سدلوها كالليباس وذوايبها الوصول لها
الى ارجلهم كالنعال وقوله ذلف الانوف وفى روى الانف
فالاول جمع الكثره كقلس وقلوس والثانى جمع قله كافلس
وجمع ايضا انافا ورأف كل شى اوله والذلف فى الانسان
بالذال المعجمه صغر الانف واستواء الارتبه وقصرها
وقيل هو من الاربعه والاول اعرف واشتهر تقول رجل
اذلف بين الذلف وقد ذلف والمراه ذلفا من نساء ذلف
ولا شك ان هذه الاوصاف هى اوصاف الترك غالبا
وقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الروايه الاخرى فقال تقاتل
المسلمون الترك وهذا الخبر قد وقع على نحو ما اخبر فقد قاتلهم

المسلمون فى عراق العجم مع سلطان خوارزم رحمه الله وكان الله
قد نصره عليهم ثم رجعت لهم الكره فغلبوا على عراق العجم
وغيره وخرج منهم فى هذا الوقت انهم لا يحصيهم الا الله ولا يردهم
عن المسلمين الا الله حتى كأنهم ياجوج وماجوج او اشد منهم
فنسأل الله تعالى ان يهلكهم ويبدد جمعهم ولما علم النبى صلى الله
عليه وسلم عددهم وكثرتهم وشوكتهم قال صلى الله عليه
وسلم اتركوا الترك ما تركوكم لا يكنا ترجو لين فضل الله
النصر عليهم والظفر بهم وذلك لما رواه ابو داود من حديث
عبد الله بن بريده عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
تقاتلكم الترك قوما صغار الاعين قال يعنى الترك قال
تسوقونهم ثلاث مرار حتى يلحقوهم بجزيره العرب فاما
فى السياقه الاولى فينجو من هرب منهم واما فى الثانيه
فينجو بعض ويهلك بعض واما فى الثالثه فيصطلمون وقوله
لا تقوم الساعه حتى يغزوها سبعون الفا من بنى اسحق هكذا
صحت الروايه بحذف الجمع وفى الامهات قال القاضى ابو الفضل
قال بعضهم المحفوظ من بنى اسمعيل وهو الذى يدل عليه الحديث
وسياقه لانه انما يعنى به العرب والمسلمين يدل الحديث
الذى سماهما فيه فى الام وانها القسطنطينيه وانما يصفها
بما وصفها به هنا قال الشيخ وهذا فيه بعد من جمهه
القاف الرواه على بنى اسحق فاذا المعروف خلاف ما قال هذا
القابل ويمكن ان يقال ان الذى وقع فى الروايه صحيح غير انه اراد
به العرب وسبتهم الى العجم واطلق عليهم ما يطلق على ولد الاب

مما يتال ذلك في الحال حتى قد قيل الحال آخر الاعوام واعلم
واما قوله ان هذه الغزية هي القسطنطينية فينبغي ان يبحث
عن صفتها هل توافق ما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه
المدينة ام لا واما ما ذكره مسلم في الام من حديث القسطنطينية
فهو ما تقدم في حديث ابي هريرة الذي قال في اوله لا تقوم
الساعة حتى تنزل الروم بالاعماق او بدابق فيخرج اليه
فيقاتلهم المسلمون فينهزم ثلث ويقتل ثلث ويفتح الثلث
قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا اسيوفهم
بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في اهليكم
وظاهر هذا يدل على ان القسطنطينية انما تفتح بالقتال وهذا
الحديث يدل على انها تفتح بالتهليل والتكبير فقول بعضهم
فيه بعد والحاصل ان القسطنطينية لا بد من فتحها وان فتحها
من اشراط الساعة على ما اشعر به اخبار كثيرة منها ما ذكرناه
انفا ومنها ما اخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الملحمة الكبرى وفتح
القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة اشهر قال
هذا حديث حسن وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال فتح
القسطنطينية مع قيام الساعة هكذا رواه موقوفا
قال المحب هذا حديث غريب والقسطنطينية هي مدينة الروم
تفتح عند خروج الدجال والقسطنطينية فتحت في زمان
بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيخ وعلى هذا
فالفتح الذي يكون مقارنا لخروج الدجال هو الفتح المراد بهذه

الاحاديث لانها اليوم بايدي الروم دمرهم الله والله
يتقاضيل هذه الوقايع اعلم وقوله لا تقوم الساعة حتى
يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون الحديث هذا انما
يكون والله اعلم بعد قتل الدجال فان اليهود هم اكثر اتباعه
وسيأتي منصوصا عليه بعد هذا ان شاء الله وقوله لا تقوم
الساعة حتى تبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين فذكر
القول في استقاق اسم الدجال وانه المموه بالكذب
قال القاضي ابو الفضل هذا الحديث قد ظهر فلو عد من تنبأ
من رئيس الى صلى الله عليه وسلم الى الان من استمر بذلك وعرف
واتبعه جماعة على ضلالته لوجد هذا العدد فيهم ومن تتبع
كتب الاخبار والتواريخ عرف صحة هذا ولولا التطويل لسردنا
منهم هذا العدد وقوله يكون في آخر امتي خليفة يحثي المال حثيا
ولا يعده عدا اي يصبه صبا يقال حثا يحثي حثيا وحثى
يحثو حثوا وقد وقع الفعلان في الام والمصدر حثيا بفتح الحا
واسكان الثا وضبط عن ابي ذر حثيا بكسر الثا وتشديد الياء
وليس بمعروف وانما نفى ابو نضرة ان يكون هذا الخليفة هو
عمر بن عبد العزيز لقوله صلى الله عليه وسلم في آخر امتي وذلك لا يصدق
على زمن عمر بن عبد العزيز الا بالتوسع البعيد ولانه لم يحث
المال كما جاء في هذا الحديث وقد روى الترمذي وابو داود احاديث
صحيحة في هذا الخليفة وسمياه بالمهدي فروى الترمذي عن عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه

قال حديث حسن صحيح وخرجه ابو داود وزاد فيه يملأ الارض قسطا
وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ٥ ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه
لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل
من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي قال حديث حسن صحيح ومن حديث
ابي سعيد قال خشينا ان يكون بعد نبينا حدث فسألنا فقال
ان في امتي المهدي يخرج يعيش خمسا او سبعا او تسعا زيد الشاك
قال قلنا وما ذاك قال سنين قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي
اعطني يا مهدي اعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله
قال هذا حديث حسن وروى ابو داود من حديث ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي في امتي
اجلى الجبهة اقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما
ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين ٥ وروى ايضا ابو داود
عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون اختلاف
عند موت خليفة فيخرج رجل من اهل المدينة هاربا الى مكة
فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه
بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم
بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه
ابدال اهل الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ
رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهر عليهم
وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب
فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الاسلام
بجرانه الى الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه

المسلمون وفي رواية تسع سنين وهذه اخبار صحيحة مشهورة
عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على خروج هذا الخليفة الصالح في جمع
اخر الزمان وهو مشهور اذ لم يسمع ممن تحملت له تلك الاوصاف
التي تضمنتها تلك الاخبار والله اعلم وقوله يهلك امتي هذا
الحي من قريش وفي البخاري هلاك امتي على يدي اغيلمة من
قريش الحي القبيل واشار النبي صلى الله عليه وسلم الى قبيل قريش
وهو يريد بعضهم وهم الاغيلمة المذكورون في حديث البخاري
هما انه لم يرد بالامة جميع امته من اولها الى اخرها بل من
كان موجودا من امته في ولاية او آيد الاغيلمة وكان
الهلاك الحاصل من هاؤلاء لامته في ذلك العصر انما سببه
ان هاؤلاء الاغيلمة لصغر اسنانهم لم يتحنكوا ولا جربوا الامور
ولا لهم محافظة على امور الدين وانما نصرفهم على مقتضى غلبة
الاهواء وحدة الشباب وقوله لو ان الناس اعتزلوهم
لو معناها التمني اي ليت الناس اعتزلوهم فيه دليل على اقرار
ايمة الجور وترك الخروج عليهم والاعراض عن هناءة ومفاسدهم
نصرة لهم وهذا ما افاموا الصلاة ولم يظهر منهم كفر بواح
عندنا من الله فيه برهان كما قدمناه في كتاب الامامة
وهاؤلاء الاغيلمة كان ابو هريرة يعرف اسماءهم واعمارهم ولذلك
كان يقول لو شئت قلت لكم هم بنو فلان وبنو فلان لكنه سكت
عن تعيينهم لعلمه بما يطرأ من ذلك من المفاسد وفتنهم والله اعلم
يزيد بن معوية وعبيد الله بن زياد ومن تنزل منزلتهم من ادراك
ملوك بني اميه فقد صدر عنهم من قتل اهل بيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وسبيهم وقتل خيار المهاجرين والانصار
بالمدينة ومكة وغيرها وخيار خلق ما مر عن الحجاج
وسليمان بن عبد الملك وولده من سفك الدماء واتلاف الاموال
واهلاك خيار الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك واما تحيلة
تصغير علة على غير مكبره فكانهم قالوا اعيلمة ولم يقولوه
كما قالوا اصيبية في تصغير صبية وبعضهم يقول عليه
على القياس وقد تقدم القول في الغلام وان اصله فيمن لم يحتلم
ثم قد يتوسع فيه ويقال على الحديث السن وان كان قد احتلم
وعلى هذا جاء ما في هذا الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم لعمار
رضي الله عنه تقتلك فئة باغية في لفظ آخر الفئة الباغية
هذه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم على فئة معاوية
بالبغي فانهم هم الذين قتلوه فانه كان بعسكر علي رضي الله عنه
بصفين وابلى في القتال بلاء عظيما وحرض اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قتال معوية واصحابه قال ابو عبد الرحمن السلمي
شهدنا مع علي رضي الله عنه صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ
ناحية من نواحي صفين الا رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يتبعونه فانه علم لهم قال وسمعته يقول يومئذ لهاشم
ارتحتبة يا هاشم تقدم الجنة تحت الابارقة السيوف الا ان الاحبة
محمدا وحزبه والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا
انا على الحق وانهم على الباطل ثم قال نحن ضربناكم على تنزيله
فاليوم نضربكم على تاويله ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله او يرجع الحق الى سبيله

قال فلم ار اصحابه محمد تتلوا في موطن ما قتلوا ابو سبيد وقال عبد الرحمن
ابن ابزى شهدنا صفين مع علي رضي الله عنه فكان ما بايعه ممن
بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاثة وسبعون منهم عمار بن ياسر
وروى الشعبي عن الاحنف بن قيس في خبر صفين قال ثم حمل
عمار فحمل عليه ابن جزء السكسكي وابو الغادية الغزاري
فاما ابو الغادية فطعنه واما ابن جزء فاخترط راسه وكان
سنه وقت قتل نيفا على تسعين سنة وكانت صفين في ربيع
الاخر سنة سبع وثلاثين ودفنه علي رضي الله عنهما في ثيابه
ولم يغسله كما فعل شهداء احد ولما ثبت ان اصحاب معوية
قتلوا عمارا تذكر عندهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم الفئة وان عليا هو المحق ووجه ذلك انهم
عليا رضي الله عنه احق بالامامة من كل من كان على وجه الارض
في ذلك الوقت من غير نزاع من معوية ولا من غيره وقد انعقدت
بيعته باهل الحل والعقد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واهل دار الهجرة فوجب على اهل الشام والحجاز والعراق وغيرهم
متابعته وحرمت عليهم مخالفته فامتنعوا من بيعته وعملوا
على مخالفته وكانوا ظالمين وعن سبيل الحق ناكبين فاستحقوا
اسم البغي الذي شهد به عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويتبين
من هذا اثر بلاتهم الفاسدة فانها تحريفات عن سنن الحق
وابده وقد قال الاخباريون ان معوية رضي الله عنه تاول
الخبر تارة وبلين احدها انه حال وجوب الخبر فقال نحن الباغية
لدم عثمان رضي الله عنه اي المطالبة له وتارة نبهها انه قال انما قتله

الف التعاليم

اتاه شهيدة وقف صفين مع علي ممن بايع بيعة الرضوان فقاتل معه وقتل

من اخرجه للقتل وعرضه له وهذان التاويلان فاسدان
اما بيان فساد الاول فالبغي وان كان اصله الطلب فقد
غلب عرف استعماله في اللغة والشرع على التعدي والفساد
ولذلك قال اللغويون ابو عبيد وغيره البغي التعدي وبغي
الرجل على الرجل استطال عليه وبغت السماء اشتد مطرها
وبغى الجرح ورم وترامى الى فساد وبغى الوالي ظلم وكل مجاوزة
وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء يبغي وسري جرحه على
يبغي وهو ابغر وفيه شيء من بغل وعلى هذا فقد صار الحال في البغي
كالحال في الصلاة والدابة وغير ذلك من الاسماء العرفية التي
اذا سمعها السامع سبق لفهمه المعنى العرفي المستعمل لا الاصلي
الذي قد صار كالمطرح كما بيناه في الاصول والى حمل اللفظ على ما
قلناه صار عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره يوم قتل عمار واكثر
اهل ذلك العصر وقالوا ان ذلك التاويل تحريف سلمنا انفي العرف
وان لفظة الباغية صالح للقلب والتعدي لكن النبي صلى الله عليه
وسلم ذكر الفئة الباغية في هذا الحديث في معرض اظهار فضيلة
عمار وذم قاتليه ولو كان المقصود البغي الذي هو مجرد القلب
لما افاد شيئا من ذلك وقد افادهما بدليل سياق الحديث فتامله
بجميع طرقه تجده كذلك وايضا فلو كان ذلك هو المقصود لكان
تخصيص قتلة عمار بالبغي الذي هو القلب طابعا لا فائدة
له اذ على واصحابه كالمبرئين للحق ولقتلة عثمان لو تفرغوا لذلك
وتمكنوا منه وانما منعهم من ذلك معوية واصحابه ابو وابن الخلاف
ومن الاستحال مع قول علي رضي الله عنه لهم ادخلوا فيما دخل فيه

الناس وتطلب قتلة عثمان ويقيم عليهم كتاب الله فلم يلتفتوا
لهذا ولا عرجوا عليه ولكن سبقت الاقدار وحكمت المحبية بقتيل
الدار واما فساد التاويل الثاني فواضح لانه عدل عن مجرد
القتل منه الى من لا يصح نسبته اليه اذ لم يجبر عمار على الخروج
بل هو خرج بنفسه وماله مجاهدا في سبيل الله ناصرا للقتال
من بغى على امام الحق وقد قلنا ما صدر عنه في ذلك وحاشى
معوية رضي الله عنه عن مثل هذا التاويل والعجب ممن يقول
بل قد حكي عن معوية انه قال عند ما جاءه قاتل عمار براسه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشر قاتل ابن سمية
بالنار فلما سمع القاتل ذلك جاء بسنان البشارة وبلسنا التحفة
واشكر في ذلك شعرا والله اعلم بحقيقة ما جرى من ذلك وقد تقدم
قول النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج تقتلهم اولى الطائفتين
بالحق والقاتل لهم هو علي رضي الله عنه واصحابه وقوله بئوس
ابن سمية هو منادى مضاف محذوف حرف النداء تقديره يا بئوس
ابن سمية وهي ام عمار والباس والبوس والبوسا المكروه
والضر وفي الرواية الاخرى يا تويس ابن سمية وفي البخاري يا ويح
ابن سمية وكلاهما بمعنى التفجع والترحم والويل بمعنى الهلكة هذا
هو الصحيح وقد تقدم الخلاف فيهما وقوله قد سات فسري فلا يسري
بعده واذا هلك فبصر فلا قبض بعده كذا جاء هذا الحرف في الام
قد مات فسرا بلفظ الماضي المحقق تقديره تقدم ذكر هذا اللفظ
في كتاب البر من جامع الترمذي من حديث ابي هريرة وعنه سعيد بن المسيب
وعنه الزهري وعنه سفيان وبهذا السند رواه مسلم غير

اخباره ان كل ملك للعرب كسرى وكل ملك للروم قيصر وكل ملك للحبشة النجاشي

ان الترمذي قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وبين اللفظين بون عظيم فلفظ مسلم يقتضي ان كسرى قد كان وقع موته فاخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يدل حديث ابي بكرة رضي الله عنه الذي اخرجه البخاري قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة يعني انه لما مات كسرى ولوا عليهم ابنته وعلى هذا فلا يصح ان يقال مات قد مات اذا مات ولا اذا هلك لان اذا للمستقبل ومات للماضي وهما متناقضان فلا يصح الجمع بينهما لاتحاد الراوي واختلاف المعنى الا على تاويل بعيد وهو ان نقدر ان ابا هريرة سمع الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين فسمع سيدا ولا اذا هلك كسرى وبعده قد هلك كسرى فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث الاول قبل موت كسرى لانه علم انه سيموت ويهلك ويكون النبي صلى الله عليه وسلم ايضا قال الحديث الثاني بعد موته ويحتمل ان يفرق بين الموت والهلاك فيقال ان موت كسرى كان مرة وقع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر عنه بذلك واما هلاك ملكه فلم يقع الا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وموت ابي بكر رضي الله عنه وانما هلك ملكه في خلافة عمر رضي الله عنه على يدي سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وخيره من الامراء الذين ولاهم عمر رضي الله عنه وعنهم حرب فارس فهزموا جموعه وفتحوا بلاده واستقلوا كسورة الى المدينة وذخائره وحلسته حتى تاجه كما هو المعروف في كتب التواريخ وكان موت كسرى وتمزق ملكه بسبب دعوة

بكتابه

النبي صلى الله عليه وسلم كما خرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قراه مزقه فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق فعجل الله موته ومزق بعد ذلك ملكه وقد تقدم ان كل ملك للفرس يقال له كسرى وكل ملك للروم يقال له قيصر وكل ملك للحبشة يقال له النجاشي ويقال كسرى بفتح الكاف وهو قول الاصمعي والكسر لغيره

بالحلية

وقوله فلا كسرى بعده قال القاضي معناه عند اهل العلم لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام فاخبر بانقطاع ملكهما وزواله من هذين القطرين وكان كما قال وانقطع امر كسرى ومزق ملكه واضمحل وتخلى قيصر عن الشام ورجع الى القسطنطينية واخلى بلاده واحتوى المسلمون على ملكهما وكنوزهما وانفقها في سبل الله كما اخبر عنه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى يعني الجماعة من الناس والكثير والوحش سموا بذلك لانهم يشد بعضهم بعضا والعصبة هو الشد والعصبة ما بين العشرين الى الاربعين وانما اطلق النبي صلى الله عليه وسلم على المفتتحين كنوز كسرى عصابة وان كانوا اعساكر بالنسبة الى عدد عدوهم وجيوشهم فانهم كانوا بالنسبة اليهم قليلا ويحتمل ان يريد بالعصابة الجماعة السابقة لفتح القصر الابيض من الجيش كله فان الله لما هزم الفرس وجيوشهم العظيمة

على يدي سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وعسكره وكان عدد من قتله
يوم القادسية ستة آلاف او سبعة آلاف على ما ذكره محمد بن جرير
الطبري فرّ المنهزمة من الفرس الى المدائن منزل كسرى
فتبعهم المسلمون الى ان وصلوا الى دجلة وهي تقذف بالزبد
فاقتحمها المسلمون فرسانا ورجالة خايضين يخرج بعضهم مع بعض
فلما راى ذلك الفرس ما لهم دلك فتخففوا بما امكنهم من اثاثهم النفيسة
وفروا ولم يبق فيها الا من ثقل عن الفرار ودخل المسلمون
المدائن وفيها القصر الابيض الذي فيه ايوان كسرى واموالهم
وذخايره النفيسة التي لم يسمع بمثلها مالك اهل التاريخ كان
في البيت الابيض ثلاثة آلاف الف الف الف ثلاث مرات غير ان
رستما لما فر منهزما حمل معه نصف ما كان في بيوت الاموال وترك
النصف الاخر فغنمه المسلمون فاصاب الفارس من غنى المدائن
اثنا عشر الفا ولما دخل القصر الابيض وجدوا انيه ملا ابيض كسرى
وجلسته وبساطه الذي ما سمع العالمين بمثله فجاؤا بكل ذلك
الى عمر رضي الله عنه فكان ذلك مظهرا لصدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم للعيان بحيث يضطر اليه كل انسان ه

ومن باب ما ذكر ابن صباد ويقال ابن صايد واسمه صاف
وكل ذلك في الحديث قال الواقدي نسبه في بني النجار وقيل من يهود
وكانوا حلفا بني النجار وكانت امه في صغره حانة الكهان يصدق
مرة ويكذب مرارا ثم انه اسلم لما كبر وكثرت منه علامة الخير
من الحج والجهاد مع المسلمين ثم كفرت منه احوال وسمعت منه اقوال
تشعر بانه الدجال وبانه كافر كما يأتي في تفاصيل احاديثه فقيل انه

تاب ومات بالمدينة ودفن على جنبه مناد وقيل مات بقديد في يوم
الحرة ولم يوقف عليه وكان جابر بن عمر رضي الله عنهم يحلفان انه
الدجال لا يشكان فيه وعلى الجملة فامره كله مشكل على الامة وهو
فتنة وبحثه وقد تقدم ان الاظهر هو الخصي وجمع الحاكم وبروى انكم
ابن معالة وبني معالة وكلاهما صحيح وبنو امعالة بغين معجمة في حديث
ابن حميد وفي حديث الحلواني بنو معوية والاول المعروف وبنو
معالة كل ساكان عن يمينك اذا وقفت اخر البلاط مستقبل مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم وبنو جديلة ما كان عن يسارك ومسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بني معالة قاله الزبير وقال بعضهم بنو
معالة حي من قضاعة وبنو معاوية هم بنو جديلة وقوله
فرقصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقاف والصاد المهملة رواية
الجماعة قال بعض المشارحين الرقص الضرب بالرجل مثل الرقص قال
الشيخ وهذا لبن معروف عند اهل اللغة وانما رقص بالسين المهملة
يقال رقسه يرقسه ويرقسه اذا ضربه برجله فاشار خفي بالصاد
فهو من الرخصة وهي المنوبة من الماء يكون بين القوم وهم يتراقبون
الماء اي يتناوبونه ووقع عند الصوفي فرقصه بضاد معجمة قال
القاضي وهو وهم قال الشيخ ويحتمل ان يقال ليس بوهم ويكون معناه
من الرقص وهو الرمي وكانه اعرض عنه ولم يلتفت اليه لما سمع منه
ما سمع من قول المغضب ورايته عند من هذه ما وقع في البخاري من رواية
المروزي فرقصه بالقاف والصاد المهملة وفي كتاب الادب من الجامع
فرضه بالضاد المعجمة من الارض وقال بعضهم فيه فرصه بالصاد
المهملة اي ضغطه وقوله بانبي صاد وكاد يبغي به تابعه

من الشياطين فان تارة تصدق له وتارة تكذب وهذه حالة الكهان
وقوله ظل عليك الاسراى لبس عليك تابعة الجني حالك وقوله
صلى الله عليه وسلم ان خباتك لكل خبأ رواية الجماعة خبيئا بكسر الباء
وعند التيمي خباسكونها وكلاهما بمعنى في الجماح الخبيء كما هنا
وكذلك الخبء وكلاهما مهموز واختلف في هذا المخبأ ما هو
فالاكثر على انه اضمره في نفسه يوم رأى له الدخان مبين ومال
الداودي كانت في يده سورة الدخان مكتوبة وعلى هذا فيكون قوله
الدخ يعني به الدخان قالوا وهي لغة سعرقة في الدخان وانشدوا
عند رواق البيت تغشى الرحاه وحكى هذه اللغة في الجماح
وجزئه في كتاب التبيح الدخ ساكن الخا مصححا عليه اعني الزبيدي
في الحديث وكانه على الوقف واما الذي في الشعر فهو مستوفى الخاء
وذكر ان ذلك في الحديث فيما اعلم وقيل انما اراد ابن صياد ان يقول
الدخان فزجره النبي صلى الله عليه وسلم فقال الدخ وهذا فيه بعد
وقيل الدخ نبت موجود بين النخيل والبساتين فما له واختار زجر
للكلبي ولين يزم وبيان وقوله لن تعدو قدرك اي لن تجاوز رتبة
الكهان المحرضين الكذابين لا يليق لك الا ذلك واما اختبره
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليتنظر هل هو كهانته كهانة الكهان
او لا فظهر انه كذلك وان الشياطين تلعب به وتلبس عليه وقوله
صلى الله عليه وسلم لعمر ان يكنه فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فلا خير
لك في قتله هذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتضح له شيء من امر
كونه هو الدجال ام لا وليس هذا قطعا في حق النبي صلى الله عليه وسلم
لانه لم يكن يعلم الا ما علمه الله وهذا مما لم يعلمه الله به ولا هو مما تدعو

الحاجة لا شرعية ولا عادية ولا مصلحية ولعل الله قد علم
في اخفائه به مصلحة فاخفاه والذي يجب الايمان به انه لا بد من خروج
الدجال يدعي الالهية وانه كذاب اعور فاجاني الاحاديث
الصحيحة الكثيرة التي قد حصلت لي من مجموعها العلم القطعي بذلك
وقوله وان لم يكنه فلا خير لك في قتله اي لانه صبي حينئذ وقيل
لانه كان يتوسم بحمد بن النبي صلى الله عليه وسلم لما عاهد اليهود
المدينة او لانه من حلفاء بني النجار كما تقدم وهذا الضمير المتصل
في يكنه هو خبرها وقد وضع موضع المنفصل واسمها مستتر
فيها ونحوه قول ابي الاسود الدؤلي فع الحمر يشربها الغواة
فاني رأيته اخاها مغبنا اذا كانها ولا يبنها وتكنه فانه اخوها غذته
امه بلبانها اي فان لا يكن هو اياها او تكن هي اياه وقوله طفق
بتقي اي اخذ وجعل وقد تقدم انها من افعال المقاربة ويتقي يستتر
بجذوع النخل اي اصول النخل وقوله فثار ابن صياد اي وثب
وثبة شديدة وقوله صلى الله عليه وسلم لو تركته بين اي كان
يخبر عن حاله في قومه هل هو الدجال ام لا وقد بين كل هذا مع
قوله رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وبالاجماع على ان
النائم غير مؤاخذ بما يقوله في حال نومه وبما يصدر عنه ولا يقول
على هذا الاشكال لان هذا ليس من باب المؤاخذة ولا التكليف
وانما هذا من باب النظر في قرائن الاحوال فان الغالب عليه
ان يتكلم في نومه بما يكون خيالا عليه في يقظته ولعل النبي صلى الله عليه
وسلم كان ينتظر ان يظهر له منه في حال نومه ما يدل على حاله دلالة
قاطعة به والله اعلم وقوله اني لانذركم الدجال وما من نبي

الا قوا نذر قومه لتذا نذره نوح قومه ه انما كان هذا من الانبيا
لما علموا من عظم فتنته وشدة محنته على ما يأتي تفصيلها في الاحاديث
المذكورة بعد ولانهم لما لم يعين لواحد منهم زمان خروجه توقع
كل واحد منهم خروجه في زمان امته فبالغ في التحذير وفايدة
هذا الانذار الايمان بوجوده والعزم على معاداته ومخالفته
وانما يتحذيره وصدق الالتجا الى الله تعالى في التعوذ من فتنته
وهذا مذهب اهل السنة وعامة اهل الفقه والحديث خلافا
لمن انكر اصره والكلية من الخوارج وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي
من المعتزلة ومن وافقه على اثباته من الجهمية وغيرهم لكن زعموا
ان ما حذره مخارق رجيل قال لانها لو كانت امورا صحيحة
لكان ذلك التباسا للكاذب بالصادق وحينئذ لا يكون فرق
بين النبي والمتنبي وهذا هذيان لا يلتفت اليه فان هذا انما كان
يلزم لو ان الدجال يدعي النبوة وليس كذلك فانه انما ادعى
الالهية وكذبه في هذه الدعوى واضح للعقول اذ ادلة حدوثه
وافتقاره ونقصه متروكة اول النظرة بحيث لا يجهله من له ادنى
بصيرة وقد اراد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى ايضا في هذا
الحديث من ثلاثة اوجه احدها ولكن اقول لكم فيه قولا لم يقله نبي
لامته انه اعور وان الله ليس باعور وهذا تنبيه للعقول
الظاهرة او الغافلة على ان من كان ناقصا في ذاته عاجزا عن
ازالة نقصه لم يصلح لان يكون الها لعجزه وضعفه ومن كان عاجزا
عن ازالة نقصه كان اعجز عن منع غيره عن مضرته وثانيها قوله
انه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب

وهذا امر مشاهد للحس يشهد بكذبه وكفره وثالثها قوله
تعلموا انه لن يرى احد منكم ربه حتى يموت وهذا نص جلي في ان الله
تعالى لا يرى في هذه الدار وهو موافق لقوله تعالى لا تدركه
الابصار اي في الدنيا ولقوله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم لن تراني
في الدنيا ولقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الا بد وحاصل
هذا ان الصادق قد اخبر ان الله تعالى لا يراه احد في الدنيا والدجال
يراه الناس فليس بالاله وهذا منه صلى الله عليه وسلم تنزول الى
غاية البيان بحيث لا يبقى معه لبيد لانسان وقد تقدم الخلاف
في وجه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ربه في كتاب الايمان وقد قلنا
انه لم يثبت في الباب قاطع تعتمد عليه فالاصل التمسك بما دلت هذه
الادلة عليه وقد تاول بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم مكتوب
بين عينيه كافر وقال معنى ذلك ما ثبت من سمات حدثه وشواهد
عجزه وظهور نقصه فاو لو كان على ظاهره وقد تقدم انه لا يستوي
في ادراك ذلك المؤمن والكافر وهذا عدول وخروج عن
حقيقة الحديث من غير موجب لذلك وما ذكره من لزوم المساواة
بين المؤمن والكافر في قراءة ذلك فليلزم الوجهين احدهما ان الله
تعالى يمنع الكافر من ادراكه لا سيما وذلك الزمان قد اخرقت فيه
عوايد فليكن هذا منها وقد نص على هذا في بعض طرقه فقال يقرؤه
كل مؤمن كاتب وغير كاتب وقراءة غير الكاتب خارقة للعادة وثانيهما
ان المؤمن انما يدركه لتثبته وتيقظه ولسوء ظنه بالدجال وتخوفه
من فتنته فهو في كل حال يستعمل الفكر في امره ويستزيد بصيرة في كذبه
فيبطل في تفاصيل احواله فيهتدي لاسطور كفره وضلاله وتبين عين محاله

واما الكافر فمصروف عن ذلك بغفلته وجهله وكما انصرف
عن ادراك بعض عوره وشواهد عجزه كذلك يصرف عن فهم قراءة
شهور كفره ورمزه واما الفرق بين النبي والمتنبي بالمعجزة
لا تظهر على يدي المتنبي لانه يلزم منه انقلاب دليل الصدق
دليل الكذب وهو محال واللحن فيها محال في علم الكلام واما
قوله ان
من قال ما يأتي به الدجال جيل وخارق فهو معزول عن الخلافة
لان ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الامور خوارق للجيل
العقل شيأ منها فوجب امرا وها على خلافها بتها وسيأتي تفصيلها
والرواية في تعلموا بتشديد اللام بمعنى اعلموا وتعلموا وقوله
فرفعته لنا غنم اي ابصرناها في بعد وكان الحال الذي هو السراب
رفعها لهم اي اظهرها والعشر بضم العين الفرخ الكبير وقوله
ابن صياد لابي سعيد الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو كافر وانا مسلم الكلام الى اخره هذا الحديث من اوله الى اخره
يدل على ان هذه القصة اتفقت لابي سعيد مع ابن صياد بعد ان كبر
وصار رجلا وولد له وبعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وان
ابن صياد اسلم وحج وانه حفظ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولذلك ذكره ابن جرير وغيره في الصحابة غير انه قد ظهرت
منه في بعد الحوادث امور بعضها كفر وذلك قوله لعمر رضي الله عنه
ما قرهت فان من رضي لنفسه دعوى الالهية وحالة الدجال هو
كافر ولا يتصور في هذا خلاف وبعضها يشعر بانه الدجال وهو
قوله والله اني لاعرفه واعرف مولده واين هو الان واكره ان اقول له
هو الساعة من الارض واكره ان اقول له ذلك فان هذا يقارب التعريض بانه هو

وما لبس به من انه مسلم فسبب كفرا وهو منافق كافر في الحال
وحجته وتخييل محبته بكفره او لعله قال ذلك منه نفاقا
واما كونه لا يولد له ولا يدخل مكة والمدينة فيحتمل ان يكون
ذلك منه اذا خرج على الناس والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله
لابي سعيد له تبا لك سائر اليوم اي خسارا لك دائما الى اليوم
هنا يراد به الزمان وتبا منصوب بفعل مضمر لا يستعمل اظهاره
اي لقيت تبا اي تبابا او مادمت او لقاه الله تبابا وقوله
ابن عمر رضي الله عنهما لقيت ابن صياد مرتين فقلت لبعضهم
هل تحدثون انه هو يعني لبعض من كان معه والذي حال لا والله
موذلك البعض الذي حاكيه وله مال ابن عمر كذبني الا ترى انه
حاكيه بقوله لقد اخبرني بعضكم ولا يحتمل ان الخطاب لابن صياد
لانه لم يتكلم معه في هذه النقبة وانما تكلم معه في النقبة الاخرى
وقوله لقد اخبرني بعضكم انه لن يموت حتى يكون اكثركم ماله
وولده وذلك هو زعموا اليوم مثل هذا الخبر لا سبيل له
الا بالنقل ولم يكن عندهم شيء يعتمدون عليه الا الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو مرفوع بالمعنى لا باللفظ فكانه قال اخبرني
بعضكم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فلقيته لنقبة اخرى
وقد تقدم ان عينه كذا وقع لاكثرهم والصواب الفتح في اللام من لقيته
لانه مصدر ولحكة تغلب الا بالفتح ونقرت بالنون والقاف المفتوحتين
رواية جماعة المشيوخ اي ورمت وفي اصل الغافقي التي نقرت
وثقبت معا فعلت سئ فعلت في الموضعين وكتب على الاول
بخطه نقرت بالنون والقاف ورواه ابو عبد الله المازري

بقرت بالباء وهي قلها متقاربة واشبهها الاولى فان عينه في ذلك
الوقت لم يكن مفقوءه اذ لو كان كذلك لكان من اعلم الادلة على
انه الدجال ولا استدل بذلك من قال انه هو على من خالفه في ذلك
ولم يرو ذلك غير انه قد حكى ابو الفرج الجوزي انه ولد وهو
اعور مختون مسرور وهذا فيه نظر لان الكافر من هذه
الحيثية اشهر مما ذكر ويحتمل ان يكون ذلك الورم مبتدأ في عينه
ان كان هو الدجال والله اعلم وكون ابن صياد لم يستفر بضربه
لابن صياد بالعصا حتى تكسرت كان ذلك لشره موجود به عليه
وكانه تحقق منه انه الدجال وقوله فخر كاسد تخر حمار
سمعته الخر صوت الانف يقال منه خر يخر ويخر خرا
وقوله فقال له قولا اغضبه يعني ان ابن عمر قال لابن صياد
قولا اغضب ابن صياد لاجله فانتفخ حتى ملا السكة وهي الطريق
ويجمع سككا وهذا الانتفاخ محمول على حقيقته وظاهره
ويكون هذا امرا خارقا للعادة في حق ابن صياد ويكون
من علامات انه الدجال لان هذا امر لما قالته حفصة رضي الله
عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انما خرج من غضبة يغضبها
وقد اختلف في احاديث ابن عمر هذه فان ابن كثيرة تفيد ان ابن صياد
الدجال ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما فيما اعتقد ذلك وحلف عليه
بحيث كان يحلف على ذلك وكذلك جابر بن عبد الله رضي الله عنهم

ومن باب صفة الدجال ه قوله لانا اعلم

بما مع الدجال منه هذا جواب قسم محذوف اي والله لانا اعلم
اي ان الدجال لا يعلم حقيقة ما معه من الجنة والنار ولا من النهرين

اي انه يظن انهما كما يراهما غيره ويظن جنته جنة وناره نارا
وحقيقة الامر على الخلاف من ذلك فيكون قد لبس عليه
فيهما والنبي صلى الله عليه وسلم قد علم حقيقة كل واحد منهما
ولذلك بينه فقال ناره ما يراه وفي اللفظ الآخر فجنته نار
وناره جنة وهذا الكلام رواه مسلم عن حذيفة من قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الطريق وقد رواه من طريق
اخرى موقوفا على حذيفة من قوله وقد رواه ابو داود من حديث
ربعي بن حراش قال اجتمع حذيفة وابو مسعود فقال حذيفة
لانا اعلم بما مع الدجال منه وقوله رأى العين منصوب على
المصدر اي حين رأى العين او بني رأى العين ويصح ان يقال فيه
انه مصدر صدره محذوف تقديره يراه رأى العين وكل
ما يظهره الله على يدي الدجال من الخوارق للعادة فحق
امتحن الله بها عباده وابتلاهم به ليتميز اهل المسرة
والتوحيد بما دل عليه العقل السديد من استحالة الالهية
على ذوي الاجسام وان اتوا على دعواتهم بامثال تلك الطوام
وليتميز اهل الجهل باعتقاد التجسم حتى يوردهم ذلك نار الجحيم
وفتنة الدجال من نحو فتنة اهل المحشر بالصورة الهائلة
التي تأتيهم فيقول لهم انا ربكم فيقول الموسوس نعوذ بالله
منك كما تقدم في الايمان ومقتضى روايتي حذيفة ان معه
نهرين وجنتين فانهما مختلفتان في المعنى واللفظ لان النهر
لا يقال عليه جنة ولا الجنة يقال عليها نهر هذا هو الظاهر
ويحتمل ان يقال ان في تلك النهرين في جنة نار فحسن ان يعبر

بأحدهما عن الآخر وقوله فأما ادرك فكذا بالرواية
بحذف جميع الشيوخ والصواب اسقاط النون لأنه فعل ماض
وانما تدخل هذه النون على الفعل المستقبل كقوله فاما
تذهبن بك وأما يأتينكم مني هدى ونحوه كثير وقوله
الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة هي بالفاء
المعجمة والقاف وهما مفتوحتان وهي جلدة تغشى العين
الم تطعم غشيت العين ومعنى ممسوح العين اي مطموس
ضوءها وادراكها فلا تبصر بها شيأ وقوله الدجال
اعور العين اليمنى الاعور هو الذي اصابه في عينه عور
وهو العيب الذي يذهب ادراكها وهكذا جاء في حديث
حذيفة اليشكري وقد جاء من حديث ابن عمر مرفوعا انه
اعور عينه اليمنى كانها عنبة طافية ورواه الترمذي
ورواه الترمذي ايضا وصححه وهذا اختلاف يصعب الجمع
فيه بينهما وقد تكلف القاضي ابو الفضل الجمع بينهما فقال
جميع الروايتين عندي صحيح ومعنى كل واحدة منهما عورا
من وجه ما اذ العور في كل شيء العيب والكلمة العوراء هي
المعيبة فالواحدة عورا بالحقيقة وهي التي وصفت في الحديث
بانها ليست بحرا ولا ناتئة وممسوحة ومطموسة وطافية
على رواية الضم والأخرى عورا العيبها اللازم لها لكونها
جاحظة او كانها كوكب او كانها عنبة طافية بغير ضم
وكل واحدة منهما يصح فيه الوصف بالعور بحقيقة العرف
والاستعمال اي بمعنى العور الاصلي الذي هو العيب قال الشيخ

رحمه الله وحاصل كلامه ان كل واحدة من عيني الدجال عوراء
اخراهما بما اصابها حتى ذهب ادراكها والثانية عوراء باصل
خلقتها معيبة لكن يبعد هذا التاويل ان كل واحدة من عينيه
قد جاء رمصها في الروايات بمثل ما وصف به الاخر من العور
فتامله فان تتبع ذلك الا لفاه يطول وقوله جعد قال الشعر
اي كثيرة قال ذو الرمة يصف شعر امراة
واسود كالاسحم وارد مستكرا على المتن منسدلا جعدا
وشعر الرجال مع كثرته جعد قطط وهو الشديد الجعودة
الذي لا يمتد الا باليد كشعور السودان وبي القطط لغتان
الفتح والكسر في الطاء الاول وقوله فخفض فيه ورفع تخفيف
الفاء اي اكثر من الكلام فيه فتارة يرفع صوته ليسمع من بعد
وتارة يخفض ليسمع من يقرب الاعلان وهذه حالة المكثر
من الكلام وقيل معناه حقره وصغره كما قال هو اهون على الله
من ذلك وتارة غيبه كما قال لمن يبن لي الساعة ذلك اكبر
من الدجال والاول اسبق الى الفهم وفي رواية ذلل اللفظ
فخفض فيه ورفع مشددا للكثير ويعني للتصغير والتحقير وقوله
غير الدجال اخوفني عليكم يشير الى رواية عند الجماعة وهو
وجه الكلام وقد روي عن ابن عمر اخوفني بغير شك وهي قليلة
خطأها ثابت وقد وقع في الترمذي اخوف لي قال الشيخ
وهو وجه الكلام وفيه اختصار اي غير الدجال اخوف لي عليكم
من الدجال فحذف للعلم به وقوله ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه
دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه هذا الكلام

يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتبين له وقت خروجه بخبر
انه كان يتوقعه ويتدبره ولذلك يقدر امره حتى يتضح
انه في النخل القريب منهم ويجيء مخاصمة ويخاصمه وتاهبه
بالحجة باظهار كذبه وافساد قوله وقوله فامر بجمع نفسه
اي ليجمع كل شيء عن نفسه بما اعلمته من صفته ومما يدل القتل
عليه من كذبه في دعوى الالهية وهو خبر يحتمل الامر وفيه
التنبيه على النظر عند المشكلات والتمسك بالادلة الواضحات
وقوله والله خليفتي على كل مسلم هذا منه صلى الله عليه وسلم
هذا منه صلى الله عليه وسلم تفويض الى الله تعالى في كفاية كل
مسلم من تلك الفتن العظيمة وتوكل عليه في ذلك ولا شك في ان
من صح اسلامه في ذلك الوقت انه يكفي تلك الفتن لصدق
النبي صلى الله عليه وسلم في توكله وصحة ضمان الله تعالى كفايته
من توكل عليه بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه
مشقة ما توكل عليه فيه ومو صله الى ما يصلحه منه ومع
هذا فقد ارشد النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يقدروه على
الدجال فيقرأ من فتنته وذلك عشر آيات من اول
سورة الكهف او من آخرها على اختلاف الرواية في ذلك
والاحتياط والحزم يقتضي ان يقرأ عشرا من اولها وعشرا
من آخرها على انه قد روى ابو داود من حديث النواس
فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته
وقوله عنبة طافية رويناه بالظاء وصحفناه عليه ممن
يوثق بعلمه وقد سمعناه بغير همز وبالوجهين ذكره

ع مولفه

القاضي ابو الفضل قال هو اسم فاعل من طفت الناقة اذا طافت
وانطفأت فهي تطفئة واطفأتها انا فهي مطفاة وكان
عينه كانت تنير كالسراج فانطفأت اي ذهب نورها وهذا المعنى
في سند الرواية التي لم يذكر فيها عنبة واضح ويبعد فيها ترك
الظهر واما الرواية التي فيها كانها عنبة طافية فالاولى به
ترك الظهر فانه شبهها في استدارتها وبروزها بحبة العنب
وهو اسم فاعل من طفا يطفو اذا علا غير مغمور فطفى
طافية اي ظهر فابنه ياطه كما جاء في بعض الفاظ الحديث
وقد روى ابو داود من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ان لا تعقلوا
ان المسيح الدجال رجل قصير افحج جعد اعور مكموس العين ليست
ناتئة ولا حجراء وهذا الحديث يقتضي ان عينه ليست بالفاحشة
النتوء والجحوظ ولا غائرة حتى كانها في جحر بل منوسطة
بحيث يصح عليها انها قائمة وجاحظة والله اعلم وقد زاد
عبادة رضي الله عنه في هذا الحديث من اوصافه انه قصير افحج
والفحج تباعد ما بين الساقين وقوله انه خارج خلة بين الشام
والعراق رويناه وقيدناه بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وهي
رواية الجرجاني وقال معنى ذلك ماله وسمته وفي كتاب العين
والجلة موضع حزن وحجور وسقطت هذه الكلمة من رواية
الخزري وروى عن ابن الحذاء خلة بضم اللام وهما الضبعان نزولة
وحلولة وكذا في كتاب التمر لي وهكذا ذكره الحميدي وروياه
الهروي في غريبه خلة بالخاء المعجمة مفتوحة وتشديد اللام

اشارة الى اسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم

وتبشره بانه بين البلدين قال غيره هو الطريق الرمل وجمع
تل قال السجع وقد روى الترمذي من حديث ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان تتبعه اقوام
كان وجوههم المجان المطرقة قال وفي الباب عن ابي هريرة
وعائشة وهذا حديث حسن غريب وجه الجمع بين هذا وبين الذي
قبله ان مبدا خروج الدجال من خراسان ثم يخرج الى الحجاز فيما عاث
بين العراق والشام والله اعلم وقوله وعاث يمينا وشمالا
رويناه بالعين المهملة ثم الثاء المثلثة مفتوحة غير منونة على انه
فعل ماض وتفسيرها وتنويعها على انه اسم فاعل وهو بمعنى الفساد
يقال عثا في الارض يعثو اذا فسد وخرا عثى بالكسر بمعنى قال الله
تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين وقوله يا عباد الله اثبتوا
هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم يا مر من لقي الدجال ان يثبته
ويبصره قال لبثه في الارض قليل على ما يأتي واما من سمع به ولم
يلقه فليبعد عنه وليفر بنفسه كما خرجه ابو داود من حديث
عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال
فليناء عنه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه
مما يبعث به من الشبهات او لما يبعث به من الشبهات وقوله
يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة
ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم ظاهر هذا ان الله
يخرق العادة في تلك الايام فيبطيء بالشمس عن حركتها المعتادة
في اثر اليوم من تلك الايام حتى يكون اليوم كمقدار سنة معتادة

ويبطيء بالشمس حتى تكون كمقدار شهر والثالث حتى تكون كمقدار
جمعة وهذا ممكن لا سيما وذلك الزمان تخرق فيه العوايد
كثيرا لا سيما على يدي الدجال وقد تأول له ابو الحسين بن المنادي
على ما حكاه ابو الفرج الجوزي فقال المعنى يهجم علينا غم عظيم
لشدة البلاء وايام البلاء هوال ثم يتناقص ذلك الغم في اليوم
الثاني ثم يتناقص في الثالث ثم يعتاد البلاء كما يقول الرجل
اليوم عندي سنة كما قال ربيد الحجب بلا اخر قال ابو الفرج
وهذا التاويل يرده قولهم اكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال
اقدروا له قدره والمعنى قدروا الاوقات للصلوات غير ان
ابا الحسين المنادي فرق بين محنة هذه اللفظات يعني قولهم
اكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره فقال هذا عندنا
من الوساوس التي حادثنا بها ذوو الحلاة علينا قديما ولو كان
ذلك صحيحا لاستشهر على السنة الرواة لحديث الدجال فانه
قد رواه ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وفرعه وعبادة
بن الصامت وابي بن كعب وسمرة بن جندب وابو هريرة وابو الدرداء
وابو مسعود البدري وانس بن مالك وعمران بن حصين ومعاذ
بن جبل ومجمع بن جارية في اخرين ولو كان ذلك لقوي استشهاره
ولكان اعظم وافظع من طلوع الشمس من مغربها قال السجع
رحمه الله تعالى الا لفاظ التي انكرها هذا الرجل صحيحة في حديث النواس
خرجها الترمذي من حديث النواس وذكر الحديث بطوله نحوا مما
خرجه مسلم وقال في الحديث حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه
الا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وقد خرجه ابو داود

ايضا بن حبيب عبد الرحمن بن زيد المذكور وذكر فيما بن الحديث
ولم يذكره بقوله فحج الحديث عنوعا وآلايه وانفراد الثقه بالحديث
لا يلزم الثقه به لانه قد سمع ما ليسمعه الجماعه في وقت لا يحضر
غيره وكم يوجد من ذلك في الاحاديث وقد رواه قاسم بن اصبغ
من حديث جابر بن عبد الله على ما ياتي وبطريق ادخال الخالفين
للدسايس على اهل العلم والتحرز والتقه بعيد لا يلتفت اليه
لانه يؤدي الى القدح في اخبار الاحاد والى حرمان الثقه بها مع ان
ما تضمنته هذه الالفاظ امور ممكنه الوقوع في زمن خرق العادات
كسايرما جاء مما فتح وثبت من خوارق العادات التي تظهر على
يدي الرجال مما تضمنه هذا الحديث وغيره فلا معنى لتخصيص
هذه الالفاظ بالانكار والكل ظنون مستندة الى اخبار العدول
والله اعلم كما يأتي الامور قال القاضي في قوله اقدر ان له هنا
حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع ونوى كلنا
فيه لاجتهادنا لكانت الصلاه فيه عشرا او فات المعروف
في غيره من الايام وقوله تتعذو عليهم سارحتهم اصول ما كانت
ذرى واسعه ضروعا تغدو وتبكر والسارحة المواشي التي
تخرج للسرح وهو الرعي للابل والبقر والغنم والذرى جمع ذروة
وهي الاسنمة واسعة اصوله ضروعا لكثرة اللبن وامره خواصر
لكثرة اكلها رخصب مرتعها وقوله فيصحو ممحلين في
بعض الروايات ارزبين والمحل الارزل والقحه والجرب كلها
واحد والله اعلم وبعاسيب النحل فحولها واحدها يعسوب
وقيل امرأوها ووجه التشبيه ان يعاسيب النحل تتبع كل واحد منهم

كما يتبع من النحل تترا اها جماعات في يفرقه والكنور تتبع الرجال
كذلك وقوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض هو بفتح الجيم
وسكاه ابن دريد بكسرها قال الفتح الاولى الفتح لان الجزلتين
هنا مصدر ملاق في المعنى ليقطعه فكانه قال فقطعه قطعتين
او جزله جزلتين وجزله مصدر جزرت الجزر جزرا وجزله
ويجوز الكسر على انه اسم بمعنى قسمه فطعتين وقرقتين ورمية
الغرض منصوب نصب المصدر اى كرمية الغرض في السرعه والاصابة
وقيل بعد بين القطعتين مثل رميه الغرض وغيره بعد الاول
اشبه وقوله بين مقرود تين الروايه الصحيحه بالدال المهمله
والتاء باثنتين من فوقها وبعض المحدثين يقولها بالذال المعجمة وحكى
ابن الانباري انها يقالان بهما والمعروف الاول في الحاح هردت
الثوب شققته والهردى على وزن فعلى بكسر الفا تبنى يجمع
به وثوب مقرود اى طبع اصفر ولما كان هذا هو المعروف في
اللغة اختلف الشارحون لهذا اللفظ في هذا الحديث فقيل ان عيسى
صلى الله عليه وسلم يبزل في شقتي ثوب والشقة نصف الملاءة اى في
جلتين ما خوذ من الهرد وهو القطع والشق وقال الحربي في ثوبين
مصبوغين بالعصفره وكانه الذي صبغ بالهردى وقد اجترا القتيبي
وخطا التغلبة في هذا اللفظ وقال هو عندي خطا من النقله وانما هو
مقرور تين يقال هررت العمامة اذا البستها صفرا وكان تغلبة سمعه
هررت راسه فاتك هررت العمامه بعدها اراك رمانا حاسرا لم تعصب
قال وانما اراد انك لبست العمامة صفرا كما يلبسها السادة وكان السيد
يعتم بعمامه صفرا ولا يكون ذلك لغيره قال السمح رحمه الله لقد صرف

من خالفني ابن قتيبة فجوم وراج على ما لا تحس وقد خطّى ابن قتيبة
فيما حكاه الثقات واهل التقعير والتشبث بالعلم من وجهين
احدهما حكمه بالخطا وجزمه به على الامة الحفاظ الثقات العلما
فحقه ان يتوقف اذ لم يجد متعلقا لذلك اللفظ على النحو المروي
وثانيهما ان ما استدل به لا حجة فيه لوجهين ثم اشار اليهما ابو بكر
فما حكاه الامام ابو عبد الله فتقال ما قاله خطا لان العرب لا تقول
هروت الثوب لمن هربت ولا يقال ايضا هربت الا في العمامة خاصة
فليس له ان يقيس على العمامة لان اللغة رواية قال الشيخ والامر
في قول الاصمعي تشهد له ما قد وقع في بعض الروايات بدل شهر ودين
ممصرتين والممصرة من الثياب المصبوغة بالصفرة والله اعلم
وقوله اذا اكل راسه سال منه ما يعني به القيح وهذا الخبر
يوافق ما قال في الحديث الذي تقدم يقطر راسه ماء كأنما خرج من ماس
يعني الحمام وقوله اذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ الجمان ما استدار
من اللؤلؤ والدر ويستعار لكل ما استدار من الحلي قاله ابو النجم
الجوزي شبه فقرات العرق بستدير الجوهر وهو تشبيه رائع
وقوله ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات الرواية لا يحل بكسر
الحاء معناه يحق ويجب وهو من نحو قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها
انهم لا يرجعون اي واجب ذلك ولازم وقيل معناه لا يمكن وفي بعض
الروايات عن ابن الحذاء فلا يحل لكافر يجد نفس ريحه ورجمه بن
واما من رواه يحل بضم الحاء فليس بشيء الا ان يكون بعده بكافر بالباء
فيكون له وجه وقوله ونفسه ينتهي حيث تنتهي طرفه نفسه
بفتح النون وطرفه بسكون الراء وهو عينه ويعني بذلك ان الله تعالى قوى

هي ع

نفس عيسى صلى الله عليه وسلم حتى يصل الى المحل الذي يصل اليه ادراك بصره
فمعناه ان الكفار لا يقدرون انهم بالهلاك دون عشر رميته ووصول
نفسه اليهم تابيد من الله وعصمة واكرام كرامة ونعمة وقوله
فيمسح عن وجوههم يعني النبي بالنون لا التي باللام اي يزيل عن وجوههم
بمسحه ما اصابهم من غبار سقر الغرور ومحنا به مبالغة في
اكرامهم وفي اللطف بهم والتحفي بهم وقيل معناه يكشف ما نزل بهم
من الخوف والمشقات والاولى الحقيقة وهذا توسع وقوله
اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم اي لا قدرة لاحد
على قتال ياجوج وماجوج يقال لا يدي لفلان بهذا الامر اي لا
قوة وقوله فحرز عبادي الى الطور هذه الرواية الصحيحة
بالراء اي ارتحل بهم الى جبل يحرزون فيه انفسهم والطور الجبل
بالسريانية ويحتمل ان يكون لفظ هو طور سينا وقد رواه بعضهم
بالواو جوز ولم تقع لنا هذه الرواية ومعناها ظاهر وبقي بمعنى الاول
وقوله ويبعث الله يأجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون
قد تقدم القول في يأجوج وماجوج في اول كتاب الفتن والحدب
النشز من الارض وهي الاكام والكدا ويسلون من السلان وهي
مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذئب اذا بادر قاله التقيسي وقال
الزجاج ينسلون يسرعون والنغف جمع نغفة وهو بفتح النون
والغين المعجمة وهو دود يكون في انوف الابل والغنم وهي دويبة
قاتلا فهاشديد ويقال للرجل الحقير ما انت الا نغفة وقوله
فيضحون ترسى اي هلكى قتلى من مرس الذئب الشاة اذا قتلها
والمريسة منه والرهم بفتح الهاء السنن والريحة الكريهة واصله

ما يعلق باليدين من وسخ اللحم والخبز ونحوه وغلاظ الاعناق وعظام الاجسام
وقوله لا يكن منه بيت مدر ولا وبر اى لا يستقر من ذلك المطر لكثرته
بيت مبني بالطين ولا بيت شعر ولا وبر وقوله حتى يتركها كالزلفة
الرواية بفتح الزاى واللام وقيوته بالقاف والفاء معا وكذلك روى
عن الاسدى وزاد فتح اللام وسكونها فالقاف هى الارض الملساء
اى لا شئ فيها ومنه قوله فتتبع صعيدا زلقا وبالفاء هى المتضعفة
الممتلية والجمع زلف ومنه قول الراجز من تعيدها كانه ملاء الزلف
وهى المصانع والمعروف فيها فتح اللام غير ان ابا زيد الانصارى
قال يقال للمرأة زلقة وزلعة والعصابة الجماعة والتحف
اعلى الجمجمة وهى المحنوية على الدماغ هذا اصله واستعارة
هنا للزمانة الشبيه الذى بينهما واللحفة بكسر اللام التى تحتلب
من النوق هذا اصلها وقد تبلت هنا على التى تحتلب من البقر
والغنم والقيام الجماعة من الناس وهو بكسر القاف والقوم دون
القبيلة وفوق البطن قال الزبير بن بكار العرب على ست طبقات
شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة وما بينها من الآباء
فانها يعرفها اهلها وسميت بالشعوب لان القبايل تشعبت
منها وسميت القبايل بذلك لان العمائر تقابلت عليها فالشعب
تجمع القبايل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون
تجمع الافخاذ قال ابن دريد يقال فى نحو النسب الا يسكون
الخا بخلاف الحارجة تقول يقال بكسر الحا وسكونها وبكسر الفا
ايضا وجبل الحمر بفتح الميم موجبل بنى المقرس والحمر الشجر
الملتف وانقاب المدينة طرقها فجاجها وفى كتاب العين
النقب والنقب الطريق فى راس الجبل والنقب فى الحايط ونحوه

نقب تخلص الى ما وراءه وقوله ياتى الدجال وهو محرم عليه ان
يدخل المدينة اى هو ممنوع من دخول المدينة ومكة بالملايكة
الى تحرسها على ما ياتى وقد ثبت النص المذكور بعد هذا وقول
الدجال ارايتم ان قتلت هذا ثم احييته اتشكون فى الامر اى
فى دعواه الالهية والربوبية كما قد روى قاسم بن اصبغ عن جابر
بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
الدجال فى خفقة من الدين وادبار من العلم اربعون ليلة يسيحها
فى الارض يوم منها كالسنة ويوم منها كالشهر ويوم منها كالجمعة ثم ساير ايامه كايامكم هذه وله حمار يركبه
عرض ما بين اذنيه اربعون ذراعا فيقول للناس انا ربكم وهو
اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه
كل مومن كاتب وغير كاتب بعدد كل باب ومنهل الاصقة والمدينة
وقامته الملايكة بابوابها فهذا نص فى ان الدجال انما يدعى
الربوبية لا النبوة ولو ادعاها لما صدقه الله بايدى خارق
للعادة على يديه لاستحالة تصديق الكاذب على الله لانه
يلزم منه تكذيب البارى تعالى والكذب محال على الله قطعا وعقلا
فان قيل فيلزم مثل هذا فى دعوى الربوبية ونحن نجوز الخارق
مقررونا بدعوى المرعى للالهية فيكون قد صدقه بذلك كما
صدق النبى اذا جاء بمثل ذلك فالجواب ان اقتران الخارق
بدعوة الربوبية محال ان يشهد بتصديقه فى دعوى الالهية
لقيام الادلة العقلية القطعية على استحالة الالهية عليه

التي هي حرثه وافتقاره ونقصه فهذه الادلة العقلية دلت
على كذبه في دعوى الالهية فلم يبق معها لانه للادلة
الاقترانية لان اقتران العجز بالتحدي في حق النبي انما دل
على صدقه من حيث تنزلت منزلة التصديق بالقول او منزلة
قرائن الاحوال على اختلاف العلماء في ذلك ودلك لا يحصل الا اذا سلمه
عما يستحيل بنقيضها ولم تسلم في حق الدجال اذ المكذب
لدعواه ملازم له عقلا فلا دلالة لذلك الاقتران على صدقه ان
ادلة لم يمض مع وجود ما يدل على كذبه فظهر ان يقول تلك الخوارق
التي ظهرت على يديه تنزلت منزلة قول الله تعالى صدقت فما
اعطى ذلك في حق النبي الذي سلم عما يكذبه وحاصل هذا البحث
ان ما يدل بداية لا يعارضه ما يدل بعرضيته ولتفصيل هذا
على الكلام فيما ذكرناه يعلم قطعا ان اظهار هذه الخوارق على
يدي الدجال لم يقصد بها تصديقه وانما قصد بها امر آخر وهو
ما اخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم انها فتنة يمتحن الله
تعالى بها عباده ليحق الله الذين امنوا ويحق الكافرين ويدل
على ما سبق به علمه وتقدير حكمه لا يسأل عما يفعل وقوله
فما مر به يشيح اي يمر ومنه قولهم الحرباء تشيح على الاعواد
اي تمر وتشهر الرواية هكذا وقد روي عن السمرقندي وابن
ماقان فيحسبونه في رأسه سجاج وليس هذا شيء لانه خرج بعد
فلسعه ولعل المراد خلاف ذلك وقوله فيما مر به فيوسع
ظهره وبطنه ضربا اي يعمم جميعه حتى لا يترك منه موضع الا ضرب
وهو ماخوذ من السعة والاتساع وقوله فيمر به فيوشر

بالمشار والرواية يوشر بالياء المثناة بالفوق وهو النحت المعروف
ويقال بالسين فيهما وهذا يدل على ان هذا الرجل المكذب للدجال
تنشر الدجال بالمنشار وقد تقدم في حرب النواس انه قطعه
بالسيف فيحتمل ان يكون كرمية الفرض فيحمل ان يكون كل واحد منهما
غير الآخر ويحتمل ان يكون جمعهما عليه والاول اسكن
واتم والشرقوة بفتح التاء وضم القاف وتخفيف الواو هي العظم
الذي بين ثغرة النحر والعاتق وجمع ترقوتي ويقذفه بمرميه وتوقع
الاداة للسلاح وهم العتوم الحاملون للسلاح المستعدون للقتال
سموا بذلك لحملهم اياها قال القاضي في آخر هذا الحديث من رواية
السمرقندي قال ابو اسحق يعني ابن سفيان يقال ان هذا الرجل هو الخضر
صلى الله عليه وسلم وكذلك قال معمر في جامعه باثر هذا الحديث ٥

نائب الشيخ وقد تقدم القول في الخضر والخلاف في طول
حياته في كتاب الانبياء وقوله ما بين خلق آدم الى قيام الساعة
خلق اكبر من الدجال هكذا هو في اكثر الاصول وفي بعضها
انه ليرتبط حمارا اعرض ما بين اذنيه اربعون ذراعا وهذا يقتضي
ان يكون هذا الحمار اكبر حمار في الدنيا مر اخبه ينبغي ان يكون اكبر
انسان في الدنيا وكذا قال تميم رضي الله عنه وخبر الجساسة
فاذا العظم انسان رأيناه وسمائي غير انه قد تقدم من حديث
ابي داود في وصف الدجال انه قصير اهيج وانما يكون قصيرا
بالنسبة الى نوع الانسان فمقتضى ذلك ان يكون فيهم من هو اطول
منه ولعل قيل ان وصفه بالاقصر انما يعني به ذلك عظم فتنته
وكبر محنته اذ ليس بين يدي الساعة اعظم ولا اكبر منها

ويحتمل ان يريد به انه ينتخ احيانا فى عين الناظر اليه اكبر من كل نوع
الانسان كما تقدم فى شان ابن صياد انه انتفخ عند غضبه حتى ملأ
الطريق والله اعلم بحقيقة ذلك وقوله انكم تقولون ان معه الطعام
والانهار هو اهون على الله من ذلك اى الرجال اهون ان يجعل ما
خلقه على يديه من الخوارق مثلا للمومنين ومشككا لهم بل ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم وليرتاب الزنديق فى قلوبهم مرض والكافرون كما قال له
الذى قتله ثم احياه ما كنت فيك قط اشد بصيرة منى الان وقد
تضمنت تلك الاحاديث المتقدمة ان عيسى عليه السلام ينزل
ويقتل الدجال وهو مذهب اهل السنة والدليل عليه قوله تعالى
بل رفعه الله اليه والاحاديث الكثيرة الصحيحة المتشرة وليس
فى العقل ما يحيل ذلك ولا يرده فيجب الايمان به والتصديق بكل
ذلك ولا يبالى بمن خالف فى ذلك من المبتدعة ولا حجة لهم فى اعتمادهم
فى نفى ذلك على التمسك بقول خاتم النبيين وما ورد فى السنة من انه
لا نبى بعده ولا رسول ولا باجماع المسلمين على ذلك ولا على ان شرعنا
لا ينسخ وهذه الغايات الى يوم القيامة لانا نقول بموجب ذلك كله
لان عيسى صلى الله عليه وسلم انما ينزل لقتل الدجال ولانه ما شرعه
محمد صلى الله عليه وسلم ليعمل باحكامها وليقيم العدل على مقتضاها
وليقهر الكفار ويظهر للنصارى ضلالتهم ويتبين لهم افكهم
فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويتم بامامته هذه
الامة كما تقدم فى كتاب الايمان والحاصل انه لم يات برسالة مستانفة
ولا بشريعة مبتدأة وانما ياتى عاملا لهذه الشريعة ومنفذا احكامها
عبرة مقررة لشئ منها ولا المنفى بالادلة السابقة انما هو رسول يرسم

لعله المشتهرة

انه جاء بشرع مبتدا ورسالة مستانفة ممن ادعاه لكان كاذبا
كافرا فتفطن وقوله يتبع الرجال من يهود اصبهان سبعون الفا
عليهم الهيالسة هى جمع طيلسان بفتح اللام ولا يكسرها العرب
فى المشهور وحكاه البكرى بكسر اللام وهو الخساء وهو اعجمى
معرب والهاء فى جمعه للعجمة ويدل هذا على ان المقصود اكثر اتباع
الدجال ممن يعتقد التجسيم والرواية المشهورة سبعون الفا
وعند ابن ماجة ثمانون الفا ومن باب حديث
الجساسة حديث فاطمة هذا فى هذه الرواية مخالف للمشهور
من حديثها فى مواضع فمنها قولها فنكحت ابن المغيرة فاصيب
فى اول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تاييمت خطبنى
عبد الرحمن بن عوف وظاهره انها ابتت عدته بقتله فى الجهاد وهو
خلاف ما تقدم فى كتاب الطلاق انها بانت منه بتطليقة كانت
بقيت لها من طلاقها وكذلك قالت فى الرواية الاخرى المذكورة
فى هذا الباب قالت فلقيت بعد ثلاثا فاذن لى ان اعتد فى اهل وهذا هو المشهور عند العلماء على ما حاله القاضى
ابو الوليد الكنانى وغيره وقد رام القاضى ابو الفضل تاويل هذا
فقال لعل قولها اصيب فى اول الجهاد مع عيسى صلى الله انما اراد
به عمرو مقابله وذكر مناقبه كما ابتدات بالثناء عليه وهو
قولها من خير شباب قريش قال واذا كان هذا لم يكن فيه معارضة
ومنها ان ظاهر قولها انه قتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الجهاد فى اوله وقد اختلف فى وقت وفاته فقيل مع على بن ابى طالب
رضى الله عنه باليمن اثر هلاقفا وذكر ذلك ابو عمر بن عبد البر وقتل

بل عاش الى ايام عمر رضي الله عنهما وذكر له معه قصة في شان
خالد بن الوليد ذكر ذلك البخاري في التاريخ وقد تقدم قول القاضي
ابي الفضل لعل قولها اصيبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير القتل اما بجرح او بشيء آخر والله اعلم ومنها انها قالت
فلما كلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت امري بيدك فانكحني
من شئت فقال انتقلي الى ام شريك فظاهر هذا ان امرها
بالانتقال الى ام شريك ثم الى ابن ام مكتوم انما كان بعد انقضاء
عدتها وبعد ان خطبته وفوضت امرها للنبي صلى الله عليه وسلم
وليس الامر كذلك وانما كان ذلك في حال عدتها لما خافت عورة
منزلها على المشهور او لانها كانت تؤذي احماءها على ما قاله
سعيد بن المسيب كما تقدم ومنها انها سميت ام شريك الى
الانصار وليس بصحيح وانما هي قرشية من بني عامر بن لؤي واسمها
غزيلة كذا وجدته مقيدا في اصل بعمر وكتبت بابنها شريك
ويقال اسمها خزيلة حكى هذا كله ابو عمر وسمها قوله ولكن
انتقلي الى ابن عمك عبد الله بن عمرو بن ام مكتوم وهو رجل من فهر
فهر بن مالك وهو من البطن الذي ينتمي منه قال القاضي ابو الفضل
والمعروف خلاف هذا وليس ابن عمها بل هو من محارب بن فهر
وهو من بني عامر بن لؤي ليسا من بطن واحد واختلف في اسم
ابن ام مكتوم والصحيح عبد الله وقولها فلما انقضت عدتي خطبني عبد الرحمن
بن عوف في نفر اي لما انقضت عدتها وحلت للازواج وقد تقدم
ان الايم هي التي لا زوج لها وقولها امري بيدك فانكحي من شئت
دليل على صحة الوكالة في النكاح وقوله اني اخاف ان يسبقك بحمله

حمارك او يتكشف الثوب عن ساقيك دليل على ان اطراف
شعر الحرة وساقيها عورة يجب عليها سترها في الصلاة وقد تقدم
ذلك وقوله ثم ارتقوا الجزيرة في البحر اي لجوا اليها ومرقا
السفينة حيث نرسي يقال رقات السفينة اذا قربتها
من الشط وذلك الموضع مرقا وارتقات اليه لجأت اليه
وقوله فجلسوا في اقرب السفينة كذا الرواية المشهورة
قال الامام هي القوارب الصغار يتصرف بها راكب السفينة
والواحد قارب جاءها هنا على غير قياس وانكر غيره هذا وقال
الجمع تأول على فعل قال وانما يقال الاقرب هنا اقربات
السفينة واداتها كأنه ما قرب منها النزول او كأنه من
القرب الذي هو الحاضرة ويؤيده ان ابن ماهان روى هذا الحرف
فقال في اقربات السفينة وفي بعضها في آخر السفينة قال
الشيخ ويشهد لما قاله الامام ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه
فتقعدوا في قوارب السفينة وهذا الجمع هو قياس قارب
ويقال بفتح الراء وسكونها وقوله فلقيتهم دابة اهلب اي
كثيرة الشعر والهلب ما غلظ من الشعر ومنه الهلبة وهو
شعر الحرير الذي تحرز به وذكر اهلب حملا على المعنى وكأنه
قال حيوان اهلب او شخص ولو راعى اللفظ لقال هلبا الان
قياس اهلب هلباء كاحمر حمراء وقوله ما ابت اعتقدت انها
انها ما لا تعقل فاستفهموا ايما ثم انها بعد ذلك كلمتهم كلام من
يعقل وعند ذلك يجوز ان تكون شيطانة اي خافوا من ذلك
وقولها انا الجساسة بفتح الجيم وتشديد السين الاولى قيل سميت

نفسها بذلك لتجسسها اخبار الرجال من التجسس بالجيم وهو
البحث عن الاخبار والبحث عنها ومنه الجاسوس وقد روى عن
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان هذه الدابة هي دابة الارض
التي تخرج للناس في آخر الزمان تكلمهم وقولها قد قدرتم على
خبري اي اطلعتم على خلبه وقدرتم على الوصول اليه وقوله
صادفنا البحر قد اغتلم اي هاج وجاوز حده ومنه الغلمة
وهي شدة شهوة النكاح وتيسان بفتح الباء والياء بالدهر
وتغر بالزاي المضمومة وبالغين المعجمة على وزن الصغير وهما
معروفان بالشام ونبي الاميين هو محمد صلى الله عليه وسلم
والاميون العرب لان الغالب منهم لا يكتب ولا يحسب فكانهم ما قرن
على اصل ولادة الام لهم فنسبة الامي اليها هذا اولى ما قيل فيه
وقد تقدم القول في تسمية المدينة طيبة وطابة وان كل ذلك
ماخوذ من الطيب وقوله استقبلني ملك بيده السيف
صلتا اي مجردا عن غمده قال ابن السكيت فيه لغتان فتح
الصاد وضمها والخصرة بكسر الخاء عصا او قضيب تكون
تحون مع الملك اذا تكلم وقد تقدم ذكرها وقوله الا انه في بحر
الشام او بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو
هذا كله كلام ابتدى على الظن عرض الشك او وصوح الابهام
ثم نفى ذلك كله واخبر عنه بالتحقيق فقال لا بل من قبل المشرق
اكد ذلك بما الزايدة وبالتكرار اللفظي فان فيه زيادة لا فائدة
وهذا لا يعرفه فان النبي صلى الله عليه وسلم ينشر بظن وشك كما

يتوهمه وليس الامر كذلك انه لا يتكلم الا عن الله تعالى ولا يفتي على شيء من ذلك بل يرشد
الى التحقيق ويسدد به سواء الطريق والحاصل من هذا انه صلى الله
عليه وسلم ظن ان الدجال المذكور في بحر الشام لان تميما انما ركب
في بحر الشام ثم عرض له انه في بحر اليمن لانه يتصل ببحر اليمن
فحرر ذلك بما اطلعه العليم الخبير على حقوق ذلك فتحقق واكد
ذلك بان السفينة صارت على غير اهتدا وانتهت الجزيرة والرواق
سقف في مقدم البيت وجمع في القلة ارواقة وفي الكثرة روقا
ومن باب كتف يكون افتراس هذا الخلق ٥
قوله لقد هممت الا اخرج احدا شيئا ابدا ه انما ذلك
لانهم سبوا اليه ما لم يقل فشق ذلك عليه ثم انه لما علم انه
لا يجوز له ذلك ذكر ما عنده من علم ذلك وقوله تحرق البيت
فتركان ذلك في عهد ابن الزبير وذلك ان يزيد بن معوية وجه
من الشام مسلم بن عقبة المري في جيش عظيم لقتال ابن الزبير
فنزل بالمدينة وقاتل اهلها وهزمهم واباحها ثلاثة ايام
وهي وقعة الحرة وقد قدمنا ذكرها ثم سار بهم الى مكة فمات
بقديد وولي الجيش الحصين بن نمير وسار الى مكة فحاصر
ابن الزبير واحرقت الكعبة حتى انهدم جدارها وسقط سقفها
وجاء الخبر بموت يزيد فرجعوا وقوله فيمكث اربعين لا ادري اربعين يوما
او شهرا او سنة هذا الشك من عبد الله بن عمر وقد ارتفع
بالاخبار السابقة انه اربعون يوما على التفصيل المتقدم
وقوله لو ان احدهم ذخل في كبد جبل كذا صحيح الرواية ووقع
في بعض النسخ في كبد رجل وهو مثل مضروب لاعيا وكبد الشيء

داخلة **وقوله** وبقي شرار الناس في خفة الطير واخلاق السباع اي هم في مشاركتهم وخفتهم الى الشرور وقضاء الشهوات وغلبة الاهوا كالطير لخفة طيرانه وهم في الافساد والعدوان كالسباع العادية والصور قرن ينفخ فيه كما جاء في الحديث واصغى اماله البيت صفحة العنق وهي جانبه **وقوله** كانه الظل او الطل هذا شك والاصح انه الطل بالفا المهملة لقوله في حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم ينزل من السما ما وفي حديث آخر كحمي الرجال وهلوا اي تعالوا واقبلوا وقد تقدم ان منها العتيق وقد روي بالجيم هلموا وهلم **وقوله** ثم يقال اخرجوا بعث النار قد تقدم في الايمان ان الذي يقال له ذلك آدم صلى الله عليه وسلم والجمع بينهما بان المامور آدم وهو يامر الملائكة بالاخراج ومعنى الاخراج منها تمييز بعضهم من بعض وانتزاع كل طائفة بما اعد لها من الجنة او النار **وقوله** فذلك يوم يجعل الولدان شيبا الولدان جمع وليد وهو الصغير يقال عليه من حين الولادة الى ان يدرج جفرا وشبا جمع اشيب اي يصير الصغير اشيب لشدة اهوال ذلك اليوم وحمل هذا على التهويل والتمثيل كما قال ابو تمام خطوب تشيب راس الوليد **وقوله** وذلك يوم يكشف عن ساق معناه ومعنى ما في كتاب الله من ذلك واحد وهو عبارة عن شدة الحال وصعوبة الامر قاله ابن عباس في الاية يقال كشفت الحرب عن ساقها قال الشاعر

قد جلت الحرب بنا وكشفت عن ساقها فشدوا ٥

وقال آخر كشفت لكم عن ساقها وبدا من الشر الصراح
واصله ان الجد في الامر يشد ازاره ويرفعه عن ساقه
قال قتادة يقال للواقع في امر عظيم يحتاج الى الجد قد كشف
عن ساقه قال الشاعر وسنة قد كشفت عن ساقها د
حمر اشرى اللحم عن عراقها ٥ قال الشيخ رحمه الله وهذا
المعنى يبين في هذا الحديث تامل ساقه وعلمه تحمل الايه
والتفت الى غير ذلك مما قيل فيها **وقوله** ان بعض هذا
لم يدركه الهرم فامت علمح ساعتهم هذه الرواية واضحة
حسنة وهي المفسرة لكل ما ورد في هذا المعنى من الالفاظ
المشكلة كقوله في حديث انس رضي الله عنه حتى تقوم الساعة
وفي لفظ آخر القيامة فانه يعني به ساعة المحاطبين وقيامتهم
كما تقدم في تفسير الراوي بقوله يعني بذلك اي بالخرم وذلك
القرن **وقوله** بعثت انا والساعة كهاتين قال
وضم يحيى بن سعيد الوسطى رويته انا والساعة بالضم والفتح
فالضم على العطف والفتح على المفعول معه والعامل بعثت
وكهاتين حال اي مقترنين على النصب ويقع التشبيه بالضم
وعلى الرفع يحتمل هذا ويحتمل ان يرفع بالتفاوت الذي بين السبابة
والوسطى فتامله ويدل عليه قول قتادة في بعض رواياته
كفضل احداهما على الاخرى وحاصله تقريب امر الساعة التي
هي القيامة وسرعة مجيئها وهذا كما قال فقد جا اشراطها
قال الحسن وان اشراطها محمد صلى الله عليه وسلم **وقوله** تقوم
الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الاناء الى فيه حتى تقوم الحديثة ٥

فوتقدم ان النخة الناقة ذات اللبن ويلوه حوضه ويتلوه
حوضه اى يحلبه ويبقيه ويروى يلط حوضه بمعناه ويقال
لاط حوضه يلوطه وهى المعروفة وقيل الاط حوضه يليطه
اذا طينه وحاصل هذا الحديث ان الساعة تقوم بغتة كما قال
تعالى لا تاتيكم الا بغتة وبين النفختين اربعون يعنى
نفختى الصعق والبعث يشير الى قوله تعالى ونفخ فى الصور
فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقوله ابى هريرة ابيت
ابيت لما سئل عن الاربعين ولعل ما هى يدل على انه كان عنده من ذلك
علم واستمع من بقية لانه لا ترقى اليه حاجة ولا يتعلق به عمل
وكمل ان لا يكون عنده علم من ذلك وقوله ابيت ابيت يعنى
ابيت ان اسأل عن ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وفيه بعد وقوله
ثم ينزل من السماء ماء يعنى بعد نفخة الصعق ينزل هذا الماء الذى
هو منى الرجال فتنبت منه الاجسام بقدرة الله تعالى ويحيى
ذلك عبر بقوله فينبتون كما ينبت البقل فاذا انشأت الاجسام
وكملت نفخ فى الصور نفخة البعث فخرجت الارواح من المحال
التى هى فيها قال بعضهم فمنا من كل روح الى جسده فيحييها الله
كل ذلك فى لحظة بدليل قوله فاذا هم قيام ينظرون وقوله
كل ابن آدم تاكله الارض اى تبليه وتصيره الى اصله
الذى هو التراب هذا محمول مخصص بقوله صلى الله عليه
وسلم حرم الله على الارض ان تاكل اجساد الانبياء وبقوله
صلى الله عليه وسلم المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه وان ما

لم يرد فى تفسيره وظاهر هذا ان الارض تاكل اجساد الشهداء
والمؤذنين المحتسبين وقد شوهد هذا فيمن اطلع عليه من
الشهداء فوجدوا كما دفنوا بعد اماد طويلة كما ذكر
فى السير وغيرها وعجب الذنب يقال بالباء والميم وهو جزء
لطيف اسفل الصلب وقيل هو راس العصعص كما رواه ابن ابى الدنيا
فى كتاب البعث من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه وذكر
الحديث قيل يا رسول الله وما هو قال مثل حبة خردل ومنه
تنشرون فى قوله منه خلق وفيه يركب اى اول ما خلق من
الانسان ثم ان الله تعالى يبقيه الى ان يركب الخلق منه نارة اخرى

ومن باب المبادرة بالعمل الصالح للموانع والفتن قوله

قوله بادروا اى سابقوا بالاعمال الصالحة واغتنموا التمكن
منها قبل ان لا يمكن وبينها بدار هية من هذه الدواهى المذكورة
فيفوت العمل للمانع او تعدم منفعته لعدم القبول وقد
تقدم القول على اكثر هذه الست وقوله وخاصة احرص
يعنى به الموانع التى تخصه مما تمنعه العمل كالمرض والكبر
والفقر المنسى والغنى المطغى والفضل الاولاد والهموم
والانكاد والفتن والحرص الى غير ذلك مما لا يتمكن الانسان
مع شئ منه من عمل صالح ولا يسلم له وهذا المعنى هو الذى
فصله فى حديث اخر حيث قال اغتنم خمسا قبل خمس شبابك
قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك
قبل فقرك وحياتك قبل موتك وقوله وامر العامة بمعنى
الاشتغال بهم مما لا يتوجه على الانسان فرضه فانهم يفسدون

من يقتدي اصلاحهم ويهلك من يرتجي مناصحتهم لا سيما في مثل
هذه الازمان التي قد مرجت عهودهم وخانت امانتهم
وغلبت عليهم الجهالات والاهواء واعمتهم الاطماع السفها
وعلى هذا فعلى العامل لحظ بصيرة نفسه والاعراض عن اثناء
جنسه الى حلول رمسه اعاننا الله على ذلك بفضله وكرمه
وفرجات هذه السنة في احدى الروايتين مضبوطة
بالرفع ويجوز ان تكون للتنويع اي انتوا ان يصيبهم احد هذه
الانواع ويصح ان يكون بمعنى الواو كما جاء في الروايات الاخرى
قوله العبادة في الهرج كهجرة الخ قد تقدم ان الهرج
الاختلاط والارتباك ويراد به هنا الفتن والقتل واختلاط
الناس بعضهم ببعض فالتمسك بالعبادة في ذلك
الوقت والمنقطع اليها المنعزل عن الناس اجره كاجر
المهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم كانه بناسبة من جهة
ان المهاجر فر بدينه من محنة عظمة الى الاعتصام بالنبي صلى الله
عليه وسلم وكذلك هذا المنقطع للعبادة فر من الناس
بدينه الى الاعتصام بعبادة ربه وهو على التحقيق قد
هاجر الى ربه وفر من جميع خلقه وقوله ان الشيطان قد
يئس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب يعني والله اعلم
اي المسلمين في جزيرة العرب ما اقاموا الصلاة فيها واظهروها
لم يظهر فيها كما بقية يرتدون عن الاسلام الى عبادة الطواغي
والاوثان فاذا تركوا الصلاة وذهب عنهم اسم المصلين
فاذ ذاك يكونون شرار الخلق وهذا انما يتم اذا قبض الله

المؤمنين بالريح الباردة المذكورة في حديث عبد الله بن عمرو
وحينئذ يتمثل لهم الشيطان فيقول لهم الا تستجيبون فيقولون
فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وحينئذ تضطرب
البيات دوس حول ذي الخلصة وتعبد اللات والعزى
والله اعلم وقد تقدم القول في جزيرة العرب وقوله
ولكن في التحريش بينهم اي في الخلاف والشرور والعداوة
والبغضاء بينهم حتى يكون من ذلك امثال تلك القتن العظيمة
والخطوب الجسيمة وقوله ان عرش ابليس على البحر اي
سريره يفعل ذلك تكبرا على جنوده واحزابه وهذا
هو العرش الذي رآه ابن صياد كما تقدم واصل العرش الرفع
ومنه قوله وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير
معروشات اي منها ما هو مرفوع على ساق وهي الشجر
ومنها ما ليس كذلك وهو النخل وقوله فبدر ليبه ويلتزمه
ويقول نعم انت كذا وكذا تقدم اي اصل الى الصدر
اي يقربه منه ويعانقه ويمدحه بنعم التي للمحمدة وقد
اضمر ما علمها للعلم به من غير شرط تقديره نعم الكبث
او الولي انت وهذا الاضمار شاذ لانه لا يجوز الا اذا فسر
بنكرة منصوبة على التمييز كما هو المعروف في النحو ومن
قال ان نعم هنا حرف جواب فليس على صواب اذ ليس في الكلام
سؤال يقتضيه ولا معنى يناسبه وقوله لتتبعن سنن
الذين من قبلكم يروى سنن بضم السين وبفتحها فيهما جمع سنة

رمى الطريقة المسلوكة وبالفتح مواسم للطرق والاخبار حزون
الحمرا والمستحدون المتجددون والعالون رفع نقع القول
هذا الحرث وقوله ان الدساحلوه حضرة اى مشتهاية
ذوقها مخبة في منظرها كالثمر المسحلى المعجب المراى
وقوله ان الله مستخلفكم فيها اى جعلكم فيها خلفا ممن كان
قبلكم فانظر لم تصل الى قوم الا بعد ذهاب آخرين وقوله
فينظر كيف تعملون اى ببصر اعمالكم فيجازى كلا بعمله ان خيرا
فخيرا وان شرا فشرا وقوله فاتقوا النار واتقوا النسا
اى احذروا الاعمال المقربة من النار واحذروا فتنة النسا
فانها اول فتنة بني اسرائيل وتستعفن على الرجال اشد كل
فتنة والحنة بهن اعظم كل محنة لان النفوس مجبولة
على ميل البعض وعلى اتباع اهوائهن مع نقص عقولهن وفساد
آرائهن ومن ثم قد عاده سليمان ناقص عقل وناقص

مسئلة
اتقوا النار
واتقوا النسا

كتاب التفسير

وهو مصدر فسر يفسر اذا اطلعت المراد وكشف واصله من الفسر وهو البيان يقال
فسرت الشي افسره بالكسر فسرا والتاويل مرد الكلام
الى ما يدل اليه من المعنى من آل اذا ارجع اليه وقدره
القطعا فقالوا هو ابرا اشكال في اللغة مقصود بدليل خارج
عنه فالتفسير كبيان اللغة كقوله لاريب فيه اى لاشك فيه
والتاويل كبيان المعنى كقولهم لاشك فيه عند المومن اولانه
اكد في نفسه فلا يقبل ذاته الشك واما الشك وصف الشاك

وكذلك وتدور القول على قوله قسمت الصلاة وفي الملائكة وقوله
خلقت الملائكة من نور اى سر جواهر نيرة وهو اخبر انهما
وقوله وخلق الجان من مارج من نار اى من شواظ في لهب
والتقاد فكانوا اشر اخلاطا والجن فيهم قليل وقوله وخلق
ادم مما تعلمون اى مما اعلمكم به اى من تراب صير لحما ودما
كما اخبر عنه تعالى في غير موضع من كتابه والصلصال الطين اليابس
وفي الخبر ان الله تعالى لما اراد خلق ادم امر ملكا فقبض قبضة من جميع
اخلاط تراب الارض فاخذ من كل شي شيا وسفلها واحمرها واسودها
فجاء بذلك كله وقوله ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة
هذا الباب هو الباب الثاني من ابواب المقدس قاله مجاهد
وقيل باب القرية وقال ابو علي باب قرية فيها موسى وقوما
قال ابن عباس مخفين ركوعا وقال غيره خضوعا وشكرا
لتيسير الدخول وحطة بمعنى حط عنا ذنوبنا قاله الحسن وقال
ابن جبير معناه الاستغفار وعلة التوبة قال الشاعر

فاز باللجة التي جعل الله بها توبة عبيده معقولا ٥ الفلي

تعبروا يقولها كفارة وهو مرفوع على انه خبر ابتدا محذوف
اى مسالتنا واسرنا حطة وقوله فدخلوا بابين خفوا على استاههم
ان يجروا على البلهم بفعل التعبير اذ العبادة قالوا مستهزين حبة
في شعيرة وفي غير كتاب مسلم حنطة في شعير فعصوا وتمردوا
فعاقبهم الرجز وهو العذاب بالعلاد قال ابن زيد
كان طاعونا اهلك منهم سبعين الفا وقوله تحي احوا بالشد

من ابرهيم اذ قال رب ارني كيف تحي الموتى ٥ اختلف العلماء قديما وحديثا
في قرا السؤال هل صدر عن شك وقع ام لا ثم فرقنا ان المثبتة
للشك والنافية له فالمثبتون اختلفوا فمن رتع له هذا الشك فمنهم
من قال انما وقع الشك لامة ابرهيم بدليل اول القصة وهو قوله
الم ترالى الذي حاج ابرهيم في ربه الاية فسال ابرهيم ربه تعالى ان يريه
وامته كيفية احيا الموتى ليطمئن قلبه بظهور رحمته عليهم وبازالة
الشك قاله النحاد وابن اسحق ومنهم من قال الشك من ابرهيم
لكن لماذا اختلفوا فيه فمنهم من قال لما احيا حكي عن ابن عباس
انه قال دخل قلبه بعض ما يدخل على القلوب وهذا الاثر تفسده
ولا معناه لان الله تعالى اخبر عنه في اول القصة بانه قال للمحتج
عليهم ربي الذي يحيي ويميت وكيف يجوز على الانبيا مثل هذا الشك وهو
كفر فان الانبيا منزهون على الاطلاق بالبعث ومنهم من قال وقع له
الشك في كونه خليلا او في كونه مجاب الدعوة فسال الله تعالى
ومعناه بان يريه احيا الموتى حتى يطمئن قلبه بذلك ومنهم من قال وقع
له شك في كيفية الاحيا لا في اصل الاحيا قال الحسن راى جيفة بعضها
في البر تمزقه السباع وبعضها في البحر تنوشه الحيتان وابت الماء تلك
راى تفرقها احب ان يرى احيائها فسال ليطمئن قلبه برؤيته كيفية
الجمع كما راى كيفية التفريق ويستدل بقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن
احق بالشك من ابرهيم على سياق الاقوال واحرا واحسب ما يليق به
واما الذين قالوا الشك فاختلفوا احدهم من قال ابى من نفسه الشك وساشك
لكن لجوابه فيزداد قوته قال القاضي وهذا تكلف في اللفظ والمعنى

ومنهم من قال لم يشك ابرهيم وقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نحن
احق بالشك من ابرهيم نفي للشك عنه لاثبات له فمكانه قال نحن
موقنون بالبعث واحيا الموتى فلو شك ابرهيم صلى الله عليه وسلم
لكنا نحن اولى بذلك منه على طريق الادب واكبار حال ابرهيم لعلى
جهة انه رفع شك لواحد منهما ومنهم من قال انما اجاب نبينا
صلى الله عليه وسلم بقوله نحن احق بالشك من شهه يقول شك ابرهيم
ولم يشك نبينا فقال ذلك قال الشيخ رحمه الله فهذه جملة ما
سمعناه من شيوخنا ووقفنا عليه في كتب ائمتنا وكلها تحمل بوجه
به الاشكال الا ما حكي عن ابن عباس فانه قول فاسد وليس في الاية
ما يدل على ان ابرهيم شك بل الذي تضمنته ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم
سال ان يشاهد كيفية جمع اجزا الموتى بعد تفريقها وانفصال
الاعضاء والجلود بعد تمزيقها فاراد ان يترقى من علم اليقين
الى عين اليقين من قوله ارني كيف تحلب مشاهدة الكيفية وقوله
تعالى اولم تؤمن استفهام تقرير كقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر اي قد عمرناكم وقوله ليطمئن قلبي اي حصول الفرق
بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا فاذا لم يكن في الاية ما يدل على شك
وقع لابرهيم ولا لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما صدر ذلك ممن يسأل الله
عليه وسلم على الفرض الذهني والتقدير الشرطي فمعناه قال لو شك
ابرهيم في احيا الموتى كنا نحن احق بالشك منه ولم نشك نحن فهو
اولى واحق بالا شك وهذا هو البرهان المسمى عند ائمتنا الطرد
البرهان الشرطي المتصل واصل المنطويين عليه بالقياس الاستثنائي
الذي ينتج منه استثنا عين التالي ونقيض المقدم على ما هو معروف

في موضعه وقوله ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجبت
الداعي يعني به الداعي الذي دعاه الى الخروج من السجن المذكور في قوله
تعالى فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسله الاية يصف يوسف
صلى الله عليه وسلم بالتثبت والصبر على المحنة وانه اقام في السجن
والتضييق عليه مدة طويلة والنفوس متشوقة الى الخروج
من الضيق لا سيما اذا بشر بالخلاص ودعي اليه فمقتضى الطبع المبادرة
الى اول دعوة والاهلاء بمرة لكنه لما جاءه الداعي لم يبادر لاجابته
ولا استخفه الفرح بالتخلص من محنته لكنه سكن وتثبت الى ان
ظهرت براءته وعلمت منزلته ثم ان نبينا صلى الله عليه وسلم تأدب
معه غاية الادب واعترف له من التثبت والصبر في اعلى المرتبة
وحمده على ذلك وقرر انه لو امتحن بذلك لبادر الى التخلص من ذلك
ولاول داع هذا مع انه صلى الله عليه وسلم قد اعطي من التثبت
في الامور والصبر على المكاره الحظ الاوفر والنصيب الاكبر لكنه
تواضع لله وتأدب مع اخيه نبي الله وقوله ورحم الله لوطا
لقد كان يأوي الى ركن شديد وفي الرواية الاخرى يغفر الله للوط
هذا تنبيه على قول لوط لضيفه لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن
شديد وهذا من النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان لوطا لم يرض
منه بذلك التحول الى ذلك الموطن فانه قد كان انتهى من كمال المعرفة
بالله تعالى الى حال لا يليق به فيها ان يلتفت الى غير الله في كفايته
المحن ودفع الشوائب فلما ضعف عما كان ينبغي له عوتب على ذلك
ونسبته الى التقصير والذي اصر ذلك القول من لوط ضيق صدره
بما لقي من قومه من التكذيب واذاه وكيأسه من اصلاحهم عند قومه

بالفاحشة وانه لم تكن له عشيرة ولا احباب آمنوا به حتى تشعر
ربهم على قومه فانه لم يؤمن به احد ممن ارسل اليه غير ابنتيه
ولما اهلك قومه لم ينج منهم الا هو وابنتاه ومع هذه الاعذار
كلها لم يرض منه بان تصدر منه ذلك في حال تمكنه وتمنعه
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اراد من لوط ان يكون على مثل حال
ابرهيم صلى الله عليه وسلم في شدة ابدوه فانه قال حين رمي من المنجنيق
وهو في الهواء وقال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا وحسبي
ذلك مرور عن نبينا صلى الله عليه وسلم حين كان في الغار والكفار
عند فم الغار فقال لابي بكر وقد رأى جزعه لا تحزن ان الله معنا
والحاصل ان لاهل المعرفة بالله تعالى من الانبياء والاولياء
حالين حال حضور ومراقبة فتتوجه عليهم بحسبها المنافسة
والمعاتبة وحال غيبة وتشرنة فيجرون فيها على الامور
العادية فتارة يناقشون واخرى يسامحون تفضلا من الله ونعمة
او رقة تسليم ورحمة وقد تقدم بسط هذا المعنى وقوله ولو لبثت
في السجن لبث يوسف اي لو مكثت وافمت يقال لبث يلبث بالكسر في الماضي
والفتح في المضارع لبثا بضم اللام وسكون الباء ولبثا وكلاهما على
خبر قياس لان المصدر من فعل بالكسر قياسه الفتح اذا لم يعد
مثل تعد يتعد تعدا وقد جاء في الشعر على القياس قال جرير
وقد حور على الحاجات ذا لبث واخو وتاد اذا انضت ركائبه
مهولا بث وليث امها وقرى لبثتم بسما احقابا وقوله
كانت الانصار اذا حجوا وربعوا لم يدخلوا البيوت الا من ظهورها
ارماكانوا يفعلون ذلك لانهم كانوا اذا احرموا يكرهون ان يحول

بينهم وبين السماء سقف الى ان ينقضي احرامهم ويحلوا الى منازلهم
فاذا دخلوا منازلهم دخلوها من ظهورها هاله الزهري
يعتقدون ان في ذلك من البر والقرب فنفى الله ذلك بقوله ليس البر
بان تاتوا البيوت من ظهورها ثم بين ما يكون فيه البر بقوله
ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى الله وعمل بما امره الله به
من طاعته ويستفاد منها ان الطاعات والقرب انما توصل
اليها بالتوقيف الشرعي والتعريف لا بالعقل والتحكم في
والبيوت على هذا محمولة على حقايقها وقال بعض العلماء
ان المراد بها ابيان الامور من وجوهها وهو بعيد والعرب
قول من قال ان المراد بها اتيان النساء في فروجهن لان ادبارهن
والصحيح الاول واما القولان الاخران فيوخذان من موضع آخر
من الآية وقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها التكليف هو
الامر بما يشق عليه وتكلفت الشيء تجشمته حكاه الجوهري
والوسع الطاقة والجدة وهذا خبر من الله تعالى انه لا امرنا الا بما
نطيقه ويمكننا ايقاعه عادة وهو الذي لم يقع في الشريعة
غيره ويدل على ذلك نصها وقد حكى الاجماع على ذلك وانما
الخلاف في جواز التكليف بما لا يمكننا ايقاعه قطعا كالجمع بين الضدين
او عادة كالطيران في الهواء والمشي على الماء فمن مجوز ومن مانع
وقد بينا ذلك في الاصول واستيفاء الكلام كلها في علم الكلام
تنبيه الله تعالى بلطفه بنا ورافته علينا وان كان قد كلفنا
بما يشق ويثقل كتبوت الواحد للعشرة والحرة الاسلامية وخروجه
عن وطنه ومفارقة اهله وولده وعادته لكنه لم يكلفنا بالمشقات

المثقلة ولا بالامور المولمة كما كلف من قبلنا اذ كلفهم بقتل انفسهم
وقرض موضع البول من ابدانهم بل سمل وفخ بنا ووضع عنا الاصر
والاغلال التي وضعها على من كان قبلنا فله الحمد والمنة والفضل
والنعمة قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت دليل على صحة
الكلام الذي اعتمدنا على افعال العباد كسبا واكتسابا ولذلك يطلقوا
على ذلك اخلق ولا تخلق خلافا لمن اطلق ذلك من المجتزية
المبتدعة ومن اطلق من اعتمدنا على الغير فاعل فبالمجاز المحض
كما عرف في الكلام وقوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
اي اعف عن اثر ما يقع منا على قرين الوجهين او ادرهما
كقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما
استكرهوا عليه اي اثم ذلك وهذا مما اختلف عنه ان الاثم مرفوع
واما اختلف فيما يتعلق على ذلك من الاحكام هل ذلك مرفوع
لا يلزم بسببه شيء او تلزم احكام ذلك كله اختلف فيه والصحيح
ان ذلك يختلف بحسب الوقايع فقسم لا يسقط بالخطاء والنسيان
بالاتفاق كالاتلافات والديات والطلاقات وقسم يسقط بالاتفاق
كالقصاص والنطق بكلمة الكفر ونحو ذلك وقسم ثالث مختلف
فيه وصوره لا تحصر ويعرف تفصيل ذلك في الشروح والاصل
الثقل المشقة الفادحة وقول ابن عباس رضي الله عنهما هو الحديث
دفاية عن الله ورفعلت وقول ابي هريرة رضي الله عنه في حديثه
الذي تقدم في كتاب الايمان قال نعم دليل على انهم كانوا يتلفون
الحديث بالمعنى وقد قررنا في الاصول ان ذلك جايز بشرط العالم بمواقع
الالفاظ وان ذلك لا يجوز لمن تعوز الضرر الاول لتغير الدلالات

وتباين الفئات والمولى الولي والناصر المعين على العدو والكافر الجاحد

ومن سورة آل عمران قوله تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم
تخلفوا تأخروا والمقعد المقعود وحديث ابي سعيد رضي الله عنه
هذا يدل على ان قوله تعالى لا تحسبن الآية نزلت في المنافقين
وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي بعده يدل على انها نزلت
في اهل الكتاب ولا يبعد في ذلك لامكان نزولها على السببين
لاجتماعهما في زمان واحد فكانت جوابا للفريقين والله اعلم
والمفازة الموضع يفاز فيه من المكروه وقوله ولا تحسبن اي لا
تظنن اي لتعلموا انهم غير فائزين من عذابه انما لهم كتموا الحق
واحبوا ان يحمدوا به اي بشيء يعلمهم بانهم عليهم الذم ما على
تحسبن ومفعولاها محذوفان لدلالة تحسبنهم عليه وهذا
كقولهم الشاعر هل ري فتاب ام هل ابيه ثرى حبتم عارا على وتحسب م
اكتفى بذكر مفعولي الفعل الواقع عن ذكر فعلي الثاني وهذا
احسن ما قيل فيه وقوله واستحمدوا وابدل الكلمة اي طلبوا ان يحمدوا
وقول مروان لابن عباس رضي الله عنهما لئن كان امرؤ منا فرح
بما اتى وأحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون دليل على صحة
القول بان للعموم صيغا مخصوصة وان الذم منها وهذا مفهوم
مما يتسم ذلك من القرآن والسنة ومن سورة النساء قوله
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء خفتم
فتيقنتم وقوعه وهو مراد الآية ثم قد يكون الخوف منه معلوما
اليوجع وقد يكون مظنونا لذلك اختلف العلماء في تفسير هذا الخوف
هل هو بمعنى العلم او بمعنى الظن فقال بعضهم فتيقنتم علما وقال آخرون خفتم

بلغ معلم

الدعة

كل

بلغ سقيا

خشيتم وصيغة الخوف ما ذكرناه اولا وتقسطوا تعدلوا واحد
تقدم ان اليتم في بني آدم من قبل فقد الاب وفي غيرهم من قبل فقد
الام وان اليتيم انما اصله ان يقال لكل من لم يبلغ وغلب الكلق في هذه
الآية على المحجور عليها صغيرة كانت او كبيرة استحبابا للاخلاق
اسم اليتم لبقاء الحجر عليها وانما قلنا ان اليتيمة الكبيرة قد زالت
عنها الآية ولا تنكح اليتيمة الصغيرة اذ لا اذن لها فاذا بلغت كان
نكاحها الذي باذنها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ايما خرج
الدار فكتبي وغيره في بنت عثمان بن مظعون رضي الله عنه
انها يتيمة ولا تنكح الا باذنها وهذا اسبب الجمهور خلافا
لابي حنيفة فانه قال اذا بلغت لم تخرج الى ولي بنا على اصله في عدم
اشتراط الولي في عقد النكاح كما قدمناه في كتاب النكاح وقوله
فانكحوا ما طاب لكم من النساء قد تقدم ان اصلها لما لا يعقل
وقد تجيء بمعنى الذي تطلق على من يعقل كما جاءت في هذه الآية
فانها فيما للنساء وهن ممن يعقل ولا يلتفت لقول من قال ان
المراد بها هنا العقد لقوله تعالى بعد ذلك من النساء مثنى
لبسم ما وقوله مثنى وثلاث ورباع قد فهم من هذا العدد
فهمه للكتاب والسنة والعرض عما قاله على سلب هذه الآية
وقل علمه باللسان العربي انه يجوز لنا ان ننكح تسعا ويجمع بينهن
في عصمة واحدة من هذه الآية وزعم ان الواو واو الجامعة وخصوص ذلك
بان النبي صلى الله عليه وسلم نكح تسعا وجمع بينهن في عصمته والذي
صار الى هذه الجهالة الرافضة وكافة من اهل الظاهر فجعلوا
مثنى وثلاث ورباع مثل اثنين وثلاث واربع وبينهما من الفرقان

بلغ سقيا

مابين الجماد والانسان قال اهل اللغة مختلفون على الفرق بينهما
ولا يعلم بينهم خلافا في ذلك وبيان الفرق ان العرب اذا قالت جاءت
الخيل مثنى انما تعني بذلك اثنين اثنين اي جاءت مرة مرة قال
الجوهري وكذلك جمع معدول العدد قال الشيخ رحمه الله وعلى
هذا حاء قوله تعالى في وصف الملائكة بقوله اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع ويعلم على القطع والبيان انه اريد هنا توزيع جمع هذه
الاعداد على الملائكة حتى يكون لكل اولي تسعة اجنحة يشتركون فيها
ولا انه جمع على كل واحد من آحاد الملائكة تسعة اجنحة وتلزم
هذه الفضائح من قال بالجمع في اية النكاح اذ لا فرق بين هاتين
الايتين في هذا اللفظ في العدل والعطف بالواو والجامع هو انما
المراد ان الله تعالى خلق الملائكة اصنافا فمنهم صنف جعل لكل
واحد منهم جناحين ومنهم صنف جعل لكل واحد منهم ثلاثة ومنهم
صنف جعل لكل واحد منهم اربعة وكذلك اية النكاح معناها ان الله
تعالى اباح لكل واحد منهم من الزوجات ما يقدر على العدل فيه
فمن يقدر على العدل في اثنين ابيح له ذلك ومن يقدر على العدل
في اكثر ابيح له ذلك وان خاف ان لا يعدل فواحدة كما قال تعالى
وعامة الاباحة اربع لانه انتهى اليهم من العدد وليقول النبي
صلى الله عليه وسلم لغيلان من امنية امسك اربعا وفارق سايرهن
ولانه لم يسمع عن احد من الصحابة ولا التابعين انه جمع في عصمته
بين اكثر من اربع وما ابيح للنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فذلك من
خصوصيته بدليل ان الصحابة قد علموا ذلك وتحققوه فلو علموا ان ذلك
مشروع لهم لاقتدوا به في ذلك فكانوا الجمعين بين تسع فانهم كانوا

لا يقصرون عن الاقتداء به في جميع افعاله واحواله ومبادرون الى ذلك
مبادرة من علم ان التوفيق والفلاح والحصول على خير الدنيا
والاخرة في الاقتداء به فلولا انهم علموا خصوصيته بذلك
لما امتنعوا منه وما تروى الرافضة في ذلك عن علي رضي الله
عنه او غيره من السلف فغير معروف عند اهل السنة ولا
ماخوذ عن احد من علماء الامة وكيف لا وقوله لغيلان فريبين
القدر المباح غاية البيان ومن الاحاديث المعروفة
المشهورة عند كل احد بحيث لا يحتاج فيه الى اقامة سلم
وقد ذهب بعض اهل الظاهر الى اباحة الجمع ثمان عشرة تمسكا
بما ان العدل في تلك الصيغ يفيد التكرار لما لم يمكنه لذلك
انكار لكنه لما جعل الواو على الجمع جمع بين هذه الاعداد وقصر
كل صيغة من العدد المعدود على اقله فجعل مثنى بمعنى اثنين
واثنين وثلاث بمعنى ثلاثة ورباع بمعنى اربع واربع
وهذا القايل انحور ربا في عينيه سنا فان كل ما ذكرناه يبطل دعواه
ونزيده هنا بيانا نضمنها الكلام المتقدم وهي ان مصير كل
صيغة على اقل ما تقتضيه بزعمه تحكم بما لا يوافقه اهل اللسان
عليه ولا يرتضيه معنى الاتباع اليه لان مقصود الاية اباحة
نكاح اثنين لمن اراد ونكاح ثلاث لمن اراد ونكاح اربع لمن اراد
وكل واحد من آحاد كل نوع من هذه الثلاثة لا ينحصر فكل
اثنين وثلاثة واربع لا ينحصر مقصوره على بعض اعداد ما تضمنه
ذلك العام المقصود الاية فتفهم ذلك فانه من لطيف العلم
والكلام في هذه الاية منتشع وبما ذكرناه تنبيه ومقنع وبعد

ان فهمت افراد تلك الكلمات فاعلم ان العلما اختلفوا في سبب نزول
هذه الاية وفي معناها فروت عايشة رض اسعيها الى ماذكر
في الاصل عنها وحاصل الروايات المذكورة عنها انها نزلت
في ولي اليتيمة التي لها مال فاراد وليها ان يتزوجها
فامر بان يعرفها صداق امثالها او يحول لها مال عنده
يشاركه او غيرها وهو لحاجة له في تزوجها لنفسه
ويكره ان يزوجها غيره مخافة اخذ مالها من عنده
فامر الله الاولياء بانفسهم وهو العدل يحبث ان تزوجها
يبذل لها مهر مثلها وان لم تكن له رغبة فيها تزوجها من غيره
او وصلها الى مالها على اوجه المشروح وتحميل معنى الاية
ان الله تعالى قال للاولياء ان خفتم ان لا تقسطوا بالعدل فتزوجوا
غيرهن من بقي لكم من النسا اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا ان شا
واربعا اربعا ان شا هذا قول عايشة رض اسعنها في الاية
وقال ابن عباس في معنى الاية انه قصر الرجال على اربع لاجل
اموال اليتامى قال نزلت جوابا لتحرجهم عن القيام باصلاح
اموال اليتامى وتفسير عكرمة قول ابن عباس هو ان لا تكثروا
من النسا فتحتاجوا الى اخذ اموال اليتامى وقال السدي وقتادة
معنى الاية ان خفتم الجور في اموال اليتامى فخافوا مثله في النسا
فانقص من اليتامى في الضعف فلا تنكحوا اكثر مما يمكنكم
امساكهن بالمعروف قال الشيخ رحمه الله واقرب بعده
الاقوال واصحها قول عايشة ان شا الله تعالى وقد اتفق كل من
يعتني بالعلوم على ان قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى

ليس له مفهوم اذ قد اجمع المسلمون على ان من لم يخف الفسقة
في النسا لا يجوز له ان ينكح اكثر من واحدة اثنتين وثلاثا او اربعا
فمن جاز قال على ان الاية نزلت جوابا لمن خاف وان حكمها
عم من ذلك وفي الاية مباحث سكتت انا فت والمعدولة
عن اسما العدد كلها لا تنصرف للعدل والوصف هذا
قول سيبويه لان اسما العدد صفات وقيل للعدل والتانيث
لان اسما العدد مؤنثة وقيل لتكرار العدل في اللفظ والمعنى
لانه عدل عن لفظ اثنين الى لفظ مثنى وعن معنى اثنين اثنين
وصير العدل احاد ومثناه رباع ولم يسمع فيما فوق
ذلك الا في عشار في قول الشميذ
ولم يستشر شوري متى رمت فوقهم الرجال خماسا عشارا
وتختلف صيغ المعدول عن العدد فيقال موحد واحاد واحد
ومثنى مثنا ومثناى ومثلث وثلاثة وثلث ومربع ورباع
وربع وقرا النحعي ثلث وربع وقول عايشة رض اسعنها
في قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
فليا كل بالمعروف انزلت في ولي اليتيم فعلى هذا المراد بها
اولياء الايتام وهو قول الجمهور وقال بعض المراد به اليتيم
ان كان غنيا وسع عليه واعف من ماله وان كان فقيرا انفق
عليه بقدره وهذا في غاية البعد لان القسم الاخير ما تصرف
في ماله لصغره ليستفيده وكانه انما اكل من ماله بالمعروف
على الحالين فتضيع التقسيم والتقسيم المذكور في الاية

وعلى قول الجمهور فالذي ليس له أن يأخذ من مال يتيمه شيئا
ولا يستحق على قيامه عليه أجرا لموته بل ثوابا الخروج وأما
الفقير فاختلف فيه هل يأخذ من مال يتيمه شيئا أم لا فذهب
زيد بن أسلم إلى أنه لا يأخذ منه شيئا وإن كان فقيرا وهو الذي دل
عليه ابن عباس بناء على أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى
إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية وقيل بقوله ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل قال الشيخ رحمه الله وهذا لا يصح
النسخ فيه لعدم شرطه إذ الجمع ممكن إذ الآخذ الذي أباحه الله
تعالى ليس له ولا أكل مال بالباطل فلم تتنافيا وله الإيثار
وهذا هو القول بالموجب وذهب جمهور المجوزين إلى الإباحة
الآخذ لكنهم اختلفوا في القدر المأخوذ وفي قضا المأخوذ
وفي وجه الآخذ فروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال إن أكلت
قضيت وبه قال عبيدة السلماني وأبو العالية وهو أحد
قولي ابن عباس وعكرمة ومالك من عداها ولا إن له الأخذ
ولا قضا عليه لكنهم اختلفوا في وجه الأخذ فذهب طائفة
إلى أنه يأخذ بقدر الحرمة وقال الضحاك يضارب بماله ويأكل
من نحو الحسن يسد الجوعة ويستر العورة الشعبي من
الثمر واللبن وقد روي هذا عن ابن عباس قال يأكل ويشرب
ويركب الظهر غير مسرف ولا مفسد لن الحلب قال القاضي
أبو بكر بن العربي وعليه مذهب مالك قال الشيخ رحمه الله
والصحيح من هذه الأقوال إن شاء الله أن مال اليتيم إن كان كثيرا
تحتاج إلى كثير قيام عليه بحيث يشغل الولي عن حاجاته

ومهماته فرض له فيه أجرة عمله وإن كان قليلا مما لا يشغله
عن حاجاته فلا يأكل منه شيئا غير أنه يستحق له شرب فضل
اللبن وأكل القليل من الطعام والثمر غير مضر به ولا مستكثر
له بل على ما جرت العادة بالمسامحة فيه وما ذكرته من الأجرة
وأكل القليل من الثمر واللبن كل واحد منهما معروف بحمل
الآية على ذلك والله أعلم وقوله تعالى فما لكم في المنافقين
فئتين أي فرقتين مختلفتين في تلعنهم وتعني بالمنافقين عبد الله
بن أبي وأصحابه الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم أحد ورجعوا بعد أن خرجوا معه إلى الجرف فلم يأذن الله
بقتلهم لما علم من المفسدة الناشئة عن ذلك وهي التي حرص
عليها النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لئلا يتحدث الناس
أن محمدا يقتل أصحابه ثم قال تعالى بعد هذا والله أركسهم بما
كسبوا أي نكسهم عن الزجاج ابن عباس أي ردهم إلى
كفرهم قتادة أهلكهم السدي أضلهم وكلها قريب
بعضه من بعض وقيس بن الحداد هو بفتح القاف وفتح الموحدة
وتخفيفها وقول علي رضي الله عنه ما عهد إلينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا لم نعهده إلى الناس كافة تكذيب
من علي رضي الله عنه للشيعة فيما يدعونه ويكذبون به على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي رضي الله عنه في يوم
غدير خم وغيره وقد تقدم هذا المعنى والذبيلة الرابية
يقال ذبلتم الذبيلة أي هابتم الراهية حكاها أبو عمر
وصيغتها صيغة التصغير يراد به التكثير كما قالوا

صلح عطاء

دُونِيَهَ تَصغِيرُ مِنهَا الأَنَامِلِ ٠ وَالأَظهَرُ أَنَّهُ اسمٌ سُمِّيَ بِهِ
مُصَغَّرًا كَمَا قَالُوا كُمَيتٌ وَأَرَادَ بِهَا هُنَا الرُّومَ المَمْلَكَ
الَّذِي يَحْرُسُ بَينَ الكَنَفَينِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ المُرَادَ بِالحَدِيثِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى
يُمْلِكُ هَاوُلَاءِ الثَّمَانِيَةَ مِنَ المُنَافِقِينَ بِهَذَا الدِّينِ فِي الدُّنْيَا وَلِذَلِكَ قَالَ
تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ أَيْ يَقْتُلُهُمُ اللهُ بِهَا وَقَولُهُ حَتَّى تَنْحَمَّ مِنْ ظُهُورِهِم
أَيْ تَبْلُغَ إِلَى قُلُوبِهِم وَتَقْذِفَ فِي صُدُورِهِم وَاللهُ أَعْلَمُ وَسَمِّ الخِيَاطِ
ثُقْبُ الإِبْرَةِ وَاسْمُ الثَّقْبِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُقَالُ بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا
وَكَذَلِكَ اسْمُ القَاتِلِ وَيُطْلَقَانِ عَلَى سُمُومٍ وَسَمَامٍ وَمَسَامٍ
الخَرْقُ ثَقْبُهُ وَالجَمَلُ ادِّ الجَمَالِ وَدُخُولُ الجَمَلِ فِي ثَقْبِ الإِبْرَةِ
مُحَالٌ وَالمُعَلَّقُ عَلَى المُحَالِ مُحَالٌ فَدُخُولُ المُنَافِقِينَ الجَنَّةَ
مُحَالٌ وَهَذَا مِنْ نَحْوِ قَولِ العَرَبِ إِذَا شَابَ الغُرَابُ رَجَعَتْ
أَهْلِي وَصَارَ الدَّارُ كَالسِّنِّ الكَلِيبِ ٥ أَيْ شَيْبِ الغُرَابِ وَبَيَاضِ
القَارِ لَا يَكُونَانِ فَرُجُوعُهُ إِلَى أَهْلِهِ لَا يَكُونُ وَقَولُهُ
وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا البَعْلُ الزَّوْجُ
وَالنُّشُوزُ البُغْضُ وَالإِعْرَاضُ المَيْلُ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا وَالجُنَاحُ
الإِثْمُ وَالحَرَجُ وَتَصَالَحَا بِتَشْدِيدِ الصَّادِ أَيْ يَتَصَالَحَا أَيْ يَعْقِدَانِ
بَيْنَهُمَا صُلْحًا عَلَى مَا يَجُوزُ كَاسْقَاطِ مَهْرٍ أَوْ قَسْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ
وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بُجْهِيمًا مَا لَا يَحِلُّ فِيهِمَا وَقِرَاءَةُ الجُمْهُورِ
أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا مِنْ أَصْلَحَ وَيَكُونُ صُلْحًا مَفْعُولًا لَا مَصْدَرًا
وَيَكُونُ المَعْنَى أَيْ يُعْقِدَا بَيْنَهُمَا عَقْدَ صُلْحٍ أَوْ سُلِّمَ صُلْحًا وَتُرِكَ
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ أَيْ مِنَ النُّشُوزِ قَالَهُ الزَّجَّاجُ مِنَ الطَّرِيقَةِ ابْنُ عَبَّاسٍ

وَقَولُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ لِابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا تَوْبَةٌ
قَالَ لَا لِهَذَا الحَدِيثِ هَذَا هُوَ المَشْهُورُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ
أَنَّ تَوْبَتَهُ تُقْبَلُ وَهَذَا هُوَ قَولُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالَّذِي دَلَّ عَلَيهِ
الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ كَقَولِهِ تَعَالَى إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَكَقَولِهِ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا
آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَومَ القِيَامَةِ
وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَكَقَولِهِ تَعَالَى وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا
أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا وَأَمَّا
السُّنَّةُ وَكَثِيرَةٌ كَحَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
الَّذِي تَالَ فِيهِ تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا
وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ
فَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ
أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيهِ فَهُوَ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ
عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ٥ وَكَحَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
فِي الَّذِي قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ وَكَحَدِيثِ جَابِرٍ فِي الَّذِي قَتَلَ نَفْسَهُ بِقَطْعَةٍ
يَرَاجِمُهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ حَمْلُ ذَلِكَ وَقَولُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا
هَذِهِ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ قَولٌ لَا يَلِيقُ بِعِلْمِ ابْنِ
عَبَّاسٍ وَلَا بِفَهْمِهِ لِأَنَّهُ إِنْ أَرَادَ بِهِ حَقِيقَةَ النَّسْخِ فَكَلَامٌ
غَيْرُ صَحِيحٍ وَالنَّسْخُ لَا يَدْخُلُ الأَخْبَارَ كَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي الأُصُولِ سَالِمًا
أَنَّهُ يَدْخُلُهَا التَّخْصِيصُ لِأَنَّ الجَمْعَ بَينَ الآيَتَينِ حَيْثُ لَا يَبْقَى
بَينَهُمَا تَعَارُضٌ وَدَلِيلُ الحَمْلِ مُطْلَقًا آيَةُ السِّعَايَةِ عَلَى مُقَيَّدِ

آية النساء فان فيها ان جزاءه جهنم الآية ونحوها مما لا سيما وتر الخبر الموجب وهو القتل والموجب وهو المتوعد بالعقاب وقد قلنا في اصول الفقه ان مثل هذه الصورة متفق لهما وقد نقل جمهور العلماء الآية بسورة النساء تأويلات احدها ان المتعمد المعنى فيها المستحل للقتل المسلم ومن كان كذلك فانه كافر وثانيها ان قوله جزاؤه جهنم لا يلزم منه دخوله في جهنم ولا بد ان معناه ان جازاه وقد وقع هذا التعبير الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيخ ويجوز هذا القول ان قوله فجزاؤه جهنم خبر عن مستحقه لذلك لا عن وقوع ذلك ويجوز العفو عن المستحق وحاصله راجع الى القول بموجب الآية فلا دلالة له فيها والمنقول ان الخلود ليس نصا في التابيد الذي لا انقطاع له بل مقتضاه تطويل الآباد وتكرير الازمان ما لم يرد معها من القرائن ما يقتضي التابيد كما ورد في وعيد الكفار فيجوز ان يدخل القاتل في جهنم ويعذب فيها ما شاء الله من الازمان ثم يلحقه ما يلحق الموحدين من الشفاعة والغفران والله اعلم وقوله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا هذه قراءة ابن عباس وجماعة من القراء السلام بالف وهو موزنه بالتحية وقراءة جماعة اخرى السلم بغير الف يحتمل ذلك الصلح والقراءتان في السبع وقراءة ابن وثاب السلم بكسر السين وسكون اللام وهي لغة في السلم الذي هو الصلح وقوله تبتغون عرض الحياة الدنيا اي تريدون المال وما تعرض من المغانم

الدنيوية وقوله فعند الله مغانم كثيرة اي ان اتقيتم وخفتم على انفسكم عند سلمكم وغنمكم وقوله كذلك كنتم من قبل اي قبل الهجرة حين كنتم تخفون الشهادة وقيل من قبل ان تعرفوا الشهادة ممن الله عليكم اي بالاسلام وباخراركم محمد صلى الله عليه وسلم فتبينوا من التبين وتثبتوا من التثبت والقراءتان في السبع ويفيد ان وجوب التوقف والتبين عند ارادة الافعال الى ان يتضح الحق ويرتفع الاشكال وقوله مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة العائرة المترددة وتعير بربض وتكر وانثى الغنم وذكرانه اسم جنس لانه اراد فصعتبر منها وهذا الحديث مناسب لقوله تعالى ويزكيهم بين ذلك الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن سورة العقود قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا يعني باليوم يوم عرفة في حجة الوداع التي نزلت فيها هذه الآية كما جاء في هذا الحديث من قول عمر رضي الله عنه وقد اول من قول مجاهد هو يوم فتح مكة ورد بانكم اي شرائع دينكم فانها نزلت نجوما واخر ما نزل منها هذه الآية ولم ينزل بعدها حكم قاله ابن عباس وقال القتيبي يعني برفع النسخ قتادة يعني امر حجكم اذ لم يحج بعد تلك السنة مشرك ولا طاف بالبيت عريان وزحف الناس كلهم بعرفة وقوله واتممت عليكم نعمتي اي باكمال الشرائع والاحكام واظهار دين الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته برضاي به لكم دينا فانه تعالى لم يزل راضيا بالاسلام لنا دينا فلا يجوز الاقتصار الرضا بذلك اليوم فائدة ان عملنا على كراهيته ويحتمل ان يريد ورضيت

الاسلام لكم دينا فاتما بمعناه لا انسخ منه شيئا والله اعلم وقول عمر
رضي الله عنه الا وان الخمر نزل تحريمها يوم نزل وهي من خمسة اشياء
الحديث دليل واضح لقول الفقهاء بان التمر يسمى خمرا وان اسم
الخمر ليس مقصورا على ما يعتصر من العنب وان الخمر كل ما خامر
العقل قال عمر رضي الله عنه فامر بذلك وبقي عليه بعض المعرفة
وبين خيار اهل البلاغة وبقي من هم علما وفضلا وقوة وعمرا
لكما هو رأي الله لعومة لائم ولا يبالون في الحق بانتقام العظائم
فلو لم يكن منها ما له لسارع ومعرفة ذلك شاهدهم ليادروا بالانكار
ولما وجد منهم صحيح ذلك الاقران وقد تقدم القول على سر الخمرة
في الاشربة وفي الصلاة وتقدم القول ايضا في الخمرة والسابية
في الصوم وقوله صلى الله عليه وسلم لو بايعني من اليهود عشرة
لم يبق على ظهرها يهودي الا اسلم يعني والله اعلم عشرة متعينين
وكانهم كانوا رؤساء اليهود وزعمائهم وذوي رايهم في ذلك الوقت
فلو اسلموا لتابعهم من دونهم من اتباعهم ولو كان ذلك لاضعفت
يهود المدينة وجماعتها على الدخول في الاسلام وعليها اعاد
الضمير في قوله لم يبق على ظهرها ومن سورة الانعام مولى ابي مريم
اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم
السبت الحديث ذكر هذا الحديث هنا لانه مفصل لما اجمله قوله تعالى
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور والتربة
التراب اي الارض وكانه خلق التراب يوم السبت غبر منعفر واخمر
ثم يوم الاحد جمده وجعل منه الجبال ارتسى بها الارض فعمل خلق
الارض الجبال فيها ثم يوم بعد قوله وخلق المطروة يوم الثلاثاء اي ما يكره

بما يهلك او يؤلم كالسموم والحشائش والحيوانات المضرة وقد
ذكر هذا الحديث ثابت في كتابه وقال فيه وخلق التشقق يوم
الثلاثاء بدل المكروه قال والتشقق ما ينبوع به المعاش ويحابه
التدبير كالحبوب وغيرها من جواهر الارض وكل شيء فيه صلاح
فهو تشقق ومنه اتقان الشيء واحكامه وقوله والنور
يوم الاربعاء كذا الرواية الصحيحة المشهورة وقد وقع في بعض نسخ
مسلم النون بالنون يعني به الحوت وكذا جاء في كتاب ثابت في الام
وفي رواية اخرى الجبور مكان النور قال الشيخ رحمه الله وهذه
الرواية ليست بشيء لان الارض خلقت بعد الماء وعلى الماء كما قال تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
اي قبل خلق السموات والارض الا ان اراد بالجبور الانهار التي خلق الله
في الارض قبله وجبه والصحيح رواية النون ويعني به الاجسام الكبيرة
كالشمس والقمر والكواكب وتتضمن هذا انه تعالى خلق السموات
يوم الاربعاء ان يجعل الكواكب في السموات ونورها صورها التي
بين السماء والارض والله اعلم ويحقق هذا انه لم يذكر في هذا الحديث
تعالى خلق السموات مع انه ذكر فيه ايام الاسبوع كلها وذكر
ما خلق الله فيها فلو خلق السموات في يوم زائد على يوم الاسبوع
لكان خلق السموات والارض في ثمانية ايام وذلك خلاف المنصوص
عليه في القرآن ولا ضابط له وقد روى هذا الحديث في الجزء الثاني
مسلم بروايات مختلفة مضطربة فوقع بعضها انه خلق الارض يوم الاحد
والاثنين والجبال يوم الثلاثاء والشجر والانهار والعمران يوم الاربعاء
والسموات والشمس والنور والجوم والملائكة وآدم يوم الجمعة
يوم الخميس

فهذه اخبار احاد مضطربة فيما لا تقتضي عملا فلا يعتمد على ما
تضمنته من ترتيب المخلوقات في تلك الايام والذي يعتمد عليه
في ذلك قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
الآيات فليتطرف فيما ساق اراد تحقيق ذلك وفيها ابحاث طويلة
ليس هذا موضع ذكرها وقوله إن هذه بخرى حتى تنتهي الى
مستقرها قد كثرت اقوال الناس في معنى مستقر الشمس واشبه
ما يقال فيه انه عبارة عن انتهائها الى ان تستأمت جزأ من العرش
معلوما حيث تخضع عنده وتذل وهو المعبر عنه بسجودها
وتسامتها في سيرها المعتاد لها من ذلك المحل متوقفة ان لا يؤذن
لها في ذلك وان تؤمر بالرجوع من حيث جاءت وبان تطلع من مغربها
فان كانت الشمس مما يعقل نسبة ذلك كله اليها لانه صرح بها
وان كانت مما لا تعقل فذلك الملائكة الموكلون بها والله اعلم
وكذلك لكم فيه وهذا القول موافق لمعنى هذا الحديث فتأمله
وقوله يقول الله سبحانه وتعالى له عشر امثالها وازيد مفتوح
الهمزة مكسور الزاي مضموم الدال على انه فعل مضارع كرر
روديه وقد سمعنا هذا الحرف بالوجهين الجازمة والرافعة ومعناها
احد الشيئين وهو اشارة الى معنى قوله تعالى والله يضاعف
لمن يشاء والحسنة تعم الحسنات كلها فان حسنة جملها المسلم موكفة
ثوابها كذلك ولا معنى لقول من قصرها على بعض الحسنات دون
بعض بانه تحكم مخالف للفقه العام والكرم التام وقد تقدم هذا
الكلام على قوله ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وان ذلك تمثيل
وقوله ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لقيته بمثلها مغفرة

بلغت المقابلة
بالاصل المنقول منه

قراب الارض قدر ملئها وهو بكسر القاف واصله الوعاء وسمي
قراب السيف وهو غمده من هذا الحديث مثله وفي سورة الاعراف
قوله كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني
تطوافا تجعله على فرجها التطواف بكسر التاء ثوب تطوف به
وقد تقدم ان قريشا كانت ابتدعت في الحج امورا منها انه
كان لا تطوف امرأة عريانا الا ان يكون احمسيا ومن لم يكن كذلك
ولد كنانة او من اعاره منهم ثوبا فان كان ممن لم يكن كذلك
تبا به الثياب فلا ينتفع بها هو ولا غيره وتسمى تلك الثياب
اللقى قال شاعر العرب لقى حزنا كون عليه كانه لقاس ابي الطمحان حرم
وكان هذا الحكم مستمرا في عامة الرجال والنساء لذلك كانت هذه
المرأة عريانة وانشدت الشعر المذكور في الاصل قال القاضي
وهذه المرأة هي ضباعة بنت عامر بن قرط فلما جاء الاسلام ستر الله
هذه العورات ورفع هذه الآثام فانزل الله تعالى يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا يحوف بالبيت عريان وفهم من هذا الامر وجوب ستر العورة
للصلاة على خلاف فيه تقدم ذكره وحاصله ان الجمهور على انها
فرض واختلف فيها عن مالك على ثلاثة اقوال الوجوب مطلقا والسنة
مطلقا والفرق فيجب مع العمد ولا تجب مع النسيان والعذر
ومن سورة الانفال وبراءة قوله أبي جهل اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
غلب على ابي جهل جهله فسأل قوله وفعله انظر كيف علله عليه
جهالته وستقوله فاصيب قتيلا فيه دعوته فجعل صريعا

وجهه على وجهه الى جهنم سحبا فضيحا حتى ان ابن عباس لقيه رجل
رجل من اليهود فقال اليهودي ممن انت قال من قريش قال انت
من القوم الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم فهل لا عليهم ان يقولوا
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا ان هانوا لا قوم يجهلون
قال ابن عباس وانت يا اسرائيلي من القوم الذين لم تجف ارجلهم بلل
من البحر الذي انحرق فيه فرعون وقومه وانجى موسى وقومه
حتى قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة فقال انكم قوم تجهلون ظاهر قوله اليهودي منهما وقوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اي اكرما لك واجترا ما لوجود ذلك بينكم فانك
رحمة عامة للعالمين ونعمة خاصة للمومنين فلما نقله الله تعالى
عنهم او نسخ عذابه بهم وقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
اية ما كان الله مهلك جميعهم وسلم من يستغفره وقد اختلف
في هذا الاستغفار فقال ابن عباس كانوا يقولون في الهوانف
غفرانك ومجاهد هو الاسلام وقتادة لو استغفروا اه السري
في اصلابهم من يستغفره المتحاد فيهم من تحلى ولم يهاجر بعد
وتاولها قول ابن عمر بن لان الاستغفار وان وقع من الكفار
لم ينفع به ضرورة من الشرور والاضرار وقوله وما لهم
الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي انهم مستحقون للعذاب
لما ارتكبوا من القبايح والاسباب لكن اخره عنهم حلم الحليم
وان لكل اجل كتاب وقول عايشة يا رسول الله هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان كنت لاظن

ان ذلك تام الى يوم القيامة كان عايشة فهمت من هذا ان الاصنام
لا تعبد ابدا او ان دين الاسلام لا يزال ظاهرا غالبا على الاديان
كلها الى ان تقوم الساعة وهو على ذلك غالبا بها النبي صلى الله
عليه وسلم بما يقتضي ان لا يكون في اغلب البلدان في اكثر
الازمان لا ان عبادة الاوثان تنقطع من الارض والا ان جميع الاديان
تذهب بالكلية حتى لا يبقى الا دين الاسلام لانه تعالى لم يقل ليجعله
الاديان كلها وانما قال ليظهره وقد اظهره على كل الاديان
وابقاه مع اتحاد الازمان كيف لا وقد امتد الاسلام في معمور
الارض من شرقها الى اقصى مغربها حتى غلب اهله الاكاسرة
والاقاصرة والعراقلة والتبابعة والبلاد الممسة وكثيرا من
البلاد الهندية فغلبوا على معبدانهم ومواضع قرباتهم وحلوا تهم
فلقد صدق الله وعده ونصر عبده ويقرم الاحزاب وحده فلا شئ بعده
ومن سورة ابرهيم صلى الله عليه وسلم قوله تحشر الناس يوم القيامة
على ارض بيضا عفرا اي تضرب الى الحمرة والعفرة بياض ليس ناصعا
بل يضرب الى الحمرة وكانها تعبرت من لهب النار وقوله كقرصة
النقي القرصة الجرة والنقي بفتح النون وكسر القاف هو الكوز
وهو الرمد يسمى بذلك لانه ينقى وينقى من خالطه مما تكبره
وقوله ليس فيها علم لاحد الرواية المشهورة بفتح العين المهملة
واللام اي ليس تبينا علامة لاحد ولا اثر اي لم يكن فيها احد فيطلعون
له اثر قال ابن عباس لم يعمل على ظهرها خطيئة وقد وجد نقل في اصل النسخ
ابي الصر ابو ليس فيها علم لاحد بالباء الموحدة وبكسر العين ويسكون
اللام اي لم يتقدم لاحد من الخلق علم وهذا الحديث والذي بعده

يدل على ان المراد بتبديل الارض المذكورة في قوله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض انه تبديل ذات بذات تيذهب بهذه الارض وتوتى بارض
اخرى وهو قول جمهور العلماء وقال الحسن تبدل صورتها وتنمر
دنسها وقال ابن عباس تبدل اكام الارض وجبالها وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمد الارض مد الاديم وامام
تبديل السموات فروي عن علي رضي الله عنه تبدل الارض فضة
والسماء ذهبا فعبد الارض نار والسماء جنة اي يزاد فيها وقال القسم
بن محمد تطوى السماء فهي السجل وابن شجرة تنشق فلا تظل
ابن الانباري يختلف احوالها كالمهل والدهان وقوله ظل الله
عليه وسلم في جواب عائشة على الصراط حاجزة الصراط الذي هو
جسر ممدود على متن جهنم كما قد قال في الحديث المتقدم في الظلمة
دون الجسر قال الشيخ رحمه الله وهذا كله ممكن في القدرة
صالحة ومن الممكن ان يعدم الله الارض التي تخرجون منها ويوجد
ارضا اخرا وانتم عليها ولا يشعرون بذلك . وقوله تكون الارض
يوم القيامة خبزة واحدة يعني الارض التي تخرجون منها يقلبها الله
تعالى بقدرته كما يقلب احدنا خبزته وهو تمثيل لسرعته
الانقلاب وسهولته وتكفأها مهموز من كفأت الاناء اذا
قلبته ووقع في بعض النسخ تتكفاها كما تتكفا بزيادة تا والمعنى
واحد والظاهر ان هذه الارض تتقلب فتعاد ما كان اسفلها اعلاها
كما تفعل بالخبزة وهو تبديل حسن لان الوجه الذي كان اسفل هو ارض
اثر اعمر الوجه الذي كان اعلى فهو تبديل محقق فيجوز ان يعدم
هذا هو التبديل الذي اراد الله تعالى في الاية المتقدمة والله اعلم

وعلى هذا فيكون قوله نزلا لاهل الجنة منصوبا بفعل مضمر تقديره
تعرفون نزلا لاهل الجنة والنزل هو ما يعد للضيف من الطعام
والشراب وكرامته وهو بضم النون والزاي وقد يقال النزل
على النزل ايضا وعلى الانزال والمراد بها هنا الضيافة
وقد تقدم استيفاء الكلام فيه وقوله فقال الا اخبرك
بادام القاسم هذا قول اليهودي لا قول النبي صلى الله عليه وسلم
والنبي صلى الله عليه وسلم هو القائل بل سيخرج بذلك ما عند
اليهودي من ذلك ليظهر للحاضرين موافقته اليهودي للنبي
صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبرهم عنه من ادام اهل الجنة
فقد جاء في حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اخبر
اصحابه بذلك وان اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك كما تقدم في الطهارة من حديث ثوبان وقوله ادامهم
بالام ونون هكذا الرواية الصحيحة التي لا يروى غيرها
فاما بالام فبعني اليهودي به الثور الذي كان يأكل من اطراف
الجنة كما في حديث ثوبان وكانت هذه كلمة عبرانية تكلم
بها اليهودي على لسانه وقد قال بعض ائمتنا ان هذه
الكلمة حرفها بعض الرواة وانما هي اللذي على وزن اللبا
وهو الثور الوحشي وهذا لا ملتفت اليه لانه تحريف الثقة
بالقول العاري عن الدليل لو كان كذلك لما اشكل على اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ولاسألوا عنها فانهم يعرفون
ان اللذي الثور والله اعلم . واما النون فهو الحوت
وقد قدمنا ان في الصحاح ان النون الحوت وجمعه انوان

وبنيانا وهو الحوت يونس صلى الله عليه وسلم وزيادة الكاف
يعني القطعه المتعلقه به المنفرده عنه ومن سورة الحجر
قوله لا يدخلنكم اليوم عليكم انتم لا ان يكونوا باكين
خوفا ان يصيبكم مثل ما اصابهم اي خوفا من ان تعاقبوا
كما عوقبوا لان اكثر المخاطبين والموجودين في ذلك الوقت
كانوا غائبين لانفسهم اما بالكفر واما بالمعاصي واذا
كان سبب العقوبة موجودا بعين الخوف من وجود العقوبة
حق المار بموضع المعاقبين ان يجرد النظر والاعتبار ويكثر
من الاستغفار ويخاف من تعمد العبور لقضاء وان لا يطيل
اللبث في تلك الديار وقوله ثم زجر ما سرع اي زجرنا فتنه
فاسرع بقاتي المشي ونشدد مسه كراهة دخول امثال
تلك المواضع والمقابر مع كاب ولا بد من دخولها
على الصفة التي ارشد اليها النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتبار
والخوف والاسراع وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخلوا
ارض بابل فانها ملعونة وامره صلى الله عليه وسلم بارا قه
ما استقوا من بير ثمود وعلف العجين الذي عجن به للدواب
حكم على ذلك الماء بالنجاسة اذ لا يؤمن ان لا تكون نجاسة
او كان نجسا ولولا نجاسته لما اتلف الطعام المخترع شرعا
من حيث انه مائع وانه يجزأ الابدان وقواها وامره
لهم ان يستقوا من بير الناقة دليل على الشرب باثار الانبيا
والصالحين اذا عدمت اعيانهم وكعب اثارهم وان كان
التحقق ان الجمادات كغير ذوات لاكن المقرون بالمحبوب

محبوب والمقرون بالمكروه المبغوض مبغوض كما مثل عنبر
اريت لحبها السودان التي احب لحبها سود الجلاب
وقال اخر امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولاكن حب من سكن الديارا
وفي امره بعلف الابل العجين دليل على جواز حمل الرجل
الحاسه الجلاله لناكلوها خلافا لمن منع ذلك من اصحابنا
وقال يخلق الجلاب عليها ولا يحملها لهم ومن سورة الاسرا
قد تقدم الكلام في الاسرا في احاديثه في كتاب الايمان
وتقدم القول في الروح في كتاب الصلاة وقد اختلف الناس
في الروح التي سالت اليهود عنها النبي صلى الله عليه وسلم
فقيل موسى وقيل موجبريل وقيل هو روح الانسان وهذا
الاخير هو الاولى لان اليهود لا يقرون بنبي صلى الله عليه
وسلم ولا بغير اه وجبريل عندهم ملك معروف فتفتن
الثالث وهو الذي يناسب الافحام في قوله حيث اجابهم
بقوله قل الروح من امر ربي اي هو امر عظيم وشان كبير
من امر الله تعالى سبحانه وتارك تفصيله لتعرف الانسان
على القطع بعجزه عن علم حقيقته نفسه مع العلم بوجودها
واذا كان الانسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه
عن ادراك حقيقة الحق اولى وقوله فاسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني سكت فقال سكت واسكت لغتان
وصل معنى امسك اطرق ساكتا وقوله وما اوتيتم
من العلم الا قليلا يعني نحو ما قال الخضر لموسى صلى الله
عليه وسلم

ما ننقص علمي وعلمك من علم الله الا كما ينقص هذا العصفور من هذا
البحر وقد تقدم معناه وقول ابن عباس رضي الله عنهما كان
نفر من الانس يعبدون نفرا من الجن فاسلم النفر من الجن
واستمسك الانس بعبادتهم فنزلت اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة هذا هو المشهور عن ابن عباس وروي عنه
انها نزلت فيمن كان يعبد العزير وعيسى وامه قال الشيخ
رحمه الله والاقوى عندي ما سبق وله للقرينتين لان
اولئك اشارة الى الذين تدعون من دونه والخاطب بقل ادعوا
كل من كان كذلك والنفر من الانس قبل اسلم فكانوا من خزاعة
وزعمتم ادعيتم ومعمولها محذوف تقديره زعمتم انهم
الهة غير الله فلا يملكون اي لا يستطيعون والقرينة هو
فتحة سبع السين والاحسن حمله على جنس الضر فانهم لا يملكون
كشف شيء منه كائنا ما كان ولا تحويلا اي ولا تملكون
تحويل شيء من احوالكم ولا تبديله بغيره يبتغون يقصدون
ويطلبون وهذه الجملة هي خبر اولئك الذين يدعون نعت
لاولئك والوسيلة القربة الى الله وايهم اقرب اي كل واحد
منهم يجتهد في التقرب الى الله تعالى بعبادته فيريد لكل ان
يكون اقرب اليه من كل احد وهذا المعنى امس بحق العزير
وعيسى عليهما السلام وبهذا يناسب القول الثاني لابن عباس وقوله
يرجون رحمته ويخافون عذابه فهذا حال العارف بالله
تعالى من الرجاء والخوف ولا يكاد منهما المؤمن ولذلك قال
بعض السلف لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا الا ان

الخوف اولى بالمؤمن لكن بحيث لا يقنطه من رحمة الله والرجاء اولى
بالمحسن لكن بحيث لا يغتر فيتكاسل عن الاجتهاد في عبادة الله تعالى
وقوله ان عذاب ربك كان محذورا اي شيئا عظيما يجب ان يحذره
المؤمن فهو يحذر منه كما يحذر الفوس العارف ويتروك للجاهل الامن
وقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ذكر في الاصل اختلافا
عائشة وابن عباس رضي الله عنهم في سبب نزولها وايهما كان
مقصودا الاية التوسط في القراءة بين الزعاق فلا تقره
حتى الجهر ولا تقرك في الاسرار ولكن بين الجافية والجهر
وخير الامور اوساطها ومن سورة الكهف قوله ليأتي
الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة
اي لا قيمة له ولا قدر اذ لا عمل له موزون فان الاعمال هي التي
توزن اي صحفها لاشتمالها على العاملين وقد قال صلى الله عليه
وسلم لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه اتعجبون من حموشة
ساقيه لهي اثقل في الميزان من احد او كما قال اي الاعمال
التي عمل بها اثقل في الميزان لان ساقيه يوضعان في الميزان
فلا شخصه كما قد ذهب اليه بعض المتكلمين على هذه الاية
فقال ان الاشخاص موزونة ونعم من هذا الحديث ان يسمى المحتسب
للرجال مذموما وقد قال صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال
الى الله الحبر السمين وقال في حديث عمران الله يبغض فيهم السمين
وسبب ذلك ان السمن المكتسب انما هو من كثرة الاكل
والشرب والدعة والراحة والامن والاسترسال مع النفس
على شهواتها وكل هذا يرجع الى قوله في الحديث الاخر

إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم
وقد تقدم القول في حديث الخضر في كتاب الأنبياء في قراءة
عشر آيات من أول سورة الكهف في كتاب الصلاة ومن سورة
مريم كتاب كنت قبيا والجاهلية أي بدءا وذا وهذا أصل هذا
اللفظ وقد يعال على كل صانع وقد تقدم ذلك وقوله تعالى أطلع
الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا أي انظر في اللوح المحفوظ هل رأى
أمنيته أم أعطاه الله موثقا بذلك ومن أين تيقن له على جهله
وتحكمه ثم إنه تعالى نفى ذلك وزجره عنه وتوعده عليه بقوله
كلا سنكتب ما يقول أي نكتبه في ديوان أعماله أو نريه ذلك
مكتوبا عليه في القيامة ونمد له من العذاب مدا أي نزيده منه
أضعافا من قولهم مر النهر ومده ومده ثم أخبر ونرثه ما يقول
أي نسلبه ما يقول بالموت ويأتينا فردا يعني به ماله وولده
وعبر عن المال بالماضي لقربه أو لتأكيد به على ذلك القول وفردا
وحيدا مسلوبا لا نصير له ولا يجبرهم ومن سورة الأنبياء
قوله تبارك وتعالى في هذه الرواية وفي الرواية
الأخرى يطوي وفي الثالثة يأخذ يدل على أنه
قال بالمعنى وأن اللفظ الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم لم يتغير وحاصل
مدلول هذه الألفاظ أنه تعالى فعل في السموات والأرض فعلا
وهو أنه يقبض بسطوتها ويطوي أنوارهما عبر عن ذلك بعبارات
مختلفة فالطي والتكوير وغير ذلك مما في معناه مما جاء في الكتاب
وقد تقدم أن اليد تطلق في اللسان على القوة والنعمة والمراد

بها هنا القدرة وكذلك الإصبع وسيأتي تكميل هذا المعنى في الزمر
وقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اختلف المفسرون في السجل
فقال زيد هو اسم كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضي الله
عنهما السجل بلغة الحبش الرجل وروي ذلك أبو داود وغيره من حديث
أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كان للنبي صلى الله عليه وسلم كاتب
يسمى السجل وهو قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
قال الشيخ وفي إسناده مقال وقال السوي اسم ملك يكتب
أعمال العباد وقال بعضهم هو الصحيفة واللام بمعنى على أي
على المكتوب وقيل هي على أصلها ويكون معناه ليصير كتابا
والعاجلة المكافأة وأصله من رجة الدلو قال
من يباحثني يسابحل ماجدا يملؤ الدلو إلى عقد الكرب
ومن سورة الحج قوله هذان خصمان أشار إلى الفريقين الذين
ذكرهما أبو ذر وهما علي وحمزة وعتبة هم المؤمنون والفريق
الآخر عتبة وشيبة والوليد بن عتبة التقيا يوم بدر في أول
الحرب فافتخر المشركون بدينهم وانتسبوا إلى شرفهم وافتخر المسلمون
بالإسلام وانتسبوا إلى التوحيد ولما خرج المشركون إلى البراز
خرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة الأنصاري
فلما انتسبوا لهم قالوا أكفاء كرام ولا كنا نريد قومنا فخرج إليهم
حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث وعلي رضي الله عنهم فأما
حمزة وعلي فلم يمهلا صاحبيهما فقتلاهما واختلف بين عبيدة
وشيبة ضربتان كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي على شيبة فقتلاه

واحتملا صاحبهما فمات من جرحه ذلك بالمقر اعتد رجوعه
برقال قتادة ثم اهل الكتاب افتخروا بسبق دينهم وكتابهم
فقال المسلمون كتابنا مصدق على الكتب ونبينا خاتم الانبياء
وقال مقاتل اهل الملل في دعوى الحق وقوله فطفقت لهم
ثيابا من نار اى احرت كما تقطع من الثوب القميص والسراويل
كما قال تعالى سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار وقالوا
والله يا ابا الخير خير منها كما اطعموا طعاما وسقوا شرابا
الجوع والظمأ خير منهما وقوله يبصر به ما في بطونهم
والجلود اى يقطع به ونفقد وذاب ومن سورة النور
مولها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع
بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه دليل على ان
للقرعة مدخلا شرعيا في الحقوق المشتركة وهو قول
الكافة قال ابو عبيد وقد عمل بها ثلاثة من الانبياء يونس وزكريا
ومحمد صلى الله عليهم وسلم قال ابن المنذر واستعملها كالاجماع
بين اهل العلم فيما يقسم بين الشركاء ولا معنى لقول من رد هما
وحكى عن ابي حنيفة اجاز بها قال ولا تستقيم في القياس ولكنا
تركنا القياس للاثار قال الشيخ ومقتضى هذا انه
قصرها على المواضع التي وردت في الاحاديث دون غيرها منها
الى غيرها وهو قول مالك ايضا والمغيرة وبعض اصحابنا وحكى
ابن المنذر عن ابي حنيفة رد القول بها وانكرها بعض الموفقين
فقال هي كالاقراع وباجازها في المشكلات قال الشافعي قال
القاضي وهو مشهور مذهبهم واما القرعة بين النساء اذا اراد

مالك

سفرا فقد اختلف العلماء في ذلك فذهب مالك في احد قوليه
والشافعي وابو حنيفة الى انه لا يخرج منهن الا من خرجت
عليها القرعة تمسكا بقضاء هذا الحديث فانه كالنص في ذلك
وقال مالك ايضا ان له ان يسافر بمن شاء منهن بغير قرعة
وان القسمة هنا سقطت للضرورة اذ قد يكون اخراجهن اخف
تحملا واقل مؤنة واصلح للسفر والاخرا اصلح للقاح يولده
في بيته لسد ضيعته وللقيام وقد يكون اثقل جسما
واكثر مؤنة قال الشيخ رضي الله عنه والذي يقع
لي ان هذا ليس بخلاف في اصل القرعة فان هذا لاختلاف احوال النساء فاذا كان فيهن من يصلح للسفر
ومن لا يصلح تعين من يصلح ولا يمكن ان يقال يجب ان يسافر من لا يصلح
لان ذلك ضرر او مشقة عليه ولا ضرر ولا ضرار وانما يدخل
القرعة اذا كن كلهن صالحات للسفر فحينئذ تعين القرعة
لانه لو اخرج واحدة منهن بغير قرعة لخيف ان يكون ذلك
صبا لها وكان للاخرى ان تحلفها من ذلك فاذا
خرج من وقعت عليها القرعة انقطعت حجة الاخرى
وارتفعت التهمة عنه وكان قلبه من نحو منهن والله اعلم
مولها اذن لبنة بالرحيل مو بالمد وفتح النون معنى اعلم والهودج
القبة التي يكون فيها المراة على ظهر البعير وهي الحدر ايضا
وتجمع هوادج وقولها فاذا اعقد من جزع كظفار نذ انقطع
قال ابن استعبد الجزع بفتح الجيم واسكان الزاي الخرز اليماني
وظفار بضم الظا قرية باليمن قال الشيخ هكذا صحيح الرواية

قفار كما قاله ابن السكيت وفي الصحاح وكفار مثل قطام
مدينة في اليمن يقال من دخل ظفار حمر وخرج ظفاري
منسوب اليها وكذلك عود ظفاري وهو العود الذي يتبخر
به وعلى هذا فمن قيده جمز الظفار بالمد فقد اخطأ وبالوجه
الصحيح رويته وقولها وكانت النساء اذا ذكرن خفافا لم يقتلن
ولم يكشفن اللحم انما يأكلن العلق اختلف الرواة في تقييد
هذا الحرف فرواه العذري بضم الباء وفتح الهاء وتشديد الياء
على سالم يسم فاعله بقتلن ومن طريق الطبري بفتح الباء وسكون
الهاء وفتح الباء والصواب ضمها لان ما حيه تجعل وفي بعض
الروايات عن ابن الحذاء يقتلهن اللحم بضم الباء وفتح الهاء وتشديد
الباء مكسورة وبقيه الرواية هي المعروفة في اللغة قال
في الصحاح يقتله اللحم اذا اكثر عليه وركبه بعضه على بعض واقبله
ايضا يقال رجل مقتل قال ابو ذؤيب فشك غير مقتل قال
وقالت عائشة في حرث الازد والنساء ميز لم يقتلهن اللحم
والعلق جمع علقة وهو الفلس من الطعام وداء ان الذي يمتص
الريق ويقتل النفس للارد بادمنه اي يشوقها اليه وقولها
فتيممت منزلي الذي كنت به اي قصدته وقد تقدم ان التيمم
في الاصل هو القصد والتعريس النزول من آخر الليل وقال
ابو زيد هو النزول في اي وقت كان وادلج سار من اول الليل
وادلج مشددا سار من آخره وقيل هما لغتان والاول المعروف
وقولها فحمرت وجهي جلبابي اي غطيته بثوبي وقولها بعد
ما تزلعا موغرين في صدري الضمير الرواية الصحيحة بالغين المعجمة

والراء المهملة من الوغر بسكون الغين وهي شدة الحر
وسنه قيل في صدره على وغر بالتسكين اي ضغن وعداوة
تقول وغر صدره على بوزن حمر وغرا فهو واغر الصدر
على وقرا وغرت صدره علي وقد رواه مسلم من رواية يعقوب
بن ابرهيم موغرين بالعين المهملة والراء وهكذا يقال لمن
مر عرته اليه اي بلدمته يقال وغرت اليه وغرا محققا
وهذا وغرت اليه توغيرا بالتشديد والرواية الاولى
الصحراء والظهيرة شدة الحر وهي ابتداءه وحرها
صرها اي اولها وقد صحفه بعضهم فقال سوعرين بالعين
المهملة والراء ولا يلتفت اليه وقولها فهلك من ذلك في شاني
اي بقول المبتهتان والقذف وكبر الشيء معظمه والناس
يتحدثون اني محوعرن ابيه ويكثرون القول ويفشون
الريبة وهي اسم للتهمة والشك تقول رابني فلان اذا رايت
منه ما يريبك وقليل تقول ارابني فلان قال الشنفرى
يا قوم مالي رابني دونكم انني ارى ريبه يريب وارابه
الرجل صار ذا ريبة وهو مريب حكاه الجوهري وقال
غيره يقال رابني الامر يريبني اذا انوهمته وشككت
فيه فاذا استيقنته قلت رابني منه كذا ريبني وقال
الفراء يقال رابني واجرني الشك وقولها بعدما نقهت من
مرض هو بفتح القاف اي افقت قاما بكسر القاف فهو بمعنى
قمت الحديث والمناصع معروفة والمتبرز بفتح الراء هو
موضع التبرز وهو الخروج الى البراز وهو الفضاء من الارض

سواصع

التي من خرج الماء فقد برز اى ظهر وخني به ثبتا لحق الخروج
للحرث والكشفة جمع كنيف وهو الموضع المتخذ للتخلي
واهل الكنيف الساتر والبرة الحياء وقولها تعس منكم
هو بكسر العين معناه انتكس وسقط على وجهه فعثر
عليه لما قال لها المسكم عود من اعواد الخبا وهو نفاد الذب
لهذا الرجل واسمه عرف بن اناءة بن المطلب بن عبد مناف
وقولها يا بقيطاء اى يا امراة ويقال للرجل يا فناه ولا يستعملان
الا في الذم وهما في الاصل عبارة عن كل نذل وقد تقدم
الكلام عليهما ونونها مخففة وحكى الهروي عن بعضهم تشديد
النون وانكره الازهري وقولها فوالله لقل ما كانت امراة
وضيئة قط عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها
وضيئة فعيلة من الوضاءة وهي الحسن والنظافة اى جميلة
وكانت عائشة رضي الله عنها كذلك والضرائر القرانات
وكثرن اى بالقول والاذى تعون عليها ما سمعت وقولها
ولا يرقا لها دمع اى لا ينقطع وهو معروف تقول رقا
الدم اذا انقطع ومنه قولهم لا تسبوا الابل فان فيها
رقوء الدم بفتح الراء والمد واستلبث الوحي اى استبطاه
فيكون الوحي منصوبا على الفعل ويحتمل رفعه على ان يكون
استلبث بمعنى لبث كما قال استجاب بمعنى اجاب وهو
كثير وقولها اهلك ولا نعلم الا خيرا منصوب على انه مفعول
بفعل مضمر اى اسبر اهلك او الزم واتحفظ اعينه
من العمى وهو العيب والداجن الشاة المقيمة في البيت

ونقا على الحمام ابضا وحزل اقام وقولها فاستعذر من عبد الله
بن ابي اي طلب من قبل عذره كما قال من يعذرني في حقه
وعقوبته فقال سعد انا اعذرك منه اى اقتل عذرك فيه
وقولها ولكن احتملته حميته كذا رواية الحلواني وعمر بن صهبان
احتملته اى كملته والمعنى واحد وهو ان الحمية حملته على الغضب
حتى مرر عنه خلق الجاهلية وبين السعدين ما بين الكلمتين
والله يؤتي فضله من يشاء وثار الحيان ثوائر القبيلان الاوس
والخزرج وقوله فانه قد بلغني كذا وكذا هو كناية رميت به
من الافك وهذا يدل على ان كذا يكنى بها عن الاحوال
كما يكنى به عن الاعداد وقد تقدم وقوله ان كنت قد المممت
بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه من الالمام وهو النزول
النادر غير المتكرر كما قال مي ياتنا بلمم ثنائي يا ربنا اي
متى يقع تكن سنك هذا التائب وهو اصل اللمم وقوله فان
العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه دليل على
ان مجرد الاعتراف لا يغني عن التوبة بل اذا اعترف به متصلا
بادمان قد تقدم القول في التوبة في كتابها وقولها فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي
حتى ما احس منه قطرة اى انقبض وارتفع وانما كان ذلك
لان الحزن والموجدة قد انتشرت اهابتها وبلغت غايتها
ومنهى انتهى الامر الى ذلك جف الدمع لشرب حرارة
المصيبة قال الشاعر عبيني سحا ولا تسحا جلل تعاى عن الدواء
ان الاسى والحزن جمعا ضران كالداء والدواء

وقولها ولشانئي فان نفسي احقر من ان يتعلم الله في بامر يبتلي دليل على ان الذي تتبعن اهل الفضل والعلم والعبادة والمنزلة اختيار انفسهم وترك الالتفات الى اعمالهم ولا الى احوالهم وتجريد النظر الى لطف الله ومنته وعفوه ورحمته وحرمه ومغفرته وقد اغتر كثير من الجهال بالاعمال فلا تحظوا انفسكم بعين استحقاق الكرامات واجابة الدعوات وزعموا انهم ممن تبرد بلقائهم ربغتهم صالح دعائهم وانتم بحيث اختبرتم وتعرفتم فيتمسح باثوابهم وتقبل ايديهم وترون ان لهم من الكرامة عند الله بحيث تنتقم لهم ممن تنقصهم في الحال وان يأخذ من اساء الادب عليهم من خبر اهمال وصله فلسفة تابح الجميل الصمم والعقل غير المستفيد فان ذلك انما يصدر ممن جاهل بنفسه غافل عن جرمه وذنبه مغتر بامهال الله له عن اخذه ولقد غلب امثال هذا والاتكال في هذه الازمان حتى شمل العوام وعمهم بسببهم محلى اهل الدين المصابيح والطوائف فانا لله وانا اليه راجعون وهذه لفتات مصدور والى الله عاقبة الامور وقولها فما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه اي ما برحه ولا قام عنه يقال رام في يرمه ريما اي برح ولا رمه ويقال رمت فلانا ورمت من عند فلان قال الاعشى ابانا فلا رمت من عندنا فانا بخير اذا لم ترم واما رام بمعنى طلب فيقال منه رام يروم روما ورياما والبرحاء على فعلاء شدة الحمى وغيرها وهو البرح ايضا قال لقيط ومنه برحا يا رجا ولقيت منه البرحين والبرحين بضم الباء وكسرها اي الشدائد والدواهي وسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي انكشف ما كان به وتزال عنه يقال سري عنه للتشديد مبني لما لم يسم فاعله وقوله تعالى

ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الاية اي لا يحلف يقال الية يولي ايلاء وتالى يتالى بمعنى واحد والفضل هنا المال والسعة في العيش والرزق وقولها تسامينني اي تعاندني وتضاهينني في الجمال والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من التسامي وهو الارتفاع وقول زينب رضي الله عنها احمي سمعي وبصري اي امنعهما من عقوبة الله تعالى بالكف عن قول سمعت او رايت اي لم اقل ما لم اسمع وما علمت الا خيرا فعصمها الله من الهلاك بما ترك من مقاومة الشتيت والدين والورع مع انها كانت تناصيها وتناقسها في المرتبة وقال من لا يجوز عليه الخطاء لا الكبر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقولها فطفقت اختها حمنة تنت بحسين كاريه لها فهلكت فيمن هلك اي خرت حد القذف فيمن حد وقوله حتى اسقموا لها به خذا عند الخلوي اي كلموها يسقيه من القول يقال اسقه الرجل اذا قال كلاما مرديا تسقط فيه وعلى هذا فيكون الضمير في به عائدا على القول اي اسقطوا لها بالقول وتجل معناه مرحوا لها الفحش ولذلك لما سمعته برين اعظمت ذلك وانكرته وقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصايغ على تبر الذهب الاحمر وقد وقعت هذه الكلمة التي هي سبحان الله في هذا الحديث على نحو ما جاءت في قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم والمقصود بذكرها هنا المواقيع باعظام الشنيعة السوء الى عايشة وتحقيق برايتها وان المتكلم بها يريد ان يقول الشر له والبراءة لله من اجرى ذلك على مثل عايشة وان سوقه في الوجود والله اعلم وقوله اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي اي اتهموهم وقرفوهم

بالفاحشة ويقال رجل مابون اى مقروف بخلة من السوء اى متهم
ويقال ابنه بالفتح فى الماضى يابنه بالضم والكسر فى المضارع
وقوله صفوان رضى الله عنه ما كشفت كنف انثى قط هو بفتح النون
وهو الثوب هنا واصله الساتر وهو كناية عن الجماع اقسم انه
ما جامع امراة وكانه لم يكن له ارب فى النساء والله اعلم وقوله
وكان الذين تكلموا به مسطحا وحمنة وحسان وقد ذكرنا الخلاف
فى حسان فى باب مقابليه هل صرح بالقذف ام لا وهل حد ام لا
والصحيح انه حد لما رواه ابو داود عن عايشة رضى الله عنها قالت
لما نزل عذرى قام النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن
فلما نزل امر بالرجلين والمراة فضربوا حدهم وسماهم حسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش وفى كتاب الطحاوى ثمانين
ثمانين واما حمنة ومسطح فحدا ولم يسم بحد لعبد الله بن ابى والطاهر
من الاخبار والاحاديث انه لم يجد وانما لم يجلد والله اعلم الله تعالى قد
اعد له فى الاخرة عذابا عظيما فلو حد فى الدنيا لكان نقصا من عذابه
الاخروى وتخفيفا عنه وقد اشار الله تعالى الى هذا بقوله والذى تولى
كبره منهم له عذاب عظيم مع ان الله تعالى قد شهد ببراءة عايشة
رضى الله عنها وبكذب كل من رماها فقد حصلت فايدة الحد اذ مقصود
اظهار كذب القاذف وبراءة المقذوف ثم قال تعالى فاذلم ياتوا
بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وانما ذكرها ولا المسلمون
ليكفر عنهم اثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة
من ذلك فى الاخرة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحدود انها
كفارة لمن اقيمت عليه كما تقدم فى حديث عبادة بن الصامت

رضى الله عنه ويحتمل ان يقال انما ترك حد ابن ابى استيلافا لقومه
واحتراما لابنه واطفاء لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك وقد
كانت ظهرت مبادى يهامن سعد بن عبادة ومن قومه كما تقدم
ومعنى يستوشيه يطلبه ويحفه ويشيعه يقال فلان يستوشى
سرسه يعقبه اى يطلبه ما عنده من الجرى ويستخرجه وحدث
الافك هذا فيه احكام كثيرة لو تتبعت لطال الامر وافضى الى الملال
ومن تفقدها من اهل الفطنة وجدها ووقعت هذه القصة فى
غزوة المريسيع وهو ماء ناحية قديد مما يلى الساحل اغار النبى
صلى الله عليه وسلم فيها على بنى المصطلق وهم غارون اى غافلون
وانعامهم تسقى على الماء فقتل المقاتلة واسر وكانت هذه
الغزوة فى شعبان سنة ست من الهجرة هذا اشهر الاقوال عند اهل
السير وعلى هذا ابتنى تحت بلوغ منه وهم بعض النقلة فانه قد تقدم
فى هذا الحديث ان سعد بن معاذ هو الذى راجع سعد بن عبادة حتى
شرى امرها ولم يختلف احد من الرواة فى ان سعد بن معاذ رضى الله عنه
مات فى منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى قريظة بعد ان حكم
فيهم بحكم الله وذلك فى سنة اربع ولم يدرك غزوة المريسيع هذا قول
اهل النقل قال الشيخ رحمه الله تعالى هذا يتعين ذكر سعد بن معاذ
فى هذا الحديث وهما وغلطا وكذا قال ابو عمر بن عبد البر قال وانما
ترجع فى ذلك سعد بن عبادة واسيد بن حضير وكذلك ذكر ابن اسحق
عن الزهرى عن عبيد الله وعبد الله وهو الصحيح قال القاضى ابو الفضل
قال ابن عقبة ان غزوة المريسيع كانت سنة اربع وستة غزوة الخندق
وقد ذكر البخارى احتلام ابن اسحق وابن عقبة فى ذلك قال وقد رجحت

الكبرى ذكر ذلك عن الواقدي ان المريسيع سنة خمس قال وكانت الخندق وقريظة بعدها قال وحدثت القاضي اسمعيل قال اختلفوا في ذلك والاول ان تكون المريسيع قبلها قال الشيخ رحمه الله فعلى هذا يستقيم ما رواه مسلم والبخاري من ذكر سعد بن معاذ ولا يكون ذكره وهما والله اعلم وقول جابر رضي الله عنه ان عبد الله بن ابي كانت له جاريتان مسيكة وامية يريد بهما على الزنا روى غير انهن كن شتاما قال معاذه وسيكة وارزى وقتيلة وحمزة ويبتهة فكان يحملهن على الزنا ويأخذ منهن اجورهن والقينات جمع قناة والقتبان جمع فتى ونهم المماليك والبغاء الزنا وقوله ان اردن تحصنا اي عفافا ولا دليل خطاب لهذا الشرط ولا يجوز اكراههن عليه بوجه سواء اردن تحصنا او لم يردن وانما علق النهي على الاكراه على ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا مع ذلك فاما اذا رغبت في الزنا فلا اكراه يتصور وقوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لمن تاب من ذلك وكان الحسن يقول لهن غفور لهن والله لا يغفر لهن مستدلا على ذلك بإضافة الاكراه اليهن

ومن سورة الفرقان قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها الآيتين هذه الآية معطوفة على ما قبلها من الاوصاف التي وصف بها عباد الرحمن وهو من باب عطف الصفات بعضها على بعض وكذلك ما بعد هذه الآية من الآيات معطوف بعضها على بعض والكل معطوف على قوله الذين يمشون على الارض هونا الى ان قال اولئك يجزون الغرفة ثم عبروا الى قوله مقاما وهذه الجملة هي خبر المبتدا الذي هو وعباد الرحمن وما بين المبتدا والخبر اوصاف لهم وما تعلق بها

وشدة الجوع وزلزلوا بالخوف من ان يخذلهم الله بتوالي الوقت وتدل عروة بن عليهم كما تعلل يوم احد وقد تقدم الخلاف في غزوة الخندق متى كانت ومن سورة تنزيل قول اليهودي ان الله يمسك السموات على اصبع الحديث الى آخره بقرائنه قول اليهودي لا قول النبي صلى الله عليه وسلم والغالب على اليهود انهم يعتقدون الجسمية فان الله تعالى يحمل ويجاري كما يعتقدون ملائكة الحشوية في هذه الملة وكذا النبي صلى الله عليه وسلم انما هو تعجب من جهله الا ترى انه قرأ عند ذلك وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه وهذه الرواية في الرواية الصحيحة المحققة فأما رواية من زاد في هذا اللفظ تصديقا له فلعبت بمعنى لا نقاص من قول الراوي وهي باطلة لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يصدق الكاذب وله المحال وهذه الاوصاف في حق الله تعالى محال بدليل ما قررناه غير مرة وحاصله انه لو كان تعالى ذا يد واصابع وجوارح على نحو ما هو المعروف عندنا لكان كواحد منا ويجب لنفس الافتقار والحدوث والنقص والعجز ما يجب لنا وحينئذ فيستحيل عليه الالهية ولو جازت الالهية لمن كان على هذه الاوصاف لجاز ان يكون كل واحد منا الها ولحقت الالهية للدجال ولعدن في دعواه اياها وكل ذلك كذب ومحال فالمفضي اليه كذب ومحال فقول اليهودي كذب ومحال ولذلك انزل الله تعالى في الرد عليه وما قدروا الله حق قدره وانما تعجب النبي صلى الله عليه وسلم من جهله يوهم الراوي فظن ان ذلك التعجب تصديق وليس كذلك فان قيل فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان قلوب بني آدم بين اصبعين

هذه الموجودات العظيمة واتساعها في قدرة الله تعالى كالشيء
الحقير الذي تجعلونه بين اصابعكم وتديرونه بين ايديكم وتصرفون
فيه كيف شئتم ولهذا اشار بقوله ثم يقبض اصابعه ويبسطها
وقوله ثم يهزهن اي يهزهن في قدرته كالحبة مثلا في حق احدنا
اي لا يبالي بامساكها ولا يهزها ولا يحركها ولا القبض والبسط
عليها ولا يجد في ذلك صعوبة ولا مشقة ومن لا يقنعه هذا التفهيم
فليس له الا السلامة والله يحق الحق ويهدي السبيل وقوله تعالى
انا الملك اي الحقيق بالملك والملك اذ لو اجتمع ملوك الدنيا
من اولها الى آخرها وجمع المخلوقات لما استطاعوا على امساك
مقدار ذرة من الارضين ولا من السموات ولا معنى قوله انا الملك
في حديث اليهودي فاما قوله انا الملك فحوف ابن عمر رضي الله عنهما
فمقصوده انحصار الانفراد به تعالى بالملك عن انقطاع دعاوي
المدعين وانتساب المنتسبين اذ قد ذهب كل ملك بملكه
وكل جبار ومتكبر بكبره وانقطعت نسبة كل دعاوي ونحو
نحو قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والامساك
المذكور في حديث اليهودي خلاف القبض الذي في حديث
ابن عمر فان ذلك الامساك هو استدامة وجود السموات والارض
الى يوم يطويها ويقبضها ويبيدها كما قال تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
انه كان حليما غفورا وتربيا القبض والطي في الانعام
في حديث ابن عمر رضي الله عنهما يطوي الارض بشماله فتراجعا في هذه الرواية وانما
الذي اشتهر في الاحاديث بيده الاخرى كما جاء في حديث ابن موسى الاشعري

من اصابع الرحمن فقد اخبر بان له اصابع فالجواب انه اذا جاء نا
مثل هذا في كلام الصادق تاولناه او توقفنا فيه الى ان يتبين
وجهه مع القطع باستحالة ظاهره لضرورة صدق من دلت
المعجزة على صدقه فاما اذا جاءنا مثل هذا على لسان من يجوز عليه
الكذب بل من اخبرنا الصادق بخبر نوعيه بالكذب والتحريف كذبناه
وتجنباه ثم لو سلمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم صرفه وقال له
صرفت لما كان تصريفا له في المعنى بل في النقل اي في نقل ذلك
عن كتابه او عن نبيه وحينئذ نقطع بان ظاهره غير مراد
ثم هل يتوقف في نفسنا ويل وسلم او نبدي تاويلا له وجه
في اللسان وحجة في العقل على الرابين الذين لا ممتنا وقد تقدما
وقد قلنا ان الاصبع يحتمل ان يراد به القدرة على الشيء ويساره تقليبه
كما يقول من استسهل شيئا واستخفه خاطبا لمن استثقله
انا احمله على اصبعي او ارفعه باصبعي واسحقه بخنصري وكما
يقول من كلف بحمل شيء انا احمله على عيني وانقله على راسي يعني
له الطواعية وما اشبه ذلك مما في معناه وهو كثير ولما كان
ذلك معروفا عند العقلاء متداولا بينهم خوطبوا بذلك جريا على
مناهجهم وتوسعا معلوما عندهم وعلى هذا يمكن حمل الحديث
وما في معناه على نحو من هذا ويبان ذلك ان السموات والارض وهذه
الموجودات عظمة اقدارها في ادراكنا وكبير خلقها في حقنا
فقد سبق الوهم الغالب على الانسان ان خلقها واحداثها على امر
كبير او بعضهم كبير فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اليوم بهذا
الحديث فربطه بجلي طرق التمثيل بما تعارفناه فكانه قال فلق

رضي الله عنه المتقدم وقد تحرز النبي صلى الله عليه وسلم من الحلاق
لعبء الشمال على الله تعالى فقال وكلما بدنه يمنى ليلا يتوهم نقص
في صفة الله تعالى فان الشمال في حقنا اضعف من اليمين وانقص
كما تقدم فنفى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عن الله تعالى لكمله جاء
في هذا الحديث كما ترى على المقابلة المعارفة في حقوقنا والله اعلم
وقوله ويقبض اصابعه ويبسطها ظاهره انه خبر عن الله تعالى
وجمعه ما ذكرناه وقال بعض علمائنا هو خبر عما فعله النبي
صلى الله عليه وسلم فانه قبض اصابعه وبسطها فخف الاشكال
انه ويكون ذلك اشارة بالحواس الى المعاني والله اعلم وقوله
في المنبر تحرك من اسفله شيء منه اي انه تحرك من اسفله الى اعلاه
او تحرك الاسفل بتحريك الاعلى وظاهر حركة المنبر انها انما
كانت لحركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان تكون
حركة المنبر مشاعرة لحركة النبي صلى الله عليه وسلم كرامة
وزيادة ودلالة صدق بجنس الجزع وتسبيح الحصى وما اشبه ذلك

ومن سورة حم السجدة قوله قليل فقه قلوبهم اي فقههم
قليل او معدوم وكثير شح بطونهم اي هم سمان اذ كبس كيسهم
في عبادة ولا حظ من صوم ولا مجاهدة وانما همهم ان يأكلوا اكل
البهائم من غير مبالاة باكتساب الاثام ومنه تنبيه على سبب
قلة فهمهم بان البطنة تذهب بالفطنة وقوله وما كنتم تستترون
ان تشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي ما كنتم تتقون
تلك الجوارح فتستتروا عنها بالامتناع عن المعاصي قاله مجاهد
قال قتادة وما كنتم تظنون ذلك وقوله ولكن ظننتم ان الله لا يعلم

كثيرا مما تعملون اي شككتم في ذلك لجهلكم وقوله وذلكم الذي
ظننتم اي ذلكم ضمير الواقع بكم اللازم لكم وهي جملة
ابتدائية وارداكم كنتم من الهالكين قاله الزجاج وقال غيره
جبال اي قدارداكم اي اهلكتكم مقاتل اعمالكم وقيل بصوا
اخبر المبتدأ الاول وضمن بيانا ردكم وقوله فاصبحتم من الخاسرين
اي صرتم خاسرين في صفقتكم مغبونين في بيعكم

ومن سورة الدخان قد تقدم ذكر من كان ابن مسعود رضي الله عنه
في تفسيره الدخان المذكور في هذه الاية فيما تقدم وما انكره
بل وردت فيه احاديث مرفوعة من حديث ابن سعيد الخدري على ما ذكر
وزاد فيدخل الدخان جوف الكافر والمنافق حتى ينتفخ فاستغفر
بمعنى غضب يترك اجابة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله
وتصعبت عليه اي ابت الدخول في الاسلام وتبع يوسف
يعني المذكورة في قوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
يا قلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون وقد تقدم الكلام
والنحة تقال على سنة وجمع سنين وقوله حتى جعل الرجل
ينظر الى السماء فيرى بينها وبينه كهيئة الدخان من الجهد
لا شك في ان تسميته هذا دخانا مجاز وحقيقة الدخان
ما ذكر قرئ حرمت ابن مسعود والذي حمل عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه على هذا الانكار قوله ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون وقوله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون
ولذلك قال ابن كثير عذاب الاخرة وهذا لا دليل فيه على ما قاله
ذلك القائل لان حديث ابي سعيد رضي الله عنه انما دل على ان ذلك الدخان

يكون من اشراط الساعة قبل ان تقوم القيامة فيجوز ان تكشف عنه
كما تكشف فتن الدجال ويأجوج ومأجوج واما الذي لا تكشف
عذاب الكافر بعد الموت فلا معارضة بين الآية والحديث
والشان في حكم الحديث وقوله استغفر الله لمضر فذاك
في كتاب مسلم من الاستسقاء ووقع في كتاب البخاري استسقوا الله
لمضر من الاستسقاء وهو سنا سبب للحال التي كانوا عليها
من القحط غير ان الذي تعذره انكار النبي صلى الله عليه وسلم
على القائل بقوله لمضر فانه طلب السقيا لهم لا ينكر وانما
الذي ينكر طلب الاستغفار لهم وقد فسر البطشة بانها
يوم بدر واما اللزام فهو المذكور في قوله فسوف يكون
لزاما وقد اختلف فيه فقيل هو العذاب الاليم وانشدوا
فما انتحوا من خسف ارض فقد لقيا خسوفها بين اهاد
وقال آخر ولم اهرع من الموت اللزام وقال ابي هو
القتل بالسيف يوم بدر واليه ذهب ابن مسعود وهو قول
اكثر الناس وعلى هذا فيكون البطشة واللزام شيئا واحدا
وقال القرظي وابو عبيدة هو الهلاك والموتة واما الروم
فقد روى الترمذي من حديث نباء بن مكرم الاسلمي قال لما
نزلت الم غلبت الروم الى بضع سنين وكانت فارس يومئذ
ظاهرة على الروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على
فارس لانهم واياهم اهل كتاب وكانت قريش يحبون ظهور
فارس على الروم لانهم واياهم ليسوا باهل كتاب ولا ايمان
ولما نزلت هذه الآية خرج ابو بكر يصيح في نواحي مكة بالآية

فقال كبراء المشركين الا نراضيك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم
الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون قراقبوا الرهان وقالوا
لابي بكر كم تجعل البضع الى تسع فسم بيننا
وبينك وسطا ننتهي اليه فسمى بينهم ست سنين فمضت
الست سنين قبل ان يظهروا فاخذ المشركون رهن ابي بكر فلما
دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون
على ابي بكر تسميته ست سنين لان الله تعالى قال في بضع سنين
قال واسلم بعد ذلك ناس كثير فان هذا اكثر من تسع وسياتي
القول في اشتقاق البضع في سورته ومن سورة الحجرات
قال ثابت بن قيس بن شماس بن مالك الخزرجي
يكنى ابا محمد باينه وقيل ابا عبد الرحمن قتل له يوم الحرة ثلاثة
من الولد محمد وعبيد الله وكان خطيبا بليغا معروفا بذلك
كان يقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال
لحسان شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما تقدم وقد تميم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلموا المفاخرة فقام خطيبهم
فافتخر في خطبته ثم قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة فرد
عليهم وقام شاعرهم وهو الاقرع بن حابس فانشد
اتيناك كما يعرف الناس فضلنا اذا خالفونا عند ذكر المكارم
واما رؤس الناس من كل معشر وما لبيس في ارض الحجاز كدارم
فقام حسان فقال بني دارم لا تفخروا ان فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
هلم علينا تفخرون وانتم لنا خول من بين ظئر وخادم
فقالوا خطيبهم اخطب من خطيبنا وشاعرهم اشعر من شاعرنا

فارتفعت اصواتهم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ولما نزلت
جلس ثابت بن بيته فطان حماد كر في الاصل وقال فطا الخراساني
حرشني ايمة ثابت بن قيس قالت لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية دخل ابو بكر
بيته وراغلق عليه بابه فطفق النبي صلى الله عليه وسلم
يسال عنه فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما خبره فقال انا رجل شديد الصوت اخاف
ان يكون حبط عملي فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انت من اهل
الجنة فرجع الرجل الى ام كلثوم فقال لها ما شانك فقالت ما لي شان
غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمني فاخاف ان يكون حبط عملي
فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان ثابتا يحدث نفسه بالهلاك
فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني احب الجمال واحب
ان اسود قومي فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا
ودخل الجنة قالت فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد الى مسيلمة
فلما التقوا انكشفوا فقال وهالم مول اني لحديقة ما هكذا
كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حفر لكل واحد منهما
حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة
فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينا رجل من المسلمين نائم اتاه
ثابت في منامه فقال له اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا
حلم فتضيعه اني لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي
ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله
وقد كفا على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فات فخالد فمره
ان يبعث الى درعي فيا خذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم يعني ابا بكر رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين
كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان فاتي الرجل خالدا فاخبره
فبعث الى الدرع فاتى بها وكوت ابا بكر برؤياه فاجاز وصيته
قال ولا نعلم احدا اجيزت وصيته بعد موته غير ثابت وقوله
ولا تجهروا له بالقول اي لا تخاطبوه يا محمد ويا احمد ولكن
يا نبي الله ويا رسول الله نوقيرا لله صلى الله عليه وسلم وقوله
ان تحبط اعمالكم اي من اجل ان تحبط اي تبطل تاما اصل الاحباط
ان يكون لكل خير كثير واما ثوابها ان كان بعضه ومن
سورة ق اختلف فيه فقال ابن عباس هو اسم لله عز وجل
وقال قتادة اسم القرآن وقال الضحاك اسم الجبل المحيط
بالارض وهو من زبرجدة خضراء وخضرة الجبال منها
وقال عطا هو نور تقلب فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
تلك الاوجه هو قسم وعجبت والقرآن المجيد عليه والقرين
قيل يعني المقارن الملازم الذي لا يفارق واصله من القرن
وهو الحبل الذي يجمع به بين شيئين فيلازم لسببه كما قال
الشاعر وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل
القناعيس وقد تقدم ان الشيطان قرين ربه فيقال من شطن
اي بعد عن الخير او من هناك اذا احترق واحترق وانه انما
يقال على الماردة من الجن وهو الكثير الشر الشديد الضرر وقوله
الا ان الله اعانني عليه فاسلم جمهور الرواة يقولون فاسلم
بفتح الميم ويريدون ان الشيطان صار مسلما وكان سفيان بن عيينة يقول

فاسلم بضمها اى المبم والمعنى فاسلم انا من شره وكان ينكر القول
الاول ويقول الشيطان لا يسلم قال النووي وهذا له موقع
غير انه يبعده قوله فلا يأتي الا بخير فحينئذ يزول عنه اسم
الشيطان ويصير مسلما ويكون هذا موئدا لرواية الجمهور
بالذي في حيله فرسقين من اسلام الشيطان بلزمه في كونه لا يأتي
الا بخير وقد بقي هذا الحديث في مسند احمد بن حنبل بلفظ اخر
وقال فلا يأتيني الا بخير واما لفظ حديث عائشة رضي الله عنها فهو
في الوجه الاول واضح فانها قالت فيه ولكن ربي اعانني عليه
حتى اسلم والظاهر منه ان الشيطان هو الذي اسلم مع انه
يحتمل ان يكون حتى بمعنى كي ويكون فيه ضمير راجع الى النبي
صلى الله عليه وسلم اي اعانني كي اسلم منه والله اعلم ومن سوره
القمر قوله انشق القمر فلقتين اي انشق نصفين اي وقع ذلك
الانشقاق على حقيقته ووجد ذلك وذلك بمكة حتى بعث
ان سألت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم اية فاراهم انشقاقه
على نحو ما ذكرنا ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه او كما قال
هذا الانشقاق حتى لم يترك لقابيل مقالا وكانت فلقة
وراء الجبل وفلقة دونه وفي رواية مستتر الجبل فلقة
وكانت فلقة نحو الجبل ونحو ذلك قال ابن عمر وقد روى هذا
الحديث جماعة كبير من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود
وانس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم وحسم
رضي الله عنهم وروى ذلك نيف واربعون انسانا من التابعين ثم ذلك
بمعجزة اهل الخبر والعدد الكثير الى ان ينتهي ذلك التواتر وقامت

انوار عملنا واضاف الى ذلك ما جاء من ذلك في القرآن المتواتر
عند كل انسان فقد حصل بهذه المعجزة العلم اليقين الذي لا يشك
فيه احد من العقلاء وقد استبعد كثير من الملحدة وبعض
اهل الملة من حيث انه لو كان كذلك لكان رآه جميع اهل
الارض فاراد ذلك والجواب ان هذا انما كان يلزم لو
استوى اهل الارض في ادراك شاهده في وقت واحد وليس
الامر كذلك فانه يطلع على قوم قبل طلوعه على اخرين فقد
يكون الكسوف عند قوم ولا يكون عند اخرين وايضا فانما كان
يلزم ذلك لو طال زمان الانشقاق وتوفرت الدواعي على الاعتناء
بالنظر اليه ولم يكن شيء من ذلك وانما كان ذلك في زمن قصير
شاهده من نبه له وذلك ان اهل مكة طلبوا من النبي صلى الله عليه
وسلم انشقاق القمر فخرج بهم الى منى فاراهم انشقاق القمر فلما
راوه اسرة قال اشهدوا فقالت قريش هذا سحر فقال بعضهم
ان كان محمد سحرنا فما يبلغ سحره الى الافاق فابعثوا الى اهل
الافاق فينظروا الى اهل مكة فاخبروهم انهم عاينوا ذلك هكذا
نقل النقلة وكم من نجم ينقض وصاعقة تنزل فيصير سماعي يختص
بمشاهدته بعض الناس دون بعض ثم انها كانت اية ليلية وحادثة
الناس في اكثرهم ممن ينبو بهم نائمين وسرعة ينتقل الالتفات
الى السماء الا الاحاد منهم وقد يكون منهم من شاهد ذلك فظنه سحابا
كابيا او ريحا لاجابا وعلى الجملة فالموانع من ذلك لا تنحصر ولا تضبط
والذي يحسم مادة الخلاف بين اهل ملتنا ان نقول لا بعد في ان يخص الله
تعالى خرق العادة بذلك الوقت فصرف جميع اهل الارض عن الالتفات

الى القمر في تلك الساعة لتختص مشاهدة تلك الآية بأهل مكة
كما اختصوا باكثر مشاهد آياته فحنين الجذع وتسبيح الحصى وكلام
الشجر الى غير ذلك من الخوارق التي شاهدوها ونقلوها الى غيرهم
كما قد نقلنا ذلك في كتابنا المسمى بكتاب الاعلام بما في دين النصارى
من الفساد والاوهام واثبات نبوة نبينا محمد عليه افضل الصلاة
والسلام وهذا الكلام خاص بالمنكر للانشقاق من اهل الاسلام
واما الملاحدة فالكلام معهم في ابطال اصولهم الفاسدة وقد
تاول من انكر وقوع انشقاق القمر من الاسلاف من قوله تعالى
وانشق القمر بمعنى ينشق في القيامة وممن روي عنه هذا التاويل
الحسن البصري وتاول غيره انشق حقق الامر ووضح وقال آخر
انشق الكلام عنه بكلوعه قال الشيخ وتلك تجرئات لا تاويلات
والحسن البصري اعلم واجل من ان يذهب الى شيء من ذلك لا سيما مع
شهرة القضية وكثرة الرواة لها واستفاضتها وعلمه هو
بالاخبار وسلوكه طرق الصحابة الاخيار وقد ادرك منهم جملة صالحة
وحصلت له بهم صفقة الصحبة وقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهل هو مذكر بالدال وعلى الجماعة ومؤكر اسم فاعل من ازدكر
اي تذكر ادغمت الذال في الدال وقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر
اي للحفظ فليس شيء من الكتب يحفظ كحفظ القرآن والمؤخر المتعفظ
وقيل المزدجر وقيل المحفوظ ومن سورة الحديد والحشر
قوله لم يأن بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا اربع
سنين قال الخليل القائم مخاطبة الاولى ومذاكرة الموجدة
تقول عاتبته معاتبة قال الشاعر اعاتبه ذا المودة من صرق ادانا
رابني منه اجتناب

اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب
وقوله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله اي لم يحن قال الشاعر
الم يان لي يا قلب ان ترك الهوى وما كنت انا يا قلب ما ما انت
ومضارعه يبين وانشد ابن السكيت
الم يان لي ان تجلى عمايتي وافصح عن ليلى بلى قد اتى ليا
يجمع بين اللغتين وان تخشع اي تذل وتلين لذكر الله وتعظيمه وقيل
معناه تجزع من خشية الله وقيل الذكر هنا القرآن وفيه بعد
لان قوله وما نزل من الحق هو القرآن فيكون تكرارا وقوله فطال
عليهم الامد اي اراد الموت بعيدا يعني انهم لطول امليهم لا يرون
الموت بقرب منهم ففسقت قلوبهم اي قست وتملكت فلم يفهموا دلالة
ولا صدقوا رسالة وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن مقتضى
العقل من التوحيد وعن مقتضى الرسالة من التصديق وفائدة تقرير
الآية انه لما ترتب الايمان في قلوبهم ارشدهم الى الازدياد في احوالهم
والمراقبة في اعمالهم وحذرهم من خوف اهل الكتاب بالغ في خطاب
والطف بخطاب وقول عائشة رضي الله عنها امروا ان يستغفروا
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسبوهم اشارت عائشة الى قوله
والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان فسبوهم تريد عائشة بفهمها ان اثنا بعض حقهم الواجب عليهم
ان يحبوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يعظموهم ويستغفروا لهم
وكذلك كل من جاء بعدهم الى يوم القيامة ويجري عليهم ان يسبوهم
او يسبوا احدا منهم كما قد مرح بذلك بعض بني امية واياهم عنت بقولها
ولقد احسن مالك رحمه الله في فهم هذه الآية فقال من سب اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

فلا حق له في الفيء واستدل بالاية ووجه انه راى بقوله الاية
معطوفة على قوله والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم وان بعده
الاية معطوفه على قوله للفقراء المهاجرين فظهر له ان المهاجرين
والانصار استحقوا الفيء بامر مهاجرة وانصار من غير قيد زايد
على ذلك وان من جاء بعدهم فيدخل ابقيد يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان فان لم يوجد هذا القيد لم يجز الاعطاء لعدم تمام
الموجب وقد فعل عمر رضي الله عنه ان قوله والذين جاءو من بعدهم يع
كل من ياتي الى يوم القيامة وانما معطوفة على ما قبلها فوقف
الارض المغنومة المفتتحة في زمانه على من ياتي بعد الى يوم القيامة
وخص بعده الاية الارض من جملة الغنيمة التي قال الله تعالى فيها
واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وقد تقدم الكلام على هذا
الجماد ومن صورة المنافقين قوله من تسور ثنيته المرار
التسور تعلو وتسورت الجدار علوته وفي الرواية الاخرى من بعد
وهذا واضح والثنية الكرنوز في الجبل والمرار بضم الميم وهي ثنية
معروفة وعيره المرتفعة تحت السي صلى الله عليه وسلم على صعودها
ولعل ذلك لحراسته وقوله حط عنه ما حط عن بني اسرايل اي غفرت
خطاياه كما وعد بني اسرايل حين قيل لهم ادخلوا الباب سجدا
وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فيبقى بذلك ان من بعدهم تلك الثنية
غفرت خطاياه كما كانت خطايا بني اسرايل تحط وتغفر لو فعلوا ما امروا به
من الدخول وقول الحطة لانهم لم يفعلوا ما امروا به بل تمردوا
واستهزءوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حنطة في شعيرة
وهو لا يبعد ان يكون بعضهم دخل على نحو ما امر به لتغفر له غير انه لم

يفعل ذلك الباقي وقوله صلى الله عليه وسلم كل دعوة مفعول له الاحاجب
الجمل لما صفروا كما امروا الخ ثم لهم ما يدعون واعدوا فان الله يخلف
العباد ولا رسوله وقيل ان صاحب الجمل هو الجعد بن قيس المنافق
وللشوط ثالثة بكلبها نشرت الضالة طلبتها وانشرتها عرفتها
وقوله حتى ينفضوا اي يتفرقوا ومن ترك له في قراءة عبد الله ولم
يثبت في شيء من المصاحف المتفق عليها ويمكن ان يكون زيادة بيان
من جهة ابن مسعود رضي الله عنه وقوله ليخرجن الاعز منها
الاذل يعني المنافق بالاعز نفسه وعشيرته وبالاذل النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين بدليل مقاله وحيث وجب ان يسكن حال عليه
عليه شقوته فانعكست فكرته فظن الارض سماء والسراب ماء
فتيممه ولم تطهره على قبح علمه فقال له انت والله الاذل
ورسول الله الاعز فانزل الله تصديقه في كتابه لعلهم يفهمون
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ثم ان النبي
صلى الله عليه وسلم تلطف بهم على مقتضى خلقه الكريم وحلمه العظيم
ودعا لهم للاستغفار فابت الشقوة الا التمادي على الجهل والاستكبار
فلووا رؤوسهم معرضين وصدوا مستكبرين فقولوا لن يغفر الله لكم
ان الله لا يهدي القوم الفاسقين حشرنا الله مع المؤمنين وجنبنا
احوال المنافقين بفضله وكرمه وقوله كانهم خشب مسندة يعني
انهم اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام فصورهم معجبة وبواطنهم
قبيحة خربة ومستندة اي الى الجدر شبههم بالجذوع المسندة
الممالة الى الجدار لما فاتها الثمار فقد مقتا بعدم تتبعهم قرائنها فاختشت ثم
وموجع كشبهة يقال خشبته وخشب بضمها ويقال خشب بفتحها

وقد قيل بهما وقوله ابي الطفيل كان بين رجل من اهل العقبة
وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ليست هذه العقبة عقبة
بيعة الانصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام ومن ظن
ذلك فقد جهل وانما هي عقبة بطريق تبوك وقف له فيها قوم من
المنافقين ليقتلوه كما قد رواه احمد بن حنبل من طريق ابي الطفيل هذا
قال لما اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك امر مناديا
فنادى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ العقبة فلا ياخذها احد
فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة وسوقه عمار
رضي الله عنهما اذ اقبل رهط متلثمون على الرواحل فعشوا عمارا
وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل عمار يضرب وجوه
الرواحل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قد قد حتى هبط
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما هبط نزل ورجع عمار فقال هل عرفت
القوم فقال قد عرفت عامة الرواحل القوم متلثمون قال
هل تدري ما ارادوا قال الله ورسوله اعلم قال ارادوا ان ينفروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فيطرحوه وذكر ابو الطفيل في تلك الغزاة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس وذكر له ان في الناقلة
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الا يرد احد
فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فورد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجد رهطا قد وردوا فلعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابي الطفيل بقوله بعض ما يكون بين الناس الملاجاة والمغاثة
التي تقع غالبا بين الناس وقوله انشدك الله اي اسالك بالله
والقائل انشدك الله هو الرجل الذي لاجاه حذيفة وهي اسمه والقائل

كما اخبر انهم اربعة عشر فان كنتم بينهم فالقوم خمسة عشر فقد
حذيفة والمخاطب بذلك القول هو الرجل المعاتب السائل له يا شديد الله
زكاهر كلام حذيفة انه ما شك فيه لكنه ستر ذلك ابقا عليه
وقوله والا الاربعة عشر او الخمسة عشر هم الذين سبقوا الى الماء فلقنهم
النبي صلى الله عليه وسلم غير انه قتل عدد قليل منهم لما اعتذروا اليه
بانهم ما سمعوا المنادي وما علموا بما اراد من كان معهم من
المنافقين فانهم اراد وا مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان يسبقوا الى الماء وكان ان يرد مع الرهط الذين عرضوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعقبة ليقتلوه والله اعلم وقوله فما لبث
ان نفخ الله ناقته اي ما زال مقامه حتى اهلكه الله وواريه تحفوه
وتنبلته القته واخرجته ومنبوذا مطروحا على وجه الارض
وانما اظهر الله تلك الاية في هذا المرتد ليوضح محمة نبيه صلى الله عليه
وسلم للهدى وكبتا وليقيم لهم على ضلالته سنة خالفة دينه برهانا
وليزداد الذين امنوا ايقانا وايمانا وقوله فاخذت ريح تكاد ان تدفن
الراكب اي هبت ريح شديدة تحمل معها التراب والرمل لشدتها
حتى لو كان راكب على بعير لدفنته بما يثير عليه من التراب
والرمل وكان هذه الريح انما هبت بحنين ذلك المنافق العظيم
ليعذرت بها او جعلها الله علامة لنبيه صلى الله عليه وسلم على موت
ذلك المنافق وانه مات على النفاق والله اعلم وقوله الا اخبركم
بشديد حرامه من القامة هو بفتح الجيم اي الرجل الراكبين المقفين
الرواية بخفض تنزيل على البدل من شد وهو من المعرفة من النكرة

وما بعدها ذلك يقوله له ومعنى المقتسم المولمان اقتسما
وقوله لرجل حينئذ من اصحابه انما نسبهما الراوى لاصحاب الشعب
صلى الله عليه وسلم لانهما كانا في عداد من دخلا معهم ظاهرهما
في دينهم والعليم الخبير يعلم ما تجنه الصدور وما تختلج في الضمير
فاعلم الله تعالى بستخبث بواطنهما وسوء عاقبتهما فارتفع اسم
المحبة وصدق اسم العداوة والبغضة ومن سوره النجم
حدثه ابن عباس هذا تقدم في الابلاء لكن بطريق غير هذا واوردناه
تخالف هذا فلذلك كررناه في المختصر وقوله فاذا الناس ينتثرون
بالحصى اى يخطون بها في الارض فعل المعلم بالشيء المتفكر فيه
وقولها بابن الخطاب عليك بعبيتك اى خاصتك واهل بيتك
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار كرشي وعبيتي وقد تقدم
والشريرة العرفة يقال بفتح الراء وضمها والاسكفة بضم الهمزة
والكاف عتبة الباب السفلى والنقير من الخشب وهو الذي يقعر فيه
مثل الدرج ليبرق عليه وقوله يا رباح استأذن لي عندك اى بحضرتك
وقربك اى الموجرة وسكوت رباح ونظره لعمر احترام لحضرة
النبي صلى الله عليه وسلم فكانه كان يسمعه والقرة يدبغ به
والاديم الجلد قبل الدباغ وابتدرت عيناى تعني بالدموع اى تحلبه
ابكاء فلم تملكه وقوله فان كنت طلقتهن فان الله معك اى
بالمعونة على مرادك من الطلاق وعلى ان يدل لك خيرا منهن كما
قال الله تعالى في الايه وتعبيته الملائكه هي موافقتهم له على مراده
ونصره على اعدائه والله اعلم وقوله قل ما تكلمت واحمد الله
بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق الذي اقول فسمعته بعد النبي

صلى الله عليه وسلم حينئذ قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه
وقوله فلم ازل اجرئه حتى تحسر الغضب عن وجهه اى انكشف الغضب
وكشر كشف عن اسنانه يبخد فتحه وقد سبق القول على ما
في هذا الحديث مما يحتاج الى التنبيه عليه والحث عليه في الكتاب
والايلاء وقوله ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به ظاهر هذا ان هذه الاية نزلت بسبب
هذه القضية لاجل استنباط عمر ما استنبط فيها ووقع له فيها
وافقه الله تعالى على ما وقع له فانزل القرآن على الخروج له
والاستنباط والاستخراج وقد تقدم واذا جاءه امر
وتقال ذاع به بمعناه واولوا الامر العلماء في قول قتادة
وغيره وفي الاية من الفقه وجوب الرجوع الى اقوال العلماء
على من لم يحسن منهم الاحكام واستنباطها قال الحسن يعني في
الصغاء امرا ان يستخرجوا العلم من الصغاء والعلماء وقال
قتادة نزلت هذه الاية في المنافقين كانوا يشيعون اخبار سيئة
له رسول الله صلى الله عليه وسلم سرايا من اراد نكايته واخزاه
من اراد غزوه اراده الافساد ومن سورة الجن ابن عباس رضي الله عنهما
ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم يعني لم يقصدهم
بالقراءة عليهم وانما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فوا الصلاة لاصحابه
لكن لما تفرقت الشياطين في الارض يطلبون السبب الحايل بينهم
وبين ما كانوا يستفرغون من السمع صادفوا هذا التفرس الجن الذي
صلى الله عليه وسلم يسوق عكاظ وهو يصلي باصحابه فاستمعوا له

فقالوا ما أخبر الله به نبيه قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن
فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن
نشرك بربنا أحدا الآية وقيل كانوا عدد هذا النفر اثني عشر
وقيل تسعة وقيل سبعة وعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم
ما علم باستماع الجن له ولا رآهم ولا كلمهم وإنما أوحى الله تعالى
إليه فعلم ذلك لما أنزل عليه القرآن بذلك وهذا خلاف حديث
ابن مسعود رضي الله عنه فإن مقتضاه أن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بعبد الله بن مسعود معه فجاءه داعي الجن فانطلق النبي
صلى الله عليه وسلم فخط خطا وأقعد ابن مسعود
فأمره فقضبه أخرا وحث أن في الحاصل من الكتاب والسنة
العلم القطعي موجودون متعبدون بالأحكام الشرعية على
النحو اللائق بخلقهم وأحوالهم وأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
رسول إلى الإنس والجن أجمعين فمن دخل في دينه وآمن به فهو
من المؤمنين ومصيره الجنة في الآخرة والجنة مستقر المؤمنين
ومن كذبه وصد عنه فهو الشيطان المبعد عن المؤمنين في الدنيا
والآخرة والنار مستقر الكافرين أبد الآبدين وظاهر هذا
الحديث يقتضي أن رجم الشياطين بالنجوم إنما حدث عند بعثة النبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك روى البزار من حديث ابن عباس
رضي الله عنهما قال كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي
فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها سبعا فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
منعوا مقاعد منها فذكروا ذلك لإبليس فلم يكن النجوم يرمى بها
قبل ذلك وذكر نحوه تقدم لمسلم وقد تقدم في أول كتاب الطهارة

من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت ترمى
في الجاهلية وقد اختلف الناس في ذلك لاختلاف هذين الحديثين
فذهبت طائفة منهم الجاحظ إلى أنها لم تكن قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة منهم الفراء كانت ترمى بها
ولكنها تزداد عند المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض
بين الحديثين وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه
لم يشهد منهم ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد
هو أصح من الحديث الذي تمسك به الحنفيون مما روي عن ابن مسعود
أنه قال مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنه خط عليه خطا وقال
لا تبرح حتى أنبئك قد ذهبت نحو سواد الليل ثم جاء فقال ما لي
إداوتك فقال نبيذ تمرة طيبة وماء مهور ثم أخبره
خبر الجن لأن إسناده مجهول على ما قاله أهل الحديث
تأستبصر أي استصبر وأصله من استهال الفجر إذا انتشر
وكالأ لا تخيل أي حجم عليه بالمكروه أي القتل وحيرا جيل معروف
بمكة وهو ممدود مصروف وقوله وسألوه الزاد أي ما يحل
لهم من الزاد وليدوابهم تأجابهم بقوله لكم كل عظم وكل بعر
لعلف دوابكم أي للإنسان محلل لكم ويحتمل أن يكونوا سألوه أن يدعو
لهم بالبركة في أزوادهم وفي علف دوابهم ويدل على هذا قوله
ينفع في أيديكم أوفر ما يكون وفي كتاب مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعوت الله أن لا يمر بعظم إلا وجدوه أوفر ما كان وأسمنه
أي بالنسبة إلى تقديمهم وتبلغهم وقيل تبلغهم من ذلك شيء أو نحس
كل ذلك ممكن وقد قيل بكل واحد منهما وقوله في ذكر اسم الله عليه

اى على تزكيته وتكمل على اكمله الاولى وقد تقدم القول
فى الاستنجاء بالعظام والروث فى الطهارة وقوله اذنت النبى صلى الله
عليه وسلم ليلة الجن بهم شجرة اى اعلمته بهم وكاهرة ان الله
تعالى خلق فيها نطقا فهمه النبى صلى الله عليه وسلم كما خلق فى الذراع
المسمومة نطقا ومن سوره المدثر فقد تقدم القول فيما انزل من
القرآن اول لا انى حدثت عائشة رضى الله عنها ترتيب هناك الا انى
لخديثها اول لانها اراد بذكرها ما سكتت عنه من حديث
لقاء جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار واتيانه اليه اقرأ باسم ربك
على ما ذكرته عائشة وقد دل على سر ان حديث جابر تال فيه فرفعت
راسى فاذا الملك الذى جاءنى بحرا وقد تقدم القول على حبيب فى
الايمان والمدثر المزمل ثيابك فطهر
محتمل لمن قال بوجوب غسل النجاسة اذ الاصل حمل الثياب والطهارة
على الحقيقة اللغوية ويحتمل ان يكون كناية عن طهارة القلب
عن مذموم الاخلاق كما قال الشاعر ثياب بنى عوف طهارى نقية
والرجز الاوثان سماها بذلك لاستحقاق عابديها الرجز
وهو العذاب كقوله ولما وقع كليم الرجز الرجز انزل
ولربك فاصبر اى على ما تلقاه من الاذى والتكذيب عمدا الاتراد
ومن سوره الاخرد قول الراهب للغلام اذا اخذت الساحر
قتل حبسى اهلى دليل على اباحة الضرب لمصلحة اكيد وجه
التمسك بهذا ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الحديث كله
فى معرض الثنا على الراهب والغلام وعلى جملة الاستحسان لما
صدر عنهما فلو كان شئ مما صدر عنهما من افعالهما محرما او غير

وهو الحديث ليس الكذاب الذى ينقل الناس فينقل خيرا

جائزا من شرعه لبينه لامته ولا ستثناه من جملة ما حذر عنهما
ولم يفعل ذلك مثل ما اخبر به عنهما فحينئذ وسوغ الفعل فان
قيل فكيف يجوز فى شرعنا ما فعل الغلام من دلالته على الراهب
للقتل ومن ارشاده الى كيفية قتل نفسه فالجواب من وجهين
احدهما ان الغلام غير مكلف لانه لم يبلغ الحلم ولو سلم انه
مكلف لكان العذر عن ذلك انه لم يعلم ان الراهب يقتل فلا يلزم
من دلالته عليه قتله وعن معونته على قتل نفسه انه لما غلب
على ظنه انه مقتول لا بد او علم بما جعل الله فى قتله ارشد الله
الى طريق يصير الله بها كرامته وصحة الدين الذى قاتل عليه
لسلم الناس ولبرئ من الحق عذر شاهده ذلك كما
قال وقد اسلم عمار رضى الله عنه نفسه عذر على انه يقتل
كما بدأ اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم كما بيناه وهذا الحديث
انما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ليصبروا على ما يلقون
من الاذى والآلام والمشقات التى يأتوا على مثلها ليتأسوا
بمثل هذا الغلام فى صبره وتصلبه فى الحق وتسمحه به وبذله
نفسه فى حق الله ردعوته ودخول الناس فى الدين مع صغر
سنه وحكم صبره وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق
حتى نشر بالمنشار وكذلك كثير من الناس لما امنوا بالله تعالى
ورسخ الايمان فى قلوبهم صبروا على الطرح فى النار ولم يرجعوا
عن دينهم وهذا كله فوق ما كان يفعل من آمن من اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن فيهم من فعل به شئ من ذلك
لكفاه الله تعالى بهم ولانه تعالى اراد اعزاز دينه واظهار

كلمة على انى اقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم اقوى الانبيا فى الله
واصحابه اقوى اصحاب الانبيا فى الله فقد امتحن كثيرين منهم بالقتل
والصلب والتعذيب الشديد ولم يلتفت الى شئ من ذلك وتكبد قصة
عام مخيبر واصابهما وما لقى اصحابه من الحروب والمحن والاسر
والخوف وغير ذلك ولقد بذلوا فى الله نفوسهم واموالهم وفارقوا
ديارهم واولادهم حتى اظهر دين الله ووقفوا بابا عامرا واعليه
الله فجازاهم الله افضل الجزاء ووقاهم من اجر من دخل فى الاسلام
تسعهم افضل الاجزاء وقد تقدم ان الميثار يعامل بالنون وبالبا المهموزة
وهى الافصح وقد تسهل همزتها والراء العظيمة كانت اسرا كما قرجا
فى حديث اخر والقرقور بضم القافين هو السفينة الكبيرة قاله
الهروى وقد انكر هذا عليه وقيل ان السفن الكبار لا تستعمل فى مثله
قال الشيخ وهذا انكار ينبغى ان يتدبر فلعل هذا الملك قصد الى اعظم
السفن حتى يتوسط البحر بهذا الغلام ليلقوه فى البحر عنه او لعله
جعل معه فى السفينة من يملوها او ما يملوها والمرجع فيه الى اهل اللغة
وقد قال ابن دريد فى الجمهرة القرقور ضرب من السفن حربى معروف
والعروف عند الناس فيه اسقاله فيما عز منها وخف للتصرف فيه
وقوله فرجف بهم الجبل اى تحرك وتزلزل بهم وخر الاخر مواى يقصر
فى الارض شقا مستطيلا عظيما وجمع اخاديد وقوله فاحموا فيها
او فصل فيحتمل هذا استدراك من بعض الرواة فاحموا فيها معناه القوه
فيها واد خلوه اياها يقال احميت الحديد اى القيته فى النار اذا ادخلته
فيها قاله القاضى ابو الفضل واقحم ادخل على كره ومشقة وقوله

فقعا عسقت اى تاخرت وامتنعت وقد اظهر الله لهذا الملك الجبار
الاعلام من الايات والبينات ما يدل على القطع والبتات ان الراهب
والغلام على الدين الحق والمنهج الصدق ومن خرج التوفيق استدبر
الطريق وفى هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وقد تقدم القول
فيها وقوله من سورة والشمس وضحاها قوله اذ انبعثت اشقاها
اى قام مسرعا وضمير المونث عايد على ثمود وهى مونثة لانها
تصرف بها فصار قبيلة ولذلك مع التعريف لم تصرف والعزيز القليل المثل
ويكون بمعنى الغالب والعارم الجبار الصعب على من يرومه والممتنع
سلطانه وعشيرته وابور منعة لنا يحمل ان يكون هو الذى قال
فيه ابو عمر الله بلوى صحابى من بايع تحت الشجرة ونوفى بافريقية
فى غزاة معوية بن حديج الاولى ودفن بالبلوه بالقبر وان مالك
الشيخ فان كان هو هذا فانه انما شبهه بعاقر الناقة فى انه عزيز
فى قومه ومتبع على من يريده من اهل الكفر ويحتمل ان يريد عشيرة
رهط يسمى باربى رهطه من الكفار والله اعلم وقوله انى لم تجلد ام
امراته جلد الفحل هذا انكار على من يجلد زوجته ويكثر من ذلك حتى
يعاملها معاملة الامة ثم انه يعدد لها بالتسبب يرجع الى مضاجعتها
والى قضاء شهوته منها فلا يطاوعه ولا تحتشم له وقد ينغصه ويكون
هو يحبها فيفسد حاله وتستقام امر غيره وتزول الرحمة والمودة
التى جعلها الله بين الازواج وحصل نقيضها قبحه الله اسعد رسل
بعقر الناقة الموجب على ما يظهر من ذلك كفاسد وقوله ثم وعظم
فى محكمهم من الضرطة اى تقاعد وتجرم عن ذلك لانه لعل عادى ستوى
فيه الناس كلهم وان كان ما يستقبح فحش الانسان ان تستتر له فان غلبه

كيف يسمعه احد فلا يخلد منه فانه بتاذى العاجل يذل ويخجل
منه واذى المسلم حرام فالخلد من الضرخة حرام **ومن سورة والليل**
اذا يغشى قراءة عبد الله بن مسعود وابى الدرداء رضى الله عنهما
والذكر والانثى ليست قرانا هكذا انما جاء الصحابة والمسلمون بعدهم
واتفاق المصاحف على خلافها وان القراءة المتواترة وما خلق
الذكر والانثى وبقى عبد الله وابو الدرداء على ما سمعاه وابيا
ان يقرا على قراءة الجماعة وعليهما فى ذلك استحالة على قراءتها
يكون الذكر هو آدم والانثى حوا وهو المقسم بها وعلى قراءة الجماعة
المقسم به ما خلق هو بمعنى الذى ويعنى به الخالق وقد قيل يعنى بالله
المصدر فكانه قال وخلق الذكر والانثى فعلى هذا يكون الذكر
والانثى يراد به النوع كله والله اعلم **ومن سورة والضحى**
قوله انها جبريل صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال المشركون قد ودع محمدا فقرانا ما كان بكة فى اول الاسلام
وذلك ان المشركين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخضر
وذى القرنين والروح فوعدهم بالجواب الى خمس ولم يستثن فابطا
عليه جبريل قيل اثنتى عشرة ليلة وقيل اكثر من ذلك حتى ضاق
صدر النبى صلى الله عليه وسلم وقال المشركون قد ودعه ربه وقلاه
فنزل عليه جبريل بهذه السورة جوابا مما سالوه عنه وقال له
ما تنزلن لتاخرك عما سالت الا ان يشاء الله قاله ابن اسحق وغيره
وقول جندب فى الرواية الاخرى انما نزلت جوابا لمن قالت تركك
شيطانك لا يعارض ما قاله ابن اسحق فيجوز ان يكون نزلت جوابا
لهذين القولين وجوابا لمن قال ذلك كانا معا وقد تقدم

ان الضحى صدر النهار وسجى اقبل ظلامه وما ودعك مشددا فى القراءة
المتواترة اى ما تركك تركا موذعا وقراه ابن ابى عبلة مخففا
على الاصل المطرد فى فوض كما قدمناه وذلك ان العرب اماتت ماضيه
واسم فاعله وصيغة مفاعلته استغنت عنه بترك وبدا لها
بدا لها وبدا البغض **ومن سورة اقرا** تغيير الوجه
تتربد له وتكمن على عقبيه رفع القهقرى وراءه **قوله**
تعالى اقرا باسم ربك اى اذكر اسم ربك بالتوحيد والتعظيم والبا
صلة قاله ابو عبيدة وقيل عنه الاسم صلة اى بقوله وتوفيقه
واشبه منهما ان يقال معناه ابتدى القراءة ببركة اسم ربك وكونه
وخلق اى آدم صلى الله عليه وسلم من تراب وخلق الانسان من علق
يعنى ولده والعلق الدم جمع علقة وسميت بذلك لتعلقها بما مرت عليه
وانشدوا **تردنه** تجر على بريته تحت عليها علق الوبين واقرا الثانى
توكيدا للاول لفظى ولذلك حسن الوقف عليه ويبدا الاكرم وهو
مرفوع بالابتدا وخبره علم الانسان ما لم يعلم قبل آدم صلى الله عليه
وسلم علمه الاسما كلها وقال قتادة يعنى الجنس اى الخط **قال الشيخ**
ما ابهما مما للعموم اذ الله تعالى علم كل واحد من نوع الانسان
علما يخص به لكن الامتنان انما يحصل بالعلوم النافعة لا غير فهى المقصودة
بهذا العموم والله اعلم وقد تقدم ان اول ما نزل من القران من اول
هذه السورة الى آخر هذه الآيات ثم بعد امادٍ نزل قوله كلا ان الانسان
ليطغى وقد انمحا اثر افتتاح الكلام به ولذلك قال ابو حاتم ان كلا
هنا بمعنى الا التى للاستفتاح وقال الفرا انها تكررت للمشركين

وقول ابن هشام أول والانسان هنا ابو جهل ليطغى ان تكبر وارتفع
حتى تجاوز المقدار والحد وان رآه استغنى اى من اجل استغنائه به
بماله وشدته وعشيرته وعلى هذا فالصبر عائد الى ابى جهل اى
الصبر خير له وقيل هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم اى ان اباجهل
طغى وتجاوز الحد فى حسده لمحمد صلى الله عليه وسلم من ان استغنى محمد
صلى الله عليه وسلم بربه وبما منحه من فضله عن كل احد من جميع خلقه
وقوله ان الى ربك الرجعى اى الرجوع اليه يوم القيامة فيجازى كلا
بفعله وقوله ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى يعنى به اباجهل ينهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يصلى وقال ما ذكره فى الحديث
وارايت هذه فيها معنى التعجب كانه قال اعجب من هذا الجاهل
الضعيف العقل كيف ينهى عن عبادة الله تعالى مثل محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى قيل هذا
خطاب لابى جهل وهو خطاب توبيخ له واحتجاج عليه وكانه قال
اخبرنى ايها المتابع لمحمد من العباد ان كان محمد على الهدى او امر
بالتقوى مقصده عن ذلك الم تعلم ان الله يراد وهو قادر على اخذك
ومعاقبتك وقيل جواب الشرط محذوف تقديره الست تخشى من الله النكال
والعقاب ثم ابتدأ بعد هذا فى تهديده ووعيده فقال كلا اى ردعا
له وهلاكا وقوله لئن لم ينته لنسفعا بالناصية نسفعا من الله
تعالى على تعذيبه واهلاكه ان لم يؤمن ومعنى لنسفعن لنأخذن ولنجذبن
والناصية شعر مقدم الراس وهذا الوعيد مثل قوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصى والاقدام ثم وصف ناصيته بانها
كاذبة خاطئة والمقصود صاحبها وقوله فليدع ناديه

اى اذا اخزناه فليستنصر باهل مجلسه ان صح له ذلك والنادى المجلس
دار الندوة اهل النادى يريد ويقال لعلهم الندى وقوله ستدع الزبانية
اى لتعذيبه ونحن خزنة النار الموكلون بتعذيب الكفار وهم الملائكة
الذين قال الله فيهم عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون وسموا زبانية من الزبن وهو الدفع
لشدة دفعهم وبطشهم يقال زبانية على غير قياس كلوذعاه
وقوله كلا لا تطعه واسجد واقترب ~~اسجد لربك~~ جبل ونهى لمحمد صلى الله عليه
وسلم عن طاعته فى ترك الصلاة وبما يامر به وينهى عنه واسجد
واقترب اى صل لله وتقرب اليه بعبادته وافعال البر وقد تكلمنا
على سجود القرآن فى كتاب الصلاة ومن سورة النصر نصر الله
ومعونته على اظهار نبيه على قريش وغيرهم والفتح فتح مكة كما فسره
النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث عائشة رضى الله عنها ولا يلتفت
لما قيل فى ذلك مما يخالفه والافواج الزمر يعنى زمرة بعد زمرة وهذا
كان بعد فتح مكة فان اهل مكة كانوا اعظم العرب وفادتهم ومكة
بيت الله تعالى فتوقفت العرب فى اسلامها على اهل مكة ينظرون
ما يفعلون فلما فتح الله مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم واسلم اهلها
اسقطت العرب على الدخول فى الاسلام وهجرت الاوثان وعجلت
الالمام وحصل التمام وكمل الانعام فوجب الشكر لهذا المنعم الكريم
واستغفاره هذا المولى الرحيم لا سيما وقد افصح ذها بانا فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا اى قل يا محمد سبحان الله وبحمده واستغفر الله
وانوب اليه فكان صلى الله عليه وسلم يكثر من قوله ذلك شكرا لله تعالى

وانتشا لما امره به هنالك وقد تقدم ان عمر بن الخطاب وعبد الله
بن عباس رضي الله عنهم فهما من هذه السورة ان الله تعالى نعى لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم نفسه وكذلك فهمه ابو بكر رضي الله عنه وقال
ابن عمر رضي الله عنهما نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدها النبي صلى الله
عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما
ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما
ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما
وقال مقاتل سبعة ايام انه كان نوابا على النادمين وان كثروا
وتجاوز ذنوب الخاطبين اذا استغفروا

بلغت المقابلة
والحمد لله

تجزئة المجلدة الخامسة من ارشاد المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم
وبتمامه تم جميع الديوان والله المستعان وذلك في يوم الخميس ثاني يوم
من رجب من سنة احدى وتسعين وستمائة وذلك بالخنيقة التي اشهرت
بوقفها على مدرسته ستة الشام البرانية المجاورة للعوينة خارج دمشق
حرسها الله وسائر بلاد المسلمين والحمد لله الذي تمت بنعمته الصالحات
وصلى الله على خير الانام والله المسؤول ان يخلص اعمالنا ونياتنا وضمائرنا وان ينفعنا
بما علمنا وان يصلحنا وقوتنا في سبيله وان يجعلها الوارث منا وان يعطف علينا
وعلى والدينا ومشائخنا واحبابنا واخواننا وجميع المسلمين برحمته وتوفيقه ورأفته
كتبه احمد بن عمر بن احمد بن محمد بن علي قرم الانشبيلي حامدا لله تعالى ومصليا على
نبيه محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وازواجه وذريته وسلما

ثم انتسخت مقابلة الكتاب كله بالاصل المنقول منه في يوم
الثلاثاء رابع شهر شعبان سنة احدى وتسعين المذكورة والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وكرم وسلما كثيرا ابدا